

410

ع-ف-ع



فصول في

# فقه العربية

تأليف  
الدكتور رمضان عبد النواب  
رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب  
جامعة عين شمس

الطبعة الثالثة

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

Giza Public Library



000032500 - 2



# بسم الله الرحمن الرحيم

صنف وطبع هذا الكتاب بمكتبة ومطبعة الخانجي  
ص . ب / ١٢٧٥ بالقاهرة

حقوق الطبع والنشر محفوظة

## بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة الطبعة الثانية

صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى سنة ١٩٧٣ م ، فتلحقه القراء والمتخصصون ، في شتى أنحاء الوطن العربي ، بيد الرضا والقبول ، ونفذت تلك الطبعة ، في أقل مما قدر لها من الوقت ، وحالت ظروف انشغالي ببعض الأعمال العلمية الأخرى ، دون التفكير في إعادة طبعه من جديد .

غير أن اشتداد الطلب على الكتاب ، جعلني أسمح للناسخين بتيسير الانتفاع به ، عن طريق التصوير ( بالأوفست ) ، فصورته مكتبة دار التراث مرة في عام ١٩٧٧ ، كما صورته مكتبة الخانجي مرة أخرى في عام ١٩٧٩ م .

ونفذت مصورات هذه وتلك بسرعة ، وطلب منى المرحوم الحاج نجيب الخانجي ، قبل أن يتوفاه الله إلى رحمه بشهور ، أن أعد له طبعة جديدة من الكتاب ، ليتولى هو إخراجها ونشره على نفقته ، فلبيت رغبته الكريمة . وهذه الطبعة الجديدة مهداة إلى روحه الطاهرة ، رحمه الله رحمة واسعة .

وتماز هذه الطبعة ، بزيادات مهمة في كل فصل من فصول الكتاب ، وإفادة جمّة من المصادر الجديدة ، التي ظهرت بعد صدور الطبعة الأولى ، وإعادة النظر في كثير من قضاياها ، في ضوء تلك المصادر . وقد أضفت إلى الكتاب فصلاً جديداً ، عن مشكلة « تعليم العربية » في الباب الخامس ، الخاص « بقضايا اللغة ومشكلات العربية » .

كما أن فيها إضافات أخرى ، هنا وهناك ، عن الموطن الأصلي

للساميين ، ومعرفة العرب القدامى باللغات السامية ، والاستشهاد  
بالحديث الشريف ، وبعض المعاجم العربية ، وظاهرة العلاقة بين اللفظ  
والمعنى وغير ذلك .

وإنه لما يثلج الصدر حقا ، أن هذا الكتاب ، بما تضمنته من آراء  
ونظريات في اللغة ، كان ذا صدق كبير في المؤلفات اللغوية ، والرسائل  
العلمية في الوطن العربي ، في السنوات الماضية . وإنني لأرجو أن تنال هذه  
الطبعة من الرضا والقبول ، ما نالته أختها من قبل ، والله الموفق .  
ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك  
أنت الوهاب .

د . رمضان عبد التواب

فروع  
كتب  
سنة  
الكتاب  
فقه اللغة  
آخرون  
المصو  
٢٢٤  
سنة  
في الل  
العربية  
كلام  
٢٩٥  
وخص  
العرب  
( م  
الإن  
الأن  
الملل



## ٢ - جهود علماء العربية في فقه اللغة

اسم « فقه اللغة » قديم عند العرب ، وإن لم يكن شاملا لكل فروعها ، التي تهتم بها الآن ، في « فقه اللغة العربية » . ولدينا بهذا الاسم كتاب لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ( المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ) ، المسقى : « فقه اللغة وسر العربية » . وفي تسمية هذا الكتاب بهذا الاسم ، شيء من التجور في الواقع ؛ إذ ليس فيه من مسائل فقه اللغة ، التي تحدثنا عنها فيما مضى ، سوى باب : « سر العربية » في آخره . وما عداه عبارة عن معجم للغة العربية ، رتبته على حسب الموضوعات ، تماما كما فعل من قبله أبو عبد القاسم بن سلام ( المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ) في كتابه : « العريب المصنف في اللغة » وكما فعل في عصره ابن سيدة الأندلسي ( المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ) في كتابه الضخم « المختصر في اللغة » . وسنعود لذلك بالتفصيل ، عند حديثنا عن « المعاجم العربية » فيما بعد .

ولدينا كتاب آخر اسمه : « الصاحبي في فقه اللغة وسر العرب في كلامها » ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ( المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ) ، ضمنه كثيرا من مسائل فقه اللغة العربية ، مثل نشأة اللغة ، وخصائص اللسان العربي ، واختلاف لغات العرب ، ولغات العامة من العرب ، والقياس والاستشاق في اللغة العربية ، وآثار الإسلام في اللغة العربية ( وهذا الموضوع ألف فيه أبرز حاتم الرازي كتابه : الزينة في الكلمات الإسلامية ) ، والمترادف ، وحروف الهجاء العربية ، وحروف المعنى ، وأسماء الأشخاص وما أخذها ، وغير ذلك . وقد ألف في الموضوع الأخير عبد الملك بن قريب الأصمعي ( المتوفى سنة ٢١٦ هـ ) كتاب : اشتقاق

الأسماء ، وهو يحاول في هذا الكتاب ، أن يعثر لكل اسم عربي ، من أسماء الأشخاص أو القبائل ، على مأخذ يشتق منه من مواد اللغة العربية ، وقد تابعه على ذلك مجموعة من العلماء ، كابن دريد الأزدى ( المتوفى سنة ٣٢١ هـ ) في كتابه : الاشتقاق ، وأبى القاسم الزجاجي ( المتوفى سنة ٣٣٧ هـ ) في كتابه : اشتقاق أسماء الله .

ولابن فارس كتاب آخر اسمه : « مقاييس اللغة » ، وهو معجم لألفاظ اللغة العربية ، مرتب على الحروف الهجائية ، إلى حد ما ، غير أن فيه فكرتين جديدتين على حركة التأليف في المعاجم في عصره ، وتعدان في الواقع من صميم « فقه اللغة » ، وهما فكرتا : « الأصول » و « النحت » ؛ فهو يحاول بالفكرة الأولى أن يدرج مفردات المادة اللغوية الواحدة ، تحت أصل أو أصلين ؛ مثل قوله : « الظاء والقاء والراء : أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على القهر والفوز والغلبة ، والآخر على قوة في الشيء ، ولعل الأصلين يتقاربان في القياس ، فالأول : الظفر ، وهو الفوز بالشيء .. والأصل الآخر : الظفر ، ظفر الإنسان ... إلخ »<sup>(١)</sup> .

أما فكرة النحت ، فخلاصتها أن ابن فارس جمع ما زاد على الثلاثي ، من كل مادة ، تحت أبواب معينة ، وحاول تفسير بعضها بما يسمى النحت ، مثل قوله : « نُحِتَ ، وهو القصير المختص الخلق ، فهذا منحوت من كلمتين : الناء والطاء والراء ، وهو من بترته فبُتِرَ ، كأنه حرم الضول فبُتِرَ خلقه . والكلمة الثانية : الحاء والطاء والراء ، وهو من حُتِرَ وأُحِتِرَ ، وذلك ألا تُفصل على أحد ؛ يقال : أُحِتِرَ على لقمته وعياله ، أي ضيق عليهم ؛ فقد صار هذا المعنى في القصير ؛ لأنه لم يُعْطَ ما أعطيه الطويل »<sup>(٢)</sup> .

ويذهب ابن فارس إلى هذه النظرية كذلك ، في كتابه :

(١) مقاييس اللغة ٣/٤٦٥

(٢) مقاييس اللغة ١/٣٢٥

« الصاحبي في  
على ثلاثة أحرف  
ضبط ، من  
وصلق ، وفي  
ولا تقتض

وابن فارس ،  
الذي ألف كتابه  
القيمة ، كـ  
والقياس ، والأصل  
وهناك

« الشخص  
الترادف ، و  
والمقصود والم  
وهناك

السيوطي  
وأنواعها ،  
المختلفة ، مثلاً  
والغريب ،  
والمعرب ،  
والنحت ،  
من المؤلفات  
الاقتباسات

« الصاحبي في فقه اللغة » : فيقول : « هذا مذهبتنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف ، فأكثرها منحوت ؛ مثل قول العرب للرجل الشديد : صَبَطَر ، من ضبط وضير ، وفي قوطيم : صَهْصَلِق ، أنه من : سهل وصلق ، وفي الصلدم أنه من : الصلْد والصدْم (٣) » .

ولا تقتصر جهود علماء العربية في فقه اللغة ، على ما ألفه الثعالبي وابن فارس ، فهناك أبو الفتح عثمان بن جني ( المتوفى سنة ٣٩١ هـ ) ، الذي ألف كتابه : « الخصائص » ، وضمنه كثيرا من البحوث اللغوية القيمة ، كبحثه في أصل اللغة ، ومقاييس العربية ، وتعليل اللغة ، والقياس ، والاشتقاق ، وغير ذلك .

وهناك بعض البحوث ، التي ضمنها ابن سيده الأندلسي كتابه : « المختص » ، الذي أشرنا إليه من قبل ، كالبحوث التي تناول بها الترادف ، والاشتراك ، والتعريب ، والاشتقاق ، والتذكير والتأنيث ، والمقصور والمدود ، وغير ذلك .

وهناك أيضا تلك البحوث القيمة ، التي أودعها جلال الدين السيوطي ( المتوفى سنة ٩١١ هـ ) كتابه : « المزهر في علوم اللغة وأنواعها » ، وهو كتاب ضخم في مجلدين ، مليء بالبحوث اللغوية المختلفة ؛ مثل البحث في نشأة اللغات ، والمصنوع ، والفصيح والحوشي والغريب ، والمستعمل والمهمّل ، وتوافق اللغات ، وتداخلها ، والمولّد والمعرّب ، والاشتقاق ، والترادف والاشتراك والتضاد ، والإبدال ، والقلب ، والنحت ، وغير ذلك . وهو دائرة معارف واسعة ، اعتمد فيها على الكثير من المؤلفات اللغوية المتخصصة ، والتي فقد معظمها ، وبقي منها تلك الاقتباسات ، التي أدخلها السيوطي في كتابه : المزهر .

\*\*\*

هذا ، والمحدثين من العرب جهود مشكورة ، في التأليف  
في موضوعات فقد اللغة العربية ، وعلم اللغة العام ، والترجمة فيهما  
من اللغات الأجنبية المختلفة ، وهذه قائمة بأهم المصادر العربية في الدرس  
اللغوي ، مرتبة على حسب أسماء أصحابها :

#### الدكتور إبراهيم أنيس

- ١ - الأصوات اللغوية .
- ٢ - في اللهجات العربية .
- ٣ - دلالة الألفاظ .
- ٤ - من أسرار اللغة .
- ٥ - مستقبل اللغة العربية المشتركة .
- ٦ - طرق تنمية الألفاظ في اللغة .
- ٧ - اللغة بين القومية والعالمية .

#### الدكتور إبراهيم السامرائي

- ٨ - دراسات في اللغة .
- ٩ - الفعل ، زمانه وأبنيته .
- ١٠ - التطور اللغوي التاريخي .
- ١١ - التوزيع اللغوي الجغرافي .
- ١٢ - العربية بين أمسها وحاضرها .
- ١٣ - مقدمة في تاريخ العربية .
- ١٤ - مباحث لغوية .

#### محمد حسين شرف الدين

- ١٥ - اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام .
- ١٦ - لهجات اليمن قديما وحديثا .

#### الدكتور أحمد محمد الضبيب

- ١٧ - دراسات في لهجات شرق الجزيرة العربية ، لجونسون ( ترجمة ) .

الدكتور أحمد علم الدين الجندى :

١٨ - اللهجات العربية في التراث

الدكتور أحمد عيسى :

١٩ - التهذيب في أصول التعريب

الدكتور أحمد مختار عمر :

٢٠ - من قضايا اللغة والنحو

٢١ - دراسة الصوت اللغوي

الدكتور أحمد نصيف الجناني :

٢٢ - الدراسات اللغوية والنحوية في مصر ، حتى القرن الرابع الهجري

الدكتور إسرائيل ولفنسون :

٢٣ - تاريخ اللغات السامية

الشيخ أمين الخولي :

٢٤ - مشكلات حياتنا اللغوية

الأب أنستاس ماري الكرمل :

٢٥ - نشوء اللغة العربية ونموها واكتسابها

أنيس فريجة :

٢٦ - اللهجات وأسلوب دراستها

برجشتراسر :

٢٧ - التطور النحوي للغة العربية

الدكتور تمام حسان :

٢٨ - مناهج البحث في اللغة

٢٩ - اللغة بين المعيارية والوصفية

في التأليف  
وجهة فيها  
في الدرس

وجهة ( )

٣ - اللغة العربية ، معناها ومبناها .

جرجي زيدان :

٣١ - الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية .

٣٢ - اللغة العربية كائن حي .

٣٣ - العرب قبل الإسلام .

الدكتور جواد علي :

٣٤ - تاريخ العرب قبل الإسلام ( الجزء اللغوي ) .

الدكتور حسن ظاظا :

٣٥ - اللسان والإنسان .

٣٦ - الساميون ولغاتهم .

٣٧ - كلام العرب .

الدكتور حسن عون :

٣٨ - اللغة والنحو .

الدكتور حسين نصار :

٣٩ - المعجم العربي ، نشأته وتطوره .

حفني ناصف :

٤٠ - مميزات لغات العرب .

٤١ - تاريخ الأدب ، أو حياة اللغة العربية .

الدكتور خليل يحيى نامي :

٤٢ - دراسات في اللغة العربية .

الدكتور داود عبده :

٤٣ - أبحاث في اللغة العربية .

الدكتور رمحي كمال :

٤٤ - التضاد في ضوء اللغات السامية .

## الدكتور رمضان عبد التواب:

٤٥ - لحن العامة والتطور اللغوي .

٤٦ - التذكير والتأنيث في اللغة .

٤٧ - فصول في فقه العربية .

٤٨ - التطور اللغوي وقوانينه .

٤٩ - اللغة العربية ، قواعد ونصوص ومقارنات باللغات السامية .

٥٠ - نصوص من اللغات السامية ، مع الشرح والتحليل والمقارنة .

٥١ - اللغات السامية ، لنولدكه ( ترجمة ) .

٥٢ - فقه اللغات السامية ، لبروكلمان ( ترجمة ) .

٥٣ - العربية ، ليوهان فث ( ترجمة ) .

## الدكتور السيد يعقوب بكر :

٥٤ - دراسات في فقه اللغة العربية .

٥٥ - دراسات مقارنة في المعجم العربي .

## الدكتور صبحي الصالح :

٥٦ - دراسات في فقه اللغة .

## الدكتورة عائشة عبد الرحمن ( بنت الشاطيء ) :

٥٧ - لغتنا والحياة .

## الدكتور عبده الراجحي :

٥٨ - اللهجات العربية في القراءات القرآنية .

## عبد الحميد الدواخلى :

٥٩ - العرب في سوريا قبل الإسلام ، لرينيه ديستو ( ترجمة ) .

## الدكتور عبد الرحمن أيوب :

٦٠ - محاضرات في اللغة .

٦١ - العربية ولهجاتها .

٦٢ - اللغة والتطور .

٦٣ - أصوات اللغة .

٦٤ - دراسات نقدية في النحو العربي .

الدكتور عبد السميع محمد أحمد :

٦٥ - المعاجم العربية .

الدكتور عبد الصبور شاهين :

٦٦ - دراسات لغوية .

٦٧ - في التطور اللغوي .

٦٨ - المنهج الصوفي للبيئة العربية .

٦٩ - العربية الفصحى ، هنرى فليش ( ترجمة ) .

عبد الله أمين :

٧٠ - الاشتقاق .

الدكتور عبد الله درويش :

٧١ - المعاجم العربية ، مع اعتناء خاص بكتاب العين .

عبد الله العلايلي :

٧٢ - مقدمة لدرس لغة العرب .

الدكتور عبد المجيد عابدين :

٧٣ - المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية .

٧٤ - من أصول اللهجات العربية في السودان .

عبد الوهاب حمودة :

٧٥ - القراءات واللهجات .

الدكتور عدنان الخطيب :

٧٦ - المعجم العربي بين الماضي والحاضر .

علي عبد الواحد وافي :

٧٧ - علم اللغة .

٧٨ - فقه اللغة .

٧٩ - نشأة اللغة عند الإنسان والطفل .

الدكتور علي القاسمي :

٨٠ - علم

الدكتور فوزي

٨١ - النثر

غالب فاضل

٨٢ - لغة

الدكتور محمد

٨٣ - فقه

٨٤ - در

٨٥ - علم

الدكتور محمد

٨٦ - مقد

محمد الأنط

٨٧ - الو

محمد حسي

٨٨ - الأد

محمد الحفص

٨٩ - در

الدكتور محمد

٩٠ - مع

الدكتور محمد

٩١ - القا

محمد المبار

٩٢ - فقه

الدكتور محمد

٩٣ - علم

٩٤ - مد



٨٠ - علم اللغة وصناعة المعجم

الدكتور فؤاد حسنين على :

٨١ - التاريخ العرفي القديم ، طومل وآخرين ( ترجمة )

غالب فاضل المطلبي :

٨٢ - هجعة تميم وأثرها في العربية الموحدة .

الدكتور كمال بشر :

٨٣ - قضايا لغوية .

٨٤ - دراسات في علم اللغة

٨٥ - علم اللغة العام ( الأصوات ) :

الدكتور محمد أحمد أبو القرج :

٨٦ - مقدمة لدراسة فقه اللغة .

محمد الأنطاكي :

٨٧ - الوجيز في فقه اللغة .

محمد حسين آل ياسين :

٨٨ - الأضداد في اللغة .

محمد الخضر حسين :

٨٩ - دراسات في العربية وتاريخها .

الدكتور محمد خلف الله أحمد :

٩٠ - معالم التطور الحديث في اللغة العربية .

الدكتور محمد عوفى عبد الرؤوف :

٩١ - القافية والأصوات اللغوية .

محمد المبارك :

٩٢ - فقه اللغة وخصائص العربية .

الدكتور محمود حجازي :

٩٣ - علم اللغة العربية .

٩٤ - مدخل إلى علم اللغة .

- ٩٥ - اللغة العربية عبر القرون .  
الدكتور محمود السعران :
- ٩٦ - علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي .  
الأب مرمرجي الدومنيكي :
- ٩٧ - المعجمية العربية في ضوء الثنائية الألسنية السامية .  
الدكتور مصطفى جواد :
- ٩٨ - الباحث اللغوية في العراق .  
الدكتورة نجاة الكوفي :
- ٩٩ - بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو .  
الدكتور هاشم الطعان :
- ١٠٠ - مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية .
- ١٠١ - الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة .
- ١٠٢ - تأثير العربية باللغات اليمنية القديمة .

البَابُ الْفَتْوَى  
فِي أَوَّلِيَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

السامية

tilözer

الجدول

إلى أول

الأصغر

إلى

تقسيم

العينة

الآش

كما

الفية

من

ال

## الفصل الأول اللغة العربية واللغات السامية

اللغة العربية فرع من فصيلة كبيرة ، يطلق عليها فصيلة « اللغات السامية » . وأول من أطلق عليها هذا الاسم ، هو المستشرق « شلوتسر » Schlözer أخذاً من جدول تقسيم الشعوب ، الموجود في التوراة<sup>(١)</sup> ، ذلك الجدول الذي يرجع كل الشعوب ، التي عمرت الأرض ، بعد طوفان نوح ، إلى أولاده الثلاثة : سام ، وحام ، ويافت .

وهذه التسمية مختصرة ومناسبة ، كما هو الواجب في التسميات الاصطلاحية . إلا أن العلم الحديث ، يفهم منها الآن شيئاً يختلف إلى حد ما ، عما فهمه منها مؤلف جدول الشعوب في التوراة ؛ لأنه يبي تقسيمه على اعتبارات سياسية ، وحدود جغرافية فحسب ؛ ولذلك جعل العيلاميين واللوديين ، من أبناء سام ؛ لأنهما كانا من رعايا الدولة الآشورية ، على الرغم من أنه لا توجد بين هذين الشعبين قرابة من ناحية ، كما أنه ليس بينهما وبين الآشوريين قرابة من ناحية أخرى . كما جعل الفينيقيين من أبناء حام ؛ بسبب صلاتهم السياسية بالمصريين ، على الرغم من أنهم أقرب الشعوب إلى العبريين<sup>(٢)</sup> .

وتنقسم اللغات السامية عموماً إلى : شرقية وغربية ، كما تنقسم السامية الغربية إلى : غربية شمالية ، وغربية جنوبية .

أما السامية الشرقية ، فهي الأكادية بفرعيها : البابلية والآشورية

(١) لإصلاح خطأ من نسخة النسخ  
(٢) هم : اللغات السامية - بنيادهم من

وقد وصلت إلى في نقوش مختلفة ، مكتوبة بخط مسواحي ، على ألواح  
لخفف ومن أهم هذه النقوش النقش الذي ذكره في قايرو  
« حمورابي » وهو من أقدم التشريعات لأصليه .

وموطن هذه اللغة ، هو بلاد ما بين النهرين ، دجلة ، الفرات  
في العراق ، « واللغة الأكادية ، اسم جامع لصفة البابليين ، في جنوب  
أرض الرافدين ، على نهرين الباطية ، ولغة إخوانهم الآشوريين ، في شمال  
أرض الرافدين ، وهي كذلك في اصطلاح العلماء المحدثين ، يصفونها على  
اللهجات البابلية والآشورية المختلفة ، و ( أككاد ) في الأصل : اسم للمدينة  
التي بناها ( سرجون ) في الجزء الشمالي من أرض بابل ، حوالي سنة  
٢٣٥٠ ق م ، لتكون عاصمة لدولته ، وهي أول دولة سامية ، شهدتها  
أرض الرافدين (٢) .

وقد ماتت هذه اللغة منذ قديم الزمان ، ولم يبق لنا منها إلا النقوش ،  
التي عرفنا منها تاريخ هذا الشعب الأكادي ، الذي كان على جانب كبير  
من الحضارة والمدنية ، قبل مائة وأربعين عاما تقريبا ، لم تكن تعرف شيئا  
عن اللغة الأكادية ، بفرعها : البابلية والآشورية ، حقا كنا نعرف بعض  
الشيء عن بابل وآشور ، من خلال قصص كتاب « العهد القديم » ، غير  
أننا لم تكن تلك وثائق ، بلغة هاتين المملكتين الكبيرتين . وكان أول من بدأ  
أخيرا في بلاد الرافدين ، هو « بونا » Bona فتصل فرنسا في الموصل ،  
عام ١٨٤٢ م . وقد أدت حفرياته في قرية : « حرسباد » بالقرب  
من الموصل ، إلى اكتشاف أجزاء قصر « سرجون الثاني » ، أحد ملوك  
آشور في القرن الثامن قبل الميلاد . وكان ذلك في مارس سنة ١٨٤٣ م .

وقد توالى الاكتشافات بعد ذلك ، وشارك فيها كثير من علماء  
الآثار الفرنسيين والإنجليز والأمريكان ، مثل : « باروت » Parot  
و « لايارد » Layard و « مالون » Mallown . وكانت حصيلة هذه

(٢) دراسات في لغة اللغة العربية ( للسيد يعقوب كحلان )

الحفريات  
المجحف  
« حجر  
معروفة لل  
كانت إح  
هذه الت  
١٨٤٧ م  
والآرامية  
والأولى  
تتكلم في  
في شمال  
١٩٢٩ م  
١٩٢٨ م  
الساحل  
ضخمة  
في تها  
وزهرات  
الآثار  
وحدها  
جبانة  
واحد  
يمور

الحقريات ، مجموعة ضخمة من النقوش ، المكتوبة على لوحات من الطين المحفف المحروق . وكما حدث في اكتشاف اللغة الهيروغليفية ، أن عثر على « حجر رشيد » المذوق بثلاث لغات ، إحداها اليونانية ، التي كانت معروفة للعلماء - حدث هنا كذلك أن عثر على لوحة عليها ثلاث لغات ، كانت إحداها هي اللغة الفارسية القديمة . ويرجع الفضل في حل رموز هذه النقوش ، إلى العالم الإنجليزي « رولسون » Rawlinson في عام ١٨٤٧ م ١٢١ .

وأما السامية الغربية الشمالية ، فتقسم إلى اللعنين : الكنعانية والآرامية . أما الأولى فتقسم إلى الكنعانية الشمالية ، والكنعانية الجنوبية والأولى تمثلها « اللغة الأوجاريتية » ، وهي لغة كنعانية قديمة ، كانت تتكلم في « أوجاريت » ، وهي مدينة كانت تقع على بعد ١٢ كيلو متراً ، في شمال اللاذقية ، على الساحل السوري . وقد تم اكتشافها في عام ١٩٢٩ م ، وكان اكتشافها بطريق الصدفة المخطئة ، ففي مارس سنة ١٩٢٨ م ، كان أحد الفلاحين يحفر أرضه بسلام في « مية البيضاء » على الساحل الشمالي لسوريا ، عندما علق بحجرته فجأة عن الحفر ، كتلة ضخمة من الحجر ، وما إن رفعها حتى ظهر مدخل تحت الأرض . في نهايته مقبرة مقبوة السقف ، وحدها القلاع فخاراً من الطين المحروق ، وزهريرات صغيرة لم تصب بسوء . وقد بلغ حفر هذا الحداث ، إلى إدارة الآثار الفرنسية في بيروت ، فعابن علماءها المقبرة ، ورجحوا أنها ليست وحدها في المنطقة ، وإنما تكون جزءاً من حيانة كبيرة ، وإذا كانت هناك حيانة ، فمعنى هذا أنها تابعة لمدينة ما ، لا تبعد كثيراً عن هذه الحيانة .

وكان بالقرب من المنطقة ، تل مرتفع على بعد حوالي كيلو متراً واحداً ، يسمى : « رأس شمرا » ، بسبب نبات السماق البري . الذي ينمو كثيراً في هذه المنطقة . وقد عثر الناس هناك من قبل ، على أشياء

أثرية ، كالألملياق ، والحاجر ، حتى أصبح من سكان المنطقة ، أنه كانت هناك مدينة كبيرة ، تقعى الآن في الطواف حول سورها أياما عديدة .

وبدأ الحفر في ذلك التل بسرعة ، في عام ١٩٣٩ م . فُعُيرت مقبرة « مينة البيصة » تماما ، ووحدت بالقرب منها مقابر أخرى ، وظهرت تحت التل مدينة قديمة ، تلك هي « آوجاريت » التي كانت خارجها ، الذي يبعد عنّا بألاف السنين ، مركزا لدولة عظيمة ذات حضارة مزدهرة ، وعثر فيها على مئات النقوش ، التي استطاع العلماء قراءتها بسهولة ، لمشايتها للنقوش اللغة الأكادية ؛ إذ كتبت بالخط المسماري ، الذي كتبت به النقوش الأكادية ، غير أنه هنا يسير على النظام الأجدى ، بعكسه في الأكادية ، التي كان يسير فيها على النظام المقطعي<sup>(٥)</sup> .

وأما الكتعانية الجنوبية ، فتشمل اللغة العبرية ، وأهم نص كتب بها ، هو كتاب : « العهد القديم » ، ويشمل : التوراة ، وهي أسفار موسى الخمسة ( التكوين ، والخروج ، واللاوين ، والعدد ، والثنية ) ، وكتب الأنبياء ، والمكتوبات كمزامير داود ، وأمثال سليمان ، وغيرها .

وأقدم مصادرها في اللغة العبرية ، هي : « قصيدة دُبُورَة<sup>(٦)</sup> » ، التي ترجع إلى عصر الفتح ، أي الألف الثانية قبل ميلاد المسيح ، وعصر اردهار الأدب ، الذي وصل إلينا عن الأنبياء ، وأخبار الأيام ، هو عصر الملوك المتأخر . ولدينا من هذا العصر مصدر نقشي كذلك ، وهي اللوحة التذكارية ، التي وجدت في مدخل نفق « قنال السلوان » ، بالقرب من بيت المقدس ، وهي عبارة عن ستة أسطر ، تتحدث عن انتهاء حفر تلك القنال ، ويرجع تاريخها إلى القرن السابع قبل الميلاد .

وكان السبي البابلي ، وتغريب بيت المقدس ، على يد « بُخْتَنْصَر »

(٥) انظر : 83-81 Die altorientalischen Kulturen S. Moscati

(٦) انظر : لإصحاح الحادي من سفر لقطة



سنة ٥٨٦ ق م ، تحرية قاسية للغة العبرية كذلك . حقا إن المسبيين في بابل ، لم يتحلوا عن لغتهم هناك ، بل إنهم أصبحوا في ضائقهم الدينية ، أشد تمسكا بها أكثر من ذي قبل ؛ ولذلك كتبت في فترة السبي أيضا ، بعض روائع الأدب العبري ، ولأسيما « رؤيا إشعيا »<sup>١٧</sup> . وعندما رجع العبريون من منفاهم في بابل سنة ٥٣٨ ق م ، وحدوا اللغة العبرية ، وهي لا تزال ناضرة في فلسطين ، فظلت لغة الشعب زمنا ليس بالقصير ، ولكن القرن الرابع والقرن التي تلتها ، حملت إليها عوامل التحلل والفساد ، وساعد على ذلك ، انتشار عادة الزواج من غير اليهوديات ، اللواتي يجهلن اللسان العبري .

وقد أدى انتشار اللغة الآرامية على الألسنة ، إلى تقلص ظل العبرية ، فاضطر رجال الدين إلى ترجمة ما يحتاجون إليه من أدعية « العهد القديم » إلى الآرامية ، وظلت هذه الترجمة مدة طويلة شفوية ، تلقى عقب قراءة النص في العبرية ، ثم دوت وصحيت « التراجوم » .

ومع ابتداء العصر الهليني ، انتهت حياة اللغة العبرية ؛ إذ لم يستطع ذلك العدد الضخم من اليهود ، الذين رحل معظمهم حينذاك ناحية الغرب ، أن يحتفظ بلغته الأصلية ، في وسط يتكلم الإغريقية . كذلك كان الحال مع بني جلدتهم ، الذين ظلوا في موطنهم الأصلي ؛ إذ وجدوا أنفسهم حينذاك ، وجها لوجه أمام تلك اللغة الشعبية ، التي اكتسحت كل صدر آسيا ، وهي الآرامية ، فكان من السهولة أن يتعاملوا بهذه اللغة ، بدلا من لغتهم الأصلية ؛ لأن كل واحدة من اللغتين ، قريبة من الأخرى قريبا شديدا .

وقد ظلت العبرية بعد ذلك لعدة قرون ، لغة الدين والمدارس ، وكتب بها الكثير من النصوص ، حتى بعد موتها على ألسنة الناس بزمن

(١٧) الإصحاح الأربعون بعد العدد من سفر إشعيا

طويل . وتتوقف خصائص هذه اللغة الأدبية ، على مدى إلمام المؤلف بالأدب العبري القديم ؛ فكتاب « ابن سيرة » المكتوب في حوالى سنة ٢٠٠ ق م ، آلف بلغة عبرية خالصة ، وجيدة للغاية ، على حين أن الكتب التى تكاد تكون معاصرة له ، أو كتبت بعده بقليل ، يظهر فيها تأثير العبرية الشديد بالآرامية ، مثل كتاب : « إستير » وكتاب : « الجامعة » وبعض مزامير داود .

وكان هذا التأثير بالآرامية ، يتم يوماً بعد يوم ، فالحدل القانونى والسعائرى بين مدارس الفقه اليهودى ، فى القرن الأول الميلادى ، والمحفوظ فى « التلمود » البابلى والفلسطينى ، كتب بالعبرية ، غير أن جمهرة مفرداته مستعارة من الآرامية .

وكان زوال ملك اليهود السياسى ، وتدمير بيت المقدس ، وحرق الهيكل عام ٧٠ م ، على أيدى الرومان ، من أعظم الحوادث التى أثرت فى تاريخ اليهود الدينى واللغوى ، وغيّرت مجراه ؛ فقد أدى تشتتهم فى بلاد العالم ، إلى تأثيرهم بلغات تلك البلاد ، وكان أكثرها أثراً فى لغتهم ، هى اللغة العربية ، بعد الفتح الإسلامى ، وقد بلغ هذا التأثير درجة ، جعلت اليهود ينظمون قواعد نحوهم ، على غرار قواعد النحو العربى ، كما اتخذ شعراؤهم من أوزان الشعر العربى ، قوالب يصبون فيها أشعارهم . ونسبى العبرية فى هذه الفترة بالعبرية « الوسيطة » ، وهى بالطبع غير عبرية العصر الحديث ، التى تأثرت تأثراً كبيراً باللغات الأوربية ، وغيرها فى كثير من المفردات والأساليب .

ومن لهجات الكنعانية الجنوبية كذلك ، ما يسمى « بخطابات تل العمارنة » ، وهى خطابات وجدت فى منطقة « تل العمارنة » ، وترجع إلى حوالى عام ١٢٢٥ - ١٣٥٠ ق م ، أرسل بها أمراء سوريا وفلسطين ، إلى قراينة مصر فى ذلك الوقت ، باللغة الآشورية ، وبها تعليقات بالكنعانية .

كما يعد من الكنعانية الجنوبية أيضا : « اللغة المؤابية » ، وبمثلها  
النقش المعروف بنقش : « ميشع » ملك مؤاب ، وهو عبارة عن  
نُصْب ، عثر عليه في عام ١٨٦٨ م في « ديبان » بأرض مؤاب القديمة .  
وحكى هذا النقش حروب الملك « ميشع » مع ملك إسرائيل ،  
المسمى : « عمري » ، كما يعدد مآثره على ثملكته ، ويرجع تاريخ هذا  
النقش باتفاق معظم الآراء إلى سنة ٨٤٢ ق م . وهو الآن محفوظ  
في متحف « اللوفر » بباريس .

ومن الكنعانية الجنوبية كذلك : « اللغة الفينيقية » ، التي وصلت  
إلينا في عدة نقوش ، من بينها نقوش ملوك بيلوس ( جيل الحالية ) مثل  
نقش : « شافط نعل » ( من القرن الثالث عشر قبل الميلاد ) وأخيرام  
( حوالي ١١٠٠ ق م ) وأخيميلك ( حوالي ١٠٠٠ ق م ) . وأهم  
نقش ذوّن بهذه اللغة ، هو نقش الملك « كلّمو » ( حوالي ٩٠٠ ق م )  
أحد أمراء « سَمَال » . وقد اكتشف في « تل زنجيري » بسوريا ، وهو  
الآن محفوظ في متحف برلين الشرقية .

وقد نشر الفيلسوف لغتهم ، عن طريق مستعمراتهم ، في أهم بلاد  
شاطئ البحر المتوسط ، غير أنها لم تريح أرضا ثابتة في الواقع ،  
إلا في شمالي إفريقية ، في نواحي « قرطاجنة » ، وتسمى هناك : « اللغة  
البونية » . ونحن لا نعرف هذه اللغة ، إلا من مسرحية شعيرة فكاهية ،  
للمشاعر الروماني « بلوت » Plautus ( حوالي ٢٠٠ بيتا في الفصل الخامس ،  
باللهجة البونية ، مع ترجمة باللاتينية ، في بعض الأحيان ) .

أما القسم الثاني . من أقسام السامية العربية الشمالية . وهو :  
اللغة الآرامية « فمن نقوشها القديمة : نقش « تل حنث » على جـ  
خاوي ( حوالي ٨٥٠ ق م ) ونقش الملك « سمّو الأول »  
( حوالي ٧٥٠ ق م ) ونقش الملك « سمّو الثاني » « واه » بـ « كـ

إمام المؤلف  
حوالي سنة  
على حين أن  
يظهر فيها  
وكتاب :

لحدل القانوني  
الميلادي ،  
بالعبرية ، غير

دس ، وحرق  
ث التي أثرت  
شنتهم في بلاد  
في لغتهم ، هي  
وجة ، جعلت  
نوى ، كما اتخذ  
في أشعارهم .  
في بالطبع غير  
ربية ، وغيرها

في « خطابات  
العبارة » ،  
بأمرأة سوريا  
الآشورية ،

( حواش ٧٥٠ - ٧٥٠ ق م ) وقد تلا هذه الفترة القديمة ، فترة أخرى .  
عبر - قبرا اللغة الآرامية « بآرامية الدولة » : فقد أدخل الأحمسيون  
من القسوس وعلى الأخص الملك « دارينوس الأول »  
( ٥٢١ - ٤٨٥ ق م ) اللغة الآرامية ، لكتابة الدواوين في دولة القروس .  
« يظهر من نقش « بيستون » ، الذي اكتشف في إيران ،  
في النصف الأول من القرن التاسع عشر .

ويعد من « آرامية الدولة » كذلك ، تلك الأجزاء المكتوبة بالآرامية ،  
من كتاب : « العهد القديم » ( سفر دانيال ٤/٢ - ٢٨/٧ وسفر عزرا  
٨/٤ - ١٨/٦ : ١٢/٧ - ٢٦ وسفر إرميا ١١/١٠ وكلمتان في سفر  
التكوين ٤٧/٣١ ) والتي سميت خطأ « بالكلدانية » متبعة لما ورد في سفر  
دانيال ( ٤/٢ ) من قوله : « فكلم الكلدانيون الملك بالآرامية » .

وقد كتب باللغة الآرامية كذلك : « أوراق البردي » التي عثر عليها  
في « جزيرة الفيلة » بأسوان ( حوالى مائة بردية ، ترجع إلى سنة  
٤٩٥ - ٤٠٠ ق م ) .

وقد دُوِّن بهذه اللغة كذلك ما يسمى : « بالترجوم » ، وهو  
كما ذكرنا من قبل - عبارة عن ترجمة « العهد القديم » من العبرية  
إلى الآرامية : إذ إنه عندما اندثرت اللغة العبرية ، ولم يعد الشعب  
يفهمها ، جرت العادة عند تلاوة « العهد القديم » بصوت عال في المعابد  
اليهودية ، أن تتبع كل آية منه في الحال ، بترجمة لها في اللغة الآرامية . وقد  
ضلت تلك الترجمة شفوية لمدة طويلة ، ولم تدوَّن إلا بعد أن أصبحت عادة  
« دستوراً مقدساً » بسبب قدمها . وأقدم ترجموم دُوِّن ، هو ترجموم  
« أنكلوس » Onkelos ، ولم يتم قبل القرن الخامس الميلادي .

وكان السامريون يتكلمون بالآرامية كذلك ، وهم طائفة من اليهود ،

لا يؤمنون إلا بالتوراة فقط ( وهي أسفار موسى الخمسة ) ، وقد ترجموها إلى لغتهم ، غير أنها ترجمة رديئة تتسك حرقية النص العبري ، ولا تحل من حشو النص بكلمات عبرية غريبة جدا عن الآرامية .

وقد كتبت بالآرامية كذلك ، تلك النقوش البطية ، والتدمرية ، ونقوش صحراء سيناء ، التي ترجع إلى الفترة من القرن الأول قبل الميلاد ، إلى القرن الرابع الميلادي .

ومن لهجات الآرامية كذلك ، ما يسمى : « باللغة المنداعية » ، وهي لهجة طائفة « العارفين » المسيحية ، التي لا تزال توجد في جنوبي العراق إلى اليوم . وهي لهجة آرامية خالصة ، لم تتصل كلماتها ، وتراكيبها ، بالعبرية أو بغيرها من اللغات الأخرى .

وأهم لهجات الآرامية هي : « السريانية » . وقد سمي الآراميون أنفسهم بالسريان ، بعد اعتناقهم الدين المسيحي ؛ لأن الاسم الشعبي القديم ، صار عينا يدل على الكفر ، تماما كالاسم : « هيلني » عند اليونان .

وتنقسم السريانية ، تبعاً لانقسام الكنيسة المسيحية ، إلى سريانية شرقية ، وهي سريانية المسيحيين التابعين لتعاليم « نسطوريوس » ، ويسمون بالنسطوريين ، وسريانية غربية ، وهي سريانية المسيحيين التابعين لتعاليم « يعقوب البردعي » ويسمون باليعاقبة .

وقد تسبب الفتح العربي ، في استئصال شأفة الآرامية ، من البلاد التي كانت تتكلمها ، ولم يقلت من ذلك القدر المحتوم ، إلا بعض الجهات الحبلية النائية ، مثل قرية : « المعلولة » بالقرب من دمشق ، و « طور عابدين » بالعراق ، وغيرهما من الأماكن التي لا تزال تتكلم

الآرامية الحديثة ، الممتزجة بالكثير من التعبيرات العربية والتركية والكردية ،  
وغيرها

ونصل الآن إلى القسم الغربى الجنوبى ، من اللغات السامية ، ويضم  
لغتين هما : العربية والحيشية . أما الحيشية ، فهى لغة ذلك الشعب  
السامى ، الذى خرج من جنوب الجزيرة العربية ، إلى البلاد المقابلة لهم ،  
وهى الحيشة ، واستعمروها واختلطوا بأهلها القدامى من الحاميين ،  
اختلاطا شديدا .

ونحن لا نعرف متى هاجرت هذه الأقوام السامية إلى هناك ، ويرجح  
أن ذلك تم على فترات ، قبل ميلاد المسيح ، بوقت طويل . وتسمى  
لغتهم : « الجعزية » نسبة إلى اسم الشعب القديم ، كما تسمى باسم أخذه  
الأحباش أنفسهم ، من اللغة الإغريقية ، وهو : « الإثيوبية » . وأقدم  
نصوص هذه اللغة ، التى بين أيدينا ، يرجع إلى سنة ٣٥٠ م .

ولم يقدر للغة الجعزية أن تعمر طويلا ، فما إن حل القرن الثانى عشر  
الميلادى ، حتى دبت الفتن السياسية بين الشعب الجعزى ، وتفرقت بذلك  
لغته إلى لهجات ، أبرزها « اللهجة الأمهرية » ، وهى لهجة يغلب عليها  
العنصر الحامى غلبة شديدة . ويظهر هذا التأثير الحامى ، أقوى ما يكون ،  
فى بناء الجملة ، الذى تغيرت فيه تقريبا ، كل قوانين اللغة السامية  
الأصلية . وكذلك الضمائر - التى لا يبدو فيها بين اللغات السامية  
المختلفة ، إلا القليل من الاختلاف - توجد كلها هنا فى أبنية ثانوية .  
وفى الاسم اندثر البناء القديم ، للمؤنث والجمع ، إلا فى بقايا متحمدة  
من الصيغ . وأما المفردات ، فإن تصفها على الأقل مستعار  
من الحاميين ، أما النصف الثانى السامى الخالص ، فقد بعد كثيرا  
عن أصله ؛ بسبب التغييرات التى طرأت عليه .

أما العربية ، فتقسم إلى قسمين هما : « العربية الجنوبية » و « العربية الشمالية » . أما الأولى فتعرف عند اللغويين العرب « باللغة الحميرية » . وموطنها اليمن وحتوى الجزيرة العربية ، وينقسم إلى قسمين هما : السبئية والمعينية . وقد وصلت إلينا منهما الكثير من النقوش ، التي تتراوح مدتها من القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، والقرن السادس الميلادي .

أما العربية الشمالية ، فهي لغة وسط الجزيرة العربية وشمالها ، وهي التي تسمى في عرفنا باللغة العربية الفصحى . وقد كتب هذه اللغة الخلود ، بسبب نزول القرآن الكريم بها ، فانتشرت لذلك انتشاراً واسعاً ، كما لم تنتشر أى لغة أخرى من لغات العالم ، فهي لكل المسلمين اللغة الوحيدة ، الحائزة في العادة ، ولهذا السبب تفوقت العربية الشمالية ، تفوقاً كبيراً ، على كثير من اللغات ، التي كان يتكلمها المسلمون .

وكان إلى جانب هذه العربية الفصحى ، لهجات عربية مختلفة بالجزيرة العربية ، غير أنه معرفتنا بها غير كبيرة ، بسبب عزوف اللغويين العرب عنها ، وعدم اهتمامهم بدراساتها<sup>(١)</sup> .

(١) نط تفصيلاً أكثر في اللغات السامية البدائية . وفيه اللغات السامية البدائية وكلمتان

الركبة والكردية ،

السامية ، ويضم  
ذلك الشعب  
المقابل لهم ،  
من الحاميين ،

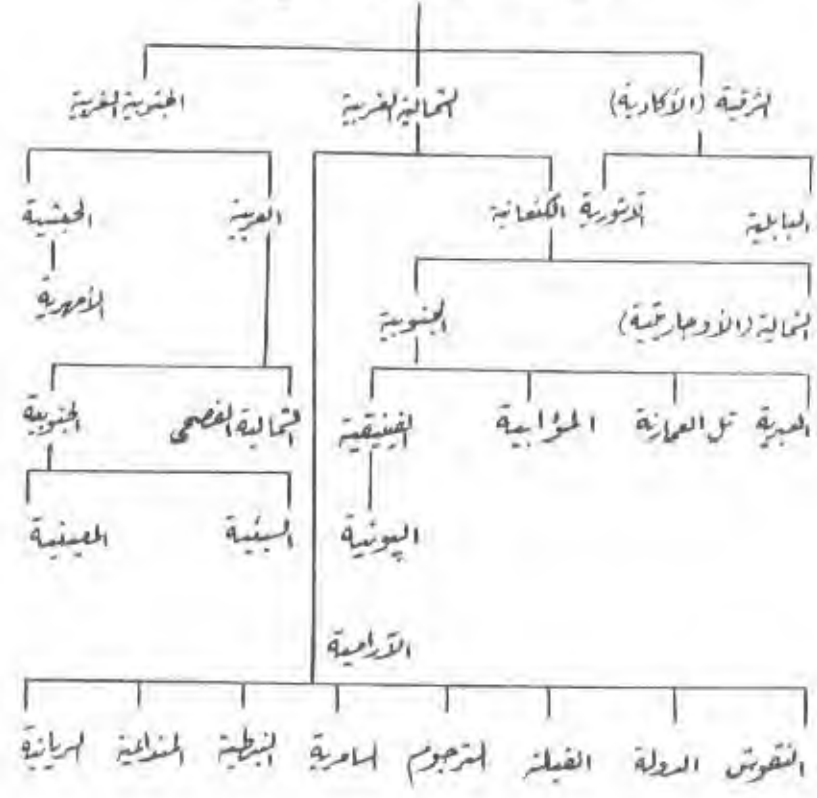
هناك ، ويرجع  
طويل . وتسمى  
باسم أخذه  
التيوية . وأقدم  
م ٣٥٠

القرن الثاني عشر  
، وتفرقت بذلك  
لغة بقلب عليها  
أقوى ما يكون ،  
بين اللغة السامية  
اللغات السامية  
في أبنية ثانوية .  
في بقايا متجمدة  
الأقل مستعار  
فقد بعد كثيرا



وفيما يلي تخطيط عام ، يبين علاقة اللغات السامية ، بعضها ببعض :

## اللغات السامية





نماذج من خطوط اللغات السامية وأبجدياتها :

الأوهاريتية	الحثية	العبرية الجنوبية	العبرية	السريانية	العربية	اللاتينية
𐤀 (a)	𐤁 (b)	𐤂 (g)	𐤃 (d)	𐤄 (e)	𐤅 (h)	a
𐤆 (i)	𐤇 (j)	𐤈 (k)	𐤉 (l)	𐤊 (m)	𐤋 (n)	b
𐤌 (o)	𐤍 (p)	𐤎 (q)	𐤏 (r)	𐤐 (s)	𐤑 (t)	c
𐤒 (u)	𐤓 (v)	𐤔 (w)	𐤕 (x)	𐤖 (y)	𐤗 (z)	d
𐤘 (aa)	𐤙 (ab)	𐤚 (ac)	𐤛 (ad)	𐤜 (ae)	𐤝 (af)	e
𐤞 (ag)	𐤟 (ah)	𐤠 (ai)	𐤡 (aj)	𐤢 (ak)	𐤣 (al)	f
𐤤 (am)	𐤥 (an)	𐤦 (ao)	𐤧 (ap)	𐤨 (aq)	𐤩 (ar)	g
𐤪 (as)	𐤫 (at)	𐤬 (au)	𐤭 (av)	𐤮 (aw)	𐤯 (ax)	h
𐤰 (ay)	𐤱 (az)	𐤲 (ba)	𐤳 (bb)	𐤴 (bc)	𐤵 (bd)	i
𐤶 (be)	𐤷 (bf)	𐤸 (bg)	𐤹 (bh)	𐤺 (bi)	𐤻 (bj)	j
𐤼 (bk)	𐤽 (bl)	𐤾 (bm)	𐤿 (bn)	𐥀 (bo)	𐥁 (bp)	k
𐥂 (bs)	𐥃 (bt)	𐥄 (bu)	𐥅 (bv)	𐥆 (bw)	𐥇 (bx)	l
𐥈 (by)	𐥉 (bz)	𐥊 (ca)	𐥋 (cb)	𐥌 (cc)	𐥍 (cd)	m
𐥎 (ce)	𐥏 (cf)	𐥐 (ca)	𐥑 (cb)	𐥒 (cc)	𐥓 (cd)	n
𐥔 (cg)	𐥕 (ch)	𐥖 (cb)	𐥗 (cc)	𐥘 (cd)	𐥙 (ce)	o
𐥚 (ci)	𐥛 (cj)	𐥜 (cc)	𐥝 (cd)	𐥞 (ce)	𐥟 (cf)	p
𐥠 (ck)	𐥡 (cl)	𐥢 (cd)	𐥣 (ce)	𐥤 (cf)	𐥥 (cg)	q
𐥦 (cm)	𐥧 (cn)	𐥨 (cd)	𐥩 (ce)	𐥪 (cf)	𐥫 (cg)	r
𐥬 (co)	𐥭 (cp)	𐥮 (cd)	𐥯 (ce)	𐥰 (cf)	𐥱 (cg)	s
𐥲 (cq)	𐥳 (cr)	𐥴 (cd)	𐥵 (ce)	𐥶 (cf)	𐥷 (cg)	t
𐥸 (cs)	𐥹 (ct)	𐥺 (cd)	𐥻 (ce)	𐥼 (cf)	𐥽 (cg)	u
𐥾 (cu)	𐥿 (cv)	𐥿 (cd)	𐦀 (ce)	𐦁 (cf)	𐦂 (cg)	v
𐦃 (cw)	𐦄 (cx)	𐦅 (cd)	𐦆 (ce)	𐦇 (cf)	𐦈 (cg)	w
𐦉 (cy)	𐦊 (cz)	𐦋 (cd)	𐦌 (ce)	𐦍 (cf)	𐦎 (cg)	x
𐦏 (ca)	𐦐 (cb)	𐦑 (cd)	𐦒 (ce)	𐦓 (cf)	𐦔 (cg)	y
𐦕 (cb)	𐦖 (cc)	𐦗 (cd)	𐦘 (ce)	𐦙 (cf)	𐦚 (cg)	z

ختية  
 الحثية  
 العبرية  
 السريانية  
 العربية  
 اللاتينية

## الموطن الأصلي للساميين :

تعددت آراء العلماء ونظرياتهم ، حول الموطن الأصلي للساميين القدماء ، وتفرع بهم البحث العلمي إلى عدة مذاهب ؛ أهمها :

١ - المذهب الإفريقي : وصاحبه هو المستشرق : « تيودور نولدكه » ، الذي يقول : « القرابة الكائنة بين اللغتين : السامية والحامية ، تدعو إلى الاعتقاد بأن الموطن الأصلي للساميين ، كان في إفريقيا ؛ لأنه من النادر أن يظن أن الحاميين ، كان لهم موطن أصلي ، غير القارة السوداء<sup>(٩)</sup> » . وقد بنى « نولدكه » رأيه هذا على التشابه الخلفي بين الحاميين والساميين ، وعلى الأخص سكان جنوب الجزيرة العربية ، وقال : « إن عضلة الساق في الأقوام السامية هزيلة ، تماما كما هو الحال في سكان إفريقيا الأصليين ، كما يشترك الشعبان في مشابهة شعر الرأس للصوف ، وكذلك في بروز الفكين<sup>(١٠)</sup> » . غير أنه يعود فيذكر أن نظريته تلك ، ليست إلا فرضا قابلا للنقض ؛ إذ يقول : « ويجب مع ذلك أن يؤخذ في الاعتبار أن كلا من الساميين والحاميين ، قد اختلطا بشعوب أجنبية اختلاطا كبيرا ، قلل من أوجه الشبه بينهما ، وبالطبع لم أذكر كل هذا ، على أنه نظرية ثانية ، ولكن على أنه فرض محتمل<sup>(١١)</sup> » .

ولم يسلم هذا المذهب من النقد ؛ إذ « كيف اختفت من إفريقية إذن ، جميع اللغات السامية ، بحيث لا تعود إلى الظهور ، إلا في المستعمرات الفيتيقية على الساحل ، لا سيما المستعمرة البونية في قرطاجنة بنونس ، ثم مع الفتح العربي ، في القرن السابع الميلادي<sup>(١٢)</sup> » ، وهذه حجة مقنعة ، لا تجد من يردّها .

(٩) اللغات السامية.

(١٠) اللغات السامية.

(١١) اللغات السامية.

(١٢) الساميون والحامية.

٢ - المذهب الأرمني : وقد ذهب إلى هذا المذهب المستشرق الفرنسي : « ريشاد » وغيره . وهم يذهبون إلى أن الساميين « قد قدموا من أماكن معينة ، من شعوب أورميسية . وهذا الرأي مستمد من سفر التكوين ( ١٠/٢٢ - ١١/٣٤ ) الذي يعزو كثيرا من هذه الشعوب إلى ( أرفكشاد ) ، وهي تقع على حدود أرمينيا وكردستان (١٣) .

ويبدو أن السر في اعتناق هذا المذهب كذلك ، ما تذكره التوراة ( سفر التكوين ٨/٤ ) من أن سفينة نوح ، رست في مكان قريب من أرفكشاد . « والخلل في هذه الفكرة ، يأتي من أنه لو سلمنا بها جدلاً ، وبدون مناقشة ؛ فإنه يترتب على ذلك أن تكون مرتفعات كردستان ، مهداً للإنسانية كلها . لا للساميين وحدهم ؛ فقد نزل من السفينة في هذا المكان المفترض : نوح وأبناؤه الثلاثة : سام وحام ويافث (١٤) . »

هذا إلى أن مؤلف سفر التكوين ، لم يستند إلى أدلة علمية يقينية ، بل كان يأخذ بقول الرواة القصصيين ، ورأيهم في المكان الذي رست فيه سفينة نوح ، « وهو رأي خيالي تماماً ، هذا إلى أنه يتعارض تماماً مع رأي آخر ، في سفر التكوين ( ١١/١ ) يرجع إلى مصادر أخرى ، ويذكر أن كل الشعوب ، ومن بينها الساميون أيضاً ، قد اتخذوا أصلاً من بابل (١٥) . »

٣ - المذهب البابلي : ومن ذهب إلى ذلك من المستشرقين : إجناتسيو جويدى « و » فريتس هومل « وغيرهما ؛ فقد حاول جويدى « في بحث له نشره في روما ، سنة ١٨٧٨/١٨٧٩ م ، أن يبرهن على أن « الوطن الأصلي للساميين ، يقع أسفل الفرات ، وهو يريد

(١٣) لغات السامية ٢٢

(١٤) الساميون ولغاتهم ٩

(١٥) لغات السامية ١٣

أن يثبت أن المفاهيم الجغرافية والسكانية والحيوية ، التي عُثر عليها في كل لغة من اللغات السامية ، كلمات موحدة قديمة ، هذه المفاهيم لا تنسب إلا إلى الظروف الطبيعية ، لثلاث المنطقة (١٦) .

ويعتمد هذا المذهب ، على دراسة مفردات اللغات السامية : فقد لاحظ « حويدى » مثلا ، أن كلمة ( هر ) توجد بلفظها هذا على وجه التقريب ، في جميع اللغات السامية ، على حين تختلف الكلمة ، التي تدل على الحبل في هذه اللغات : فهي في العربية : ( جمل ) وفي العبرية : ( هر ) ، وفي الآرامية : ( طور ) ، وفي الأكادية : ( شد ) .

وبعد أن قارن هذا المشرق ، كثيرا من أسماء المعادن والنباتات والحيوان والتقلبات الجوية ، والتغيرات الجيولوجية ، أثبت أن قدراً كبيراً منها ، يشبه ما في اللغة الأكادية . واستخلص من ذلك ، أن سهول العراق ، هي الموطن الأصلي للساميين .

ومع أن « حويدى » قد عالج المسألة برزانة وفطنة ، فإننا لا نستطيع أن نتقبل نتائجه بسهولة ؛ إذ توجد لدينا بعض المفردات ، التي يشترك فيها الساميون الشماليون والجنوبيون ، وهي مع ذلك لا يجوز أن تكون قد نشأت في منطقة الفرات (١٧) .

٤ - المذهب العربي : ومن أنصاره : « شيرلجر » و « دي غوينة » و « كاتتاني » و « موشكاتي » وغيرهم . ويذهب هؤلاء جميعا ، إلى أن جزيرة العرب ، هي المهد الأول للساميين . ويستدلون على ذلك بأدلة ، تكاد تكون قاطعة . ومن أهم هذه الأدلة ما يلي :

( أ ) يذكر لنا التاريخ ، أن الساميين الذين عاشوا في غير جزيرة العرب ، إنما ذهبوا إليها مغربين ، أو مهاجرين ؛ فقد « لوحظ في العصور

(١٦) اللغات السامية ٢٥

(١٧) انظر : اللغات السامية ٢٥

التاريخية  
تكملة  
الصحاح  
وهي  
تفسير  
من الس  
الخصا  
وضجر  
منه (ب)  
مسكو  
التاريخ  
بل يند  
المعروف  
في الع  
١٦٠٠  
وعشر  
(ج) عثر  
أن ي  
أرى  
(د) دل  
على  
إلى

(١٨) عثر  
(١٩) عثر  
(٢٠) عثر

التاريخية ، كيف أن بلاد الحضارة ، في بلاد بين نهري سوريا ، است  
تكتسبها دائما وأبدا ، موجات من لقيائل البدوية ، القادمة من  
الصحراء العربية ، حتى عمّرت أخيرا إحدى هذه الموجات القوية ،  
وهي السمة بالمنوحة العربية ، كل صدر آسيا ، وشمس إفريقيا .  
وتحركات الساميين منذ القدم واحدة ، « كل الدلائل ،  
تشير إلى أنهم خرجوا من الجزيرة العربية ، إلى ما جاورها  
من البلاد ، وبعبارة أخرى : من الصحراء القاحلة ، إلى أرض  
الحضارة المحيطة بها ؛ ولذلك جاز لنا أن نبحث في الجزيرة العربية  
وصحرائها ، عن الموطن الأصلي للشعوب السامية » .

(ب) منذ فجر التاريخ ، كانت كل المواطن المقترحة الأخرى ،  
مسكونة بشعوب غير سامية ، ما عدا جزيرة العرب ، فلم يذكر  
التاريخ مثلا ، أن الأكاديين كانوا السكان الأصليين لبلاد الرافدين ،  
بل يذكر أنهم أجانب وفدوا عليها ، وأخضعوا سكانها الأصليين  
المعروفين بالسومريين ؛ وقد كتب أحد ملوك الساميين الأول  
في العراق ، وهو الملك « سرجون الأول » ( حوالي سنة  
٢٦٠٠ ق م ) ، في أحد النقوش « ما يقههم منه صراحة ، أنه هو  
وعشيرته ، قد نزحوا إلى العراق ، من شرق جزيرة العرب » .

(ج) عثر النقبون على بعض النقوش ، المدونة باللغة السومرية ، تفيد  
أن بلادهم كانت دائما في خطر ، من إغارة قبائل تسمى :  
« أريو » تأتيهم من الجهات الغربية ، أو الجنوبية الغربية .

(د) دلت الحوادث التاريخية السياسية ، ولا تزال تدل ،  
على أن سكان الصحاري والجبال المجردة ، يطمحون دائما  
إلى التخصّر وسكنى المدن ، والإقامة بالبلاد الخصبة - المجاورة

(١٨) منه اللغات السامية ١٢  
(١٩) انظر : S. Moscati : Die semitischen Kulturen 14  
(٢٠) الساميون وأقاربهم ١٠

للأنهار ، حيث يقيمون ويتخذون الزراعة مهنة لهم . وهذا هو ما يدعوهم إلى الغارات ، ومهاجمة الممالك المجاورة لهم . وليس هناك مثل واحد واضح ، يذكر لنا عكس هذه القضية ، وهو هجرة الحصريين إلى البادية والصحراء .

فهجرة الساميين من الجزيرة العربية إذن ، مما « يتفق تماما ، مع القوانين الاجتماعية ، والاقتصادية ؛ فظروف الحياة القاسية في الصحراء ، هي التي تجعل البدو القاطنين فيها ، يتطلعون إلى الحياة المستقرة ، في البلاد المجاورة المتحضرة ... ويحدث ذلك أمام أعيننا اليوم ، كما حدث في الماضي ؛ لأن الحياة في الصحراء ، لم تتغير اليوم تغيراً جوهرياً ، عما كانت عليه قبل خمسة آلاف سنة<sup>(١)</sup> .

(هـ) جميع سكان بلاد العرب اللذين لم يختلطوا بغيرهم من الأجناس البشرية ، لهم سمات الجنس السامي الخلقية والخلقية ، ولغتهم على ما يرى المحققون من علماء الساميات ، من أمثال : بروكلمان ، ورايت ، ونولدكه ، أقرب اللغات إلى السامية الأم .

لكل هذه الأدلة ، تسيطر في العصر الحاضر ، تلك النظرية التي تقول بأن شبه الجزيرة العربية ، هي الموطن الأصلي للساميين ، ومنها انطلقوا غير التاريخ ، إلى بلاد الرافدين ، وسوريا ، وفلسطين ، والحيشة ، وشمال إفريقيا ، ومصر ، وكونوا الدول والممالك التي عرفناها من قبل .

\* \* \*

#### اللغويون العرب واللغات السامية :

لم يكن جميع القدامى من اللغويين العرب ، على جهل باللغات السامية ، بل كان بعضهم يعرف العلاقة بين العربية وبعض هذه اللغات ،

وإن لم تتم هذه المعرفة عندهم في الخراسان النعمانية ، ومقارنة العربية  
باللغات السامية .

فقد عرفت على نفس حظه في كتاب « النعمانية والتحليل من لغات  
القراهيدي ( المتوفى سنة ١٧٥ هـ ) يقول : « وكنتك من سام في سوح -  
يسب إليه الكنعانيون ، وكانوا يتكلمون لغة بصرى - العربية » .

كما عرف أبو عبيد القاسم بن سلام ( المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ) اللغة  
السريانية ، وأداة التعريف فيها ، وهي الفتحة الطويلة في أواخر كلماتها ؛  
قال أبو حاتم الرازي : « قال أبو عبيد القاسم بن سلام : للعرب في كلامها  
علامات ، لا يشركهم فيها أحد من الأمم تعلمه : منها : إدخال الألف  
واللام في أول الاسم ، وإلزامهم إياد الإعراب في كل وجه ، في الرفع  
 والنصب والخفض ، كما أدخلوا في ( الطُور ) ، وحذفوا الألف  
التي في الآخر ، فالرمود الإعراب في كل وجه ، وهو بالسريانية :  
( طوراً ) على حال واحد ، في الرفع والنصب والخفض . وكذلك :  
( اليم ) ، هو بالسريانية : ( يَمًا ) ، فأدخلت العرب فيه الألف واللام ،  
وصرفته في جميع الإعراب ، على ما وصفت » .

وكذلك أدرك ابن حزم الأندلسي ( المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ) علاقة  
القرى بين العربية والعبرية والسريانية ؛ فقال : « إن الذي وقفنا عليه ،  
وعلمناه يقيناً ، أن السريانية والعبرانية والعربية ، التي هي لغة مصر وريعه  
لا لغة حمير ، واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها ، فحدث فيها جرس .  
كالذي حدث من الأندلسي ، إذا رام نعمة أهل القيروان ، ومن القيرواني إذا  
رام لغة الأندلس ، ومن الخراساني إذا رام نعمة أهلها ، ونحن نجد من سمع لغة أهل  
( فحَص البُلوط ) وهي على ليلة واحدة من قرطبة ، كاذ يقول : إنها لغة  
أخرى ، غير لغة أهل قرطبة . وهكذا في كثير من البلاد ، فإنه بمجاورة أهل

فهم ، وهذا هو  
ليس هناك  
سنة ، وهو هجرة

فما ، يتفق تماماً ،  
الحياة القاسية  
فيها ، يتطلعون  
، ويحدث ذلك  
قاة في الصحراء ،  
على خمسة آلاف

هم من الأجانب  
الخليقية ، ولغتهم  
، من أمثال :  
السامية الأم .

تلك النظرية التي  
، ومنها انطلقوا  
والحيشة ، وشمال  
ن قبل .

على جهل باللغات  
في هذه اللغات ،



البلدة لأمة أخرى ، تبدّل لغتها تبدّلاً لا يخفى على من تأمله . ونحن نجد العامة قد بدّلت الألفاظ في اللغة العربية تبدّلاً ، وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة ، كلغة أخرى ولا فرق ؛ فنجدهم يقولون في ( العنب ) : ( العيّب ) ، وفي ( السوط ) : ( اسطوط ) ، وفي ( ثلاثة دنائير ) : ( ثلثدا ) . وإذا تعرّب البربري ، فأراد أن يقول : ( الشجرة ) قال : ( السحرة ) ، وإذا تعرّب الجليقي ، أبدل من العين والحاء : هاء ؛ فيقول ( مهمدا ) ، إذا أراد أن يقول : ( محمدا ) ، ومثل هذا كثير . فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية ، أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا ، من تبدّل ألفاظ الناس ، على طول الأزمان ، واختلاف البلدان . ومجاورة الأمم ، وأنها لغة واحدة في الأصل<sup>(٢٤)</sup> .

كما يقول الإمام السهيلي ( ٥٨١ هـ ) ، في العلاقة بين العربية والسريانية : « وكثيراً ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي ، أو يقاربه في اللفظ<sup>(٢٥)</sup> » .

وكذلك عرف أبو حيان الأندلسي ( المتوفى سنة ٧٥٤ هـ ) اللغة الحبشية ، وأدرك العلاقة بينها وبين العربية ، وألف فيها تأليفاً مستقلاً . وقد أشار إلى ذلك في تفسيره الكبير ، المسمى « بالبحر المحيط » ؛ فقال : « وأما قوطم : هندي وهندكي في معنى واحد ، وهو المنسوب إلى الهند . . . فخرّجه أصحابنا ، على أن الكاف ليست زائدة ؛ لأنه لم تثبت زيادتها في موضع من المواضع ، فيحمل هذا عليه ، وإنما هو من باب : سيط وسيطر . والذي أخرجه عليه ، أن من تكلم بهذا من العرب - إن كان تكلم به - فإنما سرى إليه من لغة الحبش ؛ لقرب العرب من الحبش ، ودخول كثير من لغة بعضهم ، في لغة بعض . والحبشة إذا نسبت ، ألحقت آخر ما تنسب إليه ، كافاً مكسورة ، مشوبة بعدها ياء ؛ يقولون في النسب إلى الفُرس : الفرسكي ، وربما أبدلت تاء

(٢٤) الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم ٢/١١١  
(٢٥) التعريف والإعلام ١١

مكسورة ؛ فـ  
نسبة الحبش  
عن لسان الحبش  
في ألفاظ ،  
الثاني

خصائص الل

أهم

الأحسرى

( consonants )

آخر : يرتبط

فيها ، أما الأص

المعنى وتعديله

وكتب ، وكتب

بالكاف والتاء

وفي ع

صانعة فيها ،

وتعديله ؛ مثل

ومكتب ، وم

ولهذا

المزيدة ، التي

الحذر تغيير

وعن المطاوعة



مكسورة : قالوا في السب إلى حَر : حَرَّق . وقد تكلمت على كثرة نسبة الجيش ، في كتابنا المترجم عن هذه اللغة ، المسمى : مجلاء الجيش عن لسان الجيش . وكثيرا ما تتوافق اللغتان : لغة العرب ، ولغة الجيش ، في ألفاظ ، وفي قواعد من التراكيب نحوية ، كحروف المضارعة ، وتاء التأنيث ، وهمزة التعدية (٢٦) .

\* \* \*

### خصائص اللغات السامية وميزاتها :

أهم ما يميز فصيلة اللغات السامية ، عن غيرها من فصائل اللغات الأخرى ، أنها تعتمد اعتمادا كبيرا على الأصوات الصامتة ( Consonants ) ، لا على الأصوات المتحركة ( Vowels ) أو بمعنى آخر : يرتبط المعنى الرئيسى للكلمة ، في ذهن الساميين ، بالأصوات الصامتة فيها ، أما الأصوات المتحركة ، فهي لا تعبر في الكلمة ، إلا عن تعوير هذا المعنى وتعديله ، ويكفى أن ننظر إلى كلمات مثل : كَتَبَ ، وَكُتِبَ ، وَكُتِبَ ، وَكُتِبَ ، وَكُتِبَ ... إلخ ؛ لتدرك أن المعنى الأصلي فيها ، مرتبط بالكاف والتاء والياء .

وفي عدد كبير جدا من الكلمات ، يحمل المعنى ثلاثة أصوات صامتة فيها ، ويدخل عليها إضافات في أولها أو وسطها ، لتعوير هذا المعنى وتعديله ؛ مثل : كَاتَبَ ، وَكُتِبَ ، وَكُتِبَ ، وَكُتِبَ ، وَكُتِبَ ، وَكُتِبَ ، وَكُتِبَ ، وَكُتِبَ ، وَكُتِبَ ، وَكُتِبَ .. إلخ .

ولهذا السبب ، يمتاز الفعل في اللغات السامية ، بسلسلة من الأوزان المزيّدة ، التي تعبر عن معان مشتقة من المعنى الأساسي ، وتصاغ بتغيير الحذر تغييرات ثابتة ؛ للتعبير عن شدة الفعل أو تكراره ، وعن السببية وعن المطاوعة ، والمشاركة في الفعل . والبناء للمجهول ، وغير ذلك (٢٧) .

(٢٦) انظر البحر المحيط ١٦٢ : ١٦٣ .

(٢٧) انظر في تفصيل ذلك : أمية الفعل في اللغات السامية ، المذكور بمضاد عند التواتر .

هذا ، وتعلب على اللغات السامية الأصوات الحلقية ، كالعين ،  
والحاء ، والهاء ، والأصوات المفخمة ، كالصاد ، والطاء<sup>(٢٨)</sup> .

كما أنها في الصيغ الفعلية ، لا تنهم بالأزمنة الثلاثة وفروعها ، وهي :  
الماضي ، والحاضر والمستقبل ، بقدر ما تنهم في هذه الصيغ ، بالحدث  
المتبني والحدث الذي لم ينته بعد ، ولذلك نجد في العربية صيغتين للفعل ،  
وهما : الماضي للحدث المتبني ، والمضارع للذي لم ينته ، ولذلك يصلح  
للحال والاستقبال ، وهناك أدوات تجعله للمستقبل خالصا ، مثل السين ،  
أو سوف ، أو لن ، وأدوات أخرى تجعله للماضي ، مثل : لم .

هذا ، ولا تعرف اللغات السامية تركيب الكلمات « أسماء وأفعالا » ،  
وذلك مثل : *describe* ( *de + scribe* ) « وصف » في الإنجليزية =  
*beschreiben* ( *be + schreiben* ) في اللغة الألمانية ، وكذلك :  
*circumstance* ( *circum + stance* ) « حالة » في اللغة الإنجليزية =  
*Umstand* ( *Um + Stand* ) في اللغة الألمانية . وإن كان المضاف  
والمضاف إليه ، في اللغات السامية ، يرتبطان بعضهما ببعض ، ارتباطا  
وثيقا ، يكاد يخليهما في بعض الأحيان كلمة واحدة<sup>(٢٩)</sup> ، ولذلك نراها  
في فروعها الحديثة ، توثق أحيانا بين أجزاء التراكيب الإضافية ، بحيث  
تصير كلمة واحدة ؛ مثال ذلك في العربية الحديثة : ( ماوَرَد )  
(و ر سَمَال ) وأصلهما : ماء وَرَد ، ورأس مَال ، وغير ذلك<sup>(٣٠)</sup> . ومثل  
ذلك في القديم قول العرب : « حَيَقَر » للبرد ( = حَبٌّ + قُرٌّ ) .

\*\*\*

### أهمية الدراسات السامية للعربية :

لا شك أن هناك فوائد كثيرة ، تعود على الدرس اللغوي ، من معرفة

(٢٨) انظر في تفصيل ذلك : اللغة العبرية ، للدكتور رمضان عبد التواب ١٢٠ - ١٣٢ .

(٢٩) في أساس في فقه اللغة العربية ، للدكتور السيد يعقوب بكر ١٢ .

(٣٠) انظر : فقه اللغات السامية ١٤ - ١٥ ، واللغات السامية لولدكه ص ١٠ .

الدارس باللغات السامية ؛ فإنه فضلا عما تفيد هذه المعرفة ، بتاريخ الشعوب السامية ، وحضاراتها ، ودياناتها ، وعاداتها ، وتقاليدها - تؤدي مقارنة هذه اللغات باللغة العربية ، إلى استنتاج أحكام لغوية ، لم تكن نصل إليها ، لو اقتصرنا دراستنا على العربية فحسب . وتفسر بهذا الأمر سير تقدم المستشرقين ، في دراستهم للغة العربية ، ووصوهم فيها إلى أحكام لم يسبقوا إليها ؛ لأنهم لا يدرسون العربية ، في داخل العربية وحدها ، بل يدرسونها في إطار اللغات السامية . وفيما يلي بعض الأمثلة ، التي تبين لنا قيمة هذه الدراسات بالنسبة للعربية :

١ - قال الله تعالى : « فاذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ ، مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا » . وقرأ ابن مسعود : « وثومها وعدسها » ، وروى ذلك عن ابن عباس أيضا ، فهل أصل الكلمة في العربية بالثاء أم بالفاء ؟ إن في معرفتنا باللغات السامية الإجابة على ذلك ؛ فإن الشين العبرية ، التي تقابل ثاء في الآرامية ، تقابل ثاء في العربية ، وتلك قاعدة مطردة ، في مقارنات أصوات اللغات السامية<sup>(٣١)</sup> ؛ فمثلا : كلمة : ( شُور ) sōr في العبرية ، تقابل : ( ثُور ) tawrā في الآرامية ، وتقابل كلمة : ( ثُور ) في العربية . وكذلك كلمة : ( شُوم ) sūm في العبرية ، هي : ( ثُوما ) tawmā في الآرامية ، و ( ثُوم ) في العربية .

ومعنى هذا أن أصل هذه الكلمة في العربية بالثاء ، وأما الفاء فهي تطوّر عنها . وقد جاءت كلمات كثيرة في العربية ، وقد تعاقبت فيها الثاء والفاء ، مثل : اللثام ، واللّقام ، وجذث وجذف للقبر ، وحتالة وحقالة للردى من كل شيء<sup>(٣٢)</sup> . وفي لهجة « القطيف » المعاصرة ، في شرق الجزيرة العربية ، يبدل الناس في كلامهم ، الثاء فاء ؛ فيقولون مثلا : « يوم القلافة » في : يوم الثلاثاء ، و « عتب الفُعلب » في : عتب الثعلب ، و « الفار » في : الثَّار ، وغير ذلك .

(٣١) انظر : أصوات اللغات السامية . في كتاب : اللغة العربية ١٢٢ - ١٢٧

(٣٢) انظر في سب هذه العادة : آخر القائمة . التطور العمودي ٣٦

وإذا طبقنا القاعدة السابقة ، على الفعل : ( تَاب ) بمعنى : رجع ،  
نعرف أن الفعل الآخر : ( تَاب ) بمعنى : رجع عن الدب ، ليس أصيلاً  
في العربية . وإنما هو مستعار من الآرامية ، من النصوص الدينية ، التي  
استعمل فيها هذا الفعل بكثرة ، في هذا المعنى الخاص ، فالفعل في  
العبرية : ( شَاب ) sâb ، والآرامية : ( تَاب ) rāb بمعنى : ( رجع )  
مختلفاً . كالفعل : ( تَاب ) في العربية .

٢ - كلمة : « ليس » في العربية ، يعدها النحاة العرب ، فعلاً  
جامداً لا يتصرف ، من أخوات : « كان » ، غير أننا إذا نظرنا إلى  
ما يقابلها ، في اللغات السامية الأخرى ، عرفنا أنها مركبة من ( لا )  
وكلمة : ( أَيْس ) ، التي لا وجود لها الآن في اللغة العربية ، إلا في بعض  
التعابير القديمة : كقول العرب : « اتنى به من حيث أَيْس وأَيْس »  
ومعناه : من حيث هو ولا هو ، وكذلك في قولهم : « الأَيْس واللَيْس » ،  
بمعنى : الوجود والعدم . وهذه الكلمة تقابل في العبرية : ( يَش )  
yēs بمعنى : يوجد ، ونفيها : ( أَل يَش ) āl yēs = ليس . وكذلك  
في الآشورية : ( إَشو ) iṣu ونفيها : ( لَشو ) lašsu ، وهكذا (٣٣) .

٣ - يرى النحويون العرب ، أن الأفعال المعتلة العين أو اللام ؛  
مثل : قَالَ وَبَاعَ ، وَتَلَا ، وَقَضَى ، وما إلى ذلك ، أصلها : قَوْلٌ ، وَبَيْعٌ ،  
وَتَلْوٌ ، وَقَضَى . غير أنهم يعودون فيؤكدون أن هذا الأصل ، لم يستخدم في  
العربية في يوم ما . ولكن معرفتنا بالحشية ، من بين اللغات السامية ،  
تقودنا إلى الإيمان بأن هذا الأصل ، مرحلة أقدم مما وصل إلينا في العربية ؛  
ففي الحشية يقولون : ( بَيْن ) بمعنى : تحقق ، و ( دَيْن ) بمعنى : دان ،  
و ( رَمَى ) بمعنى : رمى ، و ( تَلَو ) بمعنى : تلا ، وهكذا (٣٤) .

(٣٣) انظر في تفصيل ذلك : الحاشية العامة والتطور اللغوي ٣٧٣

(٣٤) انظر بطريقة تطور هذه الأفعال في العربية : الحاشية العامة والتطور اللغوي ٣٧٤ . مقابلة : المصطلح  
اللغوي التطويري للفترة في اللغة ٥٨ - ٥٩

٤ - واعتقادهم أن الحمرة في كلمة مثل : ( اطمان ) أصلية ، يكذبه أن المادة في العربية : ( طمن ) taman ليس فيها حمير ، والتعليل العلمي لوجود حمير فيها في العربية ، أن الكلمة أصلها : ( اطمان ) ، على وزن : احماز واصقار ، ثم استخدمت الكلمة في الشعر بكثرة ، فاضطر الشاعر إلى التخلص من التقاء الساكنين على قول النحاة بإقحام همزة ، كما قال كثير عزة :

وأنت ابن ليلى خير قومك مشهدا إذا ما احمازت بالعبيط العوامل  
ومنعالج هذه الظاهرة ، بالتفصيل فيما بعد .

٥ - يرى النحاة أن كلمة : ( اسم ) ثلاثية الأصل ، وأن همزة الوصل فيها ، بدل من لام الكلمة المحذوفة ، والأصل : ( سَمَو ) فيما يرى البصريون ، أو بدل من فاء الكلمة المحذوفة ، والأصل : ( وَسَم ) فيما يرى الكوفيون . غير أن مقارنة اللغات السامية ، تدل على أن هذه الكلمة ، مع كلمات أخرى كثيرة ؛ مثل : « يد » و « دم » ذات أصل ثنائي ، فهذه الكلمة في العربية : ( سَم ) sem وفي الآرامية : ( سَما ) smā والألف الأخيرة فيها أداة التعريف ، وفي الحبشية : ( سَم ) sem وفي الأكادية : ( سُم ) sumu .

٦ - بل إن دراسة اللغات السامية ، قد تفسر لنا ظواهر في العامية العربية ، كظاهرة طبع صيغة المشي للمجهول في العامية ، وهي صيغة : « فعل » و « يُفعل » ؛ إذ نأت عنها في العامية : ( اتفعل ) مثل : اكتب ، وانفهم ، وينفلق ، وينعمل ، بدلا من : اكتب ، وفهم ، ويُفلق ، ويُعمل ، أو صيغة : ( اتفعل ) ؛ مثل : اتقتل ، واترمي ، بدلا من : قتل ، ورمى ؛ ففي اللغة العربية توجد الصيغة الأولى ، وهي هناك على وزن : ( يفعل ) مثل : تقتل ، بمعنى : قتل ، وفي الآرامية توجد الصيغة الثانية ، وهي هناك على وزن : ( اتفعل ) مثل : اتقتل ، بمعنى : قتل .

وهناك أمثلة أخرى ، لا حصر لها ، تؤكد الفائدة التي تعود على الدراسات العربية ، من بحثها بحثا جديدا ، في ضوء اللغات السامية .

\*\*\*

العلمي جمع ،  
ليس أصلا  
التي  
فالفعل في  
( رجع )

العرب ، فعلا  
إذا نظرنا إلى  
كيفية من ( لا )  
الإف من بعض  
بأن ليس وليس  
الأنس والبشر ،  
رية : ( يش )  
وكذلك  
وهكذا ( ١٢٢ )

عين أو اللام ؛  
قول ، وبيع ،  
لم يستحل في  
لغات السامية ،  
لها في العربية ؛  
معنى : ذات -  
( ١٢٣ )

ومثلها تركه

## الفصل الثاني النقوش العربية الشمالية

إننا حين نبحث عن نصوص ، موهلة في القدم ، للغة العربية ، فإننا لا نكاد نعثر على شيء ذي قيمة . وأقدم ما بين أيدينا من نصوص عربية ، هي تلك الآثار التي نسميها بالأدب الجاهلي ، وهي لا تكاد تتجاوز قرنين من الزمان قبل الإسلام .

أما العربية التي كانت مستعملة قبل ذلك ، فلا نكاد نعرف عنها شيئاً ، وكنا نود أن نعثر على نصوص ، ترجع إلى ما قبل المسيحية مثلاً ، لنقارن بينها وبين الأدب الجاهلي ، ونعرف شيئاً عن خصائص اللغة في ذلك الحين ، ولكننا للأسف لم نعثر على شيء .

وأما تلك النقوش ، التي عُثر عليها في شمالي الجزيرة العربية ، وحاول بعض المستشرقين قراءتها ، واستخراج بعض المعلومات منها ، وسموها باللغة العربية القديمة ، فسنعرض لها هنا بشيء من الإجمال ، ثم نرى فيها رأينا . وزمن هذه النقوش يتراوح بين القرن الخامس قبل الميلاد والرابع الميلادي .

وأقدم هذه النقوش ، هو ما اشتهر بين العلماء ، باسم النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية<sup>(١)</sup> ، نسبة إلى قبائل ثمود ولحيان ، وهي قبائل عربية قديمة ، استوطنت شمالي الجزيرة العربية . وقد عثر على الكتابات الثمودية ، في أعالي الحجاز ، وتيماء ، ومدائن صالح ( الجحفر ) ، والغلا ( وهي ددان القديمة ) ، وشرق الأردن ، وشبه جزيرة سيناء ، وغيرها .

(١) انظر بعض هذه النقوش ، في كتاب : تاريخ اللغات السامية . لإسرائيل وليمسون ١٩٧٨ - ١٨٧ وانظر كذلك : اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام ، لأحمد حسين شرف الدين ٥٧ - ٦٧ .

أما النقوش  
الدرور ، ونلاح  
الكتابات المصفاة  
منها .

وقد ساج  
كتابات كثيرة ، و  
النقوش ، عامصة  
ليتمان « ittmann »  
ورجع إلى بلاده .  
واضحاً ، حروف  
سنة ١٩٠١ م .

وخطوط ال  
السبئية والمغينية ،  
التي كانت تسمى  
من الشمال إلى اليمن  
واللين ؛ فكلمة :  
تكتب : ( زد ) .  
المستقى بخط المسند  
في العصر الحديث  
وكان ذلك أم  
الحسن بن أحمد بن  
يتحدث عن لوحة ك  
و « بهتان » من أنما

(٢) انظر بعض نقوش العربية



أما النقوش الصفوية ، فإنها اكتشفت في المنطقة الواقعة بين جبل  
الدرور ، وتلال أرض الصفاء . وقد اعتاد المستشرقون أن يسبوا هذه  
الكتابات للصفاء ؛ اختصاراً في التعبير ، مع أنها اكتشفت في المنطقة القريبة  
منها .

وقد ساج في منطقة الصفاء ، مستشرقون كثيرون ، فجلبوا منها  
كتابات كثيرة ، وحلوا نظام الأجدية لهذه الكتابات ، ومع ذلك ظلت هذه  
النقوش ، غامضة المعنى ، حتى ذهب إلى هناك ، المستشرق الألماني « إنو  
ليتمان » Enno Littmann وجمع من منطقة الصفاء ، أكثر من ١٤٠٠ نقش  
ورجع إلى بلاده ، حيث درسها درساً عميقاً ، استطاع به أن يحل حلاً  
واضحاً ، حروف الأجدية الصفوية ، وألف في لغة النقوش الصفوية كتاباً  
سنة ١٩٠١ م .

وخطوط النقوش السوديّة واللحيانيّة والصفويّة ، تشبه خطوط اللغة  
السبئية والمعينية ، أو بعبارة أخرى : خطوط اللغة العربية الجنوبية القديمة ،  
التي كانت تسمى عند اللغويين العرب باللغة الحميرية ، وتكتب  
من الشمال إلى اليمين في الغالب ، وهي حالية من رموز الحركات وحروف المد  
واللين ؛ فكلمة : ( أنا ) مثلاً ، تكتب هكذا : ( أن ) وكلمة : ( زيد )  
تكتب : ( زد ) . إلى غير ذلك ، والحال هكذا في الخط السبئي والمعيني ،  
المسمى بخط المسند ، كما هو ظاهر في النقوش التي اكتشفها المستشرقون  
في العصر الحديث (٢) .

وكان ذلك أمراً معروفاً لدى القدماء كذلك ؛ فهذا هو أبو محمد  
الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ( المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ) ، يقول وهو  
يتحدث عن لوحة كتبت بخط المسند ، وورد فيها كلمتان هما : « علهان »  
و « نهقان » من أسماء الملوك : « كذلك يكتبون ، بحذف الألف إذا وقعت

(٢) انظر بعض نقوش العربية الجنوبية في كتاب : « في تاريخ اليمن » ، مطبوع على الإثري في القاهرة ١٩٧٣ م .

عربية ، فإنها  
بعض عربية ،  
تجاوز قرنين

تعرف عنها  
حية مثلاً ،  
لغة في ذلك

بية ، وحاول  
بتموها باللغة  
فيها رأينا .  
البيلاوي

سم النقوش  
وهي قبائل  
الكتابات  
( ، والغلا  
غيرها .

في وسط الحروف ، وقفاهم المسلمون في كتابة المصاحف ، فطرحوا ألف :  
الرحمن ، وألف : الإنسان ، وألف : السموات . وكذلك : ( عليهم )  
منقوص من : ( عليهم ) و ( ههنا ) منقوص من : ( ههنا ) و ( همدان )  
من : ( همدان ) و ( ههنا ) من : ( ههنا ) . وهذا ما تؤدبه أحرف الكتاب  
فأما اللفظ فعلى اتتمام ، وكذلك يحذفون الواو الساكنة من وسط  
الحروف ؛ مثل : ميعوث ، والياء الساكنة ؛ مثل : شمليل ، والألف  
الساكنة ؛ مثل : هلال ، وبلال ، وأميلال (٣) .

وفيما يلي صورة أحد النقوش الصفوية (٤) ، وهو نقش عثر عليه  
في منطقة الصفاة ، بين غدير الدرب والشبكة :

} ١١ ٧ ٨ } ١١ ٨ ٧ }  
 ١ ١ ٧ ٨ ٧ ٨ ١ ١  
 ١ ١ ٧ ٨ ٧ ٨ ١ ١

وبلاحظ أن سطور النقش ، مرتبة من أسفل إلى أعلى ، من اليمين  
إلى الشمال ، ثم من الشمال إلى اليمين ، ثم من اليمين إلى الشمال . وعبارته :  
« لولى بن عذ بن عذ بن غث وحل هدر ووجد سفر خله فباسم  
ظلل فد . . . » .

ومعناه ، كما قرأه المستشرقون : لولى بن عوذ بن عوذ بن غوث ، لقد  
حل في هذه الدار ، ووجد نقش حاله ، فأقام بين وسم و . . . .  
وقد لاحظ « ليتان » أن الخطوط الصفوية ، مركبة من ثمانية وعشرين  
حرفاً ، كما هي في العربية ، وخلص من هذا إلى أن كاتبها كانوا من العرب ،

(٣) الإكمال للهمداني - ١٦/١

(٤) عن كتاب : « العرب في سوريا قبل الإسلام » لربيع ديسو ٩٧



ليس بينهم وبين قبائل العرب في الجزيرة قروق كبيرة ، وقد وجد في كتاباتهم ألفاظ تدل على حياتهم الصحراوية : فقبها ذكر للعائم والغزو<sup>(١٥)</sup> .

وإذا كان هذا النقش قريبا إلى اللغة العربية ، فهناك الكثير من النقوش الثمودية ، واللحيانية ، والصفوية ، قد امتلأت بالكلمات الآرامية والنبطية والعبرية . ونقشنا هذا ، قد استعمل أداة التعريف ، التي تستعملها العبرية ، في كلمة : ( هدر ) . وهذه النقوش جميعها لها طابع واحد ، هو أنها مكتوبة بخط يشبه الخط السبئي والمعيني ، مما جعل بعض المستشرقين ، يرى أن أصحابها عرب من جنوبي الجزيرة ، استوطنوا شمالها ، وجلبوا معهم هذا الخط هناك .

ومن الثابت عند تولدك<sup>(١٦)</sup> أن « هذه النقوش تمثل لهجة عربية » ، ويدل على ذلك عنده ، ما فيها من الأصوات الأستانية ، والتقريب الذي لا نراه إلا في العربية ، بين صوتي العين والغين ، وكذلك بين صوتي الحاء والخاء .

ويرى الدكتور عبد الرحمن الأنصاري ، أن ما يسمى بالخط الثمودي ، ليس إلا مخريشات من خطوط البادية ، قلد فيها أصحابها خط المسند ، فيقول : « أطلق العلماء على بعض المخريشات ، الموجودة في منطقة العلا ومدائن صالح ، والمنتشرة في معظم أنحاء الجزيرة : اسم الخط الثمودي ، ولكن الذي أعتقد ، أنه إنما هو خط البادية . ماذا أقصد بخط البادية ؟ أقصد أن هذه القبائل المتوجة في الجزيرة العربية ، كانت تذهب إلى ديدان والحجر ، وترى هذه الخطوط الجميلة ، ثم تحاول تقليدها عندما تعود إلى مزاربها . وهذا ما كنا نشاهده ، منذ زمن ليس بالقصير ؛ يأتي أحد أبناء البادية ، ومعه ابنه ، إلى الحاضرة ، فيترك ابنه في أحد الكتائب ، لمدة

(١٥) انظر تاريخ اللغات السامية . لإسماعيل . لسان ١٨٤ .  
(١٦) اللغات السامية ٧١

فطر حوا ألف :

( علهن )

( همدن )

أحرف الكتاب

كثة من وسط

ليل ، والألف

نقش عثر عليه

لى ، من العين

ال . وعبارته :

ير حله فياسم

ن غوث ، لقد

... .

ثمانية وعشرين

وا من العرب ،

أسبوع أو أسبوعين ، ربما يبيع ما لديه ، ويشترى ما يريد ، ثم يأخذ منه معه إلى البادية ، وقد علق يده به صور بعض الحروف ، أو بعض الكلمات ، ثم يطلب الأب من ابنه ، كتابة رسالة إلى عمه في مكان آخر ، أو إلى التاجر الذي اشترى منه بعض السلع ، وهكذا يحاول الابن تقليد ما علق يده به ، من حروف وكلمات . فالكلمات الشمودية في اعتقادي ، هي من هذا النوع ، نوع كتابات البادية ، ولذا لا نجد فيها معلومات تاريخية قيمة ، إنما هي عبارة عن : فلان بن فلان نزل في هذا المكان ، أو : فلان بن فلان اشترى جملاً من فلان ؛ كتابات لا يمكن أن تعطى حقائق تاريخية واضحة ، ذات حوادث ، أو ذات طابع حضاري<sup>(٧)</sup> ، وقد عانى المستشرقون في قراءتها كثيراً « وغاية ما وقفوا عليه ، بعد هذا العناء ، قراءة بعض الأعلام ، ومنها أسماء الأشخاص أو الآلهة أو الأماكن ، في معرض الدعاء أو الوقف أو نحو ذلك ، وقلما قرعوا نقشا فيه فائدة تاريخية صريحة<sup>(٨)</sup> » .

وقد عثر المنقبون من المستشرقين على أربعة نقوش ، قديمة جاهلية قريبة إلى العربية ، من حيث المادة اللغوية والأسلوب ، أكثر من قرب النقوش الشمودية والصفوية إليها . ومن الغريب في الأمر أنها كشفت في منطقة ، غير بعيدة من منطقة الصفاة ، ومع ذلك فإن التأثير الآرامي فيها ، أقل مما في النقوش ، التي تحدثنا عنها من قبل .

وتماز تلك النقوش الأربعة ، بأنها كتبت - على عكس النقوش السابقة - بالخط النبطي المتأخر ، الذي يشبه الخط الكوفي ، والحروف فيها مرتبط بعضها ببعض ؛ وذلك أمر لا نعرفه في الخط النبطي القديم ، ولذلك يرى بعض الباحثين في هذه النقوش ، من الناحية الشكلية ، حلقة اتصال بين الخط النبطي القديم ، والخط العربي في أول عهد الإسلام .

(٧) من محاضرة بعدان : « نحات عمر القائل بالبائدة في الجزيرة العربية » منشورة في كتاب :

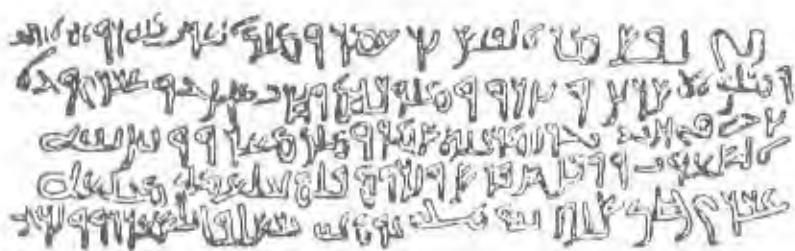
محاضرات في التاريخ والآثار ، ص ٩٠ .

(٨) العرب قبل الإسلام ، جرحى وبعدان ، ٢٥٠ .

والتقوش الأربعة هي : نقش السارية ، ونقش ريد ، ونقش حرثك ،  
ونقش أم الجمال<sup>(٩)</sup> .

والأول هو أقدمها ؛ إذ نُقِشَ في عام ٣٢٨ بعد الميلاد . واتحارة هي  
قصر صغير ، كان للمروم في الجهة الشرقية من جبل الدروز ، وبه سميت البلد  
الموجود بها . وقد ورد اسمها في شعر النابغة الذبياني ، في قوله :  
وما رأيستك إلا نظيرة غرضت  
يوم النخلة والمأمور والمأمور<sup>(١٠)</sup> .

وقد اكتشف هذا النقش ، في مدائن امرئ القيس بن عمرو<sup>(١١)</sup> ،  
ملك العرب ، الذي كان يملك الحيرة ، ويمتد نفوذه حتى يادية الشام ، وهو  
غير امرئ القيس الشاعر الجاهلي المشهور ، وقد اكتشف هذا النقش  
« رينيه ديسو »<sup>(١٢)</sup> René Dussaud وفيما يلي صورة النقش :



(٩) انظر في وصف هذه التقوش الأربعة بقرائنها ومصاديقها وتاريخها المختلفة :

Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe, Tome I, 1 - 5

والنظم في التقوش الثلاثة الأولى كذلك : تاريخ النقوش السامية ، لإسرائيل الجسور ، ١٩٩٢ - ١٩٩٤

التيعة لعل عبد الواحد ، ٩٩ - ١٠٣ وتاريخ الأدب حقبى ، ماضى ٥٩ - ٦٠

(١٠) ديوان النابغة في ٢/٢٦ من ٢٠٣

(١١) هو امرئ القيس بن عمرو بن عدي ، وكان يسمى بامرئ القيس البدر ، هو أول من كتب

من ميوكة الحيرة من آل حنم ، انظر تاريخ الطبري ٥٣/٦ والعرب قبل الإسلام ٢٢٦

(١٢) انظر كذلك : التاريخ العربي القديم ٤٩

ياخذ الله معه  
نقش الكلمات ،  
مكان آخر ،  
بالأذن لتقليد  
في اعتقادي ،  
فيها معلومات  
المكان ، أو :  
تعطى حقائق  
وقد عانى  
هذا الغناء ، قراءة  
في معرض  
فائدة تاريخية

فدنية جاهلية  
من قرب النقوش  
في منطقة ، غير  
فيها ، أقل مما في

عكس النقوش  
، والحروف فيها  
القديم ، ولذلك  
، حلقة اتصال  
سلام .

مشورة في كتاب





أما النقش الرابع ، فقد وجد في قرية « أم الحمام » وهي قرية عربية مسيحية كبيرة ، في الجنوب من « نصري » بالقرب من « عمان » . وقد اكتشفه المستشرق « إينو ليتان » في عام ١٩٠٥ م ، وظل يدرسه مع غيره من العلماء ، ثم نشر نتيجة دراسته تلك في « مجلة الساميات »<sup>(١٥)</sup> ، في عام ١٩٢٩ م . وهذه هي صورته :



ويرى « ليتان » أن هذا النقش ، يرجع إلى أوائل القرن السادس الميلادي . ويلاحظ أن السطر الأخير منه مكسور ، وفيما يلي قراءة « ليتان » للنقش :

- ١ - الله غفر لأبيه
- ٢ - بن عبدة كاتب
- ٣ - الحبير أعلى بني
- ٤ - عمرى صلو عليه من
- ٥ - يقرؤه

ويذهب إلى أن معناه : « يارب اغفر لأبيه بن عبدة ، الكاتب الحبير ، أشرف بني عمرو ، ادع له أيها القارئ » .

ونحن وإن كنا نتفق مع « ليتان » في قراءة الأجزاء الأولى ، من هذا  
النقش فإننا لا نوافق على قراءة الجملة الأخيرة منه ، وهي : ( صام عليه من  
يقرؤه ) ، ولعلها تقرأ هكذا : ( كنه علو من يتفقد ) ، ويكون المعنى :  
« أنه أعلى بني عمرو كلهم كعلو من يتفقد بزيارة قبره » !

\*\*\*

والآن ، وقد قضينا وقتا ليس بالقصير مع هذه النقوش ، التي عمر  
عليها في شمالي الجزيرة العربية ، واصطلح المستشرقون على تسميتها بالنقوش  
العربية القديمة ، وسماوا كل نقش باسم المكان ، الذي عمر عليه فيه ، نرى  
هذه النقوش مزججا من اللغة العربية ، كما نعرفها ، ومن لغات أخرى كانت  
شائعة ، في بلاد الشام والعراق ، في ذلك الحين ، كالأرامية مثلا .

ويقول إسرائيل ليفنسون : « لا شك أن أصحاب النقوش السودية  
والصفوية ، من العرب ، أو هم أقوام لهم اتصال متين بلغة العرب ، ولكن  
العناصر الأعجمية الكثيرة البارزة فيها ، شوهتها وحرفتها كثيرا ، إلى أن  
محت منها شيئا غير قليل من الروح العربية ، والأسلوب العرفي ، حتى  
إن اللغة العربية تضاءلت ، أمام الحصرات الأخرى ، البارزة في تلك  
النقوش (١٥) » .

كما يقول عن نقش التماره إنه : « آرامي أكثر منه عربيا ،  
فالاصطلاح : ( تي نفس ) يذكرنا بنقوش النبط ، وأهل تدمر ، التي تعبر  
عن معنى القبر ، بكلمة : ( نقشو ) ، ثم يقول : « على أننا نعتقد  
أن كاتب هذا النقش ، كان عالما باللغة العربية في بلاد الحجاز ، إذ نقش  
في كتابته جملة عربية فصيحة ، صحيحة الذوق في الأسلوب العرفي ، وهي  
جملة : فلم يبلغ ملك مبلغه (١٦) » .

وقد صدق « ليفنسون » : فإننا نجد في هذه النقوش ، على سبيل  
المثال ، أنها تستخدم أداة التعريف ، لا كما تستخدمها اللغة العربية ، ولكن

(١٥) تاريخ اللغات السامية ١٨٨

(١٦) تاريخ اللغات السامية ١٩٣

هي قرية عربية  
الآن ، وقد  
جاء مع غيره  
جاءت « (١٧) »

له  
ل  
ه

السادس  
على قراءة

الكتاب

1 (1888)



كما تستخدمها اللغة العبرية ، فنحن نعرف أنها في العبرية « الهاء والنون » ،  
التي تقابل في العبرية « الألف واللام » ، غير أنها تطورت فيما بعد في اللغة  
العبرية ، فأدغمت النون فيما عدا حروف الحلق والراء ؛ لأنها لا تقبل  
الإدغام فيها ، ولذلك يشدد الحرف الأول من الكلمة عوضاً عن النون ،  
فإذا كان حرف حلق أو راء أظيلت حركة الهاء ، وقد تطورت كذلك  
في العبرية ، فأدغمت اللام فيما يسمى بالحروف الشمسية ، وهي :  
( ت ث د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ل ن ) ، وإن كانت العبرية  
تختلف عن العبرية ، في أن أثر هذا التطور ، لم يظهر في الأولى  
إلا في النطق ، ولم يظهر في الخط ، بخلاف العبرية .

فالنصوص التي عثر عليها في شمال الجزيرة العربية - كما رأينا -  
كالت تستخدم أداة التعريف ، كما تستخدمها اللغة العبرية ، في بعض  
الأحيان .

كذلك وجدناها تشتمل على ظاهرة شائعة في الآرامية ، فهي  
تستخدم كلمة : « بر » ، وهي في الآرامية بمعنى كلمة : « ابن » في اللغة  
العربية .

وأخيراً ، فإننا نجد في هذه النقوش ، بعض الكلمات التي لا تعرفها  
اللغة العربية ؛ فمثلاً كلمة : « مرطول » بمعنى الكنيسة ، لا وجود لها  
في المعاجم العربية .

ومن كل هذا يظهر لنا أن هذه النقوش ، ليست عربية خالصة ،  
والذي دعا هؤلاء المستشرقين ، إلى نسبة هذه النقوش ، إلى اللغة العربية ،  
هو أنهم وجدوا فيها بعض خصائص العربية ؛ مثل بعض الأصوات التي  
شاعت في العربية ، ولم تشع في غيرها من اللغات السامية الأخرى ،  
كالأصوات الأستانية ( ث ذ ظ ) والضاد ، والتفريق بين صوتي العين  
والغين ، وصوتَي الحاء والحاء .

كذلك وجدنا في هذه النقوش ، ظاهرة لم تشع في غير العربية ،

إلا في الأ  
بعض كل  
قد حو  
فاستعملوا  
هي من ح  
الوصف  
العبرية مث  
تد

النقوش  
وأن الذين  
واضحة ،  
عن طفول

عربية ، وأ  
عن لوحات  
شيدت ق  
من ضالة  
تجمع النق  
حشياً لا  
وق

في مقال  
قراءتها في  
مادتها الل



إلا في الأكادية ، وهي ظاهرة الإعراب ، وقد وجد المستشرقون في أواخر بعض كلمات هذه النقوش ، رموزاً للحركات الطويلة ؛ مثل : « وهرب مذحجو » في نقش النمار ، و « أعلى بنى عمري » في نقش أم الجمال ، فاستنبطوا أنها حركات إعراب .

كما يوجد هذه النقوش كذلك ، صيغة ( أفعل التفضيل ) ، التي هي من خصائص اللغة العربية ، أما غيرها من اللغات السامية ، فيستخدم الوصف الأصلي ، مع زيادة كلمة : ( من ) أو ( على ) ، كما في اللغة العبرية مثلاً :  $\text{יְהוָה אֱלֹהֵינוּ}$  = أحسن منه .

تلك هي أهم ما استنبطه المستشرقون ، من أوجه شبه ، بين هذه النقوش واللغة العربية . وإذا سلمنا معهم جدلاً ، بأنها نصوص عربية ، وأن الذين كتبوها ، قد كتبوها بلغة العرب ، فإننا نسأل أنفسنا : هل هي واضحة ، بحيث تلقى ضوءاً كافياً على اللغة العربية ، نعرف منه شيئاً عن طفولتها ؟

نقول نحن إنها غير كافية ؛ لأسباب أهمها أنها مزيج من ظواهر عربية ، وأخرى غير عربية ، وثانياً لأن مادة هذه النقوش ضحلة ؛ لأنها عبارة عن لوحات على حجارة ، وضعت فوق المقابر ، وفوق بعض الأبنية ، التي شيّدت قبل الإسلام ، كالكنائس مثلاً . ولكي نعلم مقدار ما في هذه المادة من ضالة ، تصور نفسك وقد ذهبت إلى إحدى ( القرافات ) ، وأخذت تجمع النقوش ، من على شواهد القبور ، فإنك سترى المادة اللغوية ، قدراً ضئيلاً لا يكاد يتجاوز صفحة .

وقد سبقنا إلى هذه الملاحظة أستاذنا « شبيتالر » A. Spitaler فقال في مقال له عن العربية : « إنه على الرغم من وجود النقوش المتعددة ، فإن قراءتها في كثير من الأحوال غير مؤكدة ، ونتائجها عديمة الجدوى ؛ لأن مادتها اللغوية ، على جانب كبير من الضالة »<sup>(١٧)</sup> .

كما يقول الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس : « ونحن نسلم جديلاً أن لغة هذه النقوش ، تمثل مرحلة من مراحل اللغة العربية ، يجب أن نعترف أن نصوصها صحيحة ، لا تقع الباحث ، لتلقى ضوءاً كاشفاً على حال اللغة العربية ، في تلك العهود ، فهي في مجموعها لا تكاد تعادل سفرنا صغيراً ، من استقرار العهد القديم ، هذا إلى أن كثيراً من كلماتها ، عبارة عن أعلام لأشخاص ، ولا تكاد تحدى مثل هذه الأعلام في البحث اللغوي ، وقوف هذا وذاك تعرض هذه النقوش لأمر متشابه ، كتسجيل تاريخ كنيسة أو قبر ، مما جعل كثيراً من عباراتها وألفاظها يتكرر ، ويجعل نصوصها قليلة القدر ، لا تكفي في بحث لغوي جدي<sup>(١٨)</sup> » .

فهذه النقوش غير كافية إذن ، لمعرفة طفولة اللغة العربية ، فإذا قورنت هذه النقوش بالنقوش الأكادية ، أو بالنصوص العبرية القديمة مثلاً ، وجدنا أنها كالفطرة في البحر ، ونحن حين نريد أن نحكم حكماً نطمش إليه ، لا بد أن تكون أمامنا نصوص كثيرة متنوعة .

وأخيراً ، هل معنى هذا أن العربية القديمة ، وقفت مكتوفة اليدين ، أمام تلك اللغات الأخرى ، أو التراجم الكثيرة المعروفة ، عن العبرية وغير العبرية ، ولم يكتب بها أصحابها في القديم شيئاً ؟ وهل معنى ذلك أن الأمية كانت شائعة في جزيرة العرب ، بحيث لا نجد رجلاً يكتب ، ولو نصاً دينياً ؟ شيء عجيب جداً !!

إننا نعرف الشيء الكثير ، عن جاليات مسيحية ، وأخرى يهودية ، كانت تعيش في جزيرة العرب ، ونعرف أن المسيحيين كانوا يتعبدون بالإنجيل ، واليهود يتعبدون بالتوراة ، ونعرف أن اللغة الفطرية ، هذه الجاليات ، كانت العربية . فلم لم يكتبوا نصوصاً دينية باللغة العربية ؟ هل دُونُوا شيئاً لم تعثر عليه حتى الآن ؟

يقول إسرائيل ولفسون عن هذا الموضوع : « ومن حيث إننا لم نعتز إلى الآن على نقوش ، في مراكز بلاد الحجاز الأصلية ، مثل : الطائف ومكة ويثرب ، فإننا أمام أمرين : إما أن نحتمل أن العرب لم يتركوا آثاراً منقوشة ، قبل ظهور الإسلام ، وإما أن أوان كشف هذه الآثار لم يحن بعد . أما الأمر الأول فغير محتمل ، حسب رأينا ؛ إذ لا يعقل أن العرب في مكة ويثرب ، لم يكونوا يستعملون الكتابة ، في عصر ظهور الإسلام ، ولدينا روايات تاريخية يقينية ، عن وجود كتاب ، كانوا قد مارسوا فن الكتابة في ذلك العهد ؛ لذلك يحتمل أن تكون هناك بعض نقوش ، على الأحجار والصخور ، أو كتابات على الرق لم تكشف بعد . والمستقبل كفيل بحل أحد هذين الاحتمالين (١٩) » .

والآن ، نضرب صفحاً عن هذه النقوش ، في استنباط شيء منها ، عن طفولة اللغة العربية ، ونقتنع ببحث تلك اللغة ، التي وردت لها نصوص صحيحة ، وهي ما نسمى في اصطلاحنا « بالأدب الجاهلي » وهي نصوص لا تكاد تتجاوز - كما سبق أن قلنا - قرنين من الزمان ، قبل الإسلام .

\*\*\*

## الفصل الثالث مشكلة توثيق النصوص

ذكرنا في الفصل السابق ، أن أقدم نصوص العربية ، التي يمكن الاعتماد عليها في الدرس اللغوي ، هي النصوص المعروفة بالأدب الجاهلي ، غير أن هذه النصوص لم تسلم من الطعن فيها ، والشك في صحتها .  
وأول ما يقابلنا هنا ، هو قضية الشك في الشعر الجاهلي ، ولنا بصدد تفصيل القول في هذه القضية ، وإنما نشير إلى أهم أعلامها ، متحدثين عن آرائهم بإيجاز :

وقد كان المستشرق « مَرْخَلِيُوث » Margoliouth من أوائل من شك في صحة الشعر الجاهلي ، في مقال له نشر في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية JRAS في عدد يولية سنة ١٩٢٥ م ، وعنوانه : « أصول الشعر العربي » صفحة ٤١٧ - ٤٤٩ ، انتهى فيه إلى أن ما يسمى بالشعر الجاهلي ، لم يقله شعراء جاهليون حقا ، وإنما نظمه بعض المزيفين في العصور الإسلامية ، ونخلوه الجاهليين .

وقد رد على هذا الرأي بعض المستشرقين ، من أمثال : « لِيَال » Lyall في مقدمة تحقيقه لشرح ابن الأنباري للمفضليات<sup>(١)</sup> ، كما تحدث عن قضية صحة الشعر الجاهلي مرة أخرى ، في مقدمة تحقيقه لديوان عبيد ابن الأبرص .

ونناول هذا الموضوع من العرب : الدكتور طه حسين ، فأفاض فيه

(١) انظر المفضليات بشرح ابن الأنباري ١٦/٢ من المقدمة .

في كتابه المش  
وانتهى إلى  
الجاهلية في  
تمثل حياة  
الجاهليين

كما يذكر  
في القرآن ،  
الجاهلية ،  
الجاهلي ، فإذا  
امرىء القيس  
ابن صفيى ،  
أخرى ، وأدب  
في القرآن ،  
لا سبيل إلى

وقد أورد  
على الدكتور  
فحسب ، بل  
حيث يقول  
أن يحدثنا عن  
لا يكفى لإثبات  
تحدثنا بهجرة  
في هذه القصص  
جهة ، وبين

(٢) في الأدب  
(٣) في الأدب  
(٤) في الشعر

في كتابه المشهور : « في الشعر الجاهلي » : إذ شك في هذا الشعر ،  
وانتهى إلى « أن الكثرة المطلقة ، مما نسميه أدبا جاهليا ، ليست من  
الجاهلية في شيء ، وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام ، فهي إسلامية ،  
تمثل حياة المسلمين ، وميولهم ، وأهواءهم ، أكثر مما تمثل حياة  
الجاهليين (١) » .

كما يذهب إلى أن مرآة الحياة الجاهلية ، يجب أن تلمس  
في القرآن ، لا في الأدب الجاهلي ، فيقول : « ذلك أتى لا أنكر الحياة  
الجاهلية ، وإنما أنكر أن يمثلها هذا الأدب ، الذي يسمونه الأدب  
الجاهلي ، فإذا أردت أن أدرس الحياة الجاهلية ، فلست أسلك إليها طريق  
امرئ القيس ، والناطقة ، والأعشى ، وزهير ، وقس بن ساعدة ، وأكثم  
ابن صفيى ، لأنى لا أثق بما ينسب إليهم ، وإنما أسلك إليها طريقا  
أخرى ، وأدرسها في نص ، لا سبيل إلى الشك في صحته ، أدرسها  
في القرآن ، فالقرآن أصدق مرآة للعصر الجاهلي ، ونصر القرآن ثابت ،  
لا سبيل إلى الشك فيه (٢) » .

وقد أثار هذا الكتاب في أيامه ، موجة شديدة من السخط ،  
على الدكتور طه حسين ، لا لأنه شك في الشعر الجاهلي ، وأنكره  
فحسب ، بل لأنه تشكك في أخبار القرآن الكريم ، في كتابه هذا ،  
حيث يقول : « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن  
أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن ،  
لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ، فضلا عن إثبات هذه القصة ، التي  
تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة . . . ونحن مضطرون إلى أن نرى  
في هذه القصة ، نوعا من الخيلة ؛ لإثبات الصلة بين اليهود والعرب من  
جهة ، وبين الإسلام واليهودية ، والقرآن والتوراة ، من جهة أخرى (٣) » .

(١) في الأدب الجاهلي ، ٧١

(٢) في الأدب الجاهلي ، ٧٧

(٣) في الشعر الجاهلي ، ٣٦

يمكن الاعتماد  
الجاهلي ، غير  
صحتها .

الجاهلي ، ولنا  
أهم أعلامها ،

Ma من أوائل  
مجلة الجمعية  
لوائه : « أصول  
يسمى بالشعر  
بعض الزينيين

قال : « ليال »  
(١) ، كما تحدث  
يقع لديوان عبيد

ن ، فأفاض فيه

وقد نزع حملته النقد التي وجهت إليه ، المرحوم مصطفى صادق الرافعي ، في عدة مقالات عنيفة ، جمعها بعد ذلك مع غيرها في كتاب سماه : « تحت راية القرآن » ، كما ألفت كتب أخرى للرد على الدكتور طه حسين ، منها : « نقض كتاب في الشعر الجاهلي » للسيد محمد الخضر حسين ، و « الشهاب الراسد » للأستاذ محمد لطفى جمعة ، و « نقد كتاب في الشعر الجاهلي » للأستاذ محمد فريد وجدي ، و « النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي » للأستاذ محمد أحمد العمراوى ، و « محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التاريخية ، التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي » للأستاذ الشيخ محمد الخضرى .

وقد كان لهذه الحملات كلها ، أثر في رجوع الدكتور طه حسين ، عن بعض آرائه ، وعلى الأخص تلك التي كانت تتعرض لأخبار القرآن الكريم ، بالتشكيك والظعن ، وصدرت للكتاب طبعة أخرى بعنوان : « في الأدب الجاهلي » ، هي التي لا تزال متداولة إلى اليوم . وقد كتب الدكتور طه حسين في مقدمتها : « هذا كتاب السنة الماضية ، حذف منه فصل ، وأثبت مكانه فصل ، وأضيفت إليه فصول ، وغير عنوانه بعض التغيير » .

وقد عرض الدكتور ناصر الدين الأسد ، لهذه القضية<sup>(٥)</sup> ، فلتخص الآراء السابقة ، وعرض لرأى المستشرقين ، من المتشككين والمعارضين ، كما تناول رأى الدكتور طه حسين بالتحليل والمناقشة ، وعقد فصلا عن الرواة وثبوتهم ، وتضعيفهم ، دافع فيه عن هؤلاء الرواة ، وحاول أن يثبت أن الأخبار ، التي وصلت إلينا عنهم ، والتي ترميهم بالكذب والوضع ، مزيفة ، سبها الخصومات ، والمنافسات ، والعصبية ، التي كانت تدور بين علماء العصور الإسلامية الأولى ، ثم يقول<sup>(٦)</sup> : « ومع

(٥) في كتابه القيم : مصادر الشعر الجاهلي وقيمها التاريخية ٣٥٢ - ٤٧٨  
(٦) مصادر الشعر الجاهلي ٤٦٥

ذلك ، فمن لا يذهب - ولا يصح لأحد أن يذهب - إلى أن جميع ما في تضاعيف الكتب العربية ، من شعر منسوب إلى الجاهلية ، صحيح مبرأ من الوضع والتحليل . . . وقد قادنا البحث إلى أن هذا الشعر ، المنسوب إلى الجاهلية ، على ثلاثة ضروب :

١ - فضرب موضوع منحول ، إما على وجه اليقين القاطع ، وإما على وجه الترجيح الغالب ، وأكثر شعر هذا الضرب ، ما وضعه القصاص ليحلوا به قصصهم ، أو يكسبوه في نفوس السامعين والقارئین شيئاً من الثقة ، وما وضعه هؤلاء القصاص على لسان آدم وغيره من الأنبياء ، أو على لسان بعض العرب البائدة ، وما وضعه بعض الرواة ، ليثبتوا به تساً ، أو يدلوا به على أن لبعض العرب قدمة وسابقة .

٢ - وضرب صحيح لا سبيل إلى الشك فيه ، أو الطعن عليه ، وذلك هو الذي أجمع العلماء الرواة على إثباته ، بعد أن تدارسوا هذا الشعر ، وفحصوه ومحصوه .

٣ - وضرب هو المختلف عليه ، الذي قال عنه ابن سلام : « وقد اختلف العلماء في بعض الشعر ، كما اختلفت في بعض الأشياء » . وهو يعني بهذا الضرب : الشعر الذي ينسب لأكثر من شاعر ، في بعض الأحيان ، ويرى أن هذا الضرب قليل ، وأن الخلاف في نسبه إلى أكثر من شاعر جاهلي ، لم يخرج عن نطاق الشعر الجاهلي ، فجاهلية هذا الشعر إذن ، ثابتة لا شك فيها ، عند هؤلاء الرواة العلماء ، وإن كانوا قد اختلفوا في الشعر الجاهلي نفسه .

وهكذا ترى أن الشك في بعض الشعر ، الذي يروى من العصر الجاهلي ، لا يصح أن يفودنا إلى إنكار الشعر الجاهلي ، الذي وصل إلينا

سقطى صادق  
ها في كتاب  
لي الدكتور طه  
محمد الحضر  
عة ، و نقد  
و النقد  
الغبرائي ،  
اشتمل عليها

ر طه حسين ،  
الأخبار القرآن  
خري بعنوان :  
م . وقد كتب  
ة ، حذف منه  
ر عنوانه بعض

١٥٧ ، فلخص  
والمعارضين ،  
وعقد فصلاً  
لرواة ، وحاول  
بهم بالكذب  
صيات ، التي  
١٦٧ : « ومع

بعامة ، فإن أكثر هذا الشعر مقطوع بصحته ، وهو لهذا يصلح عندنا  
لاستنباط القوانين اللغوية ، التي تحكم لغة العرب في الجاهلية ، تلك  
القوانين التي كتب لها الخلود ، حتى عصرنا الحاضر ، بعد أن نزل القرآن  
الكريم بهذه اللغة ، لغة العرب في الجاهلية .

★ ★ ★



ملع عندنا  
ية ، تلك  
نزل القرآن

## الباب الثاني في العربية الفصحى واللهجات

لا توجد  
المشتركة  
الذين  
فرنسي  
أرض  
كل  
بعضه

شمت  
الأموات  
معين  
حيث  
الخط  
اللغات

ويقول  
تكتلم  
الخص  
محددة  
عندما  
فإنه ي

## تمهيد

ذهب بعض العلماء ، إلى أن اللهجات لا وجود لها ، بمعنى أنه لا توجد حدود فاصلة واضحة ، بين لهجة وأخرى ، أو بينها وبين اللغة المشتركة ، التي تسمى إليها تلك اللهجة . ويقول « جاستون بارى » أحد الذين يذهبون هذا المذهب : « ليس هناك أى حد حقيقى ، يفصل بين فرنسى الشمال ، وفرنسى الجنوب ، فصور التكلم الشعبى عندنا ، تمتد على أرض الوطن ، من طرف إلى آخر ، كأنها بساط نضحت ألوانه المتنوعة ، فى كل نقطة منه ، بعضها على بعض ، وأصبحت درجات ، لا يكاد يتميز بعضها من بعض »<sup>(١)</sup> .

وهذا أيضا هو رأى ، الذى تنادى به « نظرية الأمواج » ليوهان شميت ، التى تقرر « أن كل ظاهرة لغوية ، تمتد على سطح القطر امتداد الأمواج ، وأن كل موجة فى تقدمها التدريجى غير المحسوس ، ليس لها حد معين » . ويستند « شميت » فى نظريته ، على دراسة اللغات الهندوأوربية ، حيث الخطوط التى تفصل بين كل خاصية لغوية وأخرى ، لا تنطبق على الخطوط التى تفصل بين خاصيتين لغويتين أخريين ، وذلك كما هو الحال فى اللغات الرومانية<sup>(٢)</sup> .

غير أن بعض العلماء ، دافع عن إمكان التقسيم اللهجى للغات . ويقول « أنطوان ميه » أحد المدافعين عن تلك القضية : « من حقا أن نتكلم عن وجود لهجات ، كلما رأينا عددا من الخطوط ، التى تفصل بين الخصائص ، ينطبق بعضها على بعض ، ولو بشكل تقريبى ، فهناك لهجة محددة فى كل منطقة ، يلاحظ فيها وجود خصائص مشتركة - وحتى عندما لا يمكن رسم خطوط دقيقة ، للفصل بين منطقتين متجاورتين ، فإنه يبقى أن كلا منهما ، تتميز فى مجموعها ببعض السمات العامة ، التى

(١) اللغة الهندوس ٣٢٢

(٢) اللغة الهندوس ٣٢٢

لا توجد في الأخرى ، فالبروفنسالية والفرنسية ليستا في حقيقة الأمر ، إلا لهجتين من لغة واحدة ، وإذا لم يكن في وسعنا أن نرسم على الخريطة خطاً محدداً ، بين أين تنهى الفرنسية وتبدأ البروفنسالية ؛ فإن كلا من اللهجتين في مجموعهما ، قد اشتملت على خصائص عديدة واضحة ، إلى حد يجعلنا في مأمن من الخلط بينهما<sup>(٣)</sup> .

فالتقسيم اللهجي ، يرجع إلى إحساس حقيقي ، لدى سكان الإقليم الواحد ، إحساس بأنهم يتكلمون بصورة ما ، ليست هي الصورة التي يسير عليها سكان الإقليم المجاور . وعلى هذا الأساس ، عرّف بعض العلماء اللهجة ، بأنها : « مجموعة من الصفات اللغوية ، تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة »<sup>(٤)</sup> .

أما العلاقة بين اللهجة واللغة ، فهي علاقة الخاص بالعام ؛ لأن « بيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل ، تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية ، التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث ، فهماً يتوقف على قدر الرابطة ، التي تربط بين هذه اللغات ، وتلك البيئة الشاملة ، التي تتألف من عدة لهجات ، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة ، فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات ، لكل منها ما يميزها ، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية ، والعادات الكلامية ، التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات<sup>(٥)</sup> » .

ومع ذلك ، فإن « الخط الفاصل بين اللغة واللهجة ، يصعب في غالب الأحيان تتبعه ورسمه . والتفاهم المشترك ، لا يعرض إلا جزءاً من الإجابة ؛ إذ إنه من المشاهد أن الاتصال بين أبناء مجموعتين ، يتكلمون

(٣) اللغة لاندريس ٣١٢

(٤) في اللهجات العربية ١٦

(٥) في اللهجات العربية ١٦

لغتين مشتركتين رسميتين ، ذواتي أصل واحد ؛ مثل : الإيطالية والأسبانية ، قد يكون أسهل منه ، بين أبناء لهجتين تنسبان إلى لغة رسمية واحدة<sup>(٦٦)</sup> .

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن كل لغة ، كانت يوماً ما لهجة من لهجات كثيرة للغة من اللغات . ثم حدثت عوامل كثيرة ، أدت إلى موت اللغة الأم أو اندثارها ، وانتشار كل نت من نتائجها في بقعة من الأرض ، مكونة لغة لها خصائصها ومميزاتها ، التي تفردها عن أخواتها . وقد حدث ذلك في اللغات السامية المختلفة ، وكلها كانت في الأصل لهجات للآم التي ماتت ، واندثرت من قديم الزمان . وهذه هي اللاتينية ، تعدّ أمّاً لللهجات الرومانية المختلفة ، التي أصبحت بعد اندثار اللاتينية ، لغات لها كياناتها وخصائصها ، وهي : الإيطالية والفرنسية والأسبانية ، وكل واحدة من هذه اللغات ، شملت مساحات واسعة من الأرض ، فانقسمت بدورها إلى لهجات ، تماماً كما حدث للغات السامية ، ومنها العربية التي انقسمت كذلك إلى لهجات مختلفة ، في الماضي والحاضر .

ولم تكن العلاقة بين اللغة واللهجة واضحة ، في أذهان اللغويين العرب ؛ ولذلك نجد بعضهم يخلط بينهما خلطاً فاحشاً ، وبعد اللهجات العربية لغات مختلفة ، وكلها حجة<sup>(٦٧)</sup> ، ومع ذلك فإنهم لم يرووا لنا من هذه اللهجات ، إلا مقتطفات مبتورة . وقد شبه المحدثون من اللغويين ، إلى أهمية دراسة اللهجات العربية القديمة ، لما يأتي :

١ - البحث في اللهجات العربية الحديثة ، يتبين منه أنها ترجع في كثير من الحالات ، إلى اللهجات العربية القديمة ، أكثر من رجوعها إلى اللغة الفصحى .

٢ - تفيد دراسة اللهجات القديمة ، في الإجابة على السؤال العريض التالي : هل العربية الفصحى ولغة الشعر ، عبارة عن حصيلة لهجات

(٦٦) انظر : أسير على اللغة ، طبع في ١٩٦١

(٦٧) انظر مثلاً : الخصائص ١٠٠٣

عدة ، أم أنها لهجة قبيلة معينة ، سادت واتخذها الشعراء قائلين ، ينظمون فيه أشعارهم ؟

٣ - تفيد دراسة اللهجات ، في معرفة مصادر القراءات القرآنية المختلفة ، التي رويت لنا بلا عزو إلى لهجة معينة .

غير أن هناك صعوبات كثيرة ، تصادف دارس اللهجات العربية القديمة . وأهم هذه الصعوبات :

١ - أن هذه الدراسة تتطلب تصفح جميع المؤلفات العربية ؛ لأن اهتمام العرب بالمسائل اللغوية ، لم يقتصر على اللغويين والنحويين ؛ فإننا نجد هذا الاهتمام عند الجغرافيين والمؤرخين ، بل عند الفلاسفة والأطباء والرياضيين ، بمناسبة وغير مناسبة ؛ ولذلك فإننا كثيرا ما نعثر على ملاحظات مهمة ، عن اللهجات العربية ، في غير كتب اللغويين كذلك .

٢ - عدم ذكر اللغويين للقبائل التي تنتمي إليها اللهجات ، واكتفاؤهم بعبارة : « وهي لغة » مثلا ، كقول القراء : « والعرب تقول : مهيل ومهيل ، ومكيل ومكيول . قال الشاعر :

وَنَاهَرُوا النَّبْعَ مِنْ تَرْغِيَةِ رَهَقٍ

مَتَأَرَّبَ عَصَاهُ السُّكَطَانُ مَدِيدُونَ<sup>(٨)</sup>

فلغة التصحيح في مثل : مهيل ومكيل ومكيول ومديون ، غير معزوة هنا إلى قبيلة من القبائل ، وهي تنسب في كثير من المصادر إلى تميم<sup>(٩)</sup> .

وكذلك الحال في اختلاف اللغويين ، في تعيين القبيلة صاحبة اللهجة المذكورة ؛ فلا بد من محاولة لعزو اللهجات المجهولة ، والتوفيق بين

(٨) معاني القرآن ١٩٨١/٣ وفي فصول ، ألفت لأبي حاتم ٢٦٤ - ٢٦٥ مجوز مبيح على الأمل

(٩) انظر مثلا : شرح القصص للبركاتي ٣٢٣

أوجه الخلاف السائدة بين اللغويين العرب ، في نسبة لهجة من اللهجات إلى قبائل عدة .

٣ - اصطلاحات اللغويين العرب ، غير واضحة تماماً ؛ فإن كلمة : « لغة » تعبر في بعض الأحيان عندهم ، عن لهجة قبيلة من القبائل ، كما تعبر في أحيان أخرى عن عيوب النطق « اللغة » .

٤ - عندهم لغة قريش أفصح اللغات ، جعلهم يخلعون على اللهجات الأخرى أوصافاً ، مثل : لغة فصيحة ، أو قبيحة ، أو رديئة ، أو ضعيفة ، أو شاذة ، وغير ذلك .

٥ - التصحيف والتحريف ، اللذان ابتليت بهما الكتابة العربية ، طمساً كثيراً من المعالم الصحيحة ، لبعض اللهجات العربية ، التي رويت لنا .

\*\*\*

## الفصل الأول ظروف تكون اللغة الفصحى وخصائصها

يشوب العلاقة بين العربية الفصحى ، ولهجاتها القديمة ، غموض واختلاط ، عند جمهرة الدارسين للعربية ، من المستشرقين وغيرهم ؛ وذلك بسبب اهتمام اللغويين العرب القدماء ، اهتماما بالغاً بدراسة الفصحى ، لغة القرآن الكريم ، وإهمالهم الدرس الكامل لللهجات العربية القديمة ، أو ذكرهم لروايات متبورة ، عن بعض خصائص هذه اللهجة أو تلك ؛ ليفسروا بها قراءة قرآنية ، أو شذوذاً في ظاهرة من الظواهر اللغوية في شعر أو نثر .

ولذلك نرى أن « كل ما يقال عن العلاقة بين اللهجات العربية القديمة ، والعربية الفصحى ، قروض أو تخمينات » بسبب نقص معلوماتنا عن تلك اللهجات ؛ ف يرى نولدكه Nöldeke أن الفروق صغيرة ، بين اللهجات العربية الشائعة في جزء كبير من الجزيرة العربية ( الحجاز ونجد ومنطقة الفرات ) ، وأن الفصحى تعتمد على هذه اللهجات على سواء . ويرى جويدي Guidi أن العربية الفصحى خليط من لهجات نجد والمناطق المجاورة ، ولا تمثل لهجة بعينها من هذه اللهجات . أما نالينو Nallino الذي يربط ظهور العربية الفصحى بمملكة كندة ؛ فإنه كان يرى أن عاميات قبائل معد ، توحدت وكونت العربية الفصحى . ويرى فيشر Fischer كذلك أن العربية الفصحى ، تمثل لهجة معينة ، غير أنه لم يعينها . ويمثله تقريباً رأى هارتمان Hartmann أما فوللرز Vollers فقد خرج علينا بنظريته التي يرى فيها أن العربية الفصحى ، تعتمد على لغة البدو ، في نجد واليمامة ، غير

أن الشعر  
تعد  
elmann  
أن العربية  
أنه لم يتأ  
كانت لغ  
الشعراء  
و  
تماماً ، ف  
الحكم  
عندهم  
و  
شعبية  
الجاهل  
والحكم  
فلم تصل  
كتب  
بها .  
و  
كثير -  
الروايات  
والأديب  
الجزيرة  
في خاطر



أن الشعراء عثروها كثيرا ، على حين تتكلم باق الجزيرة لغة مختلفة تماما ،  
تعد سلفا للعواميات الحضرية الحديثة ، كما يدعى بروكلمان  
Brockelmann ومثله قسطنطين Weitzstein وغيرهما من قبل ،  
أن العربية الفصحى بصورتها التي نعرفها ، لم تكن لغة كلام أبدا ، غير  
أنه لم يناقش علاقتها باللهجات . أما لاندبرج Landberg فيرى أنها  
كانت لغة عصر غير محدد ، وأن قوالها النحوية يغلب أن تكون من صنع  
الشعراء . ويقارنها مارسيه Marçais بلغة هومير المصنوعة !

وهناك اتفاق جوهري بين علماء العرب ، على عكس هذا الرأي  
تماما ، فالعربية الفصحى عندهم هي لغة البدو ؛ فالعربي البدوي هو  
الحكم الفصل في العربية الصحيحة ، وهو لا يخطيء في التحدث بها  
عندهم ، ولا يطاقعه لسانه - إن أراد - على الخطأ " .

وقد وصلت إلينا اللغة العربية ، في صورة أدبية حيناً ، وصورة  
شعبية حيناً آخر ؛ أما الصورة الأولى ، فإنها تتمثل فيما نسميه بالأدب  
الجاهلي ، أو الآثار الأدبية الجاهلية ، من الأشعار والخطب والأمثال  
والحكم ، وهو ما نسميه باللغة العربية الفصحى . أما الصورة الثانية ،  
فلم تصل إلينا منها أعمال متكاملة ، وإنما نلاحظها فيما روى لنا في بطون  
كتب اللغة والنحو والأدب ، متاثرا عن لهجات القبائل العربية الخاصة  
بها .

وحينما ندرس نصوص الصورة الأولى ، نجدها تمثل - إلى حد  
كبير - لغة موحدة مسجمة ، لا تكاد تتضمن شيئا ، عن تلك  
الروايات المنسوبة إلى لهجات العرب . هذه اللغة التي اصطنعها الشاعر  
والأديب ، هي بمثابة اللغة المشتركة ، التي انتظمت جميع أنحاء شبه  
الجزيرة العربية ؛ فقد كان يتخذها الشاعر وسيلة للتعبير عما يجول  
في خاطره ، كما كان يتخذها الخطيب للتأثير في سامعيه ، سواء أكان

الشاعر أو الخطيب من قريش ، أو غنم ، أو غيرها من قبائل العرب ؛  
فإن « خاصة اللغة المشتركة الأساسية » أنها لغة وسطى ، تقوم بين  
لغات أولئك الذين يتكلمونها جميعاً » .

وقد نشأت هذه اللغة المشتركة ، ونمت وازدهرت قبل مجيء  
الإسلام ، ويرى الدكتور أنيس أن « أقدم ما نستطيع تصويره في شأن شبه  
الجزيرة العربية ، هو أن تحليلها وقد انتظمتها لهجات محلية كثيرة ، انعزل  
بعضها عن بعض ، واستقل كل منها بصفات خاصة ، ثم كانت تلك  
الظروف ، التي هيأت بيئة معينة ، في شبه الجزيرة ، فرصة ظهور لهجاتها  
ثم ازدهارها ، والتغلب على اللهجات الأخرى » . وهذا يعني أنه قد  
جذبت عوامل مختلفة ، حملت أهل هذه اللهجات على التقارب  
والاختلاط ، فأدى ذلك إلى نشأة اللغة المشتركة ، التي يتفاهم بها الناس  
جميعاً ، وإن اتسموا إلى قبائل مختلفة .

وفي كل بلاد العالم ، لا بد للغة المشتركة ، من مكان متميز نشأ  
فيه ، وأسباب وظروف معينة تساعد على تكونها وازدهارها ، وحياتها  
بجانب اللهجات الأخرى . فما هي يا ترى تلك الأسباب ، التي  
ساعدت على نشأة اللغة المشتركة ، في الجزيرة العربية قبل الإسلام ؟  
وفي أي مكان من تلك الجزيرة ، تكونت هذه اللغة المشتركة ؟

لقد نشأت هذه اللغة العربية المشتركة ، في مكة أم القرى ، وبلد  
الله الحرام ؛ لظروف دينية ، وسياسية ، واقتصادية .

أما الظروف الدينية ؛ فذلك لأن بيئة مكة ، كانت منذ عهود  
سحيقة قبل الإسلام ، بيئة مقدسة ، يفد إليها العرب من كل فج  
ليحجوا إليها ، ويؤدى هذا بالطبع إلى اجتماع فريق كبير من العرب ،  
في هذه البقعة المباركة ، ويختلطون بأهلها ، ويختلط أهلها بهم . ومن هذا

الاحتلاط يشأ ما يسمى باللغة المشتركة . وليس الأمر اصطلاحاً شعورياً بين القبائل ، على اختيار لغة معينة ، كلغة قریش مثلاً ، لغة مشتركة ، وإنما ذلك أمر لا شعورى ، كما يحدث للرفعى ، الذى يحضر إلى القاهرة ، ويعيش فيها مدة مثلاً ، فإنه سرعان ما يتأثر باللهجة القاهرية فهراً عنه ، ودون شعور منه ..

هذه القبائل لم تغد إلى مكة ، للحج والعبادة فقط ، وإنما ليشهدوا كذلك تلك الأسواق ، التى تقام حول مكة للبيع والشراء ، وكانت تعقد فى تلك الأسواق ، ندوات أدبية للخطباء والشعراء ، ويسمع فيها عيون الشعر وجيد القول ، كما كانت الحال فى سوق عكاظ المشهورة ، التى كانت تدوم فيها الندوات ، ما يقرب من الشهرين ، وفى هذه الأسواق ، كان أهل مكة يختلطون بالوافدين ، فيسمعون منهم ، كما يسمع منهم هؤلاء ، وهناك نبتت البذرة الأولى للغة المشتركة ، بين هؤلاء القبائل جميعاً ، وتمت وازدهرت بتوالى وفود القبائل إلى هذه الأسواق . وقد حملت هذه الوفود ، تلك اللغة المشتركة ، إلى مواطن قبائلها ، فانتشرت بين أنحاء الجزيرة العربية ، ولكنها لم تنتشر - على ما ترجح - إلا بين الخاصة فقط ، من أبناء القبائل المختلفة ، وهم أولئك الشعراء والخطباء .

وقد ازدادت هذه اللغة نمواً وازدهاراً ، بنزول القرآن الكريم بها . ولما نوافق القائلين بأن نزول القرآن ، هو الذى وحد العربية ، وأوجد اللغة المشتركة ؛ لأن هذه اللغة تمت وازدهرت - كما قلنا - قبل نزول القرآن الكريم بها ؛ ولذا تخيرها القرآن ونزل بها ؛ ليفهمه جميع الناس فى سنى القبائل العربية . هذا هو العامل الدينى .

وهناك عامل آخر اقتصادى ، له أهميته فى تكوين اللغة المشتركة ؛ فإن أهل مكة كانوا تجاراً ، ينتقلون بتجارهم فى أماكن مختلفة ، ويرتحلون بها إلى اليمن فى الشتاء ، وإلى الشام فى الصيف ، ولا يستقرون فى مكان .

القبائل العرب ؛  
تقوم بين

ت قبل مجيء  
فى شأن شبه  
كثيرة ، انزعول  
ثم كانت تلك  
ظهور هجتها  
يعنى أنه قد  
على التقارب  
لهم بها الناس

ان متميز تشأ  
أولها ، وحياتها  
سباب ، التى  
بل الإسلام ؟  
شركة ؟

القرى ، وبلد

ت منذ عهد  
من كل فج  
من العرب ؛  
هم . ومن هذا

إلا بمقدار الزمن ، الذي يحدده لهم البيع والشراء . هذا النشاط التجاري الضخم قد أتاح لهم الغنى والثراء ، ومن ملك المال واحتضن الدين ، فقد تحقق له سلطان سياسي قوى ، وكان أكثر حضارة ، وأقوى نفوذاً من غيره . ولهذا كله ، كانت اللهجة القرشية ، من أقوى اللهجات أثراً ، في تكوين اللغة العربية الفصحى . وتتميز تلك العربية الفصحى المشتركة ، بصفات معينة ، شأنها في ذلك شأن كل لغة مشتركة <sup>(١)</sup> .

فالصفة الأولى ، هي أنها فوق مستوى العامة ، بمعنى أن العامة لا يصطنعونها في خطابهم ، وأنهم إذا سمعوا متكلماً بها ، رفعوه فوق مستوى ثقافتهم ، فاللغة المشتركة العربية ، التي وردت بها الآثار الأدبية ، والتي نظم بها الشعراء ، وخطب بها الخطباء ، لم تكن في متناول جميع العرب ، بل كانت في مستوى أرق وأسمى ، مما يمكن أن يتناوله العامة ؛ فإنه حتى ذلك الإعراب ، الذي هو أهم مميزات اللغة الفصحى ، لم تكن كل العرب تفهم عليه ؛ فقد عثرت على نص خطير في كتاب : « نثر الدرر » للوزير أبي سعد الآملي <sup>(٢)</sup> ، يقول :

« قال أبو العيناء : ما رأيت مثل الأصمعي قط ، أنشد بيتاً من الشعر ، فاختلف الإعراب ، ثم قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : كلام العرب الدرج ، وحدثني عبد الله بن سوار ، أن أباه قال : العرب تحتاز بالإعراب اجتيازاً ، وحدثني عيسى بن عمر ، أن ابن أبي إسحاق قال : العرب ترفرف على الإعراب ، ولا تتحقق فيه ، وسمعت يونس يقول : العرب تشأم الإعراب ولا تحفقه ، وسمعت الحشاش بن الحجاب يقول : العرب تقع بالإعراب ، وكأنها لم تزد ، وسمعت أبا الخطاب يقول : إعراب العرب الخطف والخذف . قال : فتعجب كل من حضر منه » .

(١) انظر كذلك : مستقل اللغة العربية ٩

(٢) مخطوطة توفى على ٧٦٥/٧ وانظر هذا النص مختصراً في ربح الأثر ونصوص الأخبار ، للزعماني

مخطوطة دمشق رقم ٣٢٦٣ ص ٤٥

وإذا اتخذنا القرآن الكريم نموذجاً للغة المشتركة ، ونحن في المستوى القرآني أمام العرب ، وجدناهم ينظرون إلى القرآن الكريم ، وإلى أسلوبه بظرة أسمی حتى من آثارهم الأدبية الأخرى ؛ ذلك لأنه تحداهم وأعجزهم ، ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثله ، وإنما نرى هذا واضحاً في كلام العلماء القدماء ، حين بحثوا إعجاز القرآن ، ووصل بعضهم القول إلى حد أن أكد لنا ، أن إعجازه لا يدركه إلا من أتقن الشعر والخطابة والكتابة ، وجميع الأساليب اللغوية المعروفة ؛ فالباقلاني ( أبو بكر محمد بن الطيب ، المتوفى سنة ٤٠٣ هـ ) مثلاً ، يرى في كتابه « إعجاز القرآن » أنه يستحيل على الأعجمي أو العامي ، أن يدرك إعجاز القرآن ؛ لأنه لم تُنح له من الثقافة اللغوية أي قدر ، بل يستحيل على متوسطي الناس أن يدركوا إعجاز القرآن . ويرى الباقلاني - بحق - أن المتناهي في إدراك علم الشعر وحده ، أو الخطابة وحدها ، أو الكتابة كذلك ، لا يدرك إعجاز القرآن إدراكاً تاماً ، فيقول :

« وقد علمنا تفاوت الناس في إدراكه ، ومعرفة وجه دلالة ؛ لأن الأعجمي لا يعلم أنه معجز ، إلا بأن يعلم عجز العرب عنه ، وهو يحتاج في معرفة ذلك إلى أمور ، لا يحتاج إليها من كان هناك من أهل صنعة القصاحة ، فإذا عرف عجز أهل الصنعة ، حل محلهم ، وجرى مجراهم في توجه الحجة عليه . وكذلك لا يعرف المتوسط من أهل اللسان من هذا الشأن ، ما يعرفه العالي في هذه الصنعة ، فرمما حل في ذلك محل الأعجمي ، في أن لا توجه الحجة ، حتى يعرف عجز المتناهي في الصنعة عنه . وكذلك لا يعرف المتناهي في معرفة الشعر وحده ، أو الغاية في معرفة الخطب أو الرسائل وحدهما - من غور هذا الشأن - ما يعرف من استكمل معرفة جميع نصايف الخطاب ، ووجوه الكلام ، وطرق البراعة ،

(٦) لا يمثل القرآن الكريم لغة قومية وحدها ، كما جرد أحياناً في بعض الكتب والروايات ، وإنما تمثل اللغة المشتركة بين العرب جميعاً ، لغة الأدب من شعر وخطابة وكلام - انظر - مستهل اللغة العربية ٤

النشاط التجاري  
الدين ، فقد  
نفوذاً من غيره .  
اللهجات أثرها ،  
سجى المشتركة ؛

تجني أن العامة  
فعوه فوق مستوى  
دينية ، والتي نظم  
جميع العرب ، بل  
فإنه حتى ذلك  
كل العرب تقدر  
الدرر ، للوزير

فقط ، أنشد بينا  
عمرو بن العلاء  
، أن أنباء قال :  
فر ، أن ابن أبي  
، وسمعت يونس  
فاش بن الحجاب  
الخطاب يقول :  
حضر منه .

الأشهر ، المرحوم

فلا تكون الحجة قائمة على الخشخشة ببعض هذه العلوم بانفرادها ، دون تحققة  
لعجز البارخ في هذه العلوم كلها ، عنه . فأما من كان متشاهيا في معرفة  
وجوه الخطاب ، وطرق البلاغة ، والفتون التي يمكن فيها إظهار الفصاحة ،  
فهو متى سمع القرآن ، عرف إعجازه " .

نحن لا نغالي إذن ، حين نقول إن أسلوب القرآن الكريم ، وهو يمثل  
قمة اللغة العربية المشتركة - كان فوق مستوى العامة من العرب ، كما كان في  
بعض الأحيان فوق مستوى الخاصة . ويروى الباقلائي وغيره ، قصصا  
وحوادث ، توضح بجلاء ، كيف كان ينظر فصحاء العرب ، إلى عظمة  
أسلوب القرآن ؛ ففي حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن عمر بن  
الخطاب قرأ قول الله تعالى : « وفاكهة وأنا » وقال : « فما الأب ؟ » ثم  
قال : « ما كلفنا ، أو ما أمرنا بذلك » .

تلك هي الصفة الأولى ، من صفات اللغة المشتركة ، وقد رأينا  
آثارها فيما نسميه بالعربية الفصحى . أما الصفة الثانية ، فهي أن اللغة  
المشتركة ، لا تنتمي صفاتها أو عناصرها إلى بيئة محلية بعينها ، بمعنى أن  
الخطيب باللغة المشتركة ، لا يكاد السامع يكشف عن بيئته المحلية ، ومعنى  
هذا أن اللغة المشتركة ، ليست لغة قبيلة بعينها ، أو بعبارة أخرى : أن اللغة  
المشتركة ، لا تتضمن شيئا من خصائص اللهجات المحلية ؛ فهي لغة  
منسجمة موحدة ، لا يمكن أن تنتمي إلى بيئة خاصة ، من بيئات الجزيرة  
العربية ، فلا يحق لنا أن نقول مثلا ، إن اللغة المشتركة هي لغة قريش ،  
أو تميم ، أو غيرها من قبائل العرب ، بل هي مزيج من كل هذا ، تكونت  
له شخصيته وكيانه ، وأصبح مستقلا عن اللهجات ، وإن التمس هذا المزيج  
في نشأته ، بعض صفات هذه اللهجات ، بعد هضمه .

ولنضرب مثلا لتوضيح ذلك ؛ فنقول : تجمع الروايات القديمة ،  
على أن البيئة الحجازية ( قريش وما جاورها ) تسهل الهمز ، والبيئة البدوية



( تميم وما جاورها ) تحقيق الهمز . وقد أحدث اللغة العربية المشتركة ، تحقيق الهمز من تميم . وأصبح الخطيب والكتاب والشاعر ، يحاولون تحقيق الهمز في كلامه ، عندما يصطنع اللغة العربية المشتركة ؛ فقد روى عن أبي زيد الأنصاري ( المتوفى سنة ٣١٤ هـ ) النص التالي : « قال أبو زيد : أهل الحجاز وهذيل ، وأهل مكة والمدينة لا يتيرون ، وقف عليها عيسى بن عمر ، فقال : ما أحد من قول تميم إلا بالنير ، وهم أصحاب النير ، وأهل الحجاز إذا اضطروا تيروا . قال : وقال أبو عمر الهذلي : قد توضيت ، فلم يهمز وحولها ياء ، وكذلك ما أشبه هذا من باب الهمز » .

والنير هو الهمز ؛ قال ابن منظور : « والنير همز الحرف . ولم تكن قريش تهمز في كلامها ، ولما حج المهدي قدّم الكسائي يعلّي بالمدينة ، فهمز فأنكر أهل المدينة عليه ، وقالوا : نير في مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن » .

كما قال الفراء : « وقوله : ( تأكل منسأته ) ، همزها عاصم والأعمش ، ولم يهزها أهل الحجاز ولا الحسن ، ولعلهم أرادوا لغة قريش ، فإنهم يتركون الهمز » .

و « قال ابن عبد البر في التمهيد : قول من قال : نزل القرآن بلغة قريش ، معناه عندي : في الأغلب ؛ لأن لغة غير قريش موجودة في جميع القرآن ، من تحقيق الهمز وحولها . وقريش لا تهمز » .

وقال صاحب كتاب : المياني في نظم المعاني : « فأما الهمز ، فإن من العرب من يستعمله وهم تميم ومن يوافقها في ذلك ، ومنهم من يقل استعمالهم له ، وهم هذيل وأهل الحجاز » .

(٨) انظر مقدمة لسند العرب ، لأن معناه ١٤١٢

(٩) أسانيد العرب ( ج ١ ) ٢٠٧ . انظر آخر في كلامي عنهم كذلك ، في غريب الحديث لأن فيه ١٣٣٢

(١٠) معاني القرآن ٣٥٧٠٢

(١١) انظر : لسان العرب ١٤١٠

(١٢) مقدمة في علوم القرآن ١٢٦

وهذا كله معناه أن لهجة الحجازيين الأصلية ، تسهيل الهمز ،  
أما قول عيسى بن عمر الثقفي - فيما تقدم : « فإذا اضطروا نبروا » ،  
فيمكن أن يكون معناه أن الحجازيين ، إذا اضطنعوا اللغة المشتركة ، حققوا  
الهمز ، كما يمكن أن يكون عيسى بن عمر ، قد قصد بذلك الهمزة التي  
توجد في أول الكلمة .

وخلاصة ذلك أن اللغة العربية المشتركة ، لم تكن لغة قريش وحدها ،  
بدليل وجود الهمز فيها ، وقريش لا تهمز ، كما وردت إلينا الروايات المختلفة  
بذلك ، وإنما هي لغة موحدة<sup>(١٣)</sup> ، اعتمدت في نشأتها على بعض الصفات  
الطبية ، في اللهجات العربية المختلفة ، سواء في ذلك لهجة قريش أو غيرها .

حقا يمكن القول بأن لهجة قريش ، أسهمت في تكوين العربية  
الفصحى بعناصر كثيرة ، فلا مبالغة إذن ، في إطلاق عبارة : « لغة  
قريش » على اللغة العربية الفصحى . وهذا - فيما يبدو - ما كان يقصده  
« فندريس » بقوله : « تقوم اللغات المشتركة دائما ، على أساس لغة  
موجودة ، حيث تتخذ هذه اللغة الموجودة ، لغة مشتركة من جانب أفراد  
مختلفي التكلم<sup>(١٤)</sup> » .

ويؤيد الدكتور إبراهيم أنيس هذه القضية ، بما نعرف من أن اللغة  
المشتركة بين العرب ، قد خلت من الصفات المحلية ، فيقول : « إن شعر  
الشعراء من ربيعة ، لا يعرف ما اشتهر عن لهجتها من الكشكشة ، وشعر  
الشعراء من تميم لا يعرف العننة ، بل حين نتتبع صفات لهجة هذيل ، في  
ديوان الهذليين ، لا نكاد نعثّر على شيء ، اللهم إلا تلك الإشارات  
السريعة ، التي نراها في كلام بعض شراح الديوان ، وكلها لا تخلو من  
التكلف أو التعسف ، أو ربما كان من صنع الرواة في العصور المتأخرة ،

(١٣) هذه اللغة الموحدة ، هي لغة الشعر في الأعم الأغلب ، ولذلك يقول بلدكه : « فالشعر الذي  
ظهر في القرن السادس الميلادي ، في كل وسط الجزيرة العربية وشمالها ، حتى أسفل القرات وما وراء  
ذلك - هذا الشعر يستخدم لغة موحدة » - انظر - اللغات السامية ٧٤  
(١٤) اللغة القديمة ٣٢٨

حين أعوم  
التضاهي  
الشراح  
لا تكاد  
شعر

برو  
شعر

وفي  
بأن

برو  
بأن

هذيل

على مدى

النحو

العربية

الكثير

(٨٦)



حين أغرموا تعدد الروايات ، والنحى ، بكل غريب ؛ رغبة في التعمق ، وحما في  
التظاهر في مجالس العلم . فكل بيت من أبيات ديوان الهدليين ، وعم  
الشرح المتأخرون ، أن به صفة من صفة هذيل ، رويت له رواية أخرى ،  
لا تكاد تختلف عن النسخ المأثورة في اللغة المشتركة : ففي البيت :

شُرِّبَ نَمَاءَ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَقَّعَتْ  
فَتَى لُجَجٍ تُحْضِرُ لَهُنَّ شَيْخُ

يروي :

شُرِّبَتْ نَمَاءَ الْبَحْرِ ثُمَّ تَنْصَبَتْ  
عَلَى حَبِيبَاتٍ لَهُنَّ شَيْخُ

وفي البيت :

يَأْسُفُ ذَاتِ الدَّبْرِ أَفْرَدَ جَحْشَهَا  
فَقَدْ وَلِهَتْ يَوْمَيْنِ فَهِيَ خُلُوجُ

يروي :

يَأْسُفُ ذَاتِ الدَّبْرِ أَفْرَدَ حَشْفَهَا  
فَقَدْ وَلِهَتْ يَوْمَيْنِ فَهِيَ خُلُوجُ

فليس في ديوان الهدليين ، تلك الصفات التي اشتهرت عن طحمة  
هذيل ، من قحافة واستطاء ، ونحو ذلك <sup>(١٠)</sup> .

ولا يزال هذا الموضوع في حاجة إلى دراسة مستفيضة ، نقفنا  
على مدى صحة ما يزعمه هؤلاء الشراح !

نعم ، قد يقال لنا : إن هناك كثيراً من الشواهد الشعرية ، عملاً كتب  
النحو واللغة ، وتتضمن شذوذاً لغوياً أو نحوياً ، ينسب إلى لهجات القبائل  
العربية المختلفة ! هذه حقيقة لا تنكر ، وقد ألف في شرح هذه الشواهد ،  
الكثير من الكتب ؛ مثل « شرح أبيات مسيويه » لأبن السيرافي ( المتوفى سنة

بسهيل الحمير ،  
« نروا نروا » ،  
شركة ، حققوا  
كلمة الهمة التي

يرش وحدها ،  
روايات المختلفة  
بعض الصفات  
ش أو غيرها .

تكوين العربية  
عبارة : « لغة  
ما كان يقصده  
على أساس لغة  
من جانب أفراد

من أن اللغة  
ل : « إن شعر  
شكشة ، وشعر  
جدة هذيل ، في  
تلك الإشارات  
ها لا تخلو من  
صور المتأخرة ،

والشعر الذي  
من العرب وما وراء

٣٨٥ هـ) و « شرح شواهد كتاب سيبويه » ، المسمى : « تحصيل عين الذهب » من معدن جوهر الأدب ، في علم مجازات العرب « للأعلم الشنتمري ( المتوفى سنة ٤٧٦ هـ ) ، ومثل : « شرح شواهد شروح الألفية » المسمى : « شرح الشواهد الكبرى » للعيني ( المتوفى سنة ٨٥٥ هـ ) ، و « شرح شواهد المعنى » للسيوطي ( المتوفى سنة ٩١١ هـ ) ، و « شرح أبيات مغنى اللبيب » لعبد القادر البغدادي ( المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ ) ، وغير ذلك .

ونحب أن نقف عند هذه الشواهد وقفة قصيرة ؛ فنقول : إما أن نحسن الظن بروايتها ، وإما أن نسيء الظن ، فإذا حسن ظننا بها ، وجب علينا أن نفرسها بأحد التفسيرات الآتية :

**الأول :** أننا نعدّ هذه الشواهد ، بقايا تسربت إلينا ، مما نسميه بالأدب الشعبي للعرب القدماء ( أدب القبيلة ) ، فإننا نفترض أن العرب قبل الإسلام ، كان لهم أدبان : هذا الأدب الذي نعرفه ، وأدب آخر شعبي ، يعرض لقكاهاتهم ، ودعائهم ، وقصصهم ، وأمورهم العادية ، ويتضمن خصائص لهجة التخاطب في كل قبيلة . ولكن هذا الأدب لم يرو لنا ، فاندثر وباد مع الزمن ؛ لأن الرواة دائماً وفي كل عصر ، يظفرون إلى الأدب الشعبي نظرة احتقار ، فهو عندهم أدب منحط ، لا يستحق الرواية ، والعناية به في نظرهم ؛ وذلك كالأرجال في أدبنا المصري ، تلك الأرجال التي كانت تمثل بحق ، أدبنا الشعبي في مصر منذ قرون ، ولكن إهمال الرواة لها جعلها تندثر ، ولا تكاد تعثر منها الآن إلا على القليل ، الذي أقلت من الضياع ، بتدوينه على أيدي العرب ، أو المستشرقين !

ولكن على الرغم من إهمال رواة اللغة الأقدمين ، لهذا النوع من الأدب ، تسربت إلينا بعضه - كما قلنا - وهو هذه الشواهد الشاذة ؛ كقول الشاعر :

تَرْوُدُ مَثَا بَيْنَ أَذْنَاهُ طَعْنَةً  
دَعْنَةً إِلَى هَابِي الثَّرَابِ عَقِيمٌ  
وكقول الآخر :

إِنْ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا  
قَدْ بَلَّغَا فِي اخْتِدَاعَيْهَا<sup>(١٦)</sup>

والثاني : نذهب إلى القول بأن الشعر القديم ، كان ينظم باللغة المشتركة ، ولكنه كان يتقل في جميع أنحاء الجزيرة العربية ، على ألسنة الناس ، حتى العامة منهم ، فانحرف بعضه على ألسنة هؤلاء .  
وقد فطن إلى هذا ابن هشام المصري ( المتوفى سنة ٧٦١ هـ ) فقال :  
« كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض ، وكل يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها ؛ ومن هاهنا كثرت الروايات في بعض الأبيات<sup>(١٧)</sup> » .  
أما إذا ساء ظننا برواية هذه الشواهد ، فيمكن أن نتصور أن النحاة هم الذين وضعوا هذه الأبيات ، أو هم الذين غيروا موضع الشاهد منها ؛ ليضعوا القواعد ، حسبما شاء لهم الهوى ، فيمكننا على هذا الأساس أن نحكم بأن أصل البيت السابق :

تَرْوُدُ مَثَا بَيْنَ أَذْنَاهُ طَعْنَةً

دَعْنَةً إِلَى هَابِي الثَّرَابِ عَقِيمٌ

كما قال أبو حاتم السجستاني ، عن القصيدة التي منها بيتا الرجز السابقين : إن أباهما .. إلخ : « سألت عن هذه الأبيات أبا عبيدة ، فقال : انقط عليهن ! هذا من صنعة المفضل<sup>(١٨)</sup> » .

وعندنا الكثير من أمثال هذا النحو ؛ فقد جاء في كتاب « النوادر في اللغة » ، لأبي زيد الأنصاري ( المتوفى سنة ٣١٤ هـ ) قوله : « وهذا شيء

(١٦) انظر : الدرر اللوامع ، مشققاتي ١٤/١  
(١٧) انظر : شرح شواهد لغتي ، للسيوطي ٤٧  
(١٨) المزهة للسيوطي ٢٦١/١ وانظر الأخر ٣٠  
(١٩) شرح شواهد لغتي ٤٧ والنوادر لأبي زيد ١٦٤

١٠ تحصيل عين  
١١ العرب : للأعلم  
١٢ شرح الألفية  
١٣ سنة ٨٥٥ هـ  
١٤ هـ ، و ١ شرح  
١٥ سنة ١٠٩٣ هـ

١٦ : مفضل : إما أن  
١٧ : وجب علينا

١٨ : مما تسميه  
١٩ : ففرض أن العرب  
٢٠ : وأدب آخر  
٢١ : لغورهم العادية ،  
٢٢ : هذا الأدب لم يرو  
٢٣ : ينظرون إلى  
٢٤ : لا يستحق  
٢٥ : تلك  
٢٦ : قرون ، ولكن  
٢٧ : القليل ، الذي  
٢٨ : شرفين !

٢٩ : لهذا النوع من  
٣٠ : الشاذة : كقول

يصعد النحويون ، ليعرفوك كيف مجراه ، متى وقع في شعر . وأنشد سيويه  
لعبد الرحمن بن حسان :

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرْهَا  
وَالشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مَثَلَانِ  
أراد : قاله يشكرها ، فحذف الفاء لما اضطر . وأخبرنا أبو العباس  
عن المازني عن الأصمعي ، أنه أنشد لهم : مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ فَالرَّحْمَنُ  
يَشْكُرُهُ . قال : فسألته عن الرواية الأولى ، فذكر أن النحويين صنعوها ، ولهذا  
نظائر ليس هذا موضع شرحها <sup>(٢٠)</sup> .

كما يقول السيوطي : « وقد وضع المولدون أشعاراً ، ودسوها  
على الأئمة ، فاحتجوا بها ظناً أنها للعرب . وذكر ( الشيخ عز  
الدين بن عبد السلام ) أن في كتاب سيويه منها خمسين بيتاً <sup>(٢١)</sup> ، وأن منها  
قول القائل :

أَعْرِفْ مَتَهَا الْجَيِّدَ وَالْعَيْنَانَا  
وَمُنْجَرَيْنِ أَشْبَهَا ظَبْيَانَا

ومن الأسباب الحاملة على ذلك ، نصره رأى ذهب إليه ، وتوجيه  
كلمة صدرت منه <sup>(٢٢)</sup> .

كما يمكن أن نسيء الظن ، بهذه الشواهد كذلك ، فنقول : إنه قد  
وقع فيها تحريف أو تصحيف ، كما اعترف بذلك كثير من علماء اللغة .  
والتحريف تغيير في شكل الحروف المتشابهة الرسم ، كالبدال والراء ، والبدال  
واللام ، والنون والراء ، والميم والقاف . أما التصحيف فهو تغيير نقط  
الحروف المماثلة في الشكل ، كالباء والتاء والثاء ، والجيم والحاء والحاء ،

(٢٠) النوازل في اللغة ٣١ وانظر شيئاً من هذا أيضاً في : الشعر والشعرية ٩٨/١  
(٢١) هي أكثر من ذلك بكثير . انظر مقالنا : « أسطورة الأبيات الخمسين » في كتاب سيويه في  
مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢/١٩ ( سنة ١٩٧٤ م ) .  
(٢٢) الاقتراح في أصول النحو ٢١

والدال والمدال ، والسين والشين ، والصاد والصاد ، والطاء والطاء .  
ومن العلماء من يجعل كلمة « التصحيف » مرادفة في المعنى لكلمة  
« التحريف » .

وقد يكون التصحيف أو التحريف ، ناشئاً عن خطأ في السماع ،  
لا عن خطأ في القراءة ؛ فقد جاء في كتاب « الأضداد » ، لأبي الطيب  
اللغوي ( المتوفى سنة ٣٥١ هـ ) قوله : « وحكى يقال : يَرْدُ الماء ،  
من البرْد ، أى جعلته بارداً ، وبرْدته : سخنته . قال : وأشدنا بعضهم :  
شكَّ البرْد في المياه فقلنا

بَرْدِيهِ تَوَافِقِيهِ سَجِيًّا  
قال قطرب : معنى بَرْدِيهِ في هذا البيت : سخينه . وقال أبو حاتم : هذا  
خطأ ، إنما هو : بل رديه ، من الورود ، ولكنه أدهم اللام في الراء ،  
كما يقرأ : كلا بل وان على قلوبهم . قال أبو الطيب : وهذا الصحيح ،  
وبه يستقيم معنى البيت (٢٢) » .

ومن أمثلة التحريف في الشواهد اللغوية ، ما وقع فيه أبو نصر  
الجوهري (٢٣) ، حين استشهد على أن « اللجر » مقلوب « اللرج » بيت  
ابن مقبل :

يَعْلُونَ بِالْمَرْدُوقُوشِ الْوَرْدُ ضاحية

على سغائب ماء الضالة اللجر

ونسى أن هذا البيت من قصيدة تونية ، في ديوان ابن مقبل (٢٤) .  
وصحة الروي : « الضالة اللجر » . وقد تعقبه في ذلك ابن بري .  
في حواشيه على الصحاح (٢٥) . كما قال عنه الصغاني : « وأما أبو نصر

(٢٢) الأضداد لأبي الطيب ٨٦١

(٢٣) الصحاح ١/٢٨ ٨٩١

(٢٤) ديوان ابن مقبل ٢٣٦٣٩ من ٣٠٧ والمردوقوش : اللجر . والورد : الماء .  
وعنه تاروة الشمس وسغائب : حوض . والضالة : الأس . اللجر : الماء .  
المردوقوش : ماء الأس . ويعلون به المشط . السج : به : يوسن .  
(٢٥) نظير : لسان العرب ١/٢٨ ٩٧١

وأشد سيويه

مثلاً

حبرنا أبو العباس

ل الخير فالرحمن

صنعوها ، ولهذا

شعاراً ، ودسوها

( الشيخ عز

بينا ، وأن منها

ب إليه ، ونوجيه

فقول : إنه قد

من علماء اللغة

ل والراء ، والمدال

فهو تغيير نقط

والحاء والحاء ،

إسماعيل بن حماد الجوهري ، الذي نخر له جياه أهل الفضل ، وحكم له  
بحيازة سبق والفصل ، فإنه قال في تركيب ( س ع ب ) : قال ابن  
مقبل :

يَقْلُونَ بِالْمَرْذُوقِشِ الْوَرْدِ ضَاحِيَةً

على سَعَابِيبِ مَاءِ الضَّالَةِ اللَّجْرِ

ثم قال : أراد اللزج فقلبه ، وذكر في فصل اللام من باب الرأى :  
اللجز قلب اللزج ، وأنشد البيت ، فلو كان هذا المقبل ، اطلع على ديوان  
شعر ابن مقبل ، لعلم أنه ليست له قصيدة رائية ، وأنها نونية ؛ فقد أخطأ  
في اللغة ، حيث قال : اللجز اللزج ، وفي الإنشاد حيث جعل القافية  
النونية رائية (٢٧) .

ومن العجيب أن الجوهري ، يروى هذا البيت ، عن كتاب :  
« القلب والإبدال » لابن السكيت ، مع أن في هذا الكتاب الأخير :  
« اللجن » على الصواب (٢٨) .

وقد ألف في موضوع التصحيف والتحريف في العربية ، بعض  
علمائنا ؛ مثل : حمزة بن الحسن الإصفهاني ( المتوفى حوالي سنة  
٣٦٠ هـ ) في كتابه : « التنبيه على حدوث التصحيف » ، الذي نشره  
الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ببغداد سنة ١٩٦٧ م ، ومثل أبي أحمد  
العسكري ( المتوفى سنة ٣٨٢ هـ ) في كتابه : « شرح ما يقع فيه  
التصحيف والتحريف » ، الذي نشره عبد العزيز أحمد ، بالقاهرة سنة  
١٩٦٣ م ، فقد روى هذان المؤلفان ، الكثير من تصحيقات العلماء  
وتحريفاتهم ، ونسبا ذلك للكثير منهم ، حتى الخليل وسيبويه .

\*\*\*

اتضح لنا الآن ، أن اللغة العربية المشتركة ، تتصف بأنها لغة فوق  
مستوى العامة من العرب ، وأنها لغة الآثار الأدبية ، وأنها لغة منسجمة

(٢٧) العباب المصغران ( حرف المزة ) ٣٥ - ٣٦

(٢٨) انظر : القلب والإبدال ، لابن السكيت ٣٩

موحدة خالية من الخواص المحلية ، ولذلك لا يصح مطلقاً أن نقول عنها :  
إنها لغة سليقة لكل العرب ، وهذه هي الصفة الثالثة من صفات اللغة  
المشتركة ، وهي أنها ليست لغة سليقة ؛ لأن معنى السليقة ، هو أن تتكلم  
لغة من اللغات ، بغير شعور بما لها من خصائص .

ولعل أوضح الأدلة ، على أن اللغة العربية الفصحى ، لم تكن لغة  
سليقة لكل العرب ، تلك الروايات الكثيرة ، التي تشير كلها إلى وقوع  
الللحن من العرب ، قبل الإسلام وبعده ؛ يقول الدكتور إبراهيم أنيس :  
« إن صاحب اللغة الذي يتكلمها بالسليقة ، يستحيل عليه الخطأ ،  
في ظواهر تلك اللغة ، دون أن يدرك أنه أخطأ ، فالإنجليز لا يخطئ  
في كلامه ، إلا إذا قسنا كلامه بمستوى لغوى آخر فوق كلام الناس .  
وتنح في كلامنا بالعامية لا يخطئ ، فإذا زل اللسان في لحظة ارتباك  
أو تلعث ، رجعنا عن هذا الزلل في لمح البصر ، وأدركنا أننا قد وقعنا فيه ،  
ولا يتصور وقوع الخطأ من صاحب السليقة اللغوية ، في أى ظاهرة من  
ظواهر لغته : في تركيب أصواتها ، أو في ترتيب الكلمات بجملها ، أو في  
صيغها ، أو في طريقة النفي والإثبات ، أو في طريقة الاستفهام والتعجب ،  
ونحو ذلك » (٢٩) .

وهذا اللحن الذي يدلنا على أن اللغة العربية المشتركة ، لم تكن لغة  
سليقة ، قد شاع عند العرب القدماء ، بل عند الخاصة منهم . ويمكننا  
أن نعدّ من اللحن كذلك ، ما يسمى لدى العروضيين بالإقواء ، والإقواء  
في رأى اللغويين المحدثين ، ليس في الحقيقة من الخطأ في الموسيقى ،  
كما يريد أصحاب العروض ، أن يحملونا على هذا الفهم ، بل هو في الواقع  
خطأ نحوي . ولتوضيح ذلك نقول : إن الشاعر يلتزم حركة معينة في روى  
القصيدة ، فهو يجعل حركة الروى متحدة دائماً ، في جميع أبيات  
القصيدة ، وهذا شيء لا يمكن أن يتجاهله شاعر ، وهب أذناً موسيقية ،



ولكنه يمكن أن يعقل عن الإعراب ؛ لأنه ليس سليقة له ، فإذا تصادف وجود كلمة في آخر البيت ، يلزم رفعها لموقعها الإعرابي ، ولكن القافية مكسورة مثلاً ، فإن الشاعر قد يعقل عن موقعها الإعرابي ، ولكنه لا يمكن أن يتجاهل أبداً موسيقى القصيدة ، وحركة الروي .

وعلى هذا ، فالإقواء لم يوجد كما يعرفه العروضيون ، وإنما وجد للحن في الكلام ؛ ففي قصيدة النابغة الذبياني التي نظمها في المتجردة ، زوجة النعمان بن المنذر ، والتي مطلعها :

مِنْ آلِ مَيْةَ رَائِحٍ أَوْ مُعْتَدٍ  
عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُرَوِّدٍ

يقول فيها النابغة :

رَزَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رَحَلْتَنَا عَدَاً  
وَبِذَاكَ خَيْرَنَا الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ

ويزعم الرواة أن النابغة قال البيت ، بضم الدال من كلمة : ( الأسود ) ، ولكن المعقول أن يكون كسرهما ؛ لينسجم الروي وموسيقى الأبيات ، ويكون بذلك قد أخطأ في النحو . يقول ابن السكيت شارح ديوان النابغة : « قال ابن الأعرابي والأثرم : بلغنا أن النابغة كان أقوى في قوله : مِنْ آلِ مَيْةَ رَائِحٍ أَوْ مُعْتَدٍ ، فورد يثرب ، فأنشدها ، فقالوا له : أقوى ، فلم يعرف ما عابوا ، فآلقوا على قم قينة لهم : وبِذَاكَ خَيْرَنَا الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ ، ففطن فلم يعد وكذلك قوله : يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يَعْقِدُ ، فقالوا لها : رَتِّلِيهِ وَمَدِّيهِ ، فقالت : معتدى ، ثم قالت : الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ ، ففطن ، فقال النابغة : وردت يثرب ، وفي شعري صنعة ، وصدرت عنها وأنا أشعر العرب » (٣) .

(٣-) ديوان النابغة ٢٩ ونظر كذلك : الخصائص ٢٤٠/١ والزينة لأبي حاتم الرازي ١٢٩/٢ وطلقات محمول الشعراء ٦٧-٦٨ والموشح ٥٥ وما بعدها .



ويعجس هنا تعليق القزاز القيرواني ، على ذلك ؛ إذ يقول :  
 « خفض ورفع أيضا . وهذا من أفصح العيوب ، ولا يجوز لمن كان مولدا  
 هذا ؛ لأنه إما جاء في شعر العرب على الغلط ، وقلة المعرفة به ، وأنه يجاور  
 طبعه ولا يشعر به ؛ ألا ترى أن النايعة غشى له به ، فلما سمع اختلاف  
 الصوت بالخفض والرفع ، فطن له ، ورجع عنه » (٣٢) .

وتحدثنا الرواة بأن الإقواء كثير في شعر النايعة ، وبشر بن أبي خازم ،  
 وغيرهما من الفحول (٣٣) ؛ قال ابن السكيت : « وقال الأثرم : حدثنا  
 أبو عبيدة ، قال : حدثنا أبو عمرو بن العلاء ، قال : فحلان من العرب  
 الشعراء ، كانا يقولان : النايعة ، وبشر بن أبي خازم ، فأما النايعة فمتد  
 دخل يثرب ، غشى بشعره ، فلم يعد إلى الإقواء . وأما بشر ، فقال له  
 سودة أخوه : إنك تقوى ! فقال : وما الإقواء ؟ فأنشده :  
 ألم تر أن طول الدهر يُبلى  
 ويُشسى مثل ما تُسب خدام

وكالوا قومنا قبيحوا علينا  
 فسفناهم إلى بلد الشام  
 فرجع البيت الأول ، وخفض الثاني . فلم يعد إليه (٣٤) .

ويقول القيرواني : « وأقوى الشعر : خالف قوافيه ، برفع بيت  
 وجر آخر . وقلت قصيدة لهم بلا إقواء . أما الإقواء بالنصب فقليل (٣٥) » .  
 وقد يكون القيرواني مغاليا ، في ادعائه قلة القصائد الخالية من الإقواء ،  
 ولكنه على كل حال يعطينا فكرة كيف كان الخطأ النحوي ، يقع في شعر  
 الفحول !

(٣١) ما حمير السامري في العيوب - القزاز القيرواني - ص ٥٦ .

(٣٢) النظر - الشعر - السكيت - ص ٩٥ .

(٣٣) ديوان النايعة - الأثرم - ص ٩٩ .

(٣٤) القاموس المحقق - ص ٥٩ ، ٣٨١ .

نجد - كبر - ولا يحصى كل قصائد شعره . إلا وفيها الإقواء - لا يستكبر به ، وذلك لأنه لا يكسر  
 الشعر ، ولا يكسر شعره على حiale ، وانظر الخصائص - ص ٢٤٠/٥ .

والكر ما قيسة كل هذا بالنسبة لموضوعنا ؟ تقول : إن الإعراب  
صفة من صفات اللغة العربية المشتركة ، والذي يخطيء في هذه اللغة ،  
وفي بعض خصائصها ، لا تكون له لغة سليقة .

وقد قلل هذا الإقواء شائعا في عصر صدر الإسلام ، واستمر  
إلى نهاية العصر الذي احتجوا بنصوصه ، وينتهي منتصف القرن الثاني  
هجري ، وذلك عند الشاعر العباسي : « بشار بن برد » . وآخر الشعراء  
الذين جتح بشعرهم ، هو : « إبراهيم بن هرمة » - فهذا هو الفرزدق  
الشاعر العظيم ، كان يقوى ويخطيء في النحو . ومن ذلك قوله :

إليك أمير المؤمنين رمت بنا  
هَمُومُ المُنَى والهَوَجُلُ المُشَعَّفُ

وعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدْعُ  
مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَنًا أَوْ مُجَلَّفًا (٢٣٥)

وقد سمعه « عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي » ، ينشد ذلك ،  
فقال له : على أي شيء ترفع : ( أَوْ مُجَلَّفُ ) ؟! فقال له :  
على ما يسوءك ويُسوءك !

كما أنكّر عليه « ابن أبي إسحاق » كذلك قوله (٢٣٦) :

مُتَقَبِّلِينَ شَمَالَ الشَّامِ تَصْرُنَا  
بِحَاصِبِ كَنْدِيفِ الْقُطَنِ مَثُورِ  
عَلَى عَمَائِمِنَا تُلْقَى ، وَأَرْحَلُنَا  
عَلَى زَوَاحِفِ تُرْجِي مُخْهَهَا رِيسَ

قال ابن أبي إسحاق : أسأت ، إنما هي : ( رِيسُ ) ، وكذلك قياس  
النحو في هذا الموضع ، فلما ألحوا على الفرزدق ، قال : « على زواحف  
ترجيبها محاسير » ، فترك الناس هذا ، ورجعوا إلى القول الأول . وكان ابن

(٢٣٥) ديوان الفرزدق ٥٥٦

(٢٣٦) ديوان الفرزدق ٦٦٤

أبي إسحاق ،  
فلو

فقال له ابن  
مؤال (٢٣٧)

وتكلف  
سليقة لكل  
ذكرنا سابقا

السليقة الله

يرى  
والورثة ، أي  
لا يمكن أن  
أمرأ سحرها  
السليقة في  
وأثارهم وأط  
أما

من مراحل  
من حيث  
بصورة آية  
دون تكلف  
الكبار ، و  
أبويه ، وتع  
أن يصل

أنى إسحاق بكثرة الرد على الفرزدق ، فقال فيه الفرزدق :  
 فلو كان عند الله مؤلى هجوئته  
 ولكن عند الله مؤلى موالينا  
 فقال له ابن أنى إسحاق : وقد لحت في هذا أيضا . وصوابه : مؤلى  
 موالى (٣٧) .

ونخلص من هذا كله ، إلى أن اللغة العربية المشتركة ، ليست لغة  
 سليقة لكل العرب ، بدليل وقوع اللحن ، حتى من خاصة العرب ، كما  
 ذكرنا سابقا ، وضربنا على ذلك الأمثلة .

\*\*\*

### السليقة اللغوية ومصادر الاحتجاج :

يرى اللغويون العرب القدماء ، أن « السليقة » مرتبطة بالجنس  
 والوراثة ، أى أنه لا يتصور أن يسيطر على اللغة العربية غير العربى ، كما أنه  
 لا يمكن أن يتقنها إتقان العربى لها ، وهم بذلك كأنما قد تصوروا أن هناك  
 أمرا سحريا ، هو سر السليقة ، ذلك هو الجنس ، فكأن الأمهات يرضعن  
 السليقة في ألبانهم ، وكأن تلك السليقة تتصل اتصالا وثيقا ، برماهم  
 وآثارهم وأطلاهم ودمهم .

أما « السليقة » في رأى المحدثين ، فهي « لا تعدو أن تكون مرحلة  
 من مراحل إتقان اللغة ، عندها لا يكاد يشعر المتكلم بخصائص كلامه ،  
 من حيث الأصوات ، وأبنية الألفاظ ، وتراكيب الجمل ، فهو يؤدى الكلام  
 بصورة آلية ، دون أن يكون له أى اختيار في هذه التواحي ، بل تصدر منه  
 دون تكلف أو تعمد ، وإنما على حسب ما سمع في صغره ، ممن حوله من  
 الكبار ، وعلى نفس النهج الذى يسلكونه ، فالمرء يبدأ حياته مقلداً للغة  
 أبويه ، وتصادفه عقبات وعثرات في هذا التقليد ، ويمر بمراحل كثيرة ، قبل  
 أن يصل إلى تلك التى تسمى بمرحلة السليقة . أى أن اكتساب اللغة يبدأ

بالتقليد وكثرة المرات ، ولا يقال للطفل في أثناء تعلمه لغة أهله ، وقيل أن  
يسطر عليها : إنه يتكلمها بالسليقة ؛ فلا وراثة في السليقة اللغوية ، وإنما  
الأمر كله ، ومن بالاكساب والتقليد والمران ، وعلى حسب ما تشكله البيئة ،  
فاللغة ملك من يتعلمها ، لا أثر فيها للوراثة أو الجنس ؛ فالطفل الذي يولد  
من أبوين مصريين ، ثم ينشأ بعيدا عنهما في بيئة انجليزية ، يشب وينمو  
كالانجليزي تماما من حيث اللغة ... وليس في السليقة اللغوية ، لدى  
المحدثين ، شيء غامض أو أمر سحري ، كما كان علماء العربية القدماء  
يظنون ، حين ربطوا بينها وبين البدواة حيناً ، أو الجنس العربي حيناً آخر ؛ إذ  
لم يتصوروا أن الأجنبي عن العربية ، يمكن أن يتقنها كأبناء العرب ، مهما  
يذل من جهد ، أو صرف من زمن (٣٨) .

وقد فطن إلى مثل هذا من القدماء ، العلامة ابن خلدون ، فقال :  
« اعلم أن اللغات كلها ملكات ، شبيهة بالصناعة ؛ إذ هي ملكات  
في اللسان ، للعبارة عن المعاني ، وجودتها وقصورها ، بحسب تمام الملكة  
أو نقصانها ... والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال ؛ لأن الفعل يقع  
أولاً ، وتعود منه للذات صفة ، ثم تتكرر فتكون حالا ، ومعنى الحال أنه  
صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة ، أي صفة راسخة (٣٩) » .  
ولأن القدماء قد ذهبوا إلى أن اللغة العربية ، تجرى في دماء العرب ،  
فقد أخذوا اللغة عن العرب ، حتى عن الأطفال والمجانين والنساء (٤٠) ،  
ولكنهم - والحق يقال - شعروا بوجود مستويات مختلفة في اللغة ، فتحدثوا  
عن القصيح والأفصح والأقل فصاحة ، والردىء والمذموم ، والشاذ ،  
والخوشى والغريب ، والنادر . وكانت المعايير التي استندوا إليها في ذلك

(٣٨) مستطال اللغة العربية ١٣ - ١٤ ويقول فندريس ( اللغة ٢٩٨ ) : « فالرغبي أو الياباني الذي  
يولد في فرنسا ، في ظروف واحدة مع الأطفال الفرنسيين ، يتكلم الفرنسية كأحد أبنائها وهذه الحقيقة  
تكفي لجعل كل محاولة لتعليل التوحد بين اللغة والجنس ، عيباً لا طائل وراءه » .

(٣٩) مقدمة ابن خلدون ٦٤٨

(٤٠) انظر : الزهر للنسوطي ١٥٠١

غامضة ، فكثيرا ما تقابلنا في المعاجم عبارات مثل : « وهي اللغة العليا » بلا علة واضحة لهذا الحكم !

وعندما بدأ قدامى اللغويين العرب ، في تدوين اللغة ، مع غموض معاييرهم ، وجدناهم يقسمون تلك اللغة إلى أقسام : القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر ، ونثر العرب .

أما القرآن الكريم ؛ فقالوا : إن كل رواياته فصيحة ، حتى الشاذ منها ، ولو أنه لا يقاس عليها ، فهذا هو ابن جني يقول : « غرضنا أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذا ، وأنه ضارب في صحة الرواية بحجانه ، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه »<sup>(٤١)</sup> . كما يقول البغدادي : « كلامه - عز اسمه - أفصح كلام وأبلغه ، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه »<sup>(٤٢)</sup> . ويقول القراء : « والكتاب أعرب وأقوى في الحججة من الشعر »<sup>(٤٣)</sup> .

وأما الحديث ؛ فيرفضون الأخذ به في الاستشهاد على مسائل النحو ، محتجين بأنه قد سمحت الرواية فيه ، بمعناه لا بلفظه ، كما أن بعض رواته كانوا من المولدين .

وهذه حجة واهية بالطبع ، فإن رواة الأحاديث كانوا يعيشون ، في حيز عصور الاحتجاج - وحتى لو سلمنا جدلا ، بأنهم رووا الأحاديث بالمعنى ، وصاغوها بعباراتهم ، فإنهم ممن يحتاج بلغتهم .

ولعل السبب الحقيقي في بعد النحويين الأوائل ، عن الاستشهاد بالحديث ، إشارتهم الابتعاد عن سوط نزل فيه الأقدام ، بعد شيوع الوضع في الحديث ، في العصور الإسلامية الأولى ، وكثرة اتهام بعض الناس لبعض ، بهذا الوضع .

(٤١) المحب ، الأثر ج١/ ٣٤١

(٤٢) حجة الأئمة ٤/ ١ ونظر الأندلس ، السبعم ١٥

(٤٣) معاني القرآن ، للقرطبي ١٤/ ١

وليس معنى هذا ، أن المؤلفات النحوية الأولى ، تخلو من ذكر الحديث تماماً ، فعند سيبويه<sup>(١٢١)</sup> ، والفراء<sup>(١٢٢)</sup> ، وأبي علي الفارسي<sup>(١٢٣)</sup> ، مثلاً ، بعض الأحاديث . غير أن أول من أكثر من الاستشهاد<sup>(١٢٤)</sup> بالحديث ، كان هو النحوي الأندلسي : ابن خروف ( المتوفى سنة ٦٠٩ هـ ) ، وتابعه على ذلك ابن مالك ، صاحب الألفية ( المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ) .

ومن أعلام المانعين من الاستشهاد به : ابن المضائق ( المتوفى سنة ٦٨٠ هـ ) ، وأبو حيان ( المتوفى سنة ٧٥٤ هـ )<sup>(١٢٥)</sup> . أما ابن مالك ، فقد أخذ مثلاً قول الرسول ﷺ : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار » شاهداً على لغة : « أكلوني البراغيث » ، وهي اللغة التي تلحق الفعل ضمير تنية أو جمع ، إذا كان الفاعل مثنى أو مجموعاً . وقد عرفت هذه اللغة بذلك الاسم ؛ لأن سيبويه أول من مثل لها في كتابه ، فاختار هذا المثال ، فقال : « في قول من قال : أكلوني البراغيث »<sup>(١٢٦)</sup> ، كما قال : « ومن قال : أكلوني البراغيث ، قلت على حد قوله : مررت برجل أعورين أبواه »<sup>(١٢٧)</sup> ، وإن كان قد ضرب لهذه الظاهرة أمثلة أخرى في كتابه ، فقال : « واعلم أن من العرب من يقول : ضريبوني قومك ، وضريباني أخواك ، فشبهوا

(١٢١) انظر : مذهب شواهد سيبويه ، للنجاح ٥٧ - ٥٨ ، وهما من كتاب سيبويه ، لعبد السلام هارون ٣٢١/٥ والشيخ عيسى ٧٥٢  
(١٢٢) انظر : أبو بكر الفراء ٢٤٤  
(١٢٣) انظر : أبو علي الفارسي ٢٤٥  
(١٢٤) ذكر ذلك ابن المضائق في شرح أعماله - فقال : « وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً »  
(١٢٥) حواشي الأدب ٥٨١ ، وعلى ذلك ، ليس ابن خروف أول من استشهد بالحديث - كما ذكر بهار فاك  
(١٢٦) العربية ٢٣٤ ، ابن مالك أكثر من الاستشهاد به  
(١٢٧) حواشي الأدب - للفراري ٩١٦ بالفتح - للسيوطي ١٧ - ١٨  
(١٢٨) كتاب سيبويه ١ - ٢٤١ - ٢٤٢  
(١٢٩) كتاب سيبويه ١ - ٢٤٢ - ٢٤٣

هذه بالثناء ،  
ليجمع علامة

وقد  
حكاه البصر  
أرد شوية - وا  
لغة : « أكلوني  
أمثلة في اللهجات  
والحديث الشري

فمما  
الدين ظلموا  
جاء في الحديث  
وقوله : « ما أت  
عنرو من ملق  
الفتيا

وقول أحيحة  
بلوموس

(١٢٠) كتاب  
(١٢١) انظر  
(١٢٢) كتاب  
(١٢٣) كتاب  
(١٢٤) كتاب  
(١٢٥) كتاب  
(١٢٦) كتاب

هذه بالناء - التي يظهر فيها في - قالت فلاة . فكانهم أرادوا أن جعلوا  
للجمع علامة ، كما جعلوا الموت ، وهي قليلة <sup>(١٥١)</sup> .

وقد حكيت هذه اللغة عن قبيلة « بلحارث بن كعب » . كما  
حكاهم البصريون عن قبيلة طيء . وبعض النحويين يحكونها عن قبيلة  
أزد شينة . والأصل في اللغات السامية ، أن يعامل الفعل فيها معاملة في  
لغة : « أكلوني البراغيث » <sup>(١٥٢)</sup> . وقد بقي من هذا الأصل في العربية ،  
أمثلة في اللهجات المختلفة ، كما توجد منه بعض الأمثلة ، في القرآن الكريم ،  
والحديث الشريف ، والأشعار .

فكما جاء منه في القرآن الكريم ، قوله تعالى : « وأسروا النجوى  
الذين ظلموا » <sup>(١٥٣)</sup> . وقوله تعالى : « ثم غموا وصموا كثير منهم » <sup>(١٥٤)</sup> . ومما  
جاء في الحديث الشريف ، قوله ﷺ : « يغترلن الخضر المصلى »  
وقوله : « ما أغترنا قديما عند في سبيل الله » . ومما جاء في الشعر ، قول  
عمرو بن ملقط الطائي الجاهلي :

أُفَيْتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ الْقَفَا

أُولَى فَأُولَى لَكَ ذَا وَاقِفُهُ <sup>(١٥٥)</sup>

وقول أحيحة بن الخلاح :

يَلُومُونِي فِي امْتِرَاءِ التَّخِيلِ (م)

أَهْلِي فَكُنْهُمْ يَغْدُلُ <sup>(١٥٦)</sup>

(١٥١) كتاب سيبويه ٢ : ٦٣٦ .

(١٥٢) انظر : المعجم من لغات السامية ٧ : ٧٩ ، ١٢١ .

(١٥٣) سورة النساء ٢١ : ٢١ .

(١٥٤) سورة مائدة ٢ : ٧٧ .

(١٥٥) شرح شواهد المعنى ١١٣ .

(١٥٦) شرح شواهد المعنى ٢٦٥ .



وقيل محمول على  
ولو أخذوا في الإنس والجن كُتُبه  
الحكي يتبعون أله أحيث له حيث

وقيل ابن قيس الرقيات :  
نولى قتال المارقين بنفسه  
وقد أسلمناه فبعث وخيم

وهذه الظاهرة هي الشائعة في كلامنا ، في اللهجات العربية  
الحديثة ، كقولنا مثلاً : « ظلموني الناس » . وقد جعل الحريري ذلك  
من لحن العامة<sup>(١٦٦)</sup> . ورد عليه الشهاب الحفاحي ، فقال : « وليس الأمر  
كما ذكره ، فإن هذه لغة قوم من العرب ، يجعلون الألف والواو حرفي علامة  
للمشية والجمع ، والاسم الظاهر قاعلاً ، وتعرف بين النحاة ، بلغة أكلوني  
البراغيث ، لأنه مثاها الذي اشتهر به ، وهي لغة طيء ، كما قال  
الرحمضري ، وقد وقع منها في الآيات والأحاديث ، وكلام الفصحاء ،  
ما لا يحصى »<sup>(١٦٧)</sup> .

وكما عني ابن مالك بالاستشهاد بالحديث ، فقد عني به كذلك  
الإمام الرضي ، وزاد عليه الاحتجاج بكلام أهل البيت ، رضى الله  
عنهم<sup>(١٦٨)</sup> .

ومن علماء العصور المتأخرة ، أمثال « الإمام الشاطبي » ( المتوفى  
سنة ٧٩٠ هـ ) من قسم الأحاديث إلى قسمين : قسم يظن أنه العناية قد  
وُحِيت إلى الفاظه لغرض خاص ، كالأحاديث التي قصد بها بيان فصاحته

(١٦٧) ديوان محمد بن قيس ١٠٥٨ من ٧٥

(١٦٨) ديوان ابن قيس الرقيات ٣٥٥ من ١٩٦ مروج الذهب للمسعودي ٢٦٦

(١٦٩) نعت ابن الجوزي في أئمة الخوارج ٦٥

(١٧٠) نعت ابن الجوزي في أئمة الخوارج - الشهاب الحفاحي ١٥٢

(١٧١) حجة الأب ١٢



تأليفه . ككتابه فمدال . وكتابه لوائيل بن حُجر . والأمثال السوية . فهذا  
يصح الاستشهاد به في العربية . وقسم يظن أن العناية وأجهت فيه  
إلى المعنى ، وقد رأى الشاطبي أنه لا يصح الاستشهاد به مطلقاً .  
هذا بالنسبة للقرآن والحديث . أما بالنسبة للشعر . فقد قسم  
المعريون الشعراء ، إلى أربع طبقات :-

- ١ - طبقة الجاهليين : كزهير ، وطرفة ، وعمرو بن كلثوم .
- ٢ - طبقة المخضرمين : وهم الذين شهدوا الجاهلية وصدر  
الإسلام ، كالخنساء ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن زهير .
- ٣ - طبقة الإسلاميين : كجرير ، والفرزدق ، والأخطل .
- ٤ - طبقة المولدين ، أو المحدثين : وهم يبدعون في العصر  
العباسي ، ببشار بن برد ، وأبي نواس .

وقد أجمع علماء اللغة ، على أن شعراء الطبقتين الأوليين ، ينجح  
شعرهم ، بغير نزاع . أما الطبقة الثالثة ، فمعظم اللغويين يرون صحة الأخذ  
بشعر هذه الطبقة ، غير أن بعضهم كان يأبى الاحتجاج به ، وأما الطبقة  
الرابعة ، فقد رفض اللغويون الاحتجاج بشيء من شعرها ، فيما عدا  
الرمحشري الذي أجاز ذلك .

يقول البغدادى : « فالطبقتان الأوليان ، يستشهد بشعرهما إجماعاً .  
وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها . وقد كان أبو عمرو بن  
العلاء ، وعبد الله بن أبي إسحاق ، والحسن البصري ، وعبد الله بن  
شبرمة ، يلقنون الفرزدق والكميت ودا الرمة وأضرابهم ... في عدة أبيات ،  
أخذت عليهم ظاهراً ، وكانوا يعدونها من المولدين ؛ لأنهم كانوا  
في عصرهم ، والمعاصرة حجاب » (١٣١) .

(١٣١) انظر حواشي الألب ٦٨١

(١٣٢) حواشي الألب ٦٧

وقال ابن رشيح : « كل قديم من الشعراء ، فهو محدث في زمانه ،  
بالإضافة إلى من كان قبله . وكان أبو عمرو يقول : لقد أحسن هذا المولّد ،  
حتى لقد هممت أن أمر صبيانا برواية شعره - يعني بذلك شعر جرير  
والفرزدق - فجعله مؤلّداً ، بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمختصرين ، وكان  
لا يعدّ الشعر إلا ما كان للمتقدمين . قال الأصمعي : جلست إليه عشر  
حجج ، فما سمعته يخرج بيت إسلامي » (٦٤) .

كما يقول ابن قتيبة : « كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم ،  
يعُدّون محدثين . وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثّر هذا المحدث  
وحسن ، حتى لقد هممت بروايته » (٦٥) .

وكان تلميذه الأصمعي ، لا يوثق كثيراً من شعراء هذه الطبقة ،  
كالكميت ، والطرماح ، (٦٦) وإن روى عن أستاذه أبي عمرو بن العلاء ، أن  
عمر بن أبي ربيعة حجة ، قال : « سمعت أبا عمرو بن العلاء ، يخرج في  
السحر بشعره ، ويقول : هو حجة » (٦٧) .

وأما الطبقة الرابعة ، فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً ،  
وقيل : يستشهد بكلام من يوثق به منهم ، واختاره الرخشي ، فاستشهد  
في تفسير أوائل سورة البقرة ، في « الكشف » بيت من شعر أبي تمام ،  
وقال : « وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة ، فهو من علماء  
العربية ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل  
عليه بيت الحماسة ، فيقنعون بذلك ، لوثوقهم بروايته وإتقانه » (٦٨) .

واعترض عليه (٦٩) ، بأن قبول الرواية مبنى على الضبط والوثوق ،

(٦٤) انظر المقدمة لابن رشيح ٢٦/١

(٦٥) الشعر والشعراء ٣٠١

(٦٦) فعلت وفعلت ، أدب حاتم ١٥٧ : ١٧٢ وقوله الشعراء ٣٤

(٦٧) مقالة الشعراء ٣٢

(٦٨) الكشف ٢٦/١ في عصر قبله على أنه وإن أقلم عليهم قاموا . وانظر الاقتراح ٢٦ ٢٧

(٦٩) جاشيه الشعر في المرحاض على الكشف ٢٢٢/١

واعتبار القول مبنى على معرفة أوضاع اللغة العربية ، والإحاطة بقوانينها .  
ومن الجب أن إتقان الرواية ، لا يستلزم إتقان الدراية .

وأجمع العلماء على أن « أول الشعراء المحدثين بشار بن برد » . ونقل  
ثعلب عن الأصمعي قال : حتم الشعر بإبراهيم بن هرمة ، وهو آخر  
الحجج (١٧١) .

ويبين لنا من ذلك ، أنهم لم يقسموا الشعر على أساس القبائل ،  
بل ارتضوا كل ما نظم من شعر ، في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية .

ولكنهم حين تعرضوا للنثر ، رأبناهم يسلكون مسلكا مخالفا  
لذلك ، فهم يختلفون في القصص منه ، وغير القصص ، ويضعون قوائم  
بأسماء القبائل ، التي يصح أخذ النثر عنها ؛ ففي القرن الرابع الهجري ، نجد  
أبا نصر الفارابي ( المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ) يضع قائمة بأسماء قبائل معينة .  
وقد جاء بعده من هذا جنوده ، أو نقل عنه ، حتى جاء ابن خلدون ، الذي  
سار على هديه في ذلك .

يقول « الفارابي » ، في أول كتابه ، المسمى : الألفاظ  
والحروف (١٧١) : « كانت قريش أجود العرب انتقادا للأقاصح من الألفاظ ،  
وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعا وإيالة عما في النفس .  
والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعنه أخذ اللسان العربي ،

(١٧١) الأقوال ٢٧ ونظر شرح تواتر السبعة ٢٥/٥

(١٧٢) عن الأقوال ١٩ والمعر ٣١١ والنسب أنشد جنداء في كتاب ( الحروف ) لأبي نصر الفارابي  
الذي نشره محمد مهدي في بيروت سنة ١٩٢٩ . يقول الفارابي : « وهم يتحدثون عن العصور العرب »  
١٩٢٧ : « وكان الذي تولى ذلك من بين أمصارهم ، أهل الكوفة والبصرة ، من أرض العراق ، فتلهم أجنهم  
والقصص منها ، من سكان العراق منهم ، ومن أهل الحضر ، ثم من سكان البراري من كان في توسط بلادهم ،  
ومن أشدهم نجسا بحداد ، وأبعدهم إدعايا والقيود ، وهم : فليس ، وبنو ، وأسد ، وبنو ، ثم هذيل ، فإن  
هؤلاء هم معظم من نقل عنه سكان العرب ، والشاهدين قسم يؤخذ عنهم شيء ، لأهم كانوا في أطراف بلادهم ،  
فخالطوا لغزهم من الأمم . مطبوعين على سبعة أقياد تسبهم ، لأنهم سادوا الأمم المطبوعة بهم ، من الحبشة  
وأعداء العرب ، والبربر ، وأهل الشام ، وأهل مصر . »

يث في زمانه ،  
من هذا المولد ،  
فك شعر حمير  
صرومين ، وكان  
س إلى عشر

قل وأمنهم ،  
ر هذا المحدث

هذه الطبقة ،  
بين العلماء ، أن  
لاء ، يخرج في

مها مطلقا ،  
فاستشهد  
شعر أي تمام ،  
فهو من علماء  
لغاه : الدليل  
له (١٧٣)

بسط والوثوق ،

من بين قبائل العرب هم : قيس ، وتميم ، وأسد ؛ فإنه هؤلاء هم الذين عنهم  
أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في العريب . وفي الإعراب  
والتصريف . ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين . ولم يؤخذ  
عن غيرهم من سائر قبائلهم .

« وبالجملة ، فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان  
البراري ، ممن يسكن أطراف بلادهم ، التي تجاور سائر الأمم الذين  
حولهم ؛ فإنه لم يؤخذ لا من لحم ولا من جذام ؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل  
مصر والقيط ، ولا من قضاة ، ولا من عسان ، ولا من إياد ؛ فإنهم كانوا  
مجاورين لأهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرعون في صلاتهم بغير العربية ،  
ولا من تغلب ولا اتمر ؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ، ولا من بكر ؛  
لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس ، ولا من عبد القيس ؛ لأنهم كانوا سكان  
البحرين ، محالطين للمهند والفرس ، ولا من أزد عَمَان ؛ لمخالطتهم للمهند  
والفرس ، ولا من أهل اليمن أصلاً ؛ لمخالطتهم للمهند والحيشة ، ولولادة الحيشة  
فيهم ، ولا من بني حنيفة وسكان التمامة ، ولا من ثقيف وسكان الطائف ؛  
لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز ؛ لأن الذين  
نقلوا اللغة ، صادفهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب ، قد خالطوا غيرهم  
من الأمم ، وفسدت ألسنتهم . والذي نقل اللغة واللسان العري عن هؤلاء ،  
وأثبتها في كتاب ، وصيرها علماً وصناعة ، هم أهل الكوفة والبصرة فقط ،  
من بين أمصار العرب » .

كما يقول « ابن خلدون » في مقدمة كتابه : « العبر وديوان المبتدأ  
والخير » ، تحت فصل عنوانه : ( فصل في أن اللغة ملكة صناعية ) :  
« ولهذا كانت لغة قريش ، أفصح اللغات وأصححها ؛ لبعدهم عن بلاد  
العجم من جميع جهاتهم ، ثم من اكتشفهم من ثقيف ، وهذيل ، وخزاعة ،  
وبني كنانة ، وغطفان ، وبني أسد ، وبني تميم . وأما من بعد عنهم ،  
من ربيعة ، ولحم ، وجذام ، وعسان ، وإياد ، وقضاة ، وعرب اليمن

المخافين لأثم القريش والروم والخبيثة ، ولم تكن لغتهم تامة الملكة فمما أخذ  
الأعاجم ، وعلى نسبة بعدهم من قريش . كان الاحتجاج بلغاتهم في الفصحى  
والفساد ، عند أهل الصنعة العربية <sup>(١٧٦)</sup> .

وأما حين نستعرض كل ذلك ، نستطيع أن نرى فيه أساسين :  
أو عاملين ، كانا في ذهن أصحاب هذه الروايات :

**الأول :** كلما قويت القبيلة من بيعة قريش ، كانت أقرب  
إلى الفصحى ، وإلى الأخذ بكلامها .

**الثاني :** على قدر توغل القبيلة في البدوة ، تكون فصاحتها .

وعلى هذا الأساس ، نجد ابن حنبل ( المتوفى سنة ٢٤٢ هـ ) يضع  
فصلاً في كتابه : « الخصائص » بعنوان : « باب في ترك الأخذ عن أهل  
المدر » كما أخذ عن أهل الوبر <sup>(١٧٧)</sup> . والمدر والوبر ، تقابلان : الحضر  
والبدو ؛ لأن المدر جمع مذرة ، وهي : القرية . وهذا يعني أن العلماء أخذوا  
يقسمون اللغة ، إلى لغة حضرية ، وأخرى بدوية ، ويعتنون بالثانية ،  
ويحتكمون إلى أهلها .

ومما يصدق هذا ، ما رواه السرياق من قوله : « حدثنا أبو بكر بن  
دريد ، قال : رأيت رجلاً في الوراقين بالبصرة ، يفضل كتاب ( المنطق )  
ليعقوب بن السكيت ، ويقدم الكوفيين ؛ فقليل للمرياني ، وكان قاعداً  
في الوراقين ، ما قال ؛ فقال : إنما أخذنا اللغة عن حرشة الضباب ، وأكلة  
اليرابيع ، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد ، أصحاب الكواميتج ، وأكلة  
الشوايز ، أو كلام يشبه هذا <sup>(١٧٨)</sup> .

ويروي السيوطي عن الأندلسي في شرح المفصل : أن « الكوفيين

(١٧٦) مقدمة ابن خلدون : ٦٤٩

(١٧٧) انظر الخصائص ٢

(١٧٨) أخبار سنجين : ٨٥ مقلد عبد بن كديم في فهرست ٩٦ و٩٧ . انظر : ١٥

لو سمعوا بشأ واحد ، فيه حوار حتى ، مخالف للأصول ، جعلوه أصلاً ،  
 وبثوا عليه ، بخلاف البصريين ، كما يروى عنه كذلك أنه قال : « ومن  
 افتخر به البصريون على الكوفيين ، أنه قالوا : نحن تأخذ اللغة ، عن حريشة  
 الضباب ، وأكلة الترابيع ، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواير ، والله  
 الكواصم » (١٧٤) .

ومن العجيب أن هؤلاء البدو ، لم يكونوا في ثقافة هؤلاء العلماء ،  
 الذين يأخذون اللغة عنهم ، ولكن هؤلاء كانوا يعتقدون أن اللغة تنبئ  
 في دمائهم ، ويجهلون أن اللغة أمر مكتسب ، يمكن أن يتقنها غير أهلها ،  
 إذا مارسوها طويلاً منذ المولد .

يقول بولدركه : « ويصلح كل بدو الحزيرة العربية ، باستثناء الأماني  
 المتطرفة منها ، لأن يُعَدُّوا أصحاب هذه اللغة العربية الصافية ، حتى بعد  
 محمد عليه الصلاة والسلام ، بمائتي عام . وإن أعلم علماء النحو ، ليحعل  
 من أول شخص قادم من البادية بإبله ، ذلك البدوي الذي لم يتعلم ، والذي  
 لا يحفظ عشرين آية كاملة من القرآن الكريم ، ولا يعرف شيئاً عن مفاهيم  
 النحو النظرية - ذلك البدوي ، يجعل منه النحاة حكماً فاصلاً ، في هل  
 يجوز أن يقال كذا أو كذا في العربية » (١٧٦) .

وأعجب من هذا ، أن هؤلاء اللغويين ، خلطوا في جمعهم للنثر ،  
 بين اللغة العربية الفصحى واللهجات ، خلطاً عجيباً . ويقول « أبو حاتم  
 السجستاني » عن « الكسائي » رأس مدرسة الكوفة في النحو واللغة :  
 « وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل ، إلا حكايات عن الأعراب مطروحة ؛  
 لأنه كان يلقنهم ما يريد » (١٧٧) . كما يقول أبو زيد الأنصاري : « قدم علينا  
 الكسائي البصرة ، فلقى عيسى والحليل وغيرهما ، وأخذ منهم نحواً كثيراً ، ثم

(١٧٤) الأقراء ٨٤

(١٧٦) اللغات السامية ٧٦

(١٧٧) مرآة النعمان ٧٥ يجمعهم الأدباء ١٢٣/١٢٤

صار إلى بغداد ، فلقى أعراب الخطمة ، فأخذ عنهم الفساد من الخطأ  
واللحن ، فأفسد بذلك ما كان أخذه بالصحة كنه <sup>(١٧٩)</sup> . وقال ابن  
درستويه : « كان الكسائي يسمع الشاذ ، الذي لا يجوز إلا في الضرورة ،  
فيجعل له أصلاً ، فيقيس عليه ، ويختلط بأعراب الأئمة ، فأفسد بذلك  
السحو » <sup>(١٨٠)</sup> .

ومعلوم أن هذه الآراء كلها ، هي آراء البصريين ، الذين يختلفون  
عن الكوفيين في منهج البحث ، والمقياس الذي يوضع أساساً للأخذ عن  
العرب ؛ فقد اختار البصريون قبائل معينة ، للأخذ عنها ، وتركوا ما عداها ،  
محتجين بفساد لغتها ، وكانوا يسمون لغات هذه القبائل ، باللغات الشاذة  
التي لا يعمل بها . أما الكوفيون ، فإنهم كانوا يؤثقون كل العرب  
على السواء ، ويعتدون كل ما جاء عنهم حجة ، فيعتدون بأقوالهم ،  
ويؤسسون عليها نحوهم وقواعدهم .

والواقع أن كلا الفريقين مخطيء في نظريته هذه ، إذا كان الهدف هو  
وضع قواعد للغة الفصحى ، أو بعبارة أخرى : للغة الأدبية المشتركة بين  
العرب جميعاً ؛ فلم يكن الفرق بين اللغة المشتركة واللهجات ، واضحاً  
في أذهان اللغويين ، في هذه الحقبة من التاريخ ، وضوحاً تاماً ؛ ولذلك  
سعى البصريون للأخذ عن قبائل معينة ، وهدفهم هو الوصول إلى تعميم  
اللغة الأدبية المشتركة ، غير أنهم لم يفرقوا فيما أخذوه عن هذه القبائل ، بين  
تلك اللغة المشتركة ، ولهجات الخطاط ، ومن هنا جاء الخلط  
والاضطراب ، ورأيانهم يؤولون كل مثال شاذ عن قواعدهم . ولم يكن  
الكوفيون أقل منهم حظاً في الاضطراب والخلط ؛ لأنهم أخذوا اللغة عن كل  
العرب ، ولم يفرقوا كذلك بين اللغة المشتركة ، ولهجات الخطاط

\*\*\*

(١٧٩) معجم الألفاظ ١٣ : ١٨٢ . وإيضاح الرواة ٢ : ٢٧٢ .

(١٨٠) نعت المولد ٢ : ٢٦٥ .



## الفصل الثاني لولا القرآن ما كانت عربية

نشأت الدراسات العربية بفروعها المختلفة ، متعلقة بالقرآن الكريم ، كتاب الله العزيز ، فكان القرآن هو المحور ، الذي دارت حوله تلك الدراسات المختلفة ، سواء منها تلك الدراسات ، التي تتعلق تعلقا مباشرا بتفسير القرآن ، وتوضيح آياته ، وتبيين معناه ، واستنباط أحكام الشريعة منه ، أو تلك التي تخدم هذه الأغراض جميعها ، بالبحث في دلالة اللفظ ، واشتقاق الصيغ ، وتركيب الجمل ، والأسلوب والصور الكلامية ، واختلافها باختلاف المقام ، حتى تلك الدراسات التي تتعلق بالرسم الإملائي ، والفلك ، والرياضة ، واستكناه أسرار الطبيعة . كل هذه الدراسات قامت أساسا ، لخدمة الدين الإسلامي ، ولغرض فهم القرآن الكريم ، مصدر التشريع الإسلامي ، ودستور المسلمين .

فقد « اتصل الدين باللغة ، اتصالا وثيقا في العصور الإسلامية كلها ، وكان الباعث على اهتمام علماء اللغة ، بجمع الشواهد اللغوية ، وتقعيد اللغة ، باعنا دينيا ، هو ضبط نصوص القرآن الكريم ، وتعليم الطلاب لغة القرآن ، وجرت مناهج التعليم منذ أقدم العصور الإسلامية ، على المزج بين المعارف الدينية واللغوية ، في الكتابات والمساجد والمجتمعات ، ثم في المدارس المنظمة فيما بعد . ومن ثم كان اللغوي غالبا رجلا دينيا ، ولا ترى عالما من علماء اللغة القدامى ، إلا كان مقربا ، أو مفسرا ، أو محدثا ، أو متكلميا ، أو فقيها » (١) .

(١) المدخل إلى دراسة النحو العربي ١٤٠



ولقد كان هذا الأمر واضحاً ، في نظر كثير من المستشرقين ؛ ففى رأى تولدكه مثلاً « أن العربية ، لم تصدر لغة عالمية حقاً ، إلا بسبب القرآن والإسلام ؛ إذ تحت قيادة قريش ، فتح البدو سكان الصحراء ، نصف العالم لهم والإيمان ؛ وبهذا صارت العربية لغة مقدسة كذلك » (١٢) ، فأجهد العلماء أنفسهم في دراستها ، واستكناه أسرارها ؛ ليقفوا على مواطن الإعجاز في كتاب الله العزيز .

وقد عرفنا من قبل أن القرآن الكريم ، نزل بلغة فصحي ، تعلو عن مستوى العامة من العرب ؛ ولذلك أخذ الناس في الصدر الأول للإسلام ، يسألون كبار الصحابة ، عن تفسير آياته ، وغريب ألفاظه ، وتحدثنا الروايات الإسلامية ، بأن الصحابي المشهور « عبد الله بن عباس » ، كان يُسأل عن معنى ألفاظ معينة من القرآن الكريم ، فيفسرها للناس ، ويستشهد على تفسيرها بأبيات من الشعر العربي .

وقد جمعت هذه الأسئلة وإجاباتها ، في كتاب مستقل ، باسم : « سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس » ، نشره الدكتور إبراهيم السامرائي ، ببغداد سنة ١٩٦٨ م ، كما ذكرها السيوطي ، في النوع السادس والثلاثين ، من كتابه : « الإتقان في علوم القرآن » (١٣) .

وببدأ الكتاب بالعبارات التالية : « بينا عبد الله بن عباس ، جالس بفناء الكعبة ، قد أسدل رجله في حوض زمزم ؛ إذ الناس قد اكتنفوه من كل ناحية ، يسألونه عن تفسير القرآن ، وعن الحلال والحرام ، وإذا هو لا يتعاضى بشيء يسألونه عنه ، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا إلى هذا الذي يجترى على تفسير القرآن ، والفتيا بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا ... نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله عز وجل ، فتفسره

(١٢) اللغة السامية ٧٩

(١٣) انظر بعضها في الكمل للمد ٢٢٤:٣ ٢٢٨ ، وإيضاح الوقت والثناء ، في الأسارى

القرآن الكريم ،  
ت حوله تلك  
تعلقا مباشرا  
أحكام الشريعة  
دلالة اللفظ ،  
الكلامية ،  
تعلق بالرسم  
كل هذه  
فهم القرآن

صور الإسلامية  
شواهد اللغوية ،  
الكريم ، وتعليم  
صور الإسلامية ،  
كتاب والمساجد  
كان اللغوي غالبا  
إلا كان مقرئا ،

لنا ، وتأتينا بمصادقه من كلام العرب ؛ فإن الله عز وجل ، إنما أنزل القرآن  
بلسان عربي مبين . قال ابن عباس : سلا في عما بدا لكما ، نجد علمه  
عندي حاضرا ، إن شاء الله تعالى . فقالا : يا ابن عباس ، أخبرنا عن قول  
الله عز وجل : ( عن العمين وعن الشمال عزيزين ) ! قال : عزيز : حلق  
الرفاق . قالوا : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبید بن  
الأبرص ، وهو يقول :

فجاءوا يُهرغون إليه حتى

يكونوا حول منيره عزينا ؟

قال نافع : يا ابن عباس ، أخبرني عن قول الله عز وجل : ( وابتغوا  
إليه الوسيلة ) ! قال : الوسيلة : الحاجة . قال : أو تعرف العرب ذلك ؟  
قال : نعم ، أما سمعت عنترة العسبي ، وهو يقول :

إن الرجال لهم إليك وسيلة

إن يأخذوك تكحلي وتخصمي ؟

وهكذا يمضي نافع يسأل ، وابن عباس يفسر ، ويستشهد  
على تفسيره ببيت من الشعر ، على النحو الذي أسلفنا ، في حوالى مائتين  
ومخمسين موضعا من القرآن الكريم .

وبذلك يمكننا أن نعد تفسير ابن عباس للقرآن ، على هذا النحو ،  
نواة للمعاجم العربية ؛ فقد بدأت الدراسة في هذا الميدان ، من ميادين  
اللغة ، بالبحث عن معاني الألفاظ العربية في القرآن الكريم ؛ ولذلك نجد  
التأليف الأولي في المعاجم ، كانت تحمل اسم : « غريب القرآن » . وأقدم  
مؤلف يحمل هذا الاسم ، هو لأبي سعيد أبيان بن تغلب بن وباح البكري  
( المتوفى سنة ١٤١ هـ ) ؛ يقول عنه ياقوت : « وصنف كتاب الغريب  
في القرآن الكريم ، وذكر شواهد من الشعر » (١) .

وقد شعر العلماء ، منذ الصدر الأول للإسلام ، بحاجة إلى الشعر العربي ، للاستعانة به ، في فتح مغاليق الألفاظ ، والأساليب الغريبة الموجودة في القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، فأكبوا عليه يروونه ، ويحفظونه ، ويدرسون أساليبه ومعانيه ، وما يدور فيه من ذكر لأيام العرب ووقائعهم . ولولا هذا الباعث الديني ، لاندثر الشعر الجاهلي ، ولم يصل إلينا منه شيء .

وهذا أبو حاتم الرازي يقول ، مصداقا لذلك : « ولولا ما بالناس من الحاجة إلى معرفة لغة العرب ، والاستعانة بالشعر على العلم بغريب القرآن ، وأحاديث رسول الله ﷺ ، والصحابة والتابعين ، والأئمة الماضين ، لبطل الشعر ، وانقرض ذكر الشعراء ، ولغفى الدهر على آثارهم ، ونسى الناس أيامهم »<sup>(٥)</sup> .

ويقول ابن عباس : « الشعر ديوان العرب ، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن ، الذي أنزله الله بلسان العرب ، رجعنا إلى ديوانها ، فالتمسنا معرفة ذلك منه »<sup>(٦)</sup> ، كما يقول : « إذا سألتقوى عن غريب القرآن ، فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب »<sup>(٧)</sup> ، ويقول كذلك : « إذا قرأتم شيئا ، فلم تدروا ما تفسيره ، فالتمسوه في الشعر ، فإنه ديوان العرب »<sup>(٨)</sup> ، ويقول أيضا : « إذا أشكل عليكم الشيء من القرآن ، فارجعوا فيه إلى الشعر ، فإنه ديوان العرب »<sup>(٩)</sup> .

وهكذا نرى أن دراسة القرآن الكريم ، كانت من دواعي الاهتمام بالشعر ، كما كانت أحد الأسباب التي أسهمت في نشأة المعاجم العربية .

(٥) التيجان ، الجزء الثاني ، ص ١١١ .

(٦) إيضاح الشعر ، ص ١١١ ، وفي الأثر الثاني ، ص ١١١ ، في التيسير ، ص ١١١ .

(٧) التيجان ، التيسير ، ص ١١١ .

(٨) التيجان ، التيسير ، ص ١١١ .

(٩) التيجان ، التيسير ، ص ١١١ .

، إنما أنزل القرآن ،  
ما ، تحدا علمه  
أخبرنا عن قول  
: عزيز : خلق  
لمتعت عبيد بن

عزينا ؟  
وجل : ( وابتغوا  
العرب ذلك ؟

وتخصي ؟  
، ويستشهد  
في حوالى مائتين

عل هذا النحو ،  
ان ، من ميادين  
، ولذلك نجد  
القرآن ، وأقدم  
من رباح البكري  
كتاب الغريب

أما إذا نظرنا إلى النحو العرفي ، فإننا نجد أن الغيرة على القرآن الكريم ، وضوءه من التحريف على ألسنة الأعاجم ، كانت السبب في وضع قواعده . ويروى لنا الأخبار أن أبا الأسود الدؤلي ، كاد أول من وضع النحو ، وأن السبب في ذلك أنه سمع قارئاً يقرأ : « أن الله بريء من المشركين ورسوله » . فكسر اللام من : « رسوله » ، فغضب بذلك ، وكان هذا حافزاً له على وضع مبادئ النحو<sup>(1)</sup> .

ويقول ابن خلدون في ذلك : « وحشى أهل العلوم منهم ، أن تفسد  
تلك الملكة رأساً ، ويطول العهد بها ، فينقل القرآن والحديث على الفهم ،  
فانستطوا من مجازى كلامهم ، قوانين لتلك الملكة مطردة ، شبه الكليات  
والقواعد ، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام » (١٣١) ، كما يقول : « فاحتجج  
إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة والتدوين ، خشية الدروس ، وما  
يشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ، فشمع كثير من أئمة اللسان  
لذلك ، وأملوا فيه الدواوين » (١٣٢) ، ويقول كذلك : « وإنما وقعت العناية  
بلسان مصر ، لما قصد تمخايطهم الأعاجم ، حين استولوا على ممالك العراق  
والشام ومصر والمغرب ، وصارت ملكته على غير الصورة التي كانت أولاً ،  
فانقلب لغة أخرى ، وكان القرآن متزلاً به ، والحديث النبوى منقولاً بلغته ،  
وهما أصلاً الدين والملة ، فحشى تناسيها ، وانغلاق الأفهام عنهما ، بفقدان  
اللسان الذى تنزلاً به ، فاحتجج إلى تدوين أحكامه ، ووضع مقاييسه ،  
وإسقاط قوانينه » (١٣٣) .

أما دراسة الأسلوب ، أو ما عرف عند العلماء فيما بعد ، بعلوم

(١٠) ص ٣٢ رقم ٤ - مادة الجوارح : أي القصب ٨ وحاشي الجوارح العروق الشريفة ١٢  
والمادة الحشوية من عظامه ، يضاف في المجلد ٥٦ ودرجته الأولاد ٣ وإليه المواد المنقولة

$$S^2 \subset \mathbb{R}^3, Y \subset S^2, (1)$$

729 (14) 1950, 1951, 1952, 1953, 1954, 1955, 1956, 1957, 1958, 1959, 1960, 1961, 1962, 1963, 1964, 1965, 1966, 1967, 1968, 1969, 1970, 1971, 1972, 1973, 1974, 1975, 1976, 1977, 1978, 1979, 1980, 1981, 1982, 1983, 1984, 1985, 1986, 1987, 1988, 1989, 1990, 1991, 1992, 1993, 1994, 1995, 1996, 1997, 1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630,

(۱۳)  $\frac{1}{x^2} = x^{-2}$  , دیکھیں  $\frac{d}{dx} x^{-2}$  : (۱۴)

البلاغة ، وهى علوم البيان والمعاني والبديع ، فتذكر المصادر العربية ، أن أما عبدة معمر بن المثنى ، كان من أوائل من ألف فيها ، وغايته توضيح الأساليب القرآنية ؛ يقول ياقوت : « قال أبو عبدة : أرسل إلى الفضل بن الربيع ، إلى البصرة ، في الخروج إليه ، ستة ثمان وثلاثين ومائة ، فقدمت إلى بغداد ، واستأذنت عليه ، فأذن لي فدخلت عليه ... ثم دخل رجل في رى الكتاب ، له هيئة ، فأجلسه إلى جانبي ، وقال له : أعترف هذا ؟ قال : لا . قال : هذا أبو عبدة علامة أهل البصرة ، أقدمناه لنستفيد من علمه ، فدعا له الرجل وفرطه لفعله هذا ، وقال لي : إني كنت إليك مشتاقا ، وقد سألت عن مسألة ، أفأذن لي أن أعرفك إياها ؟ فقلت : هات . قال : قال الله عز وجل : ( طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ) ، وإنما يقع الوعد والإيعاد ، بما عرف مثله ، وهذا لم يعرف ! فقلت : إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

أَيْقُنْ لِي وَالمَشْرِقِي مُضَاجِعِي

وَمَسْئُونَةُ زُرْقُ كَاتِبِ أَغْوَالِ

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم ، أوعدوا به ، فاستحسن الفضل ذلك ، واستحسنه السائل ، وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتابا في القرآن ، في مثل هذا وأشباهه ، وما يحتاج إليه من علمه ، فلما رجعت إلى البصرة ، عملت كتابا الذي سميت : المجاز (١٤) .

والرسم الإملائي لا شك قديم ، وسابق للوقت الذي أنزل فيه القرآن ، غير أن العناية بالقرآن الكريم ، وصيانه من اللحن ، هى التى دعت العلماء في الصدر الأول ، إلى البحث عن طريقة ، تعصم من يتلو القرآن الكريم ، من الوقوع في اللحن ، حين القراءة من المصحف ، بسبب خلوه من رموز الحركات . وتنسب الروايات الإسلامية ، إلى أنى الأسود الدؤلى ، أنه كان أول من فكر في وضع رموز للحركات ، يضبط بها الرسم

(١٤) معجم الأدباء ١٥٨/١٩ وانظر كذلك : نور القيس ١١٥

القرآني ، الذي كان يخلو من هذه الرموز ؛ فيروى عن المبرد أنه قال :  
 « لما وضع أبو الأسود الدؤلي النحو ، قال : ابغوا لي رجلا ، وليكن لقتنا ،  
 فطلب الرجل ، فلم يوجد إلا في عيد القيس ، فقال أبو الأسود :  
 إذا رأيته لقطت الحرف ، فضممت شفتي ، فاجعل أمام الحرف نقطة ،  
 فإذا ضممت شفتي بغنة ، فاجعل نقطتين ، فإذا رأيته قد كسرت  
 شفتي ، فاجعل أسفل الحرف نقطة ، فإذا كسرت شفتي بغنة ، فاجعل  
 نقطتين ، فإذا رأيته قد فتحت شفتي ، فاجعل على الحرف نقطة ، فإذا  
 فتحت شفتي بغنة ، فاجعل نقطتين » (١٥) .

وكانت نقط الشكل هذه ، تكتب بصيغ يخالف لون المداد ، الذي  
 كتبت به الحروف ونقطها ، فكان ذلك يشق على الكاتب ؛ إذ كان يتحتم  
 أن يكتب بقلمين ومدادين مختلفين ، حتى جاء الخليل بن أحمد ، فوضع  
 الشكل الذي يكتب به حتى الآن ؛ يقول المبرد : « الشكل الذي  
 في الكتب من عمل الخليل ، وهو مأخوذ من صور الحروف ، فالضمة واو  
 صغيرة الصورة في أعلى الحرف ؛ لثلاثا تلتبس بالواو المكتوبة ، والكسرة ياء  
 تحت الحرف ، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف » (١٦) .

ومع أن الخليل بن أحمد ، قد وضع هذا الشكل المريح ، فإن العلماء  
 غيروا زمانا طويلا ، لا يحرمون على استخدامه في ضبط النص القرآني ،  
 ويفضلون عليه النقط اتباعا للسلف ، ويسمون ضبط الخليل شكل الشعر ،  
 وكل ذلك لصيانة القرآن الكريم ، عن أن يتعاوره المتعاورون بالتعديل  
 والتغيير ؛ يقول أبو عمرو الداني : « وترك استعمال شكل الشعر ، وهو  
 الشكل الذي في الكتب ، الذي اخترعه الخليل ، في المصاحف الجامعة  
 من الأمهات وغيرها ، أولى وأحق . اقتداء بمن ابتدأ النقط من التابعين ،  
 واتباعا للأئمة السابقين » (١٧) .

(١٥) انظر في نقط المصاحف ، مدني : ١٠٠ ، ومصباح ، ص ٢٠٠ ، في الأندلس : ٢٠ .

(١٦) الخليل في ضبط المصاحف ، مدني : ٩ .

(١٧) انظر في نقط المصاحف ، مدني : ٢٠ .

الإسلامي  
 والصيام  
 الكواكب  
 فيها العرب  
 في الإسلام  
 فلا غرو  
 المسلمين

وآياته المتشابهة  
 المسلمون  
 تنطق بعقود  
 يتنظروا في  
 عيني أن

التي قام  
 لا تشرت  
 أو المسبب  
 لغة العرب  
 الشريعة  
 العهد

كل هذه العلوم وغيرها ، مما تفرغ عنها ، قام أساساً لخدمة الدين الإسلامي ، ولغرض فهم القرآن الكريم ، وإذا كان القرآن يأمر بالصلاة والصيام والحج ، وهذه العبادات لها أوقات محددة ، تحكمها مسيرة الكواكب في الفلك ، فلا بد من متابعة الأهتمامات الفلكية ، التي صيرت فيها العرب يساهم وافر في الجاهلية ، وإذا كان الميراث ، وشرعيته في الإسلام ، يقتضي معرفة بالحساب ، وإلماماً بالمسائل الرياضية المختلفة ، فلا غرو إذا وجدنا هذا العلم ، ضمن العلوم ، التي اهتم بها علماء المسلمين .

وإذا كان القرآن الكريم ، يخص المسلمين على النظر في الكون ، وآياته المتعددة ، فإن الاشتغال بالعلوم الطبيعية وما يتصل بها ، مما يريد المسلم وعقيدته ثباتاً ورسوخاً ، حين يرى في كل وقت - آيات الله الباهرة ، تنطق بعظمة الخالق وقدرته . وصدق الله تعالى ، حيث يقول : « أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ، وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَفْتَرَبَ أَجْلُهُمْ . فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ » .

وهكذا نرى أن القرآن الكريم ، كان محوراً لجميع الدراسات العربية ، التي قامت في الأساس لخدمته ، ومن بينها الدراسات اللغوية ، ولولادة لاندثرت اللغة العربية الفصحى ، وأصبحت لغة أثرية ، تشبه اللاتينية ، أو السنسكريتية . وقد صدق العلامة ابن خلدون ، حين قال : « تختلف لغة العرب لعهدنا ، مع لغة مضر ، إلا أن العناية بلسان مضر من أجل الشريعة كما قلنا ، حمل على ذلك الاستتباط والاستقرار ، وليس عندنا هذا العهد ، ما يحملنا على مثل ذلك ، ويدعونا إليه » (١٥) .

\*\*\*



## الفصل الثالث ألقاب اللهجات العربية

عرفنا فيما مضى أن اللغة العربية الفصحى ، ليست لغة قريش ، ولا لغة غيرها من القبائل العربية ، وإنما هي اختيار لا شعورى من لغة هؤلاء وهؤلاء ، حدث من احتكاك كثير من أفراد هذه القبائل ، في مواسم الحج والتجارة ، والأسواق الأدبية المختلفة ، فتتج عن هذا الاحتكاك الكبير بين القبائل ، ذلك الكيان اللغوى ، الذى عرفناه باسم اللغة الفصحى ، وهى اللغة المشتركة بين أدباء هذه القبائل جميعا ، ينظمون بها شعرهم ، ويعبرون بها عما يجيش في صدورهم في ساعات الجذل ، كمواقف الخطابة مثلا .

ومع كل هذا ، يمكننا القول بأن لهجة قريش ، تضرب في مميزات هذه اللغة الفصحى ، يسهم واقر ؛ إذ لم يَرَوْا لنا عن هذه اللهجة ، شيء يخالف ما نعرفه عن العربية الفصحى ، إلا القليل ، ومنه أنها لم تكن تهجر في كلامها . وقد اختارت الفصحى ظاهرة الهمز ، من اللهجات النجدية كللهجة تميم وغيرها .

ولذلك لا تعجب ، حين ترى بعض اللغويين العرب ، يجعل العربية الفصحى مرادفة للهجة قريش ؛ فيقول ابن فارس مثلا : « أجمع علماءنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم ، أن قريشا أفصح العرب السنة ، وأصفاهم لغة ، وذلك أن الله جل ثناؤه ، اختارهم من جميع العرب ، واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمدا ﷺ ، فجعل قريشا قُطان حرمه ، وجيران بيته الحرام وولاته ، فكانت وفود العرب ، من حجاجها وغيرهم ، يفدون إلى مكة للحج ، ويتحاضرون

إلى قريش في  
ألسنتها ، إذا  
لغاتهم ، وأص  
إلى نخائرتهم  
العرب (١)

كأبرو  
في كل عام  
العرب ، فما  
وخلت لغاتهم  
وقد  
بلقب يدور  
بعضهم ، ويج  
أو تلك .

وأغلب  
في الجاهلية  
من « جزم  
ابن ألى سفي  
« وقال معاوية  
للخاخانية الف  
قضاة ، ولا  
أنت ؟ قال :  
وتختلف

(١) لصاحبه  
(٢) الإخراج  
(٣) الجاهلية



إلى قريش في أمورهم ... وكانت قريش مع فصاحتها ، وحسن لغاتها ، ورقة ألسنتها ، إذا أتتهم الوفود من العرب ، تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم ، وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات ، إلى نخائزهم وسلائقهم ، التي طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب <sup>(١)</sup> .

كما يروى السيوطي عن الفراء أنه قال : « كانت العرب تحضر الموسم في كل عام ، وتحج البيت في الجاهلية ، وقريش يسمعون لغات جميع العرب ، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغاتهم من مستبشع اللغات ، ومستقيح الألفاظ » <sup>(٢)</sup> .

وقد درج اللغويون العرب ، على تلقيب كثير من اللهجات العربية ، بلقب يدور في مؤلفاتهم ، ويحاولون شرح تلك الألقاب ، فيغمض بعضهم ، ويختلفون فيما بينهم في عزو هذا اللقب أو ذاك ، إلى هذه القبيلة أو تلك .

وأغلب الظن ، أن العرب لم تكن تعرف هذه الألقاب للهجاتها في الجاهلية ، وأن المسئول عن تلقيب كل لهجة بلقب معين ، هو رجل من « جرم » لم تذكر المصادر اسمه ، وكان ذلك في مجلس من مجالس معاوية ابن أبي سفيان . وأقدم أخبار هذا المجلس ، يرويه الجاحظ : فيقول : « وقال معاوية يوما : من أفصح الناس ؟ فقال قائل : قوم ارتفعوا عن خللخانية القرات ، وتيامنوا عن كسكسة بكر ، ليست لهم غمغمة قضاعة ، ولا طمطممانية حمير . قال : من هم ؟ قال : قريش . قال : ممن أنت ؟ قال : من جرم . قال : اجلس » <sup>(٣)</sup> .

وتختلف المصادر بعد ذلك في رواية الخبر ، من حيث عدد القبائل

(١) الصحاح ٥٢ وبعده باختصار في المزمع ٢١٠/١

(٢) الأقربح ٨٣ والمزمع ٢٢١/١

(٣) السالك والسحر ٦١٢/٣

التي ذكرت فيه ، والألقاب التي نسبت إليها : فهذا ابن عبد ربه مثلاً ، يروى عن الأصمعي أنه قال : « قال معاوية : أي الناس أفصح ؟ فقال رجل من السباط : يا أمير المؤمنين ، قوم ارتفعوا عن رقة العراق ، وتياسروا عن كسكة بكر<sup>(١٤)</sup> ، وتيامنوا عن ششنة تغلب ، ليست لهم غمجمة قضاعة ، ولا طمطمانيه حمير . قال : من هم ؟ قال : قومك يا أمير المؤمنين قريش . قال : صدقت ، فمن أنت ؟ قال : من جرم . قال الأصمعي : وجرم فصحي العرب<sup>(١٥)</sup> . »

كما يروى الحريري عن الأصمعي « أن معاوية قال ذات يوم لجلسائه : من أفصح الناس ؟ فقام رجل من السباط ، فقال : قوم تباعدوا عن غنعة تميم ، وثلاثة براء ، وكشكشة ربيعة ، وكسكة بكر ، وليس فيهم غمجمة قضاعة ، ولا طمطمانيه حمير . فقال : من أولئك ؟ قال : قومك يا أمير المؤمنين<sup>(١٦)</sup> . »

كما يقول أبو الحجاج البكري : « ويروى أن معاوية قال يوماً : أي الناس أفصح ؟ فقام رجل من السباط ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قوم ارتفعوا عن فرائية العراق ، وتياسروا عن كسكة بكر<sup>(١٧)</sup> ، وتيامنوا عن غنعة تميم ، وليس فيهم غمجمة قضاعة ، ولا طمطمانيه حمير . قال : من هم ؟ قال : قومك فريش<sup>(١٨)</sup> . »

ومع اختلاف هذه الروايات السابقة ، في عدد القبائل والألقاب ، ونسبة هذه الألقاب إلى القبائل ، فإنها تتفق جميعاً في أن قريشاً هي القبيلة الفصحى ، وهي التي تباعدت عن الانصاف بهذه الألقاب المذكورة ، في تلك الروايات .

(١٤) في الأصل : كشكشة بكر ، ثم تصحف .

(١٥) لغة العرب : صا ، صا ، صا ، صا ، صا .

(١٦) في بعض النسخ : « يا أمير المؤمنين ، قوم ارتفعوا عن رقة العراق ، وتياسروا عن كسكة بكر<sup>(١٧)</sup> ، وتيامنوا عن غنعة تميم ، وليس فيهم غمجمة قضاعة ، ولا طمطمانيه حمير . قال : من هم ؟ قال : قومك فريش<sup>(١٨)</sup> . »

(١٧) في الأصل : كشكشة بكر ، ثم تصحف .

(١٨) في بعض النسخ : « يا أمير المؤمنين ، قوم ارتفعوا عن رقة العراق ، وتياسروا عن كسكة بكر<sup>(١٧)</sup> ، وتيامنوا عن غنعة تميم ، وليس فيهم غمجمة قضاعة ، ولا طمطمانيه حمير . قال : من هم ؟ قال : قومك فريش<sup>(١٨)</sup> . »

ولم يشد عن هذا الإجماع إلا المبرد ، الذي روى في هذا الخبر ،  
أن جرماً - قبيلة الرجل للحدث أمام معاوية - هي الفصحى ، ولم يرد  
في روايته ذكر لقريش مطلقاً ؛ فيقول : « وحدثني من لا أحصى  
من أصحابنا عن الأصمعي ، عن شعبة ، عن قتادة ، قال : قال لي معاوية  
يوماً : من أفصح الناس ؟ فقام رجل من السعاط ، فقال : قوم تباعدوا عن  
فراتية العراق ، وتيامنوا عن كشكشة تميم ، وتياسروا عن كسكسة بكر ،  
ليس فيهم غمغمة قضاعة ، ولا طمطممانية حمير . فقال له معاوية : من  
أولئك ؟ فقال : قومي يا أمير المؤمنين ، فقال له معاوية : من أنت ؟ قال :  
أنا رجل من حرم . قال الأصمعي : وجرم من فصحاء الناس <sup>(٩)</sup> . »

ولكن من يدري ؟ فلعلها رواية واحدة ، أصابها التحريف ،  
في قوله : « قومي يا أمير المؤمنين » ، بدلاً من : « قومك يا أمير  
المؤمنين » !

وقد روى ثعلب هذا الخبر ، ملخصاً إياه مما دار في مجلس  
معاوية - فيما يبدو - فقال : « ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة  
تميم ، ( وتلتله بهراء ) ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوازن ، وتضجع  
قيس ، وعجرفية ضبة <sup>(١٠)</sup> . »

ونلاحظ في كلام ثعلب زيادة في هذه الألقاب ، وخلافاً في نسبة  
بعضها إلى القبائل ، كما حدث في الروايات السابقة تماماً ، وكما هي عادة  
كثير من كتب اللغة والأدب ، في عدّ هذه الألقاب وتفسيرها .

وقد جمعنا ما عثرنا عليه في بطون الكتب اللغوية والأدبية ، ونسقناه  
وعرضناه على ما توصل إليه علم اللغة الحديث من نتائج ، كما عرضناه

(٩) الكامل للمبرد ٢٢٣/٢ ونحوه فيما يبدو في شرح المفصل لأن يعلى ٤٨/٩

(١٠) محال ثعلب ٨٠/١ ونحوه في سر صناعة الإعراب ٢٣٤/١ والخصائص ١١/٢ والمزهر ٢١١/١

وجزاة الأدب ٤٩٥/٢

على ما وصل إلى علمنا من خصائص اللهجات العربية الحديثة ، في شتى البلاد العربية .

ونبادر هنا فنقول : إن نسبة هذا اللقب أو ذاك ، إلى قبيلة من القبائل ، في أحد المراجع العربية ، ونسبته إلى قبيلة أخرى في مرجع آخر ، لا تعنى بالضرورة أن هناك تعارضاً بين المرجعين ، في هذه النسبة ؛ إذ قد تنتشر الظاهرة اللغوية أحياناً ، بين مجموعة من القبائل ، فيروى كل لغوى ما بلغه منها ، تماماً كما لو قلت الآن : إن ظاهرة الكشكشة ، موجودة في بعض قرى محافظة الشرقية في مصر ؛ لأننى سمعت ذلك بنفسى . وقال مؤلف آخر : إن هذه الظاهرة توجد في جنوبى العراق والكويت ؛ لأنه سمع ذلك بنفسه هناك ، فلا تعارض بين قولى وقوله ، بل إن كل واحد منهما يكمل الآخر .

وفيما يلي نعالج هذه الألقاب ، مرتبين إياها ترتيباً هجائياً :

١ - الاستطاء : روى هذا اللقب عن لهجة « سعد بن بكر ، وهذيل ، والأزد ، وقيس ، والأنصار »<sup>(١١)</sup> ، كما روى أنه « لغة أهل اليمن »<sup>(١٢)</sup> ، وهو عبارة عن جعل العين الساكنة نوناً ، إذا جاورت الطاء ، هكذا نقول المصادر ، غير أنها لم تمثل له إلا بمثال واحد ؛ وهو : « أنطى » بدلاً من : « أعطى » .

ومن شواهد : القراءة القرآنية : « إنا أنطيناك الكوثر »<sup>(١٣)</sup> ، وحديث الدعاء : « لا مانع لما أنطيت ، ولا منطى لما منعت » ، وحديث : « اليد المنطية خير من اليد السقلى »<sup>(١٤)</sup> . ومنه قول الأعشى :

(١١) الأقراح ٨٣ والمزهر ٢٢٢/١ والنظر مخبرات لغات العرب ١٣

(١٢) النهاية لابن الأثير ٧٦/٥ والفايق للزعفرى ٨/١ ولسان العرب ( لطا ) ٢٦/٢٠

(١٣) سورة الكوثر ١/١٠٨ وهي قراءة الحسن وطلحة بن مصرف . انظر تفسير القرطبي ٢١٦/٢٠

(١٤) النهاية لابن الأثير ٧٦/٥

جِيَادُكَ فِي الْقَيْطِ فِي نَعْمَةٍ

تُصَانُ الْجِلَالُ وَتُنْطَى الشَّعِيرُ<sup>(١٥)</sup>

وهذا الإبدال شائع في كلمة : « أعطى » ، حتى اليوم في العراق ، وقد سمعت ذلك من كثير من طلبتي العراقيين ، كما أنه « شائع في لغة الأعراب بصحارى مصر »<sup>(١٦)</sup> .

« والتوزيع الجغرافى لمواطن النطق بالصيغة : ( أنطى ) قديما وحديثا ، يبين أنها كانت توجد على طرق القوافل ، من الجنوب إلى الشمال ، ومن ثم فإن احتمال انتقال هذه الصيغة من الجنوب ، أى من بلاد اليمن ، على طول طريق رحلتى الشتاء والصيف ، احتمال مقبول »<sup>(١٧)</sup> .

والحقيقة أن « الاستنطاء » ليس ظاهرة عامة ، عند القبائل التى روى عنها ، فى كل عين ساكنة تجاور طاء ، كما تقول المصادر العربية ، وإنما هو خاص بكلمة : « أعطى » وحدها .

وتفسير هذه الظاهرة ، بأن العين قلبت نونا ، تفسير لا تؤيده الدراسات الصوتية الحديثة ؛ لأن العين تختلف اختلافا كبيرا ، من الناحية الصوتية ، عن النون . ومن المعروف أن الصوت لا يقلب إلى صوت آخر ، إلا إذا كان بين الصوتين نوع من القرابة الصوتية فى المخرج والصفة . وقد فطن إلى هذا اللغويون العرب أنفسهم ؛ يقول ابن جنى : « القلب فى الحروف ، إنما هو فيما تقارب منها ؛ وذلك : الدال والطاء والشاء ، والدال والطاء والشاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون ، وغير ذلك مما تدانته مخارجهما فأما الحاء فبعيدة عن الشاء ، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها »<sup>(١٨)</sup> .

(١٥) الإبدال لأى الطيب ٣٦٨/٢ وفى ديوانه ق ٤٩/١٢ ص ٩٩ . « وتُنطى » ؟

(١٦) محبرات لغات العرب ١٣

(١٧) العربية وفجائها ٥١

(١٨) سر صناعة الأعراب ١٩٧/١

حديثه ، فى شتى

ذلك ، إلى قبيلة  
أخرى فى مرجع  
فى هذه النسبة ؛  
كل ، فيروى كل  
كشنة ، موجودة  
فى نفسى . وقال  
بيت ؛ لأنه سمع  
كل واحد منهما

هجاتها :

سعد بن بكر ،  
أنه « لغة أهل  
جاورت الطاء ،  
هو : « أنطى »

الكثير<sup>(١٣)</sup> «  
لما منعت «  
قول الأعشى :

ولولا هذا اليعد الصوفي ، لحدث الإبدال عند القبائل ، التي روى عنها الاستطاء ، في كلمات كثيرة ، وقعت فيها العين ساكنة قبل الطاء ؛ مثل « يَعْطِب » و « مَعْطِير » و « يَعْطُس » و « يَعْطُش » و « يَعْطَل » و « يَعْطِن » و « يَعْطُو » ، وغير ذلك من الأمثلة .

ولكن المصادر العربية ، لم ترو لنا إلا كلمة : « أَنْطَى » في « أَعْطَى » وهو ما نعرفه اليوم في اللهجات الحديثة ، كما سبق أن عرفنا . فما السر الحقيقي إذن في ورود هذه الكلمة عن بعض القبائل العربية ؟

إننا إذا رجعنا إلى اللغات السامية ، لنبحث فيها عن مقابلة كلمة : « أَعْطَى » ، وجدنا في العبرية  $\text{אָטַח}$  أي نون وتاء ونون ، وفي السريانية في المضارع  $\text{ܐܬܬܚܝܬ}$  مع إدغام النون الأولى في التاء ، والنون الثانية في لام الجر . ولعل ما حدث في لغة هذه القبائل ، التي روى عنها الاستطاء ، هو عملية نَحَص لما في هاتين اللغتين واللغة العربية ، فأخذ فاء الفعل من العبرية والسريانية ، وبقيت عينه ولامه كما هما في العربية . وقد حدث مثل ذلك في كلمة : « يَمَامَة » العربية ، فهي منقوطة من كلمة :  $\text{ܝܡܡܐ}$  السريانية ، وهي تبدأ بالياء ، وكلمة : « حَامَة » في العربية .

ويريد « راين » أن يربط هذا الفعل : « أَنْطَى » بالفعل  $\text{אָטַח}$  في العبرية ، في عبارات مثل :  $\text{אָטַח בְּיَدוֹ}$  بمعنى مَدَّ يده إلى = أَخَذَ ، أو يوجد علاقة بينه وبين الفعل العربي : « أَمْطَى الظهر » ، بمعنى : أَعْطَاه مَطْيَة ، وما يماثل ذلك في الحبشية والأمهرية<sup>(١٩)</sup> .

ويفسر الدكتور إبراهيم السامرائي هذه الظاهرة ، تفسيراً عربياً خالصاً ؛ فيقول : « وملاك الأمر في هذه النون ، أنها لم تكن مقابلة للعين في : أَعْطَى ؛ وإنما جاءت من أن الفعل كان : ( آتَى ) ، بمعنى : ( أَعْطَى ) ، ثم ضعف الفعل فصار : ( أَتَى ) بتشديد التاء . ومعلوم

(١٩) Ancient West Arabian, p. 32 . ويحده بعض تصريح في العربية وفصحها ٥١

أن فلت الإذغام في العربية وفي غيرها من اللغات السامية ، يقتضى إدال  
التون بأحد الحرفين المتجانسين ، كما نقول في العربية : ( جَدَل ) ، وهي  
من : ( جَدَل ) ، بتشديد الدال . وهذا كثير معروف<sup>(٢١)</sup> .

٢ - التَضْجَع : يعزى هذا اللقب إلى قبيلة : « قيس » في خبر  
الرجل الجرمي السابق ، في رواية انفرد بها ثعلب ، ورواها عنه بعض من جاء  
بعده من اللغويين<sup>(٢٢)</sup> ، ولم يفسره أو يشرح المراد به واحد منهم .

والتَضْجَع في اللغة : مصدر « تَضْجَع في الأمر » ، إذا تَقَعَّد ولم يتم  
به<sup>(٢٣)</sup> . ولعل المراد بتضجع قيس على هذا : تباطؤها أو تراخيا  
في الكلام ، وتَقَعُّدها فيه ، كما يفهم من المعنى اللغوي لكلمة  
التَضْجَع<sup>(٢٤)</sup> .

وفي اللغة : الإَضْجَاع في الحركات ، بمعنى : الإِمَالَة فيها<sup>(٢٥)</sup> ، وهو  
بهذا المعنى من اصطلاحات كتب النحويين<sup>(٢٦)</sup> ، والقراءات<sup>(٢٧)</sup> ، غير أن  
الإِمَالَة لا تعزى في كتب اللغة إلى « قيس » وحدها ؛ حتى يمكن تفسير  
« تضجع قيس » بإضجاع الحركات ، وإنما يشاركها فيه تميم وأسد ، وعمامة  
أهل نجد<sup>(٢٨)</sup> .

- (٢١) دراسات في اللغة السامرية ٢١٧ وانظر كذلك حده الخامس رقم ٨ في صفحة ٧٧  
(٢٢) محالر ثعلب ٨٠/١ وبعده في سر صناعة الإعراب ٢٣٤/١ وأخصاصه ١١٢ والمهم ٢١١/١  
وحاله الأقدم ١٩٥/١  
(٢٣) انظر لسان العرب (ضجع) ٨٩/١  
(٢٤) انظر أيضا Ch. Rabin, Ancient West Arabian 104, 36. ويطن السامري  
أن لمراد بالتضجع ، هو كسر حرف الضارعة ، وهو ما يسمى كذلك بالثقل . انظر مقاله عن « اللغات  
واللغات » ص ٥٢  
(٢٥) لسان العرب (ضجع) ٨٩/١ . والإضجاع في باب الحركات ، مثل إِمَالَة والحفص .  
ولكن انظر مفاتيح العلوم ١١/٣  
(٢٦) انظر شرح الألفية على الألفية ٢٢٠/١ وإدال بالمدح والفقار للرحاجي ٢٧  
(٢٧) انظر شرح القراءات العشر ٣٠٠/٢ وإخلاف فضلاء البشر ٤٧  
(٢٨) انظر معجم ٢٨٥ معجم التوامع لسبوت ٢٠٢/٢

التي رأى  
في الفاء  
ويفعل

أنطى  
أن عرفنا  
الغالب العربية

مقابلة كلمة

وفي السريانية

في الثانية في لام

الاستطاء ، هو

لفعل من العبرية

حدث مثل ذلك

لغة : ثم

الفعل في

بمعنى مد يده

على الظاهر ،

تفسيراً عربياً

مقابلة للعين

، بمعنى :

الثناء . ومعلوم

فيها



٣ - التثنية : هذه الظاهرة عبارة عن كسر حرف المضارعة ؛  
فيقال : أنا أعلم ، ونحن نعلم ، وأنت تعلم ، وهو يعلم ، وما إلى ذلك .  
وهي لقب لقبيلة : « بهراء » ، كما يذكر كثير من المصادر العربية<sup>(٢٨)</sup> .  
وعزاها صاحب لسان العرب ، إلى كثير من القبائل العربية ؛ فقال :  
وتعلم ، بالكسر ، لغة قيس ، ونعيم ، وأسد ، وربيعة ، وعامة العرب . وأما  
أهل الحجاز ، وقوم من أعجاز هوازن ، وأزد السراة ، وبعض هذيل ؛  
فيقولون : نعلم ، والقرآن عليها . وزعم الأخفش أن كل من ورد علينا من  
الأعراب ، لم يقل إلا تعلم ، بالكسر<sup>(٢٩)</sup> . ويقول القراء : إن النون في  
نستعين « مفتوحة في لغة قريش ، وأسد وغيرهم يكسرها<sup>(٣٠)</sup> » .

وقد جاءت هذه الظاهرة ، في رجز الحكيم بن مَعْيَةِ الربعي ، وهو :

لَوْ قُلْتُ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ يَنْتِمْ

يَفْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمِيسَمٍ<sup>(٣١)</sup>

أي « لم تأثم » ، التي صارت بعد كسر حرف المضارعة : « تئثم » ،  
وخففت الهمزة فصارت : « تئثم » ، كما في البيت .

وقد روى ابن جني بيتا عن أعرافي ، من بني عُقَيْل ، كسر فيه الهمزة  
في الفعل : « أخاف » ؛ فقال : وأُنشدني عُقَيْلِي قصيدته لنفسه :

فَقَوِّمِي هُمَ تَمِيمٌ يَا مُمَارِي

وَجُوثُهُ مَا إِخَافُ لَهُمُ كَنَارَا

فكسر الهمزة من : إخاف<sup>(٣٢)</sup> .

(٢٨) محالين تعليل ٨٢/١ وجهه في أحصائهم ١١/٢ وسم حصاده الإعراب ٢٣٥/١ ونبذة العواص ١١٤  
جزارة الأدب ٥٩٦/٤ ومقدمات لغات العرب ٢١

(٢٩) لسان العرب (وقد) ٩٨٣/٢

(٣٠) الصاحبي لأن هارن (نشرة التوثيق) ٤٨١ وفيه : « في لغة قيس » وهو تحريف . وأما بيت ما في  
نشرة السند صقر ٢٨ والمهر ٢٥٥/١ عن ابن هارن . وقد وقع لبني (Ancient, p. 61) في وهم آخر . حتى  
عطف « أسد » على « قريش » في هذا النص !

(٣١) جزارة الأدب ٣١١/٢ وتهديب الألفاظ ٣٠٧

(٣٢) النصف ٣٢٢/١



كما روى ابن الأنباري بيتا للمرّار ، كسر فيه التاء من « تعلم » ،  
في قوله :

فَدِّ تَعْلَمُ الْخَيْلُ أَيَّاماً تُطَاعِنُهَا

من أي شئتَ أنت إن من منظور  
وقال بعده : « قال أبو بكر : قال أي : أنشدني أبو جعفر : قد تعلم ،  
بكسر التاء ، وقال : هي لغة بني أسد : يقولون : يعلم وإعلم ويعلم ،  
ومثله كثير » (٣٣) .

وهذه الظاهرة سامية قديمة ، توجد في العبرية (٣٤) ، والسريانية (٣٥) ،  
والحبشية (٣٦) . والفتح في أحرف المضارعة ، حادث في رأيي ، في العربية  
القديمة ؛ بدليل عدم وجوده في اللغات السامية الأخرى ، وبدليل ما بقي  
من الكسر في بعض اللهجات العربية القديمة .

وهناك دليل ثالث ، على أصالة الكسر في حروف المضارعة ، وهو  
استمراره حتى الآن في اللهجات العربية الحديثة كلها ؛ إذ نقول مثلاً :  
« مين يقرأ ومين يسمع » يكسر حرف المضارعة ، في لغة التخاطب  
اليومية . ولم يبق فتح حرف المضارعة في اللهجات الحديثة ، فيما أعلم ،  
إلا في لهجة نجد ، إذا كانت فاء المضارع ساكنة ، مثل : يرمى ،  
ويُلعب ، ويُرْكض . ولا يكسر حرف المضارعة ، في هذه اللهجة ، إلا إذا  
كان ما بعده متحركاً ؛ مثل يسوق ، ويسابق ، ويلاكم ، ويهاوش ، وغير  
ذلك .

وقد بقيت بعض آثار هذا القديم ، في العربية الفصحى نفسها ،  
في بعض الأمثلة ؛ إذ يكسر في الفصحى حرف المضارعة في : « إخال »

(٣٣) المقطعات ٢٠

(٣٤) انظر : Gesenius, Hebräische Grammatik, S. 131

(٣٥) انظر : Brockelmann, Syrische Grammatik, S. 85

(٣٦) انظر : Praetorius, Aethiopische Grammatik, S. 48

معنى : « أظن » في كثير من النصوص التي وصلت إلينا . ومن شواهده قول أبي ذؤيب الهذلي :

فغزرت بعدهم بعيش ناصب  
وإخال أني لأجق مستبغ<sup>(٣٧)</sup>  
وقول العباس بن مرداس :

قد كان قومك بحببوتك سيّداً  
وإخال أنك سيّد معقون<sup>(٣٨)</sup>  
وقول زهير بن أبي سلمى :

وما أذري وستوف إخال أذري  
أقــوم آل حصن أم نساء<sup>(٣٩)</sup>  
وقول كعب بن زهير :

أرجو وأمل أن تذلّو مودّتها  
وما إخال لذينا منك تنويل<sup>(٤٠)</sup>  
وهذا ما أسميه أنا : « الركام اللغوي للظواهر المندثرة في اللغة »<sup>(٤١)</sup> . ومعناه أن الظاهرة اللغوية ، قبل أن تموت ، قد تبقى منها أمثلة ، تعين على معرفة الأصل .

٤ - الرُّقَّة : لم يرد هذا اللقب ، في خير الرجل الجرمي ، إلا في رواية العقد الفريد ، وهو فيه منسوب إلى العراق .

والرُّقَّة في معاجم اللغة<sup>(٤٢)</sup> ، تطلق على أحد أمرين ؛ أحدهما عام ، وهو : « عجلة في الكلام وقلة أناة » ، والثاني : عيب من عيوب النطق وأمراض الكلام ، وهو : « أن يقلب المتكلم اللام ياء » ، وهو أمر فردي

(٣٧) ديوانه ٨/١ والنصف لآخر حتى ٣٢٢/١

(٣٨) ديوانه ٢/٣٨ ص ١٠٨ ولسان العرب ( عجل ) ١٨٦/١٧

(٣٩) ديوانه ٧٢ ولسان العرب ( قوم ) ٤٠٨/١٥

(٤٠) ديوانه ٩

خاصي ، لا يمكن أن يكون عاما شائعا في لهجة كاملة ، فهو ليس إلا لغة من اللثغة ، التي حدثنا عنها الجاحظ ، حين قال : « وأما اللثغة التي تقع في اللام ، فإن من أهلها من يجعل اللام ياء ، بدل قوله : ( اعتللت ) : ( اعتيت ) ، وبديل : ( جمل ) : ( جمت ) وغير ذلك »<sup>(٢٥٣)</sup> .

فالمقصود بالرثة إذن هو : العجلة والسرعة في الكلام . وهو بهذا يضابق بعض ما روي في تفسير « اللخاينة » ، بأنها تقصير الحركات ، وحذف الهمزة من عبارة : « ما شاء الله كان » ، التي تصير : « مشا الله كان » ، كما سيأتي هنا .

وقد مر في حديث الرجل الجرمي ، في بعض الروايات عبارة : « قرأتية العراق » و « لخالخاينة العراق » ، بدلا من : « رثة العراق » . ولعل هذه الألقاب كلها تعني شيئا واحدا .

كلم - الشنشة : روت المصادر هذا اللقب منسوبا إلى لغة اليمن<sup>(٢٥٤)</sup> . ورواه ابن عبد ربه<sup>(٢٥٥)</sup> لقبيلة تغلب . وهو عبارة عن جعل الكاف شيئا مطلقا ، فقد سمع بعض أهل اليمن في عرفة يقول<sup>(٢٥٦)</sup> : « لَيْشَ اللهم لَيْشَ » أي : لَيْشَ .

ولا يزال هذا النطق شائعا في بعض الأمثلة ، في عامية « حضرموت » ؛ إذ يقولون : « عليش » بدلا من : « عليك »<sup>(٢٥٧)</sup> .

(٢٥٣) : انظر مقابلة : ان كان القوي للظواهر المتدثرة في اللغة ، والمجلة العربية ١/٢ من ٥٥ - ٦٠ .  
وكذا : من لغة و النطق العربي ٣٧٥ .  
(٢٥٤) : اللسان ( رشت ) ٣٣٨/٢ .  
(٢٥٥) : اللسان واللسان ٣٥١١ ونظر كذلك ١٢/١ .  
(٢٥٦) : الأقوال ١٤٤ والخزرج ١٢٢/١ .  
(٢٥٧) : العهد الجديد ١٧٥/٣ - ٢٢/٣ .  
(٢٥٨) : من رتات لغات العرب ١٣ .  
(٢٥٩) : انظر - Rabin, Ancien, 12, 50 .

ومن شواهد

(٣٧) شتبع

(٣٨) عيشون

أم نساء (٣٩)

ل شوييل (٤٠)

(٤١) . ومعناه

يقين على معرفة

رجل الجرمي ،

أحدهما عام ،

ل غيوب النطق

وهو أمر فزدي

وتتفق هذه الظاهرة من بعض الوجوه ، مع ظاهرة « الكشكشة » .  
وسوف نتحدث عنها بالتفصيل فيما بعد .

٦٨ - الطمطممانية : يسب هذا اللقب إلى طيء والأزد ، وإلى قبائل حمير في جنوب الجزيرة العربية . وهو عبارة عن إبدال لام التعريف « ميمًا » ، فيقال مثلا : « طاب أمهواء وصفا أمحو » ، أى طاب الهواء وصفا الجو (٤٨) .

ويروون من شواهد هذه الظاهرة « ما جاء في الآثار ، فيما رواه الثمر ابن توبل أنه عليه السلام ، نطق بهذه اللغة في قوله : ليس من أمير أمصيام في أمسفر ، يريد : ليس من البر الصيام في السفر (٤٩) » .

ومن شواهد هذا قول بُجَيْر بن عَتَمَةَ الطائي ، أحد بني يُولان :

ذَلِكَ خَلِيلِي وَذُو يُعَاتِيَنِي

يُرْمِي وَرَأَى بِأَمْسُهُم وَأَمْسَلَمَةَ (٥٠)

وسمع الأخفش من يقول : « قام امرؤجل ، يريد : الرجل . قال أبو العباس ( ثعلب ) : هذه لغة للأزد مشهورة (٥١) » .

كما وردت في كلام قاله ذو الكلاع الحميري : « عليك امرأئى وعلينا أمفعال (٥٢) » أى عليك الرأى وعلينا القفال .

(٤٨) محاضرات الأدباء ٦٣/١ والمرح ٢٢٣/١ وقته اللغة للثعالبي ١٧٣ ومميزات العرب ١٢ وقد أبحث بعض المصادر في تعريف الطمطممانية ، كالبيروني الذي قال ( في الكامل ٢٢١/١ ) : « الطمطمنة : أن يكون الكلام مشبها لكلام العجم » ، ونقله عنه في العقد الفريد ٤٧٦/٢ وخرانة الأدب ٥٩٦/٤ كما قال المبرد ( في الكامل ٢٢٥/٢ ) مرة أخرى : « وأما الطمطممانية ، ففيها يقول عشرة :  
نرى له حول العجم كأنها حرق بمالية لأعجم طمطم » .

• نظر كذلك : العقد الفريد ٤٧٧/٢ والنهاية لابن الأثير ١٣٩/٣ وشرح الفصل لابن يعيش ٤٩/٩ .

(٤٩) ذرة النواص ١١٤ ومعنى اللب ٤٨/١ والصاهل والشاحح ٤٨٥ .

(٥٠) لسان العرب ( ذو ودوات ٣٤٧/٢٠ ومعنى اللب ٤٨/١ والصاهل والشاحح ٤٨٥ .

• نقل شعرا آخر فيه لبعض شعراء اليمن ٤٨٦ .

(٥١) محاسن ثعلب ٥٨/١ وقال محققه : « المعروف أنها لغة لطيء » .

(٥٢) شرح موج اللاعة ٩٦/٣ .

وقد سمع ابن دريد هذه اللهجة في عصره باليمن ؛ فقال : « وَكُبَّارٌ  
في وزن فُعَالٍ . وهي لغة يمانية ، أهل اليمن يسمون الرجل الكبير كُبَّارًا .  
وذو كُبَّار رجل منهم . وسمعت رجلاً يقول : أم شيخ أم كُبَّار ضرب رأسه  
بالعَصَو ، أي بالعصا<sup>(٥٣)</sup> » .

كما سمعها الهمداني في أماكن مختلفة من الجزيرة العربية ؛ فقال :  
« سَرُّو حمير وجعدة ، ليسوا بفصحاء ، وفي كلامهم شيء من التحمير ،  
ويجرون في كلامهم ويخذفون فيقولون : يا ابن مَعَم ، في يا ابن العَم<sup>(٥٤)</sup> » .  
وقال كذلك : « وبلد سفيان بن أرحب فصحاء ، إلا في مثل :  
أم رَجُل ، وفيد بغيرك ، ورأيت أخواك . ويشركهم في إبدال الميم من اللام  
في الرجل والبعر وما أشبهه : الأشعر وعَكَ ، وبعض أهل تهامة<sup>(٥٥)</sup> » .

وفي كل هذه الأمثلة السابقة ، تستوى أَل الشمسية ، وأَل القمرية ،  
في إبدال لامها ميماً . وقيل إن هذه اللغة مختصة بالأسماء التي لا تدغم لام  
التعريف في أولها ، نحو غلام وكتاب ، بخلاف رجل وناس ولباس . قال ابن  
هشام النحوي : « وحكى لنا بعض طلبة اليمن ، أنه سمع في بلادهم  
من يقول : خذ الرمح واركب امفرس ، ولعل ذلك لغة لبعضهم لا  
لجميعهم ؛ ألا ترى إلى البيت : ( يرمي ورائي بامسهم وامسلمه ) ، وأنها في  
الحديث : ( ليس من أمير امصيام في امسفر ) دخلت على  
النوعين<sup>(٥٦)</sup> » .

والتفسير الصوِّق لهذه الظاهرة ، هو أن اللام والميم من فصيلة  
واحدة ، وهي فصيلة الأصوات المتوسطة أو المائعة Liquida وهي

(٥٣) جهرة اللغة ٢٧٤١ في الاشتقاق لأن دريد ٥٤ - وقوم من أهل اليمن يسمون العصا

عصو .

(٥٤) صفة جزيرة العرب ١٣٤

(٥٥) صفة جزيرة العرب ١٣٥

(٥٦) معنى اللب ٤٨١

مجموعة : « اللام ، والميم ، والنون ، والراء » . وهذه الأصوات يبدل بعضها من بعض كثيرا في اللغات السامية .

ولا تزال هذه الظاهرة شائعة في بعض جهات اليمن ، كما أن منها كلمة في اللهجة المصرية ، وهي كلمة : « البارحة » التي ينطقها المصريون : « امبارح » !

٧ - العجرفية : ورد هذا اللقب في كلام ثعلب السابق : « ارتفعت قريش في الفصاحة ، عن عننة تميم ( وتثلة بهراء ) وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوزان ، وتضجع قيس ، وعجرفية ضبة »<sup>(٥٧)</sup> . وقد نسب ثعلب كما نرى لقبيلة « ضبة » ، ولم يفسره أو يشرح المراد منه ، وكذلك سكت كل من نقل هذا النص عنه<sup>(٥٨)</sup> ، فلم يتحدثوا عنه بكلمة واحدة ، فيما عدا صاحب محاضرات الأدباء ، الذي عجم في شرحه بقوله : « والعجرفية جفاء في الكلام »<sup>(٥٩)</sup> .

٨ - العججعة : ينسب هذا اللقب إلى « قضاة » : فقد حكى الأزهري ، عن أبي زيد أنه قال : « والعججعة في قضاة ، كالعننة في تميم ، يحولون الياء جيما » كقوله :

كالمُطْعِمُونَ اللَّحْمَ بِالْعَشِيجِ  
وبالقِذَاةِ كَسَرَ الْبِرْنِجِ  
يَقْلَعُ بِالْوَدُوِّ بِالصَّيْصِجِ<sup>(٦٠)</sup>

أراد : بالعشئ ، والبرني ، وبالصيصي<sup>(٦١)</sup> .

ولم يقيد أبو زيد في هذا النص « الياء » بالتشديد ، وإن كانت الياءات في الآيات التي استشهد بها مشددة . وقد نص على تشديد الياء

(٥٧) مجالس ثعلب ٨٠/٢

(٥٨) سر صناعة الإعراب ٢٦٤/١ والخصائص ١١/٢ والمؤهر ٢١١/١ وخرائه الأدب ٤٩٥/٤

(٥٩) محاضرات الأدباء ٦٣/١

(٦٠) تهذيب اللغة ٦٨/١ والطور : الإبدال لأبي الطيب ٢٥٧/١ وشرح المفصل لأبي يحيى ٥٠/١٠

المسيوطي  
المشددة

غير  
الياء المخففة  
لقرب مخ  
وأشدد

وراد

يريد  
لياء المتكلم

وقال  
القراء : وذلك

ونصر  
كانت أو خف

ولعل  
بين هذه الآ  
أي تشديد

(٦١) الزهر

(٦٢) محاسن

(٦٣) القصب

وشرح الملوكي ٣٣١

(٦٤) الإبدال

(٦٥) شرح

السيوطي ؛ فقال : « ومن ذلك : العجاجة في لغة قضاة ، يجعلون الياء المشددة ، جيما يقولون في تميمي : تميمج (٦١) » .

غير أن الباحث في كتب اللغة ، يعثر على أمثلة كثيرة ، أبدلت فيها الياء المخففة جيما ؛ يقول ثعلب : « أبدلت من الياء الجيم في التشديد ؛ لقرب مخرجها ، ولا بأس أن نحى ، في الياء المخففة ؛ مثل : حجنى . وأنشد :

يَارَبُّ إِنْ كُنْتُ قَبْلَتْ حَجْنَجْ

فَلَا يَزَالُ شَاحِجٌ بِأَتِيكَ بَجْ (٦٢) »

وزاد الفراء على هذين البيتين قوله :

أَقْمَرُ نَهَاتٍ يُنْزَى وَفَرْتَجْ (٦٣)

يريد هذا الراجز : حجنى ، ويأتيك لى ، وينزى وفرتى . وكلها أمثلة لياء المتكلم ، وهى ليست ياء مشددة .

وقال أبو عمرو : « وهم يقلبون الياء المخففة أيضا إلى الجيم . قال الفراء : وذلك في بنى دبير ، من بنى أسد خاصة (٦٤) » .

ونص البغدادى على أن « بعض بنى سعد ، يبدلون الياء شديدة كانت أو خفيفة ، جيما في الوقف (٦٥) » .

ولعل عبارة : « في الوقف » في هذا النص الأخير ، مما يزيل الخلاف بين هذه الآراء ؛ فمن أنواع الوقف عند العرب : الوقف بالتضعيف ، أى تشديد آخر الكلمة عند الوقف عليها ؛ فيقال مثلا : « جاء

(٦١) الزهر ٢٢٢/١ والأقحاح ٨٣

(٦٢) محاسن ثعلب ١١٧/١ والشعر والشعراء ١٠١/١

(٦٣) القلب والإبدال لأبن السكت ٢٩ والإبدال لأبن الطيب ٢٦٠/١ وشرح الفصائل ٥٠/١

وتدريج الملوكة ٣٣١ والوادي لأبن زيد ١٦٤

(٦٤) الإبدال لأبن الطيب ٣٥٠/١

(٦٥) شرح شواهد الشافية ٢١٦/٤

ت يبدل بعضها

كما أن منها كلمة  
فيها المصرون :

علب السابق :

راء ( وكشكشة

سنة (٥٧) . وقد

رجح المراد منه ،

شدوا عنه بكلمة

في شرحه بقوله :

فقد حكى

لغة ، كالتعنة

، وإن كانت

لي تشديد الياء

في الأدب ٤٩٥/٤

لأبن يونس ٥٠/١



خالد<sup>(٦٦)</sup> . قلعل هذه الأمثلة السابقة ، لشاعر من هؤلاء الذين يقفون بالتضعيف ؛ فيقولون : « ححتي » و « بتي » و « وفتتي » ، حتى يمكن الحديث عن قلب الياء جيما ؛ لأن ياء المتكلم ، وهي ياء المد في الأمثلة السابقة وغيرها ، ليست صوتا صامتا ، كالذي في مثل : « يقع » مثلا ؛ وإنما هي كسرة طويلة . وقد سبقنا إلى هذه الملاحظة ، أستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس ؛ فقال : « ويظهر أن الياء فيما ساقوه من أمثلة ، لم تكن في نطق القضاعيين ياء مد ، بل كانت صوتا ساكنا ، حتى يمكن أن تتصور قلبها إلى جيم<sup>(٦٧)</sup> » .

وهذا صحيح ؛ لأن الذي يقلب إلى الصوت الصامت ، هو صوت صامت مثله ، ولم نعهد ذلك في حركة قصيرة كانت أو طويلة .

والذي يسهل إبدال الياء جيما ، هو اتحادها في المخرج ، وهو الغار أو سقف الحنك الصلب ، وكونهما مجهورين ، أي تهتز معهما الأوتار الصوتية . والفارق الوحيد بينهما ، هو أن الجيم من الأصوات التي تجمع في نطقها بين الشدة والرخاوة ، أو بعبارة أخرى بين الانفجار والاحتكاك ، أما الياء فهي من الأصوات المتوسطة ، التي فيها بعض الرخاوة ، أو بمعنى آخر تنطق بشيء من الاحتكاك .

ولهذا السبب ، لا نعجب حين نرى الصوتين ، يتبادلان في اللهجات العربية القديمة والحديثة ؛ فهذه هي : « العججة » عند قضاة ، وهي إبدال الياء جيما . وهناك عكس هذه الظاهرة ، وهو إبدال الجيم ياء ؛ فقد روى أن بني تميم يقولون في : « الصهرج » ، وفي جمعه : « الصهاريج » ، وهو الذي يجتمع فيه الماء : « الصهرى والصهارى<sup>(٦٨)</sup> » . كما روى عن أبي عبيدة أنه قال : « يقال : لا أفعله جدا

(٦٦) انظر : شرح الأحموي على ألفية ابن مالك ٢١٠/٤

(٦٧) في اللهجات العربية ١٢٦

(٦٨) القلب والإبدال لابن السكيت ٢٩ والإبدال لأبي الطيب ٢٦١/١



الدهر ، مفتوح الأول منقوص ، في معنى : لا أفعل ذلك يد الدهر<sup>(٦٩)</sup> ،  
 أى لآخر الدهر ، كما روى أبو زيد أن بعض بني تميم قال : « شيرة »  
 للشجرة<sup>(٧٠)</sup> . وعلى ذلك أنشدت أم الهيثم :  
 إذا لم يكن فيكُنْ ظلٌ ولا جنى  
 فأبعدك عن الله من شيرات<sup>(٧١)</sup>  
 تريد : « شجيرات » .

وهذه الظاهرة تشيع في عصرنا الحاضر ، في بعض قرى جنوب  
 العراق ، وبعض بلدان الخليج العربي ؛ إذ يقولون في « مسجد » مثلاً :  
 « مسيد » ، وفي « دجاج » : « دياى » ، وغير ذلك .

وتنسب ظاهرة « العجعة » كذلك إلى بعض بني حنظلة ؛ فقد  
 روى عن أبي عمرو بن العلاء ، أنه قال : « قلت لرجل من بني حنظلة :  
 ممن أنت ؟ فقال : فقيميج . قال : فقلت : من أيهم ؟ فقال : مُرَج ؛  
 يريد : فقيمي ، ومُرَى<sup>(٧٢)</sup> » .

كما تنسب هذه الظاهرة كذلك إلى : « بعض بني سعد » ، كما رأينا  
 في نص البغدادي السابق . ويقول سيبويه كذلك : « وأما ناس من بني  
 سعد ، فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف ؛ لأنها حقة فأبدلوا  
 من موضعها أيين الحروف ، وذلك قولهم : هذا غيميج ، يريدون : غيمى ،  
 وهذا غلج ، يريدون : على . وسمعت بعضهم يقول : غريانج ، يريد :  
 غرياني . وحدثني من سمعهم يقولون :

تخالي غويف وأبو غلج  
 المظيعان اللحم بالعشج

(٦٩) القلب والإبدال لآلئ السكت ٢٩ وبس في الإبدال لآلئ الطيب ٢٦١/١ إلى اللحياء

(٧٠) القلب والإبدال لآلئ السكت ٢٩ والإبدال لآلئ الطيب ٢٦١/١

(٧١) الإبدال لآلئ الطيب ٢٦١/١ وكان الغياض أد تقول : « ولاسى » بدلا من : « ولاسى »

(٧٢) القلب والإبدال لآلئ السكت ٢٨ ولسان العرب ( حرف الجيم ) ٢٦/٣ والإبدال

لآلئ الطيب ٢٥٩/١ وشرح المفصل لآلئ بعض ٥٠/١٠ وشرح اللوكي ٣٣٠

الذين يقفون  
 حتى يمكن  
 للذ في الأمثلة  
 يقع « مثلاً ؛  
 ستاذنا المرحوم  
 من أمثلة ، لم  
 حتى يمكن أن

هو صوت  
 ويلة .

ج ، وهو الغار  
 معهما الأوتار  
 التي تجمع  
 والاحتكاك ،  
 أو بمعنى

تبادلان في  
 حجة ، عند  
 وهو إبدال  
 وفي جمعه ؛  
 الصهرى  
 لا أفعله جدا

وبالعذاة فليس البرنج

يريد : بالعش والبرني ، فرغم أنهم أنشدوه هكذا (٧٣) .

وقد أبدل راجزهم : « هميان بن قحافة السعدي » الياء المشددة

جيما ، ثم اضطر إلى تخفيف الحيم في قوله :

يُطِيرُ عَنْهَا الْوَبْرَ الصُّهَابِجَا (٧٤)

يريد : « الصهاني » .

وزعم القراء أنها لغة لطيفة . وأنشد :

يَعْمُا وَأَلَدَتْ رَضْوَى

لِزُبَّانٍ بَنٍ كُنْـدَجْ

وَحَوْصَاءَ وَرَأْلَانَ الْـ

لَدَى دَلَا عَلَى الْحَجْ

أراد ابن كندى ، واللَّذَى ، يريد : اللَّذِينَ . دلا على الحج ،

أى على الحَيِّ ، أى بشرفهما نبها على حيتهما (٧٥) .

كما وردت في حديث لعبد الله بن مسعود ، في قوله : « فلما

وضعت رجلي على مُدَمَّرِ أَى جَهْل ، قال : أَعْلَى عَنَجْ (٧٦) » ، أى : أَعْلَى

عنى ، يعنى : تَنَجَّ عنى . و « قال سليمان بن المغيرة : عَنَجْ حَجَازِيَّة ،

يريد : عنى (٧٧) » .

ويقيد « حَفْنَى ناصف » الياء التي تبدل جيما ، بوقوعها بعد

العين ، فيقول : « تبدل الياء الواقعة بعد عين جيما ، في لغة قضاعة :

(٧٣) كتاب سيرة ١٠٢١ وطر : الحافظ والشايع ١٠٠٠ : ١١٠٠ : ٣٣٠

(٧٤) بحر : حبيبة فرياد : ٢٠٣

(٧٥) الإبدال لأى الحب ١٠٢٨

(٧٦) النهاية لأى : ٢٩٢٣

(٧٧) معجم : ١٩٨

فيقولون : الراعي خرج معي ، أي : الراعي خرج معي (٧٥) . ولست أدري من أين نقله ؟ على أن هذا القيد ، ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية ، اللهم إلا تبرير اللقب الذي وصفت به تلك الظاهرة : العجاجة !

٩ - العننة : يعزى هذا اللقب إلى نعيم وقيس وأسد ، ومن جاورهم ، وإن اشتهر بإضافته إلى « نعيم » ، من بين هذه القبائل جميعها (٧٦) .

ويختلف اللغويون العرب ، في تحديد المراد بهذا اللقب ، فأما الفراء وتعلب ، فيجعلانه خاصا بالحرف أن ( أو أن ) المفتوح الهضرة . وينص الفراء على ذلك صراحة ، فيقول : « لغة قريش ومن جاورهم : أن ، ونييم وقيس وأسد ، ومن جاورهم ، يجعلون ألف أن ، إذا كانت مفتوحة عينا » يقولون : أشهد عنتك رسول الله ، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف (٧٧) .

ويقولون الفراء كذلك : « كما جعلوا مكان الهضرة عينا في قوله : لعنتك قائم ، وأشهد عنتك رسول الله ، وهي لغة في نعيم وقيس كثيرة (٧٨) » .

أما تعلب ، فإنه وإن لم ينص على ذلك صراحة ، فإن أمثلته كلها تدور حول « أن » المفتوحة الهضرة ، إذ يقول : فأما عننة نعيم ، فإن تيمنا تقول في موضع أن : عن ، تقول : ظننت عن عبد الله قائم . قال ( الأصمعي ) : وسمعت ذا الرمة ينشد عبد الملك :

أَعْنُ تَرَسَّمْتُ مِنْ خَرَفَاءِ مَرْزَلَةٍ  
مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ غَيْثِكَ مُسْجُومٌ

(٧٨) محركات لغات العرب ١٠

(٧٩) لم يصححها إلّا قيس ، سوى المولى في قوله : « وأراد نعيم أن : وهي لغة معروفة في قيس ، وهي التي يقال لها عنة قيس ، على وجه الدم لها . وقرأها نعيم . فسمى الله عن باقي النصح ، يريد : أن يأتي بالنصح » ( انظر : ألف باء المولى ٤٣٢ )

(٨٠) تهذيب اللغة ١٠ / ١٧١

(٨١) القف والإنداء لأن السكيت ٢٤

قال : وسمعت ابن هرمة ، ينشد هارون ( الرشيد ) ، وكان ابن هرمة  
رثي في ديار قميم :

أَعْرُ تَغْنَتْ عَلَى سَاقٍ مُطَوِّفَةً

وَرَقَاءُ تَدْعُو هَيْدِيلًا فَوْقَ أَغْوَادٍ (٨٢)

ومن ذلك أيضا قول حران الغود :

فَمَا أُبَيِّنَ حَتَّى قُلْنِ يَا لَبِثَ غَنَّا

تُرَابٌ وَعَنْ الْأَرْضِ بِالنَّاسِ تُخَسَفُ (٨٣)

وبينا يحدّد القراء وتعلب هذه الظاهرة ( أن ) المفتوحة ، نجد  
السيوطي لا يخصصها بأن وحدها ، وإنما يشترط أن تكون الهمزة مبدوءة بها  
فحسب ؛ يقول : « ومن ذلك العننة ، وهي في كثير من العرب ، في لغة  
قيس وقيم ، تجعل الهمزة المبدوءة بها عينا ، فيقولون في إنك : عِنَكَ ،  
وفي أسلم : عَسْلَم ، وفي أذن : عَذَن (٨٤) » .

ومثل هذا الاضطراب في الرواية « ليس له من سبب ، سوى أن  
استقراء الرواة لأمثلة هذه الظاهرة الصوتية كان ناقصا ، وأن الأمر في كل  
رواية ، لا يعدو أن يكون حكما خاصا ، مبني على مثال خاص ، سمعه  
الراوي دون استقراء لباقي الحالات ، فاشتراط البدء بالهمزة ، أو أن تكون  
في ( أن ) مفتوحة ، ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية (٨٥) »

وأغلب الظن أن تخصيصه بأن المفتوحة ، تبرير لهذا اللقب الذي  
وصفت به الظاهرة : « العننة » . والحقيقة أن هذا الإبدال عام في كل

(٨٢) محال نعت ٨١/١ وبعده في حزمة الأدب ٤٩٥/٤ ومر صناعة الإعراب ٢٣٤/١  
والخصائص ١١/٢ والنظم - الصاحبي لأبي فارس ٥٣ وفقه اللغة للثعالبي ١٧٣ ودرر العواص ١١٤  
ومحاضرات الأدباء ٦٣/١ وبيت دي الزمعة في ديوانه في ١/٧٥ ص ٥٦٧ وبيت ابن هرمة في ديوانه في ١/٣٥  
ص ٢٠٥

(٨٣) تهذيب اللغة ١١١/١ وديوانه ٢٢ فيه : ( أنا ) ثم ( أن ) .

(٨٤) الاقتراح ٨٣ والمزهر ٢٦١/١ وتابعهما على ذلك حتى ناصف في محيزات لغات العرب ١١

(٨٥) في اللهجات العربية ١١٠

همزة ، عند نعيم ومن جاورهم ؛ والدليل على هذا قول الخليل بن أحمد  
الفراهيدي : « والخنج : الخبء » ، في لغة نعيم ، يجعلون بدل الهمزة  
عيناً (٨٦) .

وقال ابن دريد : « وجع الرجل في المكان ، إذا دخل فيه ، وأحس  
أن هذه العين همزة ؛ لأن بني نعيم يحققون الهمزة ، فيجعلونها عيناً ،  
فيقولون : هذا خباغنا ، يريدون : خباؤنا (٨٧) » . كما قال المبرد : « ويقال  
في معنى أمييف : عسييف أيضاً (٨٨) » ، والأسيف هو : الأجير .

وإبدال الهمزة عيناً هنا ، نوع من المبالغة في تحقيق الهمز ،  
كما يستفاد من نص ابن دريد ، وذلك على طريقة نطق بعض أهالي صعيد  
مصر : « لَع » في : « لَأ » مثلاً . وأهل النوبة والسودانيون ، يقع  
في كلامهم هذا الإبدال كثيراً في أيامنا هذه ؛ فقد سمعت بعضهم يقولون  
مثلاً : « فلان سعل عليك » يعني : « سأل » .

وقد رويت لنا في العربية القديمة ، أمثلة كثيرة ، لانقلاب الهمزة  
عيناً ، وأغلب الظن أنها من عننة نعيم كذلك ؛ مثل قولهم : « صَبَّأت  
على القوم ، وصَبَّغت عليهم ، وهو أن تدخل عليهم غيرهم » ، وقولهم :  
« اتجأفت النحلة وانجعتفت » ، إذا انقلبت من أصلها « » ، وقولهم :  
« الأسن : قديم الشحم ، وبعضهم يقول : العسن (٨٩) » ، وغير ذلك .

١٠ - الغمغممة : ينسب هذا اللقب إلى « قضاة » ، وهو  
من الألقاب التي أبهم اللغويون العرب في تحديدها ؛ فقالوا في تعريفه كلاماً  
عاماً لا يفيدنا ؛ يقول المبرد ، وهو يشرح كلام الرجل الجرمي السابق أمام  
معاوية : « والغمغممة أن تسمع الصوت ولا تبين لك تقطيع

(٨٦) العين للخليل بن أحمد ١٤٠/١

(٨٧) جهرة اللغة ٢٣٧/٢ وانظر أمثلة أخرى في جهرة اللغة ٧٦/٣

(٨٨) الكامل للمبرد ٢٥/١

(٨٩) انظر : الإبدال لأبي الطيب ٥٥٥/٢ وما بعدها

وكان ابن همزة

أغوا (٨٩)

نُحَسِّف (٨٣)

المفتوحة ، نجد  
الهمزة مبدوءاً بها  
العرب ، في لغة  
إليك : عَيْتَكَ ،

سوى أن  
وأن الأمر في كل  
خاص ، سمعه  
أو أن تكون  
(٨٥)

هذا اللقب الذي  
إبدال عام في كل

ساعة الإعراب ٢٣٤/١

وجرة الفواصل ١١٤

همزة في ديوانه في ١/٣٥

مجموعات لغات العرب ١١

الحروف (٩٠) . ويقول الحريري وأما غمجمة قضاة ، فصوت لا يفهم تقطيع حروفه (٩١) . ويقول ابن يعيش : « والغمجمة أن لا يتبين الكلام . وأصله أصوات الثيران عند الذعر ، وأصوات الأبطال عند القتال » (٩٢) . وفي النفس شيء من هذا اللقب ، وأكاد أميل إلى أنه تحريف قديم لكلمة : « عجمجة قضاة » ، وقع فيه الجاحظ ، ومن جاءوا بعده ، ممن رووا خبر الرجل الجرمي أمام معاوية ، وحاولوا تفسيره !

وقد قرر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في دورته الخامسة والأربعين ( ١٩٧٩ م ) بناء على اقتراح مني في « لحة اللهجات » به ، حذف هذا اللقب من ألقاب اللهجات العربية . ونص القرار هو : « لعل الغمجمة المنسوبة لقضاة ، هي عجمجة قضاة عينا ، أصابها التحريف ، في خبر الرجل الجرمي . وبناء على ذلك تحذف الغمجمة ، من ألقاب اللهجات ، بحيث لا ينسب لقضاة إلا العجمجة » (٩٣) .

١١ - الفحفة : ينسب هذا اللقب إلى قبيلة هذيل ، باتفاق جميع اللغويين ، وهم يقولون : إنه عبارة عن قلب الحاء عينا (٩٤) . وقد قرئ به في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : « حَتَّى جِئَ (٩٥) » ؛ يقول ابن جنى : « روى عن عمر أنه سمع رجلاً يقرأ : ( عتَّى حين ) ، فقال : من أقرأك ؟ قال : ابن مسعود ، فكتب إليه : إن الله عز وجل أنزل هذا القرآن ، فجعله عربياً ، وأنزله بلغة قريش ، فأقرئ الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل ، والسلام » (٩٦) .

(٩٠) الكامل للمبرد ٢٢١/٢ وعنه في العقد المريد ٤٧٦/٢ وجزالة الأدب ٥٩٦/٤

(٩١) درة الغواص للحريري ١١٥

(٩٢) شرح المفصل لابن يعيش ٤٩/٩

(٩٣) انظر : مجموعة المصطلحات - المجلد ٢١ ( ١٩٧٩ م ) ص ١٤٣

(٩٤) الاقتراح ٨٣ والمزهر ٢٢٢/١ وميزات لغات العرب ١١

(٩٥) سورة يوسف ٣٥/١٢

(٩٦) المحب ٣٤٣/١ وانظر : إيفاض الوقف بالابتداء ، لاس الأسارى ١٣

ويبدو من هذه الرواية ، إن صحت ، أن هذه الظاهرة لم تكن عامة في كل « حاء » عند قبيلة هذيل<sup>(٩٧)</sup> ، إذ لم تقلب الحاء عينا في كلمة : ( حين ) المحاورة للكلمة : ( حتى ) في الآية القرآنية ، أي أن هذا الإبدال خاص بكلمة : ( حتى ) . ومما يقوى هذا الظن قول أبي عبيدة : « قوم حولون حاء حتى ، فيجعلونها عينا ، كقولك : قم عني آتيك<sup>(٩٨)</sup> » . وقال أبو الطيب اللغوي : « ويقال : أصر حتى آتيك ، وعني آتيك<sup>(٩٩)</sup> » .

وهذا يذكر بما يقابل كلمة : « حتى » في العبرية والآرامية ، فهي في الأولى **ח** وفي الثانية **ח** أي : العين والذال ، أي أنه كما جهرت الحاء في لغة هذيل ، فأصبحت عينا ، فإن هذا هو ما حدث في هاتين اللغتين ، وزاد الأمر فيهما أن تماثلت التاء مع العين ، فجهرت هي الأخرى ، فصارت دالا .

ويرى « رايبين<sup>(١٠٠)</sup> » أن ( عني ) في لغة هذيل ، منحوتة من : ( حتى ) العربية ، و ( عد ) أو ( عدى ) التي توجد في السبئية كذلك .

١٢ - القرآتية : ورد هذا اللقب ، في بعض روايات حبر الرجل الحرمي ، بدلا من : « رثة العراق » و « لخلخانية العراق » . ولم يتحدث عنه سوى ابن يعيش ، الذي قال : « والقرآتية : لغة أهل الفرات ، الذي هو نهر أهل الكوفة . والفراتان : الفرات ودجيل<sup>(١٠١)</sup> » .

ولعل المقصود بهذا اللقب ، هو نفسه المقصود من : « الرثة » و « اللخلخانية » من السرعة في الكلام ، وما يترتب على ذلك من سقوط الحروف ، وتقصير الحركات !

(٩٧) ليست أدري من أين نقل جصني صاحب ( معجم لغات العرب ) عن هذيل أنها كانت لغة للقب الأهم أقسر من اللغة الأبطر ، بدلا من : اللحن الأهم أقسر من اللغة الأبطر .

(٩٨) القلب بالإبدال ، لأن السكت ٢٣

(٩٩) الإبدال في الطيب ٢٤٥/٢

(١٠٠) Ancien, p. 40, p. 85

(١٠١) شرح لفصل لأن يعيش ٢٩/٩ . عنه في حركات الأدب ٩٦/٤

ث لا يفهم

الكلام .

ال (٩٧) .

خريف قديم

بعده ، فمن

والأربعين

حذف هذا

الغمغة

في خبر

للهجرات ،

بأنفاق

وقد قرئ

من جنس :

أفراك ؟

فجعله

رثهم بلغة



١٣ - القطعة : هذا اللقب يعزى إلى قبيلة طيء ، وهو عبارة عن قطع اللفظ قبل تمامه ؛ قال الخليل بن أحمد الفراهيدى : « والقطعة في طيء كالعنعة في تميم ، وهى أن يقول : يا أبا الحَكَا ، وهو يريد : يا أبا الحَكَم ، فيقطع كلامه عن إيانة بقية الكلمة » (١٠٢) .

فالقطة على هذا نوع من ترخيم اللفظ ، كما نقول نحن الآن في مصر : « يَأْوَل » في : « يا ولد » ، و « سَلَحَى » في : « مساء الخير » ، وهى لغة كثير من البلاد المصرية الآن ، كاخلة الكبرى وما حولها ، وجزيرة بنى نصر ، وأبيار ، وكثير من مديرتى البحيرة وبنى سويف ؛ يقولون : النهار طلا ، أى طلع ، والنور ظها ، أى ظهر ، ومحدث لنا ، أى النار ، وهلمَّ جَرَّ (١٠٣) . ومما يَنبِزُ به في بنى سويف قولهم : « العَيَّ والتَّى والبَلَّا لَحْمَر » ، والمراد : العيش والبيض والبلح الأحمر !

١٤ - الكسكسة : يعزى هذا اللقب إلى قبيلة : « بكر » (١٠٤) ، كما يعزى إلى : « هوازن » (١٠٥) وعن الفراء أنه في لغة « ربيعة ومضر » (١٠٦) . وفي القاموس المحيط أن « الكسكسة لغة تميم لا لبكر » (١٠٧) !

واختلف اللغويون في تحديد المقصود بالكسكسة ، فذهب المبرد إلى أن قوما من بكر ، يبدلون من الكاف سينا ، ولكن أكثر القبيلة لا يجرون هذا الإبدال على الكاف ، وإنما يتبعون كاف المؤنثة في الوقف سينا ؛ يقول المبرد : « وأما بكر فتختلف في الكسكسة ، فقوم منهم يبدلون من الكاف

(١٠٢) التعر للخليل بن أحمد ١٥٦/١

(١٠٣) محيرات لغات العرب ٢٩

(١٠٤) انظر شرح المفصل ٤٩/٩ ودرة العواصم ١١٥ والنهاية لأثر الأثير ١٧٤/٤ ، الكامل للمبرد

(١٠٥) وحرارة الأدب ٥٩٦/٤ والعقد الفريد ٤٧٧/٢ وهاجرات الأدياء ٦٣/١ وقفة النعم للنعاشي ١٧٣

(١٠٦) الخصائص ١٢١/٢ ورسر صدقة الإعراب ٢٣٥/١ وحرارة الأدب ٤٩٥/٤ وألف باء للمبوى ٤٢١/٢

(١٠٧) الأعراب ٨٣ والمفرق ٢٢١/١ والمصاحفى ٥٣ ومحيرات لغات العرب ٢٨

(١٠٨) تاريخ العربى و كسر ٢٣٤/٥



سينا ... وهو أقلهم ، وقوم يبنون حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين ،  
فيزيدونها بعدها ؛ فيقولون : أعطيتكس<sup>(١٠٨)</sup> .

واقصر بعض اللغويين على القول بأن « الكسكة » هي إبدال  
كاف المخاطبة سينا<sup>(١٠٩)</sup> ، كما اقتصر بعضهم على القول بأنها زيادة سين ،  
على كاف المخاطبة في الوقف<sup>(١١٠)</sup> .

والأصل في هذا قول سيبويه : « واعلم أن ناسا من العرب ، يلحقون  
الكاف السين ، ليبنوا كسرة التأنيث ، وإنما ألحقوا السين ؛ لأنها قد تكون  
من حروف الزيادة في استفعل ؛ وذلك : أعطيتكس وأكرمكس ، فإذا  
وصلوا لم يجثوا بها ، لأن الكسرة تبنى<sup>(١١١)</sup> .

كما يزعم الفراء أن « الكسكة » عبارة عن إلحاق كاف المذكر  
سينا ، في لغة ربيعة ومضر ، فرقا بين خطائي المذكر والمؤنث عند  
الوقف<sup>(١١٢)</sup> !

ولارتباط هذا اللقب ، بلقب « الكشكشة » ، الذي يأتي عقب  
هذا ، واخلط اللغويين أحدهما بالآخر ، نعالجهما علاجاً واحداً ، بعد  
عرض آرائهم في « الكشكشة » فيما يلي :

١٥ - الكشكشة : يُعزى هذا اللقب إلى « ربيعة ومضر<sup>(١١٣)</sup> » ،

(١٠٨) الكامل للمبرد ٢٢٣/٢ وحرارة الأدب ٥٩٦/١ وانظر العقد الفريد ٤٧٧/٢ والنهاية لأبي  
الأنعم ١٧٦/٤ والصاحي ٥٣ وألف باء الملوك ٤٣١/٢  
(١٠٩) انظر - النهاية لأبي الأنعم ١٧٤/٤ والإبدال لأبي الطيب ٢٠٧/٢ ومحاضرات الأدباء ٦٣/٤  
(١١٠) المحصن ١٢/٢ وسر صناعة الإعراب ٢١٤/١ + ٢٣٥/١ وحرارة الأدب ٤٩٥/٤  
وشرح المفصل لأبي يعقوب ٤٩/٩ ودرة الغواص ١١٥ وفتح اللغة للتحلي ١٧٣ ومحال تلغ ١١٦/١  
(١١١) كتاب سيبويه ٢٩٥/٢  
(١١٢) الاقتراح ٨٣ والمزهر ٢٢١/١ ومميزات لغات العرب ٢٨  
(١١٣) انظر - الاقتراح ٨٣ والمزهر ٢٢١/١ والمحصن ١٢/٢ وسر صناعة الإعراب ٢٣٥/١  
وحرارة ٤٩٥/٢ ومادة (كشش) من اللسان ٢٣٣/٨ ونجاة العروس ٣٤٥/٤ ودرة الغواص  
للحزوي ١١٥ وألف باء الملوك ٤٣١/٢

كما يُعزى إلى « بكر »<sup>(١١٤)</sup> و « بنى عمرو بن نعيم »<sup>(١١٥)</sup> و « ناس من أسد »<sup>(١١٦)</sup>.

وهذه الظاهرة عند اللغويين ، عبارة عن إبدال كاف المؤنثة في الوقف شيئا ، أو إلحاقها شيئا . وقد ذكر سيبويه هذين المذهبين من مذاهب العرب في الكشكشة ، فقال : « فأما ناس كثير من نعيم ، وناس من أسد ، فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين ، وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف ؛ لأنها ساكنة في الوقف ، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث ، وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل ؛ لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف ، كان أقوى من أن يفصلوا بحركة ... وذلك قولك : إنش ذاهبة ، ومالش ؛ يريد : إنك ومالك ... وقوم يلحقون الشين ، ليبينوا بها الكسرة في الوقف ، كما أبدلوا مكانها للبيان ؛ وذلك قولهم : أعطيتكش ، وأكرمكش ، فإذا وصلوا تركوها »<sup>(١١٧)</sup>.

ويقوم من هذا الكلام لسبويه ، أن الكشكشة خاصة بكاف المؤنث في الوقف ، وإن كانت أمثلته في إبدالها شيئا ؛ وهي : « إنش ذاهبة » و « مالش ذاهبة » لا تصلح فيما يبدو إلا للوصل .

وقد أورد اللغويون بعض الشواهد ، على إبدال كاف المؤنث شيئا في الوقف ؛ منها قول رؤبة :

كتضحك مني أن رأيتني أحتريش  
ولو حرشت لكشفت عن جريش

(١١٤) حمزة اللغة ١٥٣/١ وألف باء الليلوى ٤٣١/٢

(١١٥) الكامل للمبرد ٢٢٣/٢ وحزارة الأدب ٥٩٤/٤ والعقد الفريد ٤٧٧/٢ وسبويه ٢٩٥/٢

وفقه اللغة للعتاشي ١٧٢ ، والنهاية لابن الأثير ١٧٦/٤ والإبدال لأبي الطيب ٢٣-٢٤ وشرح شواهد الشافية ٤٦٩/٤ وشرح المفصل لابن يعيش ٤٨/٩

(١١٦) سبويه ٢٩٥/٢ ومادة (كشش) من اللسان ٢٣٣/٨ ونج العرويس ٣٤٥/٤ وشرح المفصل

لابن يعيش ٤٨/٩ والنصاحي ٥٣ وحزارة الأدب ٥٩٤/٤

(١١٧) سبويه ٢٩٥/٢

عَنْ وَاسِعٍ يَقْرَأُ فِيهِ الْقَنْقَرِشُ<sup>(١١٨)</sup>  
أى عن حرك ، فحوّل كاف المخاطبة شيئا في الوقف ؛ لأنها في القافية .  
وكذلك قول الراجز :

هَلْ لَكَ أَنْ تَنْتَقِعِي وَأَنْفَعِشِ  
فَتُدْخِلِينَ اللَّذَّ مَعِي فِي اللَّذْمَعِشِ<sup>(١١٩)</sup>

كما أورد المبرد قولهم للمرأة : « جعل الله البركة في دارش » ،  
وقولهم : « وَيَحْكُ مَالُش »<sup>(١٢٠)</sup> . والمثال الأخير ، تظهر فيه كافان  
للمؤنث ، إحداهما في : « ويحك » في الوصل ، وقد بقيت كافا ،  
والأخرى في : « مالك » في الوقف ، وقد قلبت شيئا . وقد ذكر المبرد  
ذلك صراحة ؛ فقال : « والتي يدرجوتها يدعونها كافا ، والتي يقفون  
عليها يبدلونها شيئا »<sup>(١٢١)</sup> .

غير أن هناك شواهد كثيرة على قلب كاف المؤنث شيئا في  
الوصل كذلك ؛ منها : قول مجنون ليلي :  
مَعْنِيَاش عَيْنَاهَا وَجِيدُش جِيدُهَا وَلَكِنْ عَظْمُ السَّاقِ مَشِي دَقِيقُ<sup>(١٢٢)</sup>

وقول الراجز :  
يَا دَارُ حَيِّتِ وَمَنْ أَلَمَمَ بِشِ  
عَهْدِي وَمَنْ يَحُلُّلُ يَوَادِيشِ يَعِشِ<sup>(١٢٣)</sup>

(١١٨) شرح شواهد الشافعية ٤١٥/٤ والإبدال وانعاققة للراجزى ٥٠٥ والإبدال لأى الطيب

٢٣٠/٢ وجمهرة اللغة ٥/١ وأسد العرب ( كشتش ) ٢٣٣/٨ ونج العروس ( كشتش ) ٣٤٥/٤

(١١٩) العقد الفريد ٤٧٧/٢

(١٢٠) الكامل للمبرد ٢٢٣/٢ وحرارة الأدب ٥٩٥/٤ وفي درة العواصم ١١٥ : « ويحك مابش » .

(١٢١) الكامل لمحمد ٢٢٣/٢ وحرارة الأدب ٥٩٥/٤

(١٢٢) - مصاحبة الأعراب ٢٩٦/١ ودرة العواصم ١١٥ وجمهرة اللغة ٥/١ والإبدال لأى الطيب

٢٣٠/٢ وجمهرة اللغة ( كشتش ) من اللسان ٢٣٣/٨ ونج العروس ٣٤٥/٤ وشرح المفصل لأى يعيش ٢٨/٩

والفرد للسنوى ٤٣٢/٢ ومحاضرات الأدب ٦٣/١ واليت بلا كشكشة في ديوانه ٩/١٩٨ ص ٢٠٧

(١٢٣) الإبدال لأى الطيب ٢٣٢/٢

و ناس من

المؤنث في الوقف

عذاهب العرب

من أسد ، فاتهم

مال في الوقف ؛

المؤنث ، وأرادوا

المؤنث بحرف ،

لمة ، ومالشي ؛

سيرة في الوقف ،

كميكش ، فإذا

خاصة بكاف

وهي : « إيش

المؤنث شيئا

٢٩٥/٢ وجمهرة اللغة

شرح شواهد الشافعية

٢٩٥/٢ وشرح المفصل

## وقول الشاعر :

فَعَيْنَا فِي عَيْنَاهَا وَحَيْدُهَا وَلَوْ نَشِ إِلَّا أَتَاهَا غَيْرَ عَاطِلٍ <sup>(١٢٦)</sup>  
 وَمِنْ شَوَاهِدِ الْقَلْبِ فِي الْوَصْلِ : قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ : « قَدْ جَعَلَ رَبِّي  
 تَحْتِ سَرِيًّا » ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا <sup>(١٢٥)</sup> » ،  
 وَكَذَلِكَ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ : « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ » لِقَوْلِهِ تَعَالَى :  
 « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ <sup>(١٢٦)</sup> » .

كَأَيُّ رَوَا أَنْ أَعْرَابِيَةَ نَادَتْ جَارِيَةً ، فَقَالَتْ : « تَعَالَى إِلَى مَوْلَاكِ  
 يَنَادِيكِ <sup>(١٢٧)</sup> » . وَمِنْ كَلَامِهِمْ أَيْضًا : « إِذَا أَعْيَاشُ جَارَاتِي ، فَأَقْبِلِي  
 عَلَيَّ ذِي بَيْتِي <sup>(١٢٨)</sup> » .

بَلْ لَقَدْ رَوَا بَعْضُ الشَّوَاهِدِ ، الَّتِي نَرَى فِيهَا ظَاهِرَةَ الْكَشْكَشَةِ ،  
 نَقْلَ الْكَافِ شِينًا ، فِي غَيْرِ كَافِ الْمُؤَنَّثِ ، مِثْلَ قَوْلِ الرَّاجِزِ <sup>(١٢٩)</sup> :

عَلَى فِيمَا أَتَيْتَنِي أَبْغِشِ  
 يَتَضَاءُ تَرْصِيصِي وَلَا تَرْصِيشِ  
 وَتَطْبِي وَذِي تَبِي أَبْغِشِ  
 إِذَا ذَلَّوْتُ جَعَلْتُ تَنْبِيشِ  
 وَإِنْ نَأَيْتُ جَعَلْتُ تَذْنِيشِ  
 وَإِنْ تَكَلَّمْتُ خَشْتُ فِي فَيْشِ  
 حَتَّى تَنْقِي كَنْفِيكَ الدُّبِيشِ

أَمَّا الْخَاقِ كَافِ الْمُؤَنَّثَةِ شِينًا ، فَلَمْ يوردوا له شواهد من الشعر ،

(١٢٤) الصالحى لأن فارس ٥٤

(١٢٥) سورة مريم ٢٤/١٩ والعطف لغة للغة للعالي ١٧٢ وشرح المفصل ٤٨/٩

(١٢٦) سورة النور ٤٨/٣ والعطف ألف باء للملوى ٤٣١/٢

(١٢٧) نوح العروى (كشش) ٣٤٥/٤

(١٢٨) سر صناعة الإعراب ٢٦٦/١ وألف ماء للملوى ٤٣٤/٩ وشرح المفصل ٤٨/٩

(١٢٩) محلى لفظ ١٣٧/١ وحرارة الألف ٥٩٤/٤ وشرح صناعة الإعراب ٢١٦/١ ولسان العرب

(كشش) ٢٣٥/١ وألف ماء للملوى ٤٣٦/٢ وشرح العروى (كشش) ٣٤٥/٤

أو من النثر، وإنما اكتفوا بالتمثيل لذلك بقولهم : « فيقولون : رأيتكش ،  
وبكش ، وعليكش »<sup>١٣٠</sup> .

والآن ، وبعد أن انتهينا من سرد الروايات الخاصة بالكسكسة  
والكشكشة ، في بطون كتب اللغة والأدب في العربية ، نلاحظ ما يلي :

١ - تعزو الروايات التي بين أيدينا ، ظاهرتي الكسكسة  
والكشكشة ، أحيانا إلى قبيلة واحدة ، كسبة الفراء « الكسكسة »  
إلى ربيعة ومضر ، والشائع هو نسبة « الكشكشة » إليهما ، كما أنه انفراد  
بتفسير الكسكسة عندئذ ، بأنها « إلحاق كاف المذكر سينا » ! ولم يقل  
أحد غيره بمثل ذلك - كما أن ابن دريد والبلوى ، يفردان بنسبة  
« الكشكشة » إلى بكر ، والشائع هو نسبة « الكسكسة » إليها . ويبدو  
أن المسئول عن هذا الخلط ، هو قبول الكلمة للتصحيف ، في السين  
والشين !

٢ - يبدو من مجموع الروايات ، أن ظاهرتي : « الكسكسة »  
و « الكشكشة » تنحصران في أمرين : إلحاق الكاف المكسورة سينا  
( في الكسكسة ) وشينا ( الكشكشة ) أو إبدالها سينا أو شينا كذلك .  
والظاهر أن الأمر الأول تفسر من اللغويين لما سمعوه ، ولم يستطيعوا  
كتابته ؛ إذ إن هذه الكاف لم تلحق بسين أو شين ، كما ظنوا ، وإنما  
تحولت إلى صوت من الأصوات المزدوجة ، المسماة باللاتينية :  
Affricata ؛ فقد « وصل العلماء في مقارنتهم اللغة السنسكريتية ،  
باللغتين اليونانية واللاتينية ، إلى قانون سموه : ( قانون الأصوات  
الحنكية ) ، في أواخر القرن التاسع عشر ، ولاحظوا أن أصوات أقصى  
الحنك ، كالكاف والجيم الخالية من التعطيش ، تميل بمخرجها إلى نظائرها  
من أصوات أمامية ، حين يليها صوت لين أمامي كالكسرة ؛ لأن صوت

(١٣٠) انظر مثلا : الاقتراح ٨٣ والبرهنة ٢٢٦١١ ودر صياغة الإعراب ٢٣٥١٢ ونحوه الأدب  
٢٩٥/٢ والخصائص ١١/٢

اللذين الأمامى في مثل هذه الحالة ، يجتذب إلى الأمام قليلا ، أصوات أقصى الحنك ، فتقلب إلى تطايرها ، من أصوات وسط الحنك (١٣١) .

وهذا معناه أن الكاف المكسورة ، تتحول في هذه اللهجات إلى صوت مزدوج ، هو : « ثُسْ » وهذه هي الكسكسة ، أو « ثُسْ » وهذه هي الكشكشة . والصوت الأول يوجد في الألمانية في مثل : Leipzig « ليبتسج » . والثاني يوجد في الإنجليزية ، في مثل : children بمعنى : « أولاد » .

ويبدو أن ابن دريد ، قد أحس بهذا النطق ، وإن لم يتهياً له الدقة في وصفه ، حين قال : « وإذا اضطر الذي هذه لغته ، قال : جيدش وغلامش ، بين الجيم والشين ، إذا لم يتهياً له أن يفرد (١٣٢) » ! كما يقول البلوى : « ومن العرب من يلفظ هذه الكاف ، بين الجيم والشين ، وذلك من اللغات المرغوب عنها ، لما لم يتهياً له أن يفرد الجيم ، ولا الشين (١٣٣) » .

وما تزال هذه الكسكسة ، بتلك الصورة ، حية في مناطق نجد من الجزيرة العربية ؛ فقد سمعهم يقولون مثلاً : ( ثُسيف حالك ؟ ) في : ( كيف حالك ؟ ) ، كما أن الكشكشة لا تزال مسموعة في جنوبي العراق والكويت والبحرين ، وبعض قرى محافظة الشرقية في مصر ؛ إذ تسمعون هناك يقولون : ( ثُسَلْب ) في : ( كَلْب ) مثلاً .

وهذه الأزدواجية ، التي حدثت للكاف العربية في هذه اللهجات ، حدثت للجيم السامية في العربية الفصحى (١٣٤) ، أى أن الأصل في صوت الجيم ، هو عدم التعطيش . وقد تطور صوت الجيم في

(١٣١) في اللهجات العربية ١٢٣ وانظر : التطور اللغوي وحواليه ١٦٣ - ١٦٤

(١٣٢) جمهرة اللغة ٥/١

(١٣٣) ألف باء للبلوى ٤٣٢/٢

(١٣٤) انظر : اللغة العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب ١٢٧

الفصحى . عن نطق يشبه نطق المصريين بهذا الصوت ، فتحل لعرف من مقارنة اللغات السامية . « أن نطق هذا الحرف الأصلي ، كان كما هو الآن في مصر ، وكما كان ويكون في اللغات السامية الباقية ؛ فمثلاً كلمة : ( حمل ) في العبرية gamāl وفي السريانية gamlā وفي الحبشية gamal . وتاريخ هذا النطق كما يأتي : في الابتداء تعبر نطق : gīm قصار : gīm قبل حركة الكسرة فقط ، ثم لفظت عند أهل الحجاز : gīm إذا وقعت قبل كل الحركات ، أي الفتحة والضممة والكسرة ، وكان هذا النطق للفصحى في زمان النبي ﷺ ، فصار نطق القرآن الشريف (١٣٥) » .

٣ - يبدو أن ظاهره : « الكسكسة » و « الكشكشة » كانتا مقيدتين في الأصل بكاف مكسورة ، حتى يمكن لقانون : ( الأصوات الحنكية ) أن يلعب دوره . أما تقييد القدماء ذلك بكاف المؤنثة ، فهو مبنى - فيما يظهر - على استقرار ناقص ، وعندما عثروا على مثال يعارض قواعدهم ، وهو : « اللدش » ، في الرجز الذي سقناه من قبل ، لحنوا في تفسيره إلى نظرية القياس ؛ فقالوا : « شبه كاف الديك ، لكسرتها ، بكاف ضمير المؤنث (١٣٦) » . ويبدو أن « ثعلباً » قد فطن إلى ذلك ، حين تحدث في الكشكشة والكسكسة عن « الكاف المكسورة لأغير (١٣٧) » ، ولم يقيد بها بكاف المؤنث كغيره من اللغويين .

٤ - تقييد اللغويين لظاهره : « الكسكسة » و « الكشكشة » بالوقف ، ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية ، حتى وإن قالوا بأن « الكسرة الدالة على التأنيث تختفي في الوقف ، فزادوا على هذه الكاف في الوقف شيئاً ، حرصاً على البيان » ؛ لأن هذا الحرص على البيان ،

(١٣٥) من مقال عن التهجئات ، للمصنف في أبو كريب - نسخة كية (أحداث جامعة القاهرة) ؛ أحمد

لغات - ١٩٤٨ .

(١٣٦) من صيغة الإعراب ١ : ٢٩٦ ، انظر : مادة / كشت / من السلك ٨ : ٢٣٤ ، الداء ٤ : ٣٥

الكتاب للمعنى ٢ : ٣٢٠ .

(١٣٧) محال - ثعلب ١ : ١١٦ ، مادة - لأب ٤ : ٢٩٤ .



سيكون في هذه الحالة قصداً للمتكلم ، وليس ضرورة صوتية تختمها أعضاء النطق في الوقف . والدليل على ذلك أيضا ، تلك الشواهد الكثيرة التي ساقها اللغويون ، لهذه الظاهرة في حالة الوصل ، وإن تحايل بعضهم على ذلك بالعلة المشهورة ، وهي : إجراء الوصل مجرى الوقف .

٥ - بقي بعد هذا ، تفسير النصف الثاني ، من ظاهرتي : « الكسكسة » و « الكشكشة » بأنها إبدال الكاف سينا ( في الكسكسة ) ، وشينا ( في الكشكشة ) . ومن الممكن القول بأن اللغويين القدماء ، سمعوا الازدواجية في الكاف ، ولم يستطيعوا كتابتها بالضبط ، فدلوا عليها مرة بالكاف والشين ، ومرة أخرى بالشين وحدها ، لولا أن هذه الظاهرة لا تزال موجودة في بعض مناطق الجزيرة العربية ، كمنطقة عسير ، التي يقول أهلها مثلاً : « أبوش » و « أمش » في : « أبوك » و « أمك » . وما الظاهرة المعروفة ( بشنشنة اليمن ) التي سبق ذكرها هنا ، إلا شيء من هذا ؛ فقد قالوا عنها إنها عبارة عن جعل الكاف شينا . وتفسير ذلك سهل ؛ فإن الملاحظ في التطور اللغوي ، أن الأصوات المزدوجة ، تميل في تطورها ، إلى أن تنحل إلى أحد الصوتين المكونين لها ؛ وهذا هو صوت الجيم ، وهو - كما عرفنا من قبل - من الأصوات المزدوجة في الفصحى ، نراه وهو المكون من دال مخرجها من الغار ، يعقبها شين مجهورة ، ينحل في اللهجات العامية ، إلى أحد هذين الصوتين ؛ فمثال تطوره إلى الدال : « دشيش » في جشيش ، و « دشع » في : « جشع »<sup>(١٣٨)</sup> ، ومثال تطوره إلى الشين المجهورة : النطق الشامي للجيم في الوقت الحاضر . وقد ضاع الجهر في بعض الكلمات ، وصارت الجيم شينا مهموسة ، كالشين القديمة ؛ مثل : « فشر » في : « فجر »<sup>(١٣٩)</sup> و « اشترت الدابة » في : « اجترت »<sup>(١٤٠)</sup> . وقد روى لنا هذا

(١٣٨) عذبت الألفاظ العامية ٦٧

(١٣٩) أصول الكلمات العامية ٢٩

(١٤٠) لحن العوام للزبيدي ٣-٢ ونهذب الألفاظ العامية ٦٨

التطور الأخير ، عن قبيلة تميم التي تقول : « شُرَّ ما يُشيثك إلى مُحَّة  
عُرْقوب » بمعنى : « يجيثك » . ويقول زهير بن ذؤيب العدوي :

فَيَا تَعِيم صَابِرُوا قَدْ أُشِثْتُمْ  
إِلَيْهِ وَكُونُوا كَالْمُخْرِبَةِ السُّبُلِ

أى : قد أُجِثْتُمْ<sup>(١٤١)</sup> . كما قال الراجر :  
إِذْ ذَاكَ إِذْ حَبِلَ الْوَصَالُ مُذْمَشٌ<sup>(١٤٢)</sup>

أى : مدح .

وعلى ذلك ، يمكن القول بأن الكسكة بإبدال الكاف سينا ،  
والكشكشة بإبدال الكاف شينا ، ليستا إلا تطوراً على هذا الطريق من  
الصوتين المزدوجين : ثس < س ؛ ثش < ش .

ولكاتبينو رأى غريب في تفسير « الكسكة » و « الكشكشة » ،  
بمعنى إلحاق الكاف سينا أو شينا ؛ إذ يريد إرجاعهما إلى عجمجة  
قضاة ؛ فيقول : « ويبدو أنه يجب ردّ إتباع كاف المخاطبة عند الوقف  
بشين ، عند مضر وربيعة ، وسين عند بني بكر ، إلى هذه الخاصة .  
ومن المحتمل أنه ينبغي تفسير ذلك ، بتخيل صيغة أولى لهذه الكاف ، أى  
( كى ) بكسرة طويلة ، ثم تصير إلى : ( كى ) ثم إلى : ( كج ) ، وأخيراً  
إلى : ( كِش ) أو ( كِس ) ، بانتقال الجيم من الجهر إلى الهمس . وقد  
خلط العرب هذه الظاهرة الغريبة ، بظاهرة أخرى هى إبدال كاف المخاطبة  
شينا أو سينا مكسورتين ، وأطلقوا على الظاهرتين اسم : الكشكشة  
والكسكة<sup>(١٤٣)</sup> .

هذا ، ومن الخطأ البين ، خلط هذه الشين ، بالشين المقطعة

(١٤١) انظر : الصحاح ( شأ ) ٥٩/١ ومعاني القرآن للقراء ١٦٤/٢

(١٤٢) انظر : سر صناعة الإعراب ٢١٥/١ وألف باء اللؤلؤ ٤٣٢/٢

(١٤٣) دروس في علم أصوات العربية ١٤٠

في صولية تخمها  
الشواهد الكثيرة  
من تخاليل بعضهم  
الوقف .

من ظاهري :  
كاف سينا ( ق  
قول بأن اللغويين  
شأنها بالضغط ،  
لأن أن هذه  
كسطة عمير ،  
« و » أمك » .

يق ذكرها هنا ،  
الكاف شينا .  
اللغوي ، أن  
أحد الصوتين  
من قبل - من  
دال مخرجها من  
إلى أحد هذين  
في حشيش » ،  
المجهر : النطق  
بعض الكلمات ،  
« فشر » في :  
وقد روى لنا هذا

من كلمة : ( شيء ) للدلالة على النفي ، في اللهجات العامية الحديثة .  
وقد وقع في هذا الأستاذ عز الدين التوحى في قوله : « ولا تزال العامة في  
فلسطين ومصر يرددون الشين بعد الكاف ، للمذكر والمؤنث معا ،  
فيقولون ما أعطيتكش » بلغة أسد وتميم <sup>(١٤٤)</sup> .

١٦ - المخلخانية : هذا لقب لم يعرف القدماء معناه على وجه  
التحديد ، فأطلقوا معناه إطلاقاً ، وقالوا : هو اللكنة في الكلام والعجمة .  
والمستول عن هذا التفسير ، فيما يبدو ، هو أبو عبيد القاسم بن سلام  
المروى ( المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ) ؛ فهو يقول : « سمعت محمد بن الحسن  
بإسناد له لا أحفظه ، عن رجل سماه أو كناه - أحسبه أبا الرباب -  
قال : كنا بموضع كذا وكذا ، فأتانا رجل فيه لخلخانية . قال أبو عبيد :  
الخلخانية العجمة ؛ يقال : رجل لخلخاني ، وامرأة لخلخانية ، إذا كانا  
لا يفصحان . قال البيهقي بن بشر :

سَيَّرَكُهَا إِنْ سَلَّمَ اللَّهُ جَارَهَا  
بَنُو اللَّخْلَخَانِيَّاتِ وَهِيَ رُتُوعُ  
أراد : بنى العجميات <sup>(١٤٥)</sup> .

وقال ابن سيده ، بعد أن ذكر تفسير أبي عبيد : « والتخنة  
اللكنة ، ورجل تخنخاني ، وهو نحو : اللخلخاني ، إلا أن اللخلخاني  
الحضري المتجهور ، المتشبه بالأعراب في كلامه <sup>(١٤٦)</sup> » .

وباللكنة في الكلام والعجمة ، فسر ابن الأثير : « قوم ارتفعوا  
عن لخلخانية العراق » في حديث معاوية السابق ، ثم قال : « وقيل هو  
منسوب إلى لخلخان ، وهي قبيلة ، وقيل : موضع <sup>(١٤٧)</sup> » .

(١٤٤) هامش الإبدال لأى الطب ٢/٢٣٠ وقد مر دد حتى يامس في قول مثل هذا الرأى في

كتابه : فترات لغات العرب ٢٨

(١٤٥) عرب الحديث لأى عبيد ٤/٥٨٨ . انظر النسيان ( الحج ٤/٢٠٤ )

(١٤٦) المختصر ٢/١٢٣

(١٤٧) النهاية في غريب الحديث ٢/٢٤٤ . انظر المسالك ( الحج ٤/٢٠٤ )

وقد مر  
« رتبة العراق »

وأول  
( المتوفى سنة  
وعثمان ، كقول

ولا  
إلى المقطع  
بسبب تحول

١٧  
السين تاء

يريد بالذات

ول  
ضرورة إقام  
تاء ؛ لأنهم

يتفقان في  
اهتزاز الألف

(١٤٨)

عامة الألف

(١٤٩)

(١٥٠)

(١٥١)

(١٥٢)

وقد مرّ في حديث الرجل الجرمي ، في بعض الروايات ، عبارة :  
« رُتّة العراق » و « فرائية العراق » وقد مرّ تفسيرهما هنا .

وأول من وضع للمخلخالية تفسيراً محدداً ، هو أبو منصور الثعالبي  
( المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ) فقال : « اللخلخالية تعرض في لغات أعراب الشَّحْمِ  
وَعُمان ، كقولهم : مشأ الله كان ، يريدون : ما شاء الله كان (١٤٨) » .

ولا شك أن السبب في تقصير الحركة هنا ، هو انتقال النبر  
إلى المقطع الثاني في هذه الجملة ، والحركات الطويلة تعالى التقصير ،  
بسبب تحول النبر عنها ، كما هو مشاهد في تطور اللغات (١٤٩) .

١٧ - الوتم : يعزى هذا اللقب إلى اليمن ، وهو عبارة عن قلب  
السين تاء (١٥٠) . وينشد الفراء شاهداً على ذلك ، قول علباء بن أرقم :

يَاقُبْحُ اللَّئِي يَنْسِي السَّقْلَاءَ  
عَمَّرُوْا بَيْنَ تَرْبُوعٍ شِرَازِ النَّاتِ  
لَيْسُوا أَعْقَاءَ وَلَا أَكْيَاتِ

يريد بالنات : الناس ، وبالأكيات : الأكياس (١٥١) .

ولو صح ما روى عنهم ، ولم يكن الداعي إليه في هذا الرجز ، هو  
ضرورة إقامة القافية على حرف واحد ، كان من السهل تفسير قلب السين  
تاء ؛ لأنهما من الناحية الصوتية ، متناظران في الرخاوة والشدّة ، أي أنهما  
يتفقان في المخرج ، وهو الأسنان واللثة ، كما يتفقان في الهمس ، وهو عدم  
اهتزاز الأوتار الصوتية ، ويتفقان أخيراً في الترقيق ، والفرق الوحيد بينهما ،

(١٤٨) فقه اللغة للثعالبي ١٧٣ م عه في المصنف ٢٢٣/١ ومخرجات لغات العرب ٢٨٨ . انظر كذلك

محاضرات الأدباء ٦٣/١

(١٤٩) انظر أمثلة لذلك في : حش العامة والتطور اللغوي ٥٦ والتقدم اللغوي . فوايه

١٦١ ١٦٢

(١٥٠) الاقتراح ٨٤ والمؤخر ٢٢٢/١

(١٥١) القلب والإبدال لابن السكيت ٤٢

هو أن السون رخوة احتكاكية ، والناء شديدة انفجارية . والملاحظ أن الصوتين إذا تناظرا ، أمكن قلب أحدهما إلى الآخر بسهولة ، وأما تناظر بين الحاء والعين ، في الهمس والجر ، وما أدى إليه من حدوث ظاهرة « الفحفة » التي عرضنا لها من قبل .

١٨ - الوهم : يعزى هذا القلب إلى ربيعة وقوم من كلب (١٥٢) ، وناس من بكر بن وائل ، وهو عبارة عن كسر الكاف ، من ضمير المخاطبين المتصل : ( كمْ ) ، إذا سبق بكسرة ، أو ياء ، فيقولون : « يَكْمُ » في : « يَكْمُ » ، و « عَلَيَكُمْ » في : « عَلَيَكُمْ » .

وتعليل هذه الظاهرة ، يخضع لقانون المماثلة بين الأصوات المتجاورة ؛ إذ تأثرت ضمة الكاف بما قبلها من كسرة أو ياء ، فقلبت كسرة ، لتتسجم مع ما قبلها .

ولم يقف الميرد على سر هذه الظاهرة ، فخطأها بشدة حين قال : « وناس من بكر بن وائل ، يجرون الكاف مجرى الهاء ؛ إذ كانت مهموسة مثلها ، وكانت علامة إضمار كالهاء . وذلك غلط منهم قاحش ؛ لأنها لم تشبهها في الخفاء ، الذي من أجله جاز ذلك في الهاء ، وإنما ينبغي أن يجرى الحرف مجرى غيره ، إذا أشبه في علته ؛ فيقولون : مررت يَكْمُ (١٥٣) » .

١٩ - الوهم يعزى هذا القلب إلى بني كلب كذلك (١٥٤) . وهو عبارة عن كسر الهاء من ضمير الغائبين المتصل : ( هُمْ ) مطلقا ؛ فيقولون : « مِنْهُمْ » و « عَنْهُمْ » و « بَيْنَهُمْ » في : ( مِنْهُمْ ) و « عَنْهُمْ » و ( بَيْنَهُمْ ) .

واللغة الفصحى ، تبقى الحركة الأصلية لهذا الضمير ، وهي

(١٥٢) الاقتراح ٨٣ وفي المزمع ٢٢٢/١ : وهم قوم من كلب ٤٥

(١٥٣) القصب ٢٦٩/١

(١٥٤) الاقتراح ٨٣ والمزمع ٢٢٢/١

الضم ، إلا إذا  
« بصاحبهم »  
و « قاضيهم »  
كما حدث في  
وبكر بن وائل

ولا يجد  
فحسب ، بل  
الغائبات : ( هُمْ )  
أن تسبق هذه

أما بنو  
الضمير : ( هُمْ )  
أم لم يسبق بواو  
ياء كما في الفصحى  
الشرط .

وخلال  
الخطاب والغائبين  
و « كَتَابُهُمْ »  
« كُمْ » ، ف  
هو : « الْوَكْمُ »  
في : « هُمْ »  
أو ياء ، عن

الضم ، إلا إذا وقع بعد كسرة قصيرة أو طويلة أو ياء ، فتقول :  
 « بصاحبتهم » و « قاضيتهم » و « عليهم » في : ( بصاحبتهم )  
 و « قاضيتهم » و « عليهم » ؛ بسبب قانون المماثلة بين الحركات ، تماماً  
 كما حدث في : ( كُم ) في ظاهرة : « الوكم » السابقة ، عند ربعة وكلب  
 ويكر من وائل .

ولا يحدث هذا في الفصحى ، في ضمير الغائبين المتصل : ( هُم )  
 فحسب ، بل يحدث كذلك في ضمير الغائب المذكر : ( هُ ) ، وضمير  
 الغائيات : ( هُنَّ ) ، وضمير المتشبه للغائبين والغائيتين : ( هُما ) ؛ بشرط  
 أن تسبق هذه الضمائر جميعها ، بكسرة طويلة أو قصيرة أو ياء<sup>(١٥٥)</sup> .

أما بنو كلب ، فإنهم يطردون الباب على وتيرة واحدة ، في  
 الضمير : ( هُم ) ، فيكسرون هاءه مطلقاً ، سواء سبق بكسرة أو ياء ،  
 أم لم يسبق بواحدة منهما ؛ فهم يجرون قانون المماثلة ، فيما سبق بكسرة أو  
 ياء كما في الفصحى ، ويجرون القياس على ذلك ، فيما لم يستوف هذا  
 الشرط .

وبخلاصة القول في : « الوكم » و « الوهم » ، أن الأصل في ضمير  
 الخطاب والغيبة ، ضم الكاف وإفاء ؛ في مثل : « كتابكُم »  
 و « كتابهُم » ، غير أن قبيلة كلب ، تجرى قانون المماثلة الصوتية في :  
 « كُم » ، فتقلب هذه الضمة كسرة إن سبقت بكسرة أو ياء ، وهذا  
 هو : « الوكم » . كما أن اللغة الفصحى ، تجرى هذه المماثلة بشرطها السابق  
 في : « هُم » . وتعمم قبيلة كلب هذه المماثلة هنا ، فيما لم يسبق بكسرة  
 أو ياء ، عن طريق القياس ، وهذا هو : « الوهم » عندهم .

(١٥٥) يرى عن الجاهليين أنهم لا يستخدمون قانون المماثلة ، في هذه الضمائر جميعها ،  
 فيحذفون لذلك بالضم الأصلية فيها ، ويقرون - فحسب - بنو ونداءهم الأخرى . انظر المختص  
 للبريد ٣٧/١

حالية ، وبالألف  
 سهولة ، وأما ما  
 إليه من حدوث

من كلب<sup>(١٥٦)</sup> ،  
 من ضمير  
 يقولون : « يكُم »

بين الأصوات  
 أو ياء ، فقلبت

شدة حين قال :  
 إذ كانت مهمومة  
 فاحش ؛ لأنها  
 هاء ، وإنما ينبغي  
 فيقولون : مررت

كذلك<sup>(١٥٧)</sup> . وهو  
 هُم ( مطلقاً ؛  
 هُم ) و « عنهُم »

الضمير ، وهي

وأخيرا ، فهناك الكثير من الأخبار ، التي رويت لنا عن خصائص  
 أخرى اللهجات العربية : كاستعمال : « ذو » بمعنى ( الذي ) لدى  
 طي ، ، وتشية الفعل وجمعه ، عندما يكون الفاعل مشى أو مجموعا ،  
 في لغة بلحارث بن كعب ، وهي تلك التي عرفت بلغة : « أكلوني  
 البراعيث » ، وقلب الميم باء والباء ميما عند قبيلة سارن ، وإلزام المثني  
 الألف ، عند بلحارث بن كعب وخثعم وزبيد وكنانة ، والوقف على المؤنث  
 بالتاء لا بالهاء في لغة طي واليمن ... وما إلى ذلك مما تفرق هنا وهناك  
 في بطون كتب اللغة والأدب ، غير أننا التزمنا هنا أن نعالج تلك اللهجات  
 التي لقبت بألقاب مختلفة ، عند اللغويين العرب .

★ ★ ★



البَابُ الثَّلَاثُ  
بَيْنَ الشَّعْرِ وَالنَّشْرِ

عن حصائص  
الذي ( الذي  
أو مجموعا ،  
« أكلوني  
والإمام المتقى  
على المؤنث  
رق هنا وهناك  
تلك اللهجات

ذات  
الص  
واللفظ

والفقا  
ق  
بل

التشع  
« ش  
الذئب  
ما د  
ظاه  
أن ي  
الفص

## الفصل الأول خصائص الكلام بين الشعر والنثر

لن نتحدث هنا ، عن اللفظة الشعرية ، وانتقاء الشاعر للكلمات ذات الجرس الموسيقي ، الذي يناسب أغراضه المختلفة ، فليست تلك الصفة من خصائص الشعر وحده ، بقدر ما هي انسجام بين المعنى واللفظ المؤدى إليه ، ومستوى في ذلك الشعر والنثر .

ولكن الذي يهمنا هنا ، هو أن الشعر ، بما فيه من قيود الوزن والقافية ، قد تمتنع فيه أشياء تجوز في النثر ، كما قد تؤدي ضرورة الوزن في بعض الأحيان ، إلى ابتداع نوع من الأسلوب ، الذي لم يألفه النثر ، بل ربما قادت تلك الضرورة ، إلى توليد الصيغ والألفاظ في أحيان أخرى .

ولهذا السبب ينادى بعض الباحثين ، بضرورة الفصل بين لغتي الشعر والنثر ، في وضع القواعد للغة من اللغات . ويرى أستاذنا « شبيتالر » A. Spitaler أنه « من أهم الواجبات ، فصل الشعر عن النثر ، عند التحدث عن بناء الجملة ، ووضع قواعد لنظامها ؛ لأنه ما دامت أية ظاهرة نحوية معينة ، لا تعرف إلا في الشعر ، فإنها لا تصلح ظاهرة عامة ، تنطبق على النثر كذلك ، غير أن هناك صعوبة معينة ، وهي أن بعض التعبيرات الشعرية ، قد انتقلت إلى النثر كذلك ، ولا يمكن الفصل الحاد ، بين الشعر والنثر في ذلك » (١) .

وهناك بداية لمحاولة طيبة ، في الفصل بين لغة الشعر ولغة النثر ،

(١) انظر : A. Spitaler, Arabisch, S. 126, 2.

في كتاب « بلوخ » Alfred Bloch المسمى : « الشعر واللغة في العربية القديمة » Vers und Sprache im Altarabischen .

فمن أمثلة ما يختص به الشعر العربي ، ولا يجوز في الشعر ، أنه يكثر في الأولى توالي ثلاثة مقاطع قصيرة ، أو أكثر ، في كلمة واحدة ، أو في كلمات متتالية<sup>(١)</sup> ، مثل قول سلمان الفارسي ، لأحد الأساقفة ، قبل إسلامه : « فأحب أن أكون معك وأخدمك في كنيسةك ، فأتعلم منك ، وأصلي معك<sup>(٢)</sup> » ، فعض المقاطع القصيرة المتتالية في هذه العبارة ، بلغ في بعض الأحيان ستة مقاطع في : ( سَبَّكَ فَأَت ) ، وهذا لا يمكن أن يحدث في الشعر ؛ إذ لا يمكن أن تتوالى فيه أكثر من ثلاثة مقاطع قصيرة ، في أي بحر من البحور بخال من الأحوال ، كما أنه لا يجوز فيه توالي ثلاثة مقاطع قصيرة ، إلا في البحور التي تقبل فيها التفعيلة ، ( مستعلن ) تقصير المقطعين الأولين فيها ؛ أو بعبارة العروضيين العرب : إذا دخلها زحاف ( الخيل ) ، وهو اجتماع : ( الخس ) و ( الطي ) ، أي حذف الثاني الساكن ، والرابع الساكن ، فتصير على : ( مُتَعَلَّن ) ؛ وذلك يكون في بحور الرجز والسريع والبسيط والمسرَّح ، ومع ذلك فهو ليس شائعاً في الحقيقة ، إلا في الرجز .

ويمكن أن نلمس آثار عدم تقبل الشعر ، لتوالي هذا العدد من المقاطع القصيرة ، فيما يلي :

١ - لا يرد في الشعر العربي ، الصيغ الأسمية التالية ، مضافة إلى ضمير المخاطب : فَعِلَ ؛ مثل : « كَتَفَ » ، وفَعَلَ ؛ مثل : « قَلِمَ » ، وفَعَلَ ؛ مثل : « قَرَبَ » ، وفَعَلَ ؛ مثل : « قَرَشَ » ، وفَعَلَ ؛ مثل : « حَجَجَ » ؛ فلا يرد في الشعر مثل : كَتَفَكَ وقَلِمَكَ وقَرَبَكَ وقَرَشَكَ وُحَجَجَكَ ، وما إلى ذلك وهو جائز في النثر .

(١) انظر : A. Bloch, Vers u. Sprache, S. 7, 15 .

(٢) سورة ابن هشام ٢١٦/١ .

٢ - يكثر في الشعر العربي . تسكين لام : « ملك » بدلا  
من تحريكها ؛ قرأنا من توالي ثلاثة مقاطع قصيرة مثال ذلك قول  
عمرو بن كلثوم :

إذا ما الملك سام الناس خففاً  
أبينا أن يقر الخف فينا<sup>(١)</sup>  
وقول الأعشى :

فقال للملك سرخ منهم مائة  
رسلاً من القول مخفوضاً وما رفعاً<sup>(٢)</sup>

وقول أبي النجم :  
من مشيه في شعر يُدِيلُهُ  
تمشي الملك عليه خليلة<sup>(٣)</sup>

٣ - يقل ورود المفرد : « رجل » في الشعر ؛ مثل قول طرفة :  
أنا الرجل الجعد الذي تعرفونه  
خشاش كراش الحية المتوقد<sup>(٤)</sup>

ويكثر بدلا منها في الشعر كلمة : « مرء » ، النادرة الورد في النثر ؛  
كقول عمرو بن أحمز الباهلي :

أرخصى شباباً مطرهما وصحبة  
وكيف رجاء المرء مالبس لافيا<sup>(٥)</sup>

وقول الراعي الفيرى :  
ولا تعجل المرء قبل الورو  
له وهي بركيته أبصر<sup>(٦)</sup>

(١) شرح القصائد السبع ٤٢٥

(٢) ديوانه في ٦٧/١٣ من ١١١ وشرح القصائد السبع ٤٢٥

(٣) شرح القصائد السبع ٤٢٥

(٤) شرح القصائد السبع ٢١٢

(٥) لسان العرب ( مطرهم ) ٣٥٥/٥

(٦) الإبل للأسمي ١١٤

واللغة في العربية

الشعر ، أنه يكثر

واحدة ، أو في

الأساقفة ، قيل

سمنت ، فأنعلم

المتألفة في هذه

فأت ( ، وهذا

أكثر من ثلاثة

كما أنه لا يجوز

فيها التفعيلة ،

مروضين العرب :

( ، ( الطلي ) ،

( ، ( متعلن ) ؛

ومع ذلك فهو

هذا العدد من

تالية ، مضافة إلى

مثل : « قلم » ،

وفعل ؛ مثل :

وقربك وفرشت

٤ - لا يرد في الشعر مثل : « ثلاثمائة » و « أربعمئة » وما أشبه ذلك ؛ لتوالي ثلاثة مقاطع قصيرة أو أكثر فيها ، ويستعوض عنها الشعراء بعبارات مثل : « ثلاث مئين » و « أربع مئين » . وقد فر النابغة الذبياني من عبارة : « أربع ليال » المشتعلة على ثلاثة مقاطع قصيرة ، وقال بدلاً من ذلك :

بانت ثلاث ليالٍ ثم واحدة

ببدي المجاز تُراعى منزلاً زئماً<sup>(١١)</sup>

٥ - يستعمل في الشعر كلمة : « حجة » مع العدد ، فيقال مثلاً : « عشرين حجة » ، وهو تعبير نادر في النثر ، ويفر بذلك الشاعر من توال ثلاثة مقاطع قصيرة ، في عبارة : « عشرين سنة » . مثال ذلك قول لبيد :

رعى حرزات المُلْك عشرين حجة

وعشرين حتى فاذ والشَّيبُ شامِلٌ<sup>(١٢)</sup>

وقول زهير بن أبي سلمى :

وقلْتُ بها مِنْ بَعْدِ عشرين حجة

فلأيا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ<sup>(١٣)</sup>

وقوله :

بدا لي أني عشت عشرين حجة

تباعاً وعشراً عشتها وثمانين<sup>(١٤)</sup>

وقوله :

فغير عنه رُشد عشرين حجة

من الدهر يوم واحد كان غاوية<sup>(١٥)</sup>

(١١) ديوانه في ١٧/١٣ ص ١٠٩

(١٢) ديوانه في ٥٠/٣٦ ص ٢٦٦

(١٣) شرح القصائد السبع ٢٤١

(١٤) ديوان زهير ص ٢٨٦

(١٥) ديوان زهير ص ٢٨٩

وقول الجرنق أحت طرفة :  
عددنا له خمسا وعشرين حجة  
فلما توفاهما استوى سيدا ضحما<sup>(١٥)</sup>

٦ - الشعر العرى ، لا يقبل الفعل الماضى الثلاثى الصحيح ،  
وبعض الناقص المسند إلى الغائب ، إذا لم يأت بعده اسم مبدوء بهزة  
الوصل ؛ فلا يرد في الشعر مثل : « كَتَبَ سَعْدٌ » و « لَقِيَ عَدُوًّا »  
و « قُتِلَ فِي الْحَرْبِ » و « قَتَلَهُمْ » و « ضَرَبَ كَلْبًا » وما إلى ذلك .

وقد فطن كثير من قدامى اللغويين العرب ، إلى اختلاف لغة  
الشعر ؛ عن لغة النثر ، في بعض الأحيان<sup>(١٦)</sup> ؛ وهذا هو أبو العلاء المعرى  
مثلا ، يقول : « لا يزداد في المنظوم على جمع بين أربعة أحرف متحركة ، فأما  
النثر فيجمع الناطق فيه بين منحرطات كثيرة ؛ لأنه يقدر أن يقول :  
ضَرَبَ وَقَعْلَ وَضَنَعَ ... إلى أن ينقضى النفس . وأكثر ما اجتمع في  
كتاب الله عز وجل ، من الحروف المتحركة ثمانية ؛ وذلك في موضعين  
من سورة يوسف ؛ أحدهما : قوله تعالى : ( إِنِّي رَأَيْتُ أَخَذَ عَشْرَ  
كَوْكَبًا ) ، فبين واو كوكب ، وياء رأيت ، ثمانية أحرف كلهن متحرك .  
والموضع الآخر : قوله تعالى : ( حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ  
لِي ) ، على قراءة من حرك الياء في : لِي و أَيْ . ومثل هذين الموضعين :  
( سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ )<sup>(١٧)</sup> . »

ومع ذلك ، فإن هؤلاء اللغويين ، لم يحاولوا مطلقا الفصل بين  
الشعر والنثر ، في تفصيلهم القواعد ، بل خلطوا بينهما ، فأدى مثل هذا  
الخلط إلى اضطراب في بعض أحكامهم ، فليس بينهم من اقتصر

(١٥) ديوان الجرنق ص ١٩

(١٦) انظر : أبو كوكبا الغراء ، لأحمد مكي الأصبغى ٢٤٥

(١٧) الصاعل والشاحج ٤٧٢



على الاستشهاد بالنثر ، في القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، والخطب  
والرسائل ، وكتب السير ، وغير ذلك من نثر ، صحت نسبته إلى القدماء  
من الفصحاء ، بل نراهم في غالب الأحيان يعتمدون على الشواهد  
الشعرية ، مع قليل من آيات القرآن الكريم ، في النادر من الأحيان ، ونراهم  
يكتفون في الكثير من الأحيان ، بتلك الأمثلة التي اصطنعوها اصطناعاً<sup>(١)</sup>

\*\*\*

الضرورة  
المألوف من القول  
والقافية ، أم لم يُل  
وهم بهذا  
وهو « الاضطراب  
المنطقي ، والشح  
ليست في كثير  
على النظام المألوف  
الأمثلة الصحيحة  
أن الشاعر يكون  
في هذه الأخطاء  
ويقوى رأ  
الضرورة : « وإلما  
ولأن بعضهم ك  
عليهم أشعارهم  
هذه الأرملة ، وي

(١) انظر في ذلك

(٢) الشعراء

السوية ، والخط  
سنة إلى القدماء  
على الشواهد  
الأحيان ، وتراهم  
هذا اصطلاحاً

## الفصل الثاني

### ضرورة الشعر والخطأ في اللغة

الضرورة الشعرية ، عند جمهور علماء العربية ، عبارة عن مخالفة  
المألوف من القواعد في الشعر ، سواء أُلحى الشاعر إلى ذلك بالوزن  
والقافية ، أم لم يلجأ<sup>(١)</sup> .

وهم بهذا التعريف ، يعللون بالضرورة الشعرية ، عن معناها المعوى  
وهو « الاضطراب » ، مما يجعل قبول رأيهم هذا ضرباً من إلغاء التفكير  
المنطقي ، والتحكم بغير دليل أو برهان ؛ فإن الضرورة الشعرية في نظري ،  
ليست في كثير من الأحيان ، إلا أخطاء غير شعورية في اللغة ، وخروجا  
على النظام المألوف في العربية ، شعرها ونثرها ؛ بدليل ورود الآلاف من  
الأمثلة الصحيحة ، في الشعر والنثر على سواء ، غاية ما هنالك ،  
أن الشاعر يكون منهمكاً ومشغولاً بموسيقى شعره ، وأنغام قوافيه ، فيقع  
في هذه الأخطاء ، عن غير شعور منه .

ويقوى رأينا هذا ما يذكره « أبو هلال العسكري » ، حين يقول عن  
الضرورة : « وإنما استعملها القدماء في أشعارهم ؛ لعدم علمهم بقبحاتها ،  
ولأن بعضهم كان صاحب بداية ، والبداية مترتبة ، ولا كان أيضاً تنقد  
حكمهم أشعارهم ، ولو قد نقدت ، وبهرج منها المعب ، كما تنقد على شعراء  
هذه الأزمنة ، وبهرج من كلامهم ، ما فيه أدنى عيب ، لفتحيوها<sup>(٢)</sup> » .

(١) لفظ في ذلك : حواشي الأدب ٤/١٠ والأقتران ١٢ : الأشباه والنظائر ٢٦٤/١  
(٢) الصالحين ٢٥٠ : (١) : ٢١٥

وقد عرفنا من قبل ، موقف اللغويين العرب من السليقة اللغوية ، وأهم كانوا يرونها مرتبطة بالجنس والوراثة ؛ ولذلك كان كثير منهم ، لا يخرؤ على تحطئة الشعراء ، الذين كانوا يضطربهم وزن الشعر وموسيقاه ، إلى مخالفة النظام اللغوي ، في بعض الأحيان ، سواء في بنية الكلمة أم في الإعراب .

ولم يكن كثير من هؤلاء اللغويين والنحويين ، يعترف بما يسمى : « ضرورة الشعر » ، فلم يكونوا يتصورون أن يخطئ شاعر في هذه اللغة ؛ لأنه يتكلمها بالسليقة في نظرهم ، فإذا وجدوا في شعر شاعر خروجاً عن المؤلف في القواعد ، راحوا يلتمسون له المعاذير والحيل ، ويتكلفون في التأويل والتخريج ما لا يحتمل ، فإنه مثلاً على الرغم من أن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ، قد عاب الفرزدق ، وخطأه في قوله :

وَعَضُّ رَمَانٍ يَا أَبْنَى مَرْوَانَ لَمْ يَدْعُ

مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجْلَفًا

فإننا نجد من النحويين المتأخرين ، من يدافع عن الفرزدق ، ويلتمس له مخرجاً ، كابن الأنباري الذي يقول : « قفع ( مجلف ) على الاستشاف » كأنه قال : أو مجلف كذلك (٣) .

بل إن النحاة سرعان ما غيروا في رواية البيت ، لكي يستقيم لهم ما يريدون ، من وجوه التأويل ؛ فقد « قيل للقراء : إن بعض الرواة يقول :

وَعَضُّ رَمَانٍ يَا أَبْنَى مَرْوَانَ هَابَهُ

مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجْلَفًا

قال : ليس هذا بشيء ... حدثني أبو جعفر الرؤاسي ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : مر الفرزدق بعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ، فأنشده

وَعَضُّ رَمَانٍ يَا أَبْنَى مَرْوَانَ لَمْ يَدْعُ

مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجْلَفًا

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف ١٢١

فقال عبد  
ما يسوءك

إذا سكن  
وعض

والجملة بعد  
محذوف لل  
إلا مسحت  
عليه (٥)

وعلى  
مغيرة ، لم  
ظاهر ، ليس  
صدق ابن  
النحويون إلا

والد  
والثقافية ، ولا  
ابن سلام  
أبو عمرو بن

(٤) معاني  
(٥) الخصال  
(٦) التلخيص

فقال عبد الله للفرزدق : علام رفعت ؟ فقال له الفرزدق : على ما يسوءك !<sup>(٥١)</sup> .

كما يقول ابن جني : « فأما قولهم : ودع الشيء يدع - إذا سكن - فائدع ، فمسموع متبع . وعليه أنشد بيت الفرزدق :  
وعص زمان يا ابن مروان لم يدع  
من المال إلا مسحت أو مجلف

فمعنى : ( لم يدع ) ، بكسر الدال : أى لم يتدع ولم يثبت ، والجملة بعد : ( زمان ) في موضع جر ، لكونها صفة له ، والعائد منها إليه محذوف للعلم بموضعه ، وتقديره : لم يدع فيه أو لأجله من المال ، إلا مسحت أو مجلف ، فيرتفع ( مسحت ) بفعله ، و ( مجلف ) عطف عليه<sup>(٥٢)</sup> .

وعلى ما في كلام ابن جني من التكلف الزائد ، وبنائه على رواية مغيرة ، لم يقلها الفرزدق نفسه ، فإنه يقول بعد ذلك : « وهذا أمر ظاهر ، ليس فيه من الاعتذار والاعتلال ، ما في الرواية الأخرى ! » وقد صدق ابن عبد ربه ، حين علق على هذا البيت بقوله : « وقد أكثر النحويون الاحتيال لهذا البيت ، ولم يأتوا فيه بشيء يرضى<sup>(٥٣)</sup> » .

والدليل عندنا على أن الشاعر ، كان يحفل بموسيقى الشعر والقافية ، ولا يأبه بالنظام اللغوي ، دون شعور منه أحيانا ، ما قاله محمد ابن سلام الحمصي ، في تعليقه على بيت الفرزدق ، وعبارته : « وقال أبو عمرو بن العلاء : لا أعرف له وجهها . وكان يونس لا يعرف له وجهها .

(٥١) معاني القراءات للفراء ١٨٢/٢

(٥٢) الخصائص لأبي جني ٩٩/١ وعنه في الحكم لابن سيدة ٢٣٧/٢

(٥٣) العقد الفرید ٣٦٢/٥ وانظر كذلك : الشعر والشعراء ٨٩/٢

السليقة اللغوية ،  
منهم ، لا يجروا  
شعر وموسيقاه ،  
في بنية الكلمة

عرف بما يسمى :  
في هذه اللغة ؛  
شاعر خروجا عن  
البحر ، ويتكلفون  
أن عبد الله بن  
قوله :

أو مجلف  
ق ، ويلتمس له  
على الاستغاف ،

يستقيم لهم ما  
الرواة يقول :

أو مجلف  
أبي عمرو بن  
فأنشده

أو مجلف

قلت : لعل الفرزدق قالها على النصب ولم يأبه ، قال : لا ، كان ينشدّها  
على الرفع ، وأنشدنيها رؤية بن العجاج على الرفع (١٧) .

وقد رأينا من قبل ، أن ما يسمى « بالإقواء » في الشعر ، ليس  
إلا خطأ في قواعد النحو ، يقع فيه الشاعر ، لكي يحتفظ بموسيقى القافية  
في شعره ، وإن كان بعض النقاد القدماء ، يرون أن الشاعر كان يخالف  
موسيقى القافية ، لكي يصحح النحو ، وهذا ما يسمونه « الإقواء »  
في نظريهم ، يقول قدامة بن جعفر ، وهو يتحدث عن عيوب القافية :  
« ومن عيوبها الإقواء ، وهو أن يختلف إعراب القوافي ؛ فتكون قافية مرفوعة  
مثلا ، وأخرى مخفوضة ، وهذا في شعر الأعراب كثير ، وفي من دون  
الفحول من الشعراء . قال إسحاق : قلت ليونس : عبيد الله بن الحر  
يقوي ، فقال : الإقواء خير منه . وقد ركب بعض الفحول الإقواء في  
مواضع ، مثل ما قال سحيم بن وثيل الرياحي :

عذرتُ البزل إن هي خاطرتني

فما بالي وبأل ابن اللبون

وماذا يدري الشعراء مني

وقد جاوزت رأس الأربعين

فتون الأربعين مفتوحة ، وتون اللبون مكسورة ، ولكنه كأنه وقف القوافي ،  
فلم يحركها . وقال جرير :

عريس من غريفة ليس منا

برئت إلى غريفة من عريبي

عرفنا جعفرأ وتبي غبيد

وأكثرنا زعانف آخرينا (١٨) » .

ويقول ابن رشيق : « وعند أكثر العلماء ، اختلاف إعراب القوافي

(١٧) حقايق معجم الشعراء ١٩ ، وفيه في المتن ١٦٠ .

(١٨) نقد الشعر ١٠١ .

إقواء ، و  
فتح . هـ

الشاعر  
وحين نزل  
يجوز كس  
الشاهد  
الشعر بعد  
الأربعين (١٩)

والتون ،  
إذ ذاك (٢٠)  
كلمة (٢١)  
ويعقب الأ  
فيه على (٢٢)

وإذا  
فإنه لا يعد  
ويتكلف له  
فأخذ

(٢٣) الصل

(٢٤) بوز

(٢٥) شعر

(٢٦) شعر

إقواء ، وهو غير جائز لمولد ، وإنما يكون في الضم والكسر ، ولا يكون فيه فتح . هذا قول الحامض . وقال ابن جني : والفتح فيه قبيح جداً (٩٨) .

هذا هو اتجاه بعض نقاد الشعر ، أما النحويون فإنهم كانوا يرون أن الشاعر يلتزم حركة واحدة في القافية ، ولا يخطئ مع ذلك في النحو ، وحين تنزل قدمه في الإعراب ، يلتصقون له الحيل ، فيرى ابن هشام أنه يجوز كسر نون جمع المذكر السالم بعد الياء في الشعر ، ويخرج على ذلك الشاهدين السابقين ، فيقول : « ونون الجمع مفتوحة ، وكسرها جائز في الشعر بعد الياء ، كقوله : وأنكرنا زعانف آخرين ، وقوله : وقد جاوزت حد الأربعين (٩٩) » .

ويرى الرخشي والأشموني أنه « قد يجعل إعراب ما يجمع بالواو والنون ، في النون . وأكثر ما نجىء ذلك في الشعر ، ويلزم الياء إذ ذاك (١٠٠) » ، ويخرجان على ذلك بيت سحيم السابق . وهذا معناه أن كلمة : ( الأربعين ) في هذا البيت ، مضاف إليه مجرور بالكسرة في النون . ويعقب الأشموني على ذلك بقوله : « والصحيح أنه لا يطرد ، بل يقتصر فيه على السماع » .

\*\*\*

وإذا اضطر شاعر إلى تسكين بعض الكلمات ، لضرورة الوزن ، فإنه لا يعدم من النحويين ، منذ أيام سيبويه ، من يطلب له تأويلاً ، ويكلف له قياساً ، فإذا قال الراجز :

فأَحْذَرُ وَلَا تُكْثِرُ كَثْرًا أَهْوَجَا

عَلَجَا إِذَا سَأَقَ بِنَا عَفَنَجَجَا (١٠١)

(٩٨) العدة ١٠٩/١

(٩٩) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ١٤

(١٠٠) شرح القفيل لأن بعض ١١/٥ وشرح الأخواني على ألفية ابن مالك ٨٦/١

(١٠١) شرح شواهد النامة ٢٢٥/٤

أو إذا قال العذافر الكندي :

قَالَ سُلَيْمَى اشْتَرِ لَنَا دَقِيقًا

وَهَاتِ خُبْرَ الْبُرِّ أَوْ سَوِيقًا<sup>(١٣)</sup>

أو إذا قال أبو نجيعة :

إِذَا اعْوَجَّجْنِي قُلْتُ صَاحِبُ قَوْمٍ

بِالْبَدْوِ أَمْثَالُ السَّقِيينِ الْعُقُومِ<sup>(١٤)</sup>

أو إذا قال امرؤ القيس :

فَالْبُؤْمُ أَشْرَبُ غَيْرِ مُسْتَحَقِّ

إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاعِلِ<sup>(١٥)</sup>

أو إذا قال لبيد بن ربيعة :

تَرَاكَ أَمْكِنِي إِذَا لَمْ أَرْضَها

أَوْ يَرْثِطُ بَعْضُ النَّفُوسِ حَمَامَهَا<sup>(١٦)</sup>

أو إذا قال الأقيصر الأسدي :

رُحْتُ وَفِي رَجُلِيكَ مَا فِيهِمَا

وَقَدْ بَدَا هُنَاكَ مِنَ الْمِثْرِزِ<sup>(١٧)</sup>

أو إذا قال جرير :

مَسِيرُوا بَنِي الْعَمِّ فَلَا هَوَاؤَ مَنَزَلِكُمْ

وَنَهْرُ نَيْرى فَلَا تَغْرِفْكُمْ الْعَرَبُ<sup>(١٨)</sup>

(١٣) شرح شواهد الشافعية ٢٢٥/٤

(١٤) سيبويه ٢٩٧/٢ والخصائص ٧٥/١ وخص العلوم ١٤٦/١ وشرح شواهد الشافعية ٢٢٥/٤ ومعاني القرآن للرحاج ١٠٧/١

(١٥) ديوانه في ١٠/١٦ ص ١٢٢ والخصائص ٧٤/١ وخص العلوم ١٤٦/١ ومعاني القرآن للرحاج ١٠٧/٢ والشعر والشعراء ٩٨/١

(١٦) ديوانه ص ٣١٣ والخصائص ٧٤/١ والوساطة ٥ والشعر والشعراء ٩٨/١

(١٧) حرة الألب ٢٧٩/٢ وسيبويه ٢٩٧/٢ والوساطة ٧ وينسب إلى الفرزدق في العمدة ٢٢٢/٩ والشعر والشعراء ١٠٧/١ وأما ابن السجري ٣٧/٢

(١٨) الخصائص ٧٤/١



أو إذا قال هتبل بن حري :  
فَلَمَّا تَيَّيْنُ غُبْ أَمْرِي وَأَمْرِهِ  
وَوَلَّتْ بِأَعْجَارِ الْأُمُورِ حُنُودُ<sup>(١٦)</sup>

أو إذا قال الراعي :  
ثَابِي قُضَاعَةً أَنْ تُغْرِفَ لَكُمْ نَسَاءً  
وَأَنَا بَرَارٍ فَاتُّمَّ يَبِصَةُ الْيَلِيدِ<sup>(١٧)</sup>

أو إذا قال الشاعر :  
وَمَنْ يَتَّقِ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَهُ  
وَرَزَقَ اللَّهُ مُؤْتَاتٍ وَعَادِي<sup>(١٨)</sup>

إذا سكن هؤلاء الشعراء كلمات : لا تكثر ، واشتر ، وصاحب ،  
وأشرب ، ويربط ، وهنك ، وتعرفكم ، وتبين ، وتعرف ، ويتق ، لضرورة  
الوزن ، فإن سيويوه يرى أن ذلك شبيه بتسكين عين نحو : ( فخذ )  
و ( عضد ) ، عند من يسكنها فيهما ؛ فيقول : « وقد يجوز أن يسكنوا  
الحرف المرفوع والمجرور في الشعر ، شبهوا ذلك بكسرة فخذ ، حيث حذفوا  
فقالوا : فخذ ، وبضمة عضد ، حيث حذفوا فقالوا : عضد ؛ لأن الرفع  
ضمة ، والجر كسرة قال الشاعر :

رُحِبَ وَفِي رَجُلَيْكَ مَا فِيهِمَا      وَقَدْ بَدَا هُنَاكَ مِنَ الْمُنْزَرِ

ومما يسكن في الشعر ، وهو بمنزلة الجرّة ، إلا أن من قال : فخذ لم  
يسكن ذلك . قال الراجز :

إِذَا اغْوَجَّحْنَ قُلْتُ صَاحِبَ قَوْمِ

يَالِدُوْ أَمْتَالِ السُّفِيِّ الْعُومِ

فسألت من ينشد هذا البيت من العرب ، فزعم أنه يريد : ( صاحبي ) .

(١٩) الخصائص ٧٤/١

(٢٠) الخصائص ٧٤/١

(٢١) الفصاحي ٢٤٨ مخصص العموم ١١٠/٢ وشرح الشافعية ٢٩٩/٢ وشرح شواهد الشافعية ٢٢٥/٢

وقد يسكن بعضهم في الشعر ويثمن . وذلك قول الشاعر ( امرئ القيس ) :

فَالْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ  
إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ<sup>(٢٢)</sup> .

هذا تعليل سبويه للتسكين في مثل هذه الأبيات ؛ لأن الشاعر عنده لا يخطيء ، ولا يضحي بالإعراب في سبيل موسيقى الشعر ، ذلك ما لم يخطر لسبويه على بال ؛ ولذلك راح يتأول هذا التسكين ، ويلتمس له نظيرا بين لهجات القبائل .

فإذا اعترض معترض على ذلك ، بأن ( كيدا ) و ( فخذنا ) و ( عضدا ) وما شابهها ، كلمات كاملة ، على حين أن نظائرها في هذه الأبيات ، عبارة عن نهاية كلمة وبداية أخرى ، في كثير من الأحيان ؛ فإن ابن جني يرى أن ذلك من معاملة المنفصل ، معاملة المتصل في العربية ، فيقول : « ومن إجراء المنفصل مجرى المتصل قوله : وقد بدا هنك من المنثر ، فشبه ( هنك ) بعضد ، فأسكنه كما يسكن نحو ذلك . ومنه : فالْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ ، كأنه شبه ( رَبِيع ) بعضد . وكذلك ما أنشده أبو زيد : قالت سليمة اشتر لنا دقيقا ، وهو مشبه بقولهم في عِلِمَ : عِلِمَ ؛ لأن ( تَرَل ) بوزن : عِلِمَ . وكذلك ما أنشده من قول الراجز : فاحذر ولا تكتر كريا أعوجا ؛ لأن ( تَرَك ) بوزن : عِلِمَ<sup>(٢٣)</sup> . »

هذا هو رأى سبويه وابن جني . أما عبد القادر البغدادي ، فإنه يرى : « أن الشاعر سكن الراء ( في أمثال : اشتر ، ولا تكتر ) ، وهى عين الفعل ، وكان حقها الكسر ، كأنه توهم أنها لام الفعل ، فسكن للأمر<sup>(٢٤)</sup> . »

(٢٢) سبويه ٢٩٧/٢

(٢٣) الخصائص ٩٥/٣ وانظر كذلك : ٣٣٩/٢ والأشبه والنظائر ٢٧/١

(٢٤) شرح شواهد الشافعية ٢٢٥/٤

وغير  
التوهم في ال  
ووزنه ، هي

وشواهد  
يق  
يجوز إسكان  
فعارضه الأ  
سبويه للأق

رُحيت  
فقال

فقال  
صاح قوم<sup>(٢٥)</sup>

وقد  
جهد الرواة  
الشعر ؛ في

فالْيَوْمَ قا  
بصيغة الأمر

البيت عن  
حلت لي  
ولذلك

(٢٥) ١٨٤٤/٥

(٢٦) ١٨٤٤/٥

ونحن نسأل « البغدادي » صاحب هذا الكلام : لماذا يحدث هذا التوهم في الشعر ، ولا يحدث في النثر ؟ ولماذا لا نقول إن موسيقى الشعر ووزنه ، هي التي اضطرت الشاعر إلى ترك التحريك في المواضع السابقة ؟ ويروى عن الأصمعي ، أنه عارض سيبويه في رأيه ، وردّ عليه شواهد ، يقول حمزة الإصفهاني : « كان سيبويه يحكي عن الخليل أنه كان يميز إسكان حرف الإعراب ، في الاسم المرفوع والمجرور في الشعر ، فعارضه الأصمعي ، وقال : ما جاءنا ذلك عن ثبت نعرفه ، فأنشده سيبويه للأقيشر :

رُحِبْتُ وَفِي رَحْلِكَ مَا فِيهِمَا      وَقَدْ بَدَا هُنَاكَ مِنَ الْعِثْرِ

فقال الأصمعي : ليس للأقيشر بيت نعرفه ! فأنشده :

إِذَا اغْوَجَجْنَ قُلْنَ صَاحِبَ قَوْمٍ

فقال الأصمعي : ليست الرواية بصحيحة ، وإنما روايتنا : قُلْنَ صَاحِبَ قَوْمٍ<sup>(٢٥)</sup> .

وقد رويت بعض هذه الآيات السابقة ، بروايات أخرى يبدو فيها جهد الرواة ، في محاولة إصلاح الخلل الواقع فيها ، بسبب الوزن وموسيقى الشعر ؛ فبيت امرئ القيس مثلاً يروى في بعض المصادر<sup>(٢٦)</sup> :

فَالْيَوْمَ فَاشْتَرَيْتُ غَيْرَ مُسْتَحَقِّ      إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاعِلِي  
بصيغة الأمر للمخاطب ، على حين أن امرأ القيس ، يتحدث قبل هذا البيت عن نفسه ؛ فيقول :

حَلَّتْ لِي الْخَمْرُ وَكُنْتُ أَمْرًا      عَنْ شَرِبِهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلِي  
ولذلك تميل النفس إلى انتظار الفعل المضارع ، في البيت الذي

(٢٥) انبه على حدوث التصحيح ١٣٣ - ١٣٤

(٢٦) انظر مثلاً : الفاهر للمفصل بر سبعة ٧٧ وإصلاح المنطق ٢٤٨ ، وإصلاح (وعل)

بعده ، بدلا من الأمر للمخاطب ؛ ولهذا السبب ورد البيت برواية أخرى ،  
فطن فيها راويها ، إلى ما أشرنا إليه هنا على ما يظهر ، وهي :  
فَالْيَوْمَ أُسْقَى غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ  
وهي رواية المبرد والبطليوسي<sup>(٢٧)</sup> . وقد ردّ على بن حمزة على المبرد هذه  
الرواية ؛ فقال : « وروى المبرد بيت امرئ القيس :

فَالْيَوْمَ أُسْقَى غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ  
ولم يقل امرؤ القيس إلا : فالיום أشرب . وهو ممن اشتهر به من تغييره  
لروايته ... والحرب مما يجيء للشاعر الفصيح في شعره ، مما جاءت أمثله  
لغيره من الفصحاء ، جهل من الهارب<sup>(٢٨)</sup> » .

ويقول ابن جني في ردّ رواية المبرد كذلك : « واعتراض أبي العباس  
في هذا الموضع ، إنما هو ردّ للرواية ، وتحكم على السماع بالشهوة ، مجردة  
من النصفة ، ونفسه ظلم ، لا من جعله خصمه . وهذا واضح<sup>(٢٩)</sup> » .  
وقد اشتهر المبرد ، بتغيير الروايات التي لا تعجبه ؛ فسن ذلك  
ما صنعه في بيت جميل :

أَلَا لَا أَرَى إِثْنَيْنِ أَحْسَنَ شَيْئَةً

عَلَى خَدَتَيْنِ الدَّهْرِ مَتَى وَمِنْ جُمَلٍ  
إذ لم يعجبه قطع همزة : ( اثنين ) لضرورة الوزن ، فغير الرواية ، وجعل  
البيت : أَلَا لَا أَرَى خَلَيْنِ ؛ لكي يخلص من هذه الضرورة ، وادّعى أن  
رواية : أَلَا لَا أَرَى إِثْنَيْنِ ؛ ليست بثبت<sup>(٣٠)</sup> .

(٢٧) انظر : الكامل للمبرد ٢٤٤/١ وديوان امرئ القيس ( أبو الفصل ) ق ١٦/١٠ ص ٢٩٩  
أما رواية السكري وابن النحاس وأبو سهل والأعظم الشعري : فإنها : « فاشرب » . انظر الديوان  
ص ٤١٢ وفي الصلابة لابن رشيقي ٢١١/٢ : « ويرغم قوم أن الرواية الصحيحة في قول امرئ القيس :  
فاليوم أسقى ، وبذلك كان المبرد يقول . وقال آخرون : على خاطب نفسه ، كما يخاطب غيره ، فقال : فاليوم  
فاشرب » . وانظر كذلك : معاني القرآن للزجاج ١٠٨/١ .

(٢٨) التنبهات على أعاليق الرواة لعل من حمزة ١١٦ وانظر كذلك : الشعر والشعراء لأبي حنيفة  
٩٨/١

(٢٩) الخصال ٧٥/١ وانظر كذلك : حزانة الأدب ٢٧٩/٢

(٣٠) انظر : نوازل أبي زيد ٢٠٤ وتعليق البغدادي على ذلك في : شرح شواهد الشافعية ١٨٤/٤

ومما أصلحه الرواة من الشواهد السابقة كذلك « قول أبي نخيلة :  
إذا أغوججن قلت صاحب قوم

بالدو أمثال السقيين العموم  
فقد قال فيه الأعلام الششمري : « الشاهد فيه : تسكين الياء ضرورة ،  
وهو يريد : يا صاحب ، أو يا صاحبي ، تشبيها له في حال الوصل ، به إذا  
كان الوقف ، وهذا من أفصح الضرورة . ومن لا يرى هذا جائزا ينشد :  
قلت صاحب قوم ، على الترخيم <sup>(٣١)</sup> . وهو يعني بذلك قول الأصمعي  
السابق ، في رده على سيبويه <sup>(٣٢)</sup> .

كذلك توجد رواية أخرى ، لبيت لبيد بن ربيعة :  
ترأك أمكنية إذا لم أرضهها

أو يرتبط بغض النفوس حاتمها  
ففي شرح ديوان لبيد ( ص ٣١٣ ) : « ويروى : أو يُعتقى ،  
أي يحبس . ولا شك أن هذه الرواية ، لم يقلها لبيد نفسه ، وإنما هي  
مما صنعه الرواة ، ليخلصوا البيت من الخطأ النحوي . ويقول شارح  
الديوان : « والفعل : ( يرتبط ) في موضع رفع ، وجزئة أتعب  
التحويين في التخريج » .

ومما يدلنا على أن الرواة كانت تصلح أشعار الشعراء ، ما روى عن  
الأصمعي أنه قال : « قرأت على خلف شعر جرير ، فلما بلغت قوله :  
فيالك يوماً خيرة قبل شره تغيب وأشييه وأقصر عاذله  
فقال : ويله ! وما ينفعه خير يشول إلى شر ؟ قلت له : كذا قرأته على  
أبي عمرو . فقال لي : صدقت ، وكذا قال لي جرير ، وكان قليل  
التنقيح مشد الألفاظ ، فقلت : فكيف كان يجب أن يقول ؟ قال : الأجود

(٣١) شرح شواهد الكتاب للأعلام الششمري ٢/٢٩٧

(٣٢) ويقول نضوان الحميري في كتابه : حسن العلوم ١ : ٦١ . « وكان أبو العباس ( المبرد )  
ينشد : صاحب قوم ، يحذف الياء . وينشد : فالقوم فاشرب بالقاء . والمعروف أن رواية المبرد لبيت امرئ  
القيس : « فالقوم أسقى » كما سبق .

ثم قال : فيالك يوما حيره دون شدة ، فاروه هكذا ! فقد كانت الرواة قديما  
تصلح أشعار القدماء . فقلت : والله لا أرويه بعدها إلا هكذا<sup>(٣٢)</sup> .

\*\*\*

و نعود مرة أخرى إلى الضرورات الشعرية ، فنقول : إن الشاعر  
قد يضطره الوزن أيضا إلى تحريك ما يجب إسكانه ، وعندئذ يتأوله  
النحويون واللغويون ؛ لأنهم لا يريدون أن يعترفوا ، بأن الشاعر قد يفعل  
ذلك محافظة منه على موسيقى الشعر ، وإن كان يخالف اللغة المألوفة :

ومن ذلك ما رواه أبو زيد الأنصاري<sup>(٣٤)</sup> ، من قول الشاعر :  
مِنْ أَيِّ يَوْمَيَّ مِنَ الْمَوْتِ أَفْرُ أَيُّومَ لَمْ يَقْدَرْ أَمْ يَوْمَ قُدِرَ<sup>(٣٥)</sup>  
فهو يرى أن الشاعر هنا ، فتح الراء من : ( يَقْدَرُ ) ، وحقها الجزم بلم ؛  
لأنه أراد النون الخفيفة فحذفها ، أي أن هذا الفعل مؤكد بنون التوكيد  
الحقيقية ، التي حذفت وبقيت الفتحة في الفعل دليلا عليها .

ويرى بعض النحويين جواز ذلك ، وجواز قلب هذه النون ألفا  
في الوقف . وقد ضرب ابن الأنباري على ذلك بعض الشواهد ، وهو  
يشرح قول امرئ القيس ، في مطلع معلقته المشهورة :

قفا بُكِّ مِنْ ذِكْرِي خَيْبٍ وَمَنْزِلِ

يسقط اللوى بين الدخول فحومل  
فهو يرى أن قوله : ( قفا ) فيها « ثلاثة أقوال ؛ أحدهن : أن يكون  
خاطب رفيق له ، وهذا مما لا نظر فيه . والقول الثاني : أن يكون  
خاطب رفيقا واحدا وثنى ؛ لأن العرب تخاطب الواحد بخطابات  
الاثنتين ... والقول الثالث : أن يكون أراد : ( قَفَرُ ) بالنون ، فأبدل  
الألف من النون ، وأجرى الوصل على الوقف ، وأكثر ما يكون هذا في

(٣٢) انظر : نور القيس المختصر من المختصر للبرماني ٧٣

(٣٤) البواقي في اللغة ١٣

(٣٥) يروي عن علي بن أبي طالب في جملة البحري ٤٥ وانظر : شرح القصائد السبع ٣٤ وجزالة

الأدب ٥٨٩/٤ وشر صاعقة الإعراب ٨٥/١ والمصائص ٢٩٤/٣

الوقف ، وربما أجرى الوصل عليه<sup>(٣٦)</sup> . ثم ذهب ابن الأثير ، يعدد الشواهد على هذا القول الأخير ، فقال : وأنشد الفراء :  
فمهما تشأ منه فزارة تُعطكم ومهما تشأ منه فزارة تمنعا  
أراد : تمنعن . وأنشد الفراء :

فإن لك الأيام رهبن بضربة

إذا شيرت لم تذر من أين شيرا  
أراد : تُسِرَن . وقال عمر بن أبي ربيعة :

وقمير بدا ابن خنيس وعشرب

من له قالت الفئتان قومنا  
أراد : قومن . وأنشد الفراء :

يخبئه الجاهل ما لم يعلم

شيخا على كرميه معمما  
أراد : يعلمن . وقال الأعشى :

وصل على جين العشيّ والضحي

ولا تحمد الثريين والله فاشمدا  
وهذه الأبيات كلها في نظرنا ضرورة ، تحتها قافية الشاعر المفتوحة . وقد رفض ابن جني ، وهو يعلل لفتح الراء من : ( يُقَدِّر ) في البيت الذي رواه أبو زيد فيما سبق - أن تحذف تون التوكيد ، وعلل ذلك بأن حذفها فيه « نقص الغرض » إذ كان التوكيد من أماكن الإسهاب والإطناب ، والحذف من مظان الاختصار والإيجاز<sup>(٣٧)</sup> .

ثم لا يعترف ابن جني بعد ذلك بالضرورة ، التي ألحأت هذا الشاعر إلى نصب المجزوم ، بل يرتكب مشقة كبيرة في التخريج والتأويل ؛ فيقول :  
« لكن القول فيه عندي ، أنه أراد : ( أَيُّومَ لَمْ يُقَدَّرْ أَمْ يَوْمَ قُدِّرَ ) ، ثم خفف همزة : ( أَمْ ) ، فحذفها وألقى حركتها على راء : ( يقدر ) ، فصار

(٣٦) شرح القصائد السبع ١٧

(٣٧) الخصائص ٩٥/٣



تقديره : ( أيوم لم يُقدرْ أم ) ، ثم أشبع فتحة الراء ، فصار تقديره : ( أيوم لم يُقدرْ أم ) ، فحرك الألف لالتقاء الساكنين ، فانقلبت همزة ، فصار تقديره : ( يُقدرْ أم ) ، واختار الفتحة ، إتياعا لفتحة الراء (٣٨) .

وقد ذكر ابن جنى هذا الرأي العجيب ، بتفصيل أكثر في كتابه : « سر صناعة الإعراب » ، وقال بعد الفراغ من عرضه : « فعلى هذا ينبغي أن يعمل عندى قوله : ( أيوم لم يقدر أم يوم قدر ) ويكون ارتكابك هذا الذى ، قد شاعت أمثاله عندهم ، وإن كان فيها بعض اللطف والغموض ، أسهل وأسوغ من حذفك نون التوكيد ؛ لأمرين :

أحدهما : أن ذلك لم يأت عنهم فى بيت غير هذا ، فيحمل هذا عليه . فأمّا ما أنشدوه من قول الآخر :

اضْرِبْ عَنْكَ الِهُمُومَ طَارِقَهَا

ضَرَبْتَ بِالسَّوْطِ قَوْثَسَ الْقَسْرِ (٣٩)

فمدفوع مصنوع ، عند عامة أصحابنا ، ولا رواية تثبت به .

والآخر : ضعفه وسقطه فى القياس ، وذلك أن التوكيد من مواضع الإطناب والإسهاب ، ولا يليق به الحذف والاختصار ، فإذا كان السماع والقياس جميعا ، يدفعان هذا التأويل ، وجب إلغاؤه وإطراحه ، والعدول عنه إلى غيره ، مما قد كثر استعماله ، ووضح قياسه (٤٠) .

\*\*\*

ولا تقتصر الضرورات الشعرية ، على الإعراب وحده ، بل تمتد إلى بنية الكلمة نفسها ، فتصيبها بالتغير والتحول ، فقد تقتصر الحركات الطويلة ، فى مثل قول الأسود بن يعفر :

(٣٨) الخصائص ٩٥/٣

(٣٩) فى النوادر لأبى زيد ١٣ : قال أبو حاتم - أنشدنى الأحفش بيتا مصنوعا لطرفة ، ثم أنشده .

(٤٠) سر صناعة الإعراب ٩٣/١

فَالْحَقْتُ أَخْرَاهُمْ طَرِيقَ الْأَهْمِ

كَمَا قِيلَ نَحْمُ قَدْ غَوَى مُتَابِعٌ<sup>(٤١)</sup>

وقول رؤبة :

وَصَالِي الْعَجَاجِ فِيمَا وَصَنِي<sup>(٤٢)</sup>

وقول أبي عامر جد العباس بن مرداس :

سَيْفِي وَمَا كُنَّا بِتَجِيدٍ وَمَا

فَرَقَرُ قَمَرُ الْوَادِ بِالشَّاهِقِ<sup>(٤٣)</sup>

وقول الأعشى :

وَأَخُو الْغَوَانِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِفُهُ

وَيَكُونُ أَغْذَاءَ بُعِيدٍ وَدَادٍ<sup>(٤٤)</sup>

وقول مُضَرِّس بن ربيعة الأسدي :

فَطَرْتُ بِمُتَصَلِّي فِي بَعْمَلَاتٍ

دَوَامِي الْأَيْدِ يَحْبِطُنَ السَّرِيحَا<sup>(٤٥)</sup>

وقول أبي جَرَّاش الهذلي :

وَلَا أَذِرُ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ

خَلَا أَنَّهُ قَدْ سَلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَخْصٍ<sup>(٤٦)</sup>

وقول أوس بن حجر :

وَلَكِنْ أَخْوَكُ النَّاءِ مَا كُنْتُ أَمْنًا

وَصَاحِبُكَ الْأَذْنَى إِذَا الْأَمْرُ أَغْضَلَا<sup>(٤٧)</sup>

(٤١) أمال ابن السجري ١٧٩/٢

(٤٢) حزانة الأدب ٦٣/١

(٤٣) انظر ترجمته في كتابنا التذكير بالناثبات في اللغة ٢٧

(٤٤) شرح شواهد الشافعية ٤٨٦/٤

(٤٥) لسان العرب (بدي) ٣-٢/٢٠٠ وشرح شواهد الشافعية ٤٨١/٤

(٤٦) ديوان الهذليين ١٣-١٢٣

(٤٧) شرح شواهد الشافعية ٩٣/٤

وقول خفاف بن ثدبة :

كنواج ريش حمامة تجديبة  
ومسحت بالثش عصف الإثمد<sup>(٤٨)</sup>

وقول الشاعر :

كفأك كف لا ثليلق درهما  
جوداً وأخرى نعط بالسيف الدما<sup>(٤٩)</sup>

وقول الآخر :

ليس تخفى يسارتي قدر يوم  
ولقد تخف شيمتي إغساري<sup>(٥٠)</sup>

ففي هذه الأبيات ، اضطر الشاعر إلى تقصير الحركة الطويلة ، من الكلمات : ( أولاهم - وصاني - الوادي - الغواني - الأيدي - أدرى - النائي - نواحي - تعطي - تخفى ) ؛ لكي يحتفظ بموسيقى الوزن ، وهو أمر لا يجوز إلا إذا جاء في الكلام ساكن ، بعد هذه الحركة الطويلة ؛ فإنها تقصر عندئذ في النطق ، لا في الكتابة ؛ مثل : « يدعو المؤمن إلى الحق » ، ومثل : « دوامي » في بيت مضر بن ربيعي السابق ؛ فإن « الأصل رسم اللفظ ، أي كتابته بحروف هجائية ، يلفظ بها مع تقدير الابتداء به ، والوقف عليه »<sup>(٥١)</sup> . وإن كانت هذه القاعدة الكتابية ، قد شذت عنها مواضع في كتابة المصحف العثماني ؛ نظراً إلى أن قواعد الكتابة ، لم تكن قد استقرت بعد في ذلك العصر المبكر ، فكتب كتاب المصحف بعض الكلمات القرآنية ، حسب النطق بها في الوصل لا في الوقف ؛ وذلك مثل قوله تعالى : « وَيَتَوَفَّيْتُمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَخْرَاءَ عَظِيمًا » النساء ١٤٦/٤ « كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ » يونس

(٤٨) سر القصاصة لأن سان اخلاص ٨٥ وبلغت القواف لكسان ٦٤

(٤٩) مقدمة في علوم القرآن ١٣٨ وأملئ ابن الشجري ٧٢/٣ ومعاني القرآن للقرآن ٢٦٠/٣

(٥٠) معاني القرآن للقراء ٢٦٠/٣

(٥١) رسالة في علم الحفظ للسيوطي ٥٤ وانظر : الإنفاق في علوم القرآن ١٦٦/٢ وأشرج الشامية

١٠٣/١٠ « وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا » الحج ٥٤/٢٢ « وَمَا أَنْتَ بِهَادِ  
 الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ » الروم ٥٣/٣٠ « فَأَخْلَعَ ثَغْلِيكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ  
 الْمُقَدَّسِ طَوًى » طه ١٢/٢٠ « حَتَّى إِذَا أَنْوَا عَلَى وَادِ الثَّمَلِ » التمل  
 ١٨/٢٧ « فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْسِ » القصص  
 ٣٠/٢٨ « إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى » النازعات ١٦/٧٩  
 « إِنَّ يُودَى الرَّحْمَنُ بَصُرٌ » يس ٢٣/٣٦ « لِأَمْنٍ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ »  
 الصفات ٦٣/٣٧ « سَدَّغَ الزَّبَانِيَةَ » العلق ١٨/٩٦ « وَيَدَّغُ الْإِنْسَانَ  
 بِالْشَّرِّ » ١١/١٧ « وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ » الشورى ٢٤/٤٢

وقد قطن إلى هذا الذى قلناه هنا ابن خالويه ؛ فقال عند قوله  
 تعالى : « سَدَّغَ الزَّبَانِيَةَ » : « والأصل : ( سَدَّغُوا ) بالواو ، غير أن الواو  
 ساكنة ، واستقبلتها اللام الساكنة ، فسقطت الواو ، فبنوا الخط عليه .  
 وقد أسقطوا الواو في المصحف في : ( سَدَّغَ ) و ( يَدَّغُ الْإِنْسَانَ )  
 و ( يَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ) ، وكذلك الياء من : ( وَادِ الثَّمَلِ ) و ( إِنَّ اللَّهَ  
 لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا ) . والعلة قهين ، ما أبانتك من بنائهم الخط  
 على الوصل <sup>(١٥٢)</sup> .

أما ابن جنى ، فيعزل لذلك تعليلا خاطئا ؛ فيقول : « ويمح الله  
 الباطل ، وسدغ الزبانية ، كتبت في المصحف بلا واو ، للوقوف عليها  
 كذلك <sup>(١٥٣)</sup> ؛ كما يقول كذلك : « ويمح الله الباطل ، ويوم يدع الداع ،  
 وسدغ الزبانية ؛ كتبت ذلك بغير واو دليلا في الخط ، على الوقوف عليه  
 بغير واو في اللفظ <sup>(١٥٤)</sup> » ؛ لأنه على فرض أن بعض القراء ، يقف على هذه  
 الكلمات ، بتقصير الحركات ، فإنه إنما يفعل ذلك ؛ لأنها كتبت بدون  
 الواو ، لا أنها كتبت بدون الواو ؛ لأنه كان يوقف عليها بتقصير الحركات !  
 ويذهب الزركشى في تحليل ذلك ، مذهبا بعيدا حين يقول إن :

(١٥٢) إعراب اللاتين سورة ١٤١

(١٥٣) المصنف ٢٩٣/٢

(١٥٤) المصنف ١٣٤/٣

(١٥٨) الإتيان

(١٥٩) الدماء

(١٦٠) يغشى

تلك الطويلة ، من

الأدى - أدري

الوزن ، وهو أمر

الطويلة ؛ فإنها

يدعو المؤمن

السابق ؛ فإن

لها مع تقدير

الكثيرة ، قد

لأن قواعد

فكتب كتاب

الوصل لا في

المؤمنين أجراً

يؤمنين ؛ يونس

من القرآن ٢٦/٣

١٧٧/٣ شرح الشافعية

الواو « قد سقطت من أربعة أفعال ، تنسبها على سرعة وقوع الفعل ، وسهولته على الفاعل ، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود ، أولها : سدع الزبانية ، فيه سرعة الفعل ، وإجابة الزبانية ، وقوة البطش ... وثانيها : ويمح الله الباطل ، حذفت منه الواو علامة على سرعة المحو ، وقبول الباطل له بسرعة ... وثالثها : ويدع الإنسان بالشر ، حذف الواو يدل على أنه سهل عليه ، ويسارع فيه ، كما يعمل في الخير ، وإتيان الشر إليه من جهة ذاته ، أقرب إليه من الخير ... ورابعها : يوم يدع الداع ، حذف الواو لسرعة الدعاء ، وسرعة الإجابة (٥٥) » .

والزركشي بكلامه هذا ، يعتقد أن كتاب الوحي ، كانوا يرمزون للمعاني الدقيقة ، التي يحاول هو أن يستنبطها - يرموز كتابية مختلفة ، وهو ما لم يخطر على بال أحد منهم بلا ريب !

هذا ، ومن أمثلة تقصير الحركات الطويلة في الشعر ، لضرورة الوزن أيضا ، قول رؤبة :

إِذَا حَالَ دُونِي مَصْرَعُ الْبَابِ الْمَصْنُوعِ

ويقول فيه صاحب لسان العرب : « يحتمل أن يكون عندهم : ( المَصْرَع ) لغة في : ( المصراع ) ، ويحتمل أن يكون محذوفاً منه (٥٦) » .

ومن أمثلة التقصير ، لضرورة الشعر كذلك ، قول متمم بن نويرة :

عَلَى مِثْلِ أَصْحَابِ الْبُعْضَةِ فَانْحَمِشِي

لَكَ الْوَيْلُ خُرَّ الْوَجْهَ أَوْيْتُكَ مِنْ نَكِي

وقول الآخر :

مُحَمَّدٌ تَفْلَهُ نَفْسُ كُلِّ نَفْسٍ

إِذَا مَا حَفَّتْ مِنْ شَيْءٍ ثَبَالًا

(٥٥) الزركشي في علوم القرآن ٣٩٧/١ ، نقله السيوطي في الإتقان ١٦٨/٢ مع بعض التحريف .

(٥٦) لسان العرب ( مصراع ) ٦٦/١٠ .

ففى هذين البيتين ، اضطر الشاعر إلى تقصير الحركة الطويلة فى :  
 ( ييكى ) و ( تفدى ) فصارتا : ( ييك ) و ( تفد ) ؛ لضرورة الوزن ،  
 وإن كان النحويون لا يجرون على الاعتراف بهذا ، ويؤمنون أن هذين  
 الفعلين ، مجزومان بلام الأمر المقدرة ؛ يقول سيويه : « واعلم أن هذه  
 اللام ، قد تجوز حذفها فى الشعر ، وتعمل مضمرة ، وكأنهم شبهوها بأن إذا  
 عملت مضمرة (٥٧) » .

غير أن المبرد ، لا يعجبه هذا التعليل ؛ فيقول : « والنحويون يجيزون  
 إضمار هذه اللام للشاعر إذا اضطر ، ويستشهدون على ذلك بقول متمم  
 ابن نويرة : ... يريد : أو ليتك من يكى ، وقول الآخر : ... فلا أرى ذلك  
 على ما قالوا ؛ لأن عوامل الأفعال لا تضمر ، وأضعفها الجازمة ؛ لأن الجزم  
 فى الأفعال نظير الحذف فى الأسماء ، ولكن بيت متمم حمل على المعنى ؛  
 لأنه إذا قال : فاحمشى ، فهو فى موضع : فلتحمشى ، فعطف الثانى على  
 المعنى . وأما هذا البيت الأخير فليس بمعروف ، على أنه فى كتاب سيويه  
 على ما ذكرت لك (٥٨) » .

ومن أمثلة تقصير الحركات ، لضرورة الوزن كذلك ، قول الشاعر :  
 فى كلت رجليها سلامى زائده  
 كلتاها قد قرئت بواحدة  
 وقول الآخر :

كلت كفيه ثوالى دائماً  
 بجشوش من عقاب ونعم

فإن « كلت » فى البيتين ، مقصورة من « كلتا » ، لضرورة  
 الوزن ، وإن كان الكوفيون يرون أنها مقدر : « كلتا (٥٩) » .

\*\*\*

(٥٧) كتاب سيويه ٢٠٨/٢

(٥٨) المقتضب ١٣٢/٢

(٥٩) نظر فى ذلك : حركات الأدب ٦٢/١ - ٦٥ ومعنى النحران المقراء ١٤٢/٢

وكما تقصر الحركات لضرورة الوزن ، فإنها تطول أحيانا لهذا السبب  
أيضا ؛ مثال ذلك قول الفرزدق :  
تُنْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ  
نَفَى الدَّرَاهِمِ تَقَادُ الصَّارِيفِ<sup>(٦٠)</sup>

وقول أبي زيد :  
لَهَا صَوَاهِلُ فِي صَمِّ السَّلَامِ كَمَا  
صَاحَ الْقَسِيَّاتُ فِي أَيْدِي الصَّارِيفِ<sup>(٦١)</sup>

وقول الفرزدق :  
فَطَلَا يَخِيطَانِ الْوَرَاقَ عَلَيْهِمَا  
بِأَيْدِيهِمَا مِنْ أَكْلِ شَرِّ طَعَامِ<sup>(٦٢)</sup>

وقول ابن هرمة :  
وَأَنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تَرْمِي  
وَمِنْ دَمِ الرِّجَالِ بِمَشْرَاحِ<sup>(٦٣)</sup>

وقول المفضل التُّكْرِي :  
تَلَاقَيْنَا بِعَيْتَةِ ذِي طَرِيفٍ  
وَبَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ حَيْقُ<sup>(٦٤)</sup>

وقول امرئ القيس :  
كَأَنِّي بِفَتْخَاءِ الْجَنَاحَيْنِ لِقْوَةٌ  
صَيُورٍ مِنَ الْعُقَيَّانِ طَاطَاتُ شِمَالِي<sup>(٦٥)</sup>

(٦٠) أعمال ابن الشجري ١/٢٢١ و ١٥٧/٢١ ورسالة الملائكة ٢٠٨ وشواهد التوضيح ٢٣

(٦١) ديوانه في ٢/٣٨ ص ١١٩ وغريب الحديث لأبي عبيد ٥٨/٤

(٦٢) شواهد التوضيح ٢٢

(٦٣) شرح شواهد الشافعية ٢٥/٤ والخماسة البصرية ١٩٠/١

(٦٤) تأويل مشكل القرآن ٢٣٤

(٦٥) شرح القصائد السبع ٣٣٢ ورسالة الملائكة ٢١١



وقول عنترة :

يَتَّبَعُ مِنْ ذُفْرِي غَضُوبَ حِجْرَةٍ  
رِيَافَةٍ مِثْلَ الْفَيْقِ الْمَكْدَمِ (٦٦)

وقول عمرو بن الأهتم :

وَسَوَاعِيْدُ يَخْتَلِيْنَ اخْتِلَاءَ  
كَالْمَعَالِي يَطْرُنُ كُلُّ مَطِيرٍ (٦٧)

وقول النابغة الجعدي :

وَحَدُّ كَبْرُفُوجِ الْفَتَاةِ مُلَمَّعٍ  
وَرَوْقَيْنِ لَمَّا يَغْدُوْنَ أَنْ تَقْشُرَ (٦٨)

وقول الراجز :

لَا عَهْدَ لِي بِبَيْضَالٍ  
أَصْبَحْتُ كَالشَّنِّ الْإِيَالِ (٦٩)

وقول الشاعر :

وَأَنْتِي حَيْثُمَا يَسْرِي الْهَوَى بَصْرِي  
مِنْ حَيْثُمَا سَلَكَوا أَدْنُو قَائِلُظُورُ (٧٠)

وقول الآخر :

مَمْكُورَةٌ جَمُّ الْعِظَامِ غُطُّوْلُ  
كَأَنَّ فِي أَثْيَابِهَا الْقَرْنُفُولُ (٧١)

(٦٦) شرح شواهد النابغة ٢٤/٤ وحرارة الأدب ٥٩/١

(٦٧) الوحشيات لأبي غنم ق ٥/٥٤ ص ٤١ والصاهل والباحج ٤٧٨

(٦٨) ديوانه ق ٣٠/٣ ص ٣٤ وإصلاح المطلق ١٠٢

(٦٩) شرح القصائد السبع ٣٣٢ وتلخيص اللغة ٦٦٦/١٥ ورسالة التلازمة ٢١١

(٧٠) الصاحي ٥١ وشواهد التوضيح ٢٤ وحرارة الأدب ٥٨/١ وشرح القصائد السبع ٣٣٢

والصاهل والباحج ٤٧٧

(٧١) أمالي ابن الشجري ١٥٨/٢ وشواهد التوضيح ٢٤ والصاهل والباحج ٤٧٦

وقول الثالث :

أَقُولُ إِذَا حُرْتُ عَلَى الْكَلْكَالِ

يَأْتَانِي مَا حُلْتُ مِنْ مَجَالٍ<sup>(٧٢)</sup>

وقول الرابع :

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعُقْرَابِ

الشَّائِلَاتِ عَقْدَ الْأَذْنَابِ<sup>(٧٣)</sup>

وقول الخامس :

لَوْ أَنَّ عَمْرًا هَمَّ أَنْ يَرْقُوذًا

فَأَنْهَضَ فَشَدَّ الْمَثَرُ الْمَعْقُوذًا<sup>(٧٤)</sup>

ففي هذه الأمثلة السابقة ، أصبحت : الدراهم الدراهم ،  
والصيارف الصيارف ، والورق الورق ، ومنترج منترج ، وحق حقيق ،  
وشمالى شمالى ، وينبع ينباع ، وسواعد سواعيد ، ويرقع يرقوع ، وتنضال  
ينضال ، وأنظر أنظور ، والقرنفل القرنفل ، والكلكل الكلكال ، والعقرب  
العقرب ، ويرقد يرقود .

وروى ابن جني أن « الدراهم لاحجة فيه ؛ لأنه يجوز أن يكون جمع  
درهم ، وقد نطقت به العرب ، قال :

لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَائَتَى دِرْهَامٍ

لَجَازَ فِي آفَاقِهَا خَاتَمِي<sup>(٧٥)</sup> »

وقد نسي ابن جني أن الذي أُنشج صيغة « درهم » في هذا البيت ،  
هو الضرورة كذلك . وأكبر الظن أن « خاتام » بمعنى : « خاتم » في  
البيت السابق ، ضرورة كذلك ، وإن كان مسبوها يزعم أنها وردت عن  
العرب ، فيقول : « غير أنهم قد قالوا : خاتام ، حدثنا بذلك

(٧٢) تأويل مشكل القرآن ٢٣٤ والإنصاف ١٦ والمقبى القواف ٦٢ وشواهد التوضيح ٢٣

(٧٣) رسالة الملائكة ٢١٣

(٧٤) تهذيب اللغة ٦٥/٦٥

(٧٥) سر صناعة الإعراب ٦٨/١ وانظر في البحر : رسالة الملائكة ٢٠٩ والصاعقل والناصح ٤٧

أبو الخطاب<sup>(٧٦)</sup> « كما يقول المبرد : « فاعال ، ونظيره من الكلام :  
سباط وخاتم . قال الراجز :

يَأْمِي ذَاتَ الْجَوْرِبِ الْمُنْشَقِّ  
أَخَذْتُ خَاتَمِي بِغَيْرِ حَقِّ<sup>(٧٧)</sup> »

ومع أن هذه الصيغ الجديدة ، قد نشأت في العربية ، بسبب ضرورة  
الوزن الشعري ؛ فإن أصحاب المعاجم العربية ، قد وضعوها في معاجمهم  
جنباً إلى جنب ، مع الصيغ الأصلية ؛ يقول الجوهري : « الدرهم فارسي  
معرب ، وكسر الهاء لغة ، وربما قالوا : درهم<sup>(٧٨)</sup> » ، كما يقول : « والخاتم  
والخاتم - بكسر الشاء وفتحها - والخيشام ، والخاتام ، كله  
بمعنى<sup>(٧٩)</sup> » ؛ ويقول كذلك : « الكلكل والكلكال : الصدر<sup>(٨٠)</sup> » .

حقاً ، قد فطن بعضهم إلى أن السبب في نشوء هذه الصيغ ، هو  
ضرورة الشعر ؛ ففي لسان العرب : « والمعروف : الكلكل ، وإنما جاء :  
الكلكال في الشعر ضرورة ، في قول الراجز :

أَقُولُ إِذْ خَرْتُ عَلَى الْكَلْكَالِ  
يَأْتَا قَبِي مَا جُلْتُ مِنْ مَجَالِ<sup>(٨١)</sup> » .

وقد وجد بعض اللغويين ، وجهاً لبيت غنرة السابق ، يخلص به من  
الضرورة ؛ وذلك بجعل : ( يَبَاع ) في البيت ، على وزن يَتَفَعَّلُ من :  
البَّيْعُ ، بمعنى : السيلان ؛ فقد روى عن ابن الأعرابي ، أنه قال :  
« يَبَاعُ : يَتَفَعَّلُ ، من باع يَبُوعُ ، إذا مرَّ مرّاً لينا فيه ثَلَوٌ . وأنكر

(٧٦) كتاب سبويه ١١٠/٥

(٧٧) الكامل للمبرد ٢٢١/٢ وانظر كذلك : طرح شواهد الشافعية ١٤١/٤

(٧٨) الصحاح ( درهم ) ١٩١٨/٥

(٧٩) الصحاح ( حتم ) ١٩٠٨/٥

(٨٠) الصحاح ( كلل ) ١٨١٢/٥

(٨١) لسان العرب ( كلل ) ١١٧/١٤ وشوهد التوضيح ٢٢ ومقدمتان في علوم القرآن ٢٢٦

ال (٧٦)

باب (٧٦)

مَقْشُوداً (٧٦)

ال دراهم ،

حق حقيق ،

ع ، ونضال

ال ، والعقرب

أن يكون جمع

سبي (٧٦)

هذا البيت ،

خاتم ، في

بها وردت عن

حدثنا بذلك

ال توضيح ٢٢

في التوضيح ٢٢٦

أن يكون الأصل فيه : يبيع ، وقال : يبيع ، كما يبيع الماء من الأرض ، ولم يُرد هذا ، إنما أراد السيلان وتلويته على رقبته<sup>(٨٢)</sup> .

والحق أن هذا التخريج الأخير هو الصواب ، فمادة : ( يوع ) بمعنى : السيلان ، مستعملة في اللغة ، كما في بيت السفاح بن بكير البربوعي :

يَجْمَعُ جَلْمًا وَأَنَاءَ مَعًا  
تُمَتَّ يَتْبَاعُ انْتِبَاعُ الشَّجَاعِ<sup>(٨٣)</sup>

كما ورد منه اسم الفاعل ، في قول مُزَرَّد بن ضرار :  
وَمُطَرِّدٌ لَدُنْ الكُفُوبِ كَأَنَّمَا  
تَغْشَاةُ مُتْبَاعٍ مِنَ الرِّبِّ سَائِلُ<sup>(٨٤)</sup>

كما ورد المضارع كذلك ، في المثل العربي : « مُخَرِّبُ لِيَتْبَاعِ »  
أى : ساكن لينبعث<sup>(٨٥)</sup> .

ومع ذلك ، لم يعجب البغدادى بهذا التخريج ، فقال : « وإنكار ابن الأعرابي رواية : ( يبيع ) مردود برواية الثقات . وقوله : ليس المراد يبيع إلخ ، مردود أيضا ، فإن ( الذفرى ) هو الموضع الذى يعرق من الإبل خلف الأذن<sup>(٨٦)</sup> » . أما ابن الشجرى ، فيقول : « أراد يبيع ، يعنى العرق ، فأشبع فتحة الباء<sup>(٨٧)</sup> » .

\*\*\*

ومن أمثلة الصيغ الجديدة ، التى نشأت في اللغة ، بسبب ضرورة الوزن الشعرى ، وتكلف اللغويين تخريجها وتأويلها ، ما رواه أبو عبيد

(٨٢) حزانة الأدب ٥٩/١ وانظر كذلك : شرح القصائد السبع ٣٤٤

(٨٣) الفضليات ق ٦/٩٢ ص ٦٣١ والحامسة المصرية ١٨٧/١ وشرح القصائد السبع ٣٣٤

(٨٤) ديوانه ق ٥٠/٣ ص ٤٥ والشبهات لابن أبي عمير ١١٤

(٨٥) انظر - مجمع الأمثال للميداني ١٧٥/٢ وقصص النقاد ١٤٦

(٨٦) حزانة الأدب ٥٩/١

(٨٧) أمالي ابن الشجرى ١٥٨/٣

البكري (٨٨) ، من قول عميرة بن حصص المازلي . يرى ابنه :  
 إني أرى الشاميين تجلدي  
 وإني لكأطواي الجناح على كسر  
 وعلق عليه بقوله : « جاء بقوله : ( أرى ) على الأصل ، راء  
 الرجل الشيء ، وأراه غيره ، فهو يُريه » .  
 ولا يعجب الميمنى هذا التعليق ، فيقول في الهامش : « ليس  
 على الأصل ، وإنما هو من باب القلب : رأى وراء ، كئى وراء ، وأراه  
 مقلوب : أرى ، ومضارعه : يُرى » .

والحق أن هذا الفعل ، في نظرنا نحن ، لم يرد لا على الأصل -  
 كما يقول البكري ، ولا على القلب - كما يقول الميمنى ، وإنما دعت إليه  
 ضرورة الوزن . ولعل الرواية لم تكن على هذا النحو أصلاً ، وإنما كانت  
 هكذا :

إني أرى الشاميين تجلدي  
 وإني لكأطواي الجناح على كسر  
 يقطع المهمة في : « الشاميين » ضرورة ، كما قال لبيد :  
 أو مذهب جدد على ألواح  
 الناطق المبرور والمختوم<sup>(٨٩)</sup>

وإن كانت الرواة ، قد غيرت بيت لبيد هذا ، فجعلته هكذا :

أو مذهب جدد على ألواحهن الناطق المبرور والمختوم

قال ابن منظور ، بعد أن روى البيت على الأصل : « ويروى :  
 على ألواحهن الناطق . وإنما عدل عن ذلك بعض الرواة ، استيحاشاً من

(٨٨) نسخة الآخر ٥٨٤/١

(٨٩) ديوانه من ١١٩ - ديوانه ٦٧٤/٢ والخفاص ١٩٣/١

قطع ألف الوصل ، وهذا جائز عند مسيويه في الشعر ، ولا سيما في  
الأنصاف ؛ لأنها موضع فصول (٩١) .

كما غيرت الرواة - أو النساخ - بيت نويرة بن حصين السابق ،  
إلى :

إني أرى للشاميين تجلدي  
وإني لكالطائي الجناح على كسر (٩١)

\*\*\*

والآن ، وبعد أن انتهينا من سرد الكثير من الأمثلة ، التي تدل  
على حرص هؤلاء اللغويين ، على عدم تخطئة الشعراء ، والتماسهم العلل  
والمعاذير ، لما وقعوا فيه من الأخطاء اللغوية ؛ بسبب ضرورة الوزن ، تحب  
بعد هذا كله ، أن ننوه بتلك القلة النادرة من اللغويين ، الذين لم يغالوا  
في تقدير كل ما وصل إلينا ، من كلام الشعراء الأقدمين ، بل اعترفوا بأن  
هناك ضرورات للوزن الشعري ، تلجئ الشعراء أحيانا إلى مخالفة المألوف  
من ألفاظ اللغة وقواعدها .

ومن هؤلاء اللغويين : أبو بكر بن السراج ( المتوفى سنة  
٣١٦ هـ ) ، الذي يقول : « ربما وجدت الشاعر من القدماء الفصحاء ،  
يحوجه الوزن إلى قلب البناء ، أو يحتاج إلى المعنى ، فيشتق له لفظا ، يلثم به  
شعره (٩٢) » .

وممن كذلك : حمزة بن الحسن الإصفهاني ( المتوفى سنة  
٣٥٠ هـ ) ، الذي يقول : « إنهم وجدوا اللغة العربية ، على الضد  
من سائر لغات الأمم ، لما يتولد فيها مرة بعد مرة ، وأن المولد لها قرائع  
الشعراء ، الذين هم أمراء الكلام ، بالضرورات التي تمر بهم في المضائق ،

(٩٠) لسان العرب ( ٢٤٦ ) ٣٨٠/١٦

(٩١) نظم : تلميح نقلي ٢٦٥/١

(٩٢) الاستقراء ٣٥

التي يدفعون إليها ، عند حصر المعالي الكثيرة في بيوت ضيقة المساحة ،  
والإغاثات التي يلحقهم عند إقامة القوافي ، التي لا محيد لهم عن تنسيق  
الحروف المشابهة في أواخرها ، فلا بد أن يدفعهم استيفاء حقوق الصنعة ،  
إلى غسف اللغة بفنون الحيلة ، فمرة يعسفونها بإزالة أمثلة الأسماء والأفعال ،  
عما جاءت عليه في المجلة ، لما يدخلون من الحذف عنها ، أو الزيادة  
فيها ، ومرة بتوليد الألفاظ ، على حسب ما تسمو إليه همهم عند قرض  
الأشعار (٩٣) .

ويقول القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ( المتوفى سنة  
٣٦٦ هـ ) : « ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية ، فانظر هل تجد  
فيها قصيدة ، تسلم من بيت أو أكثر ، لا يمكن لعائب القدح فيه ، إما  
في لفظه ونظمه ، أو ترتيبه وتنقيصه ، أو معناه أو إعرابه ؟ ولولا أن أهل  
الجاهلية جئوا بالتقدم ، واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة ، والأعلام والحجة ،  
لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مستزلة ، ومردودة منفية ، لكن هذا  
الظن الجميل ، والاعتقاد الحسن ستر عليهم ، ونفى الظنة عنهم ، فذهبت  
الخواطر في الذب عنهم كل مذهب ، وقامت في الاحتجاج لهم كل  
مقام (٩٤) . »

وبعد أن يذكر الجرجاني مجموعة لا بأس بها ، من أغلاط الشعراء -  
تقدم بعضها هنا - يقول : « ثم تصفحت مع ذلك ما تكلفه التحويين لهم  
من الاحتجاج إذا أمكن . تارة بطلب التخفيف ، عند توالي الحركات ، ومرة  
بالإنباع والمجاورة ، وما شاكل ذلك من المعاذير المتحملة ، وتغيير الرواية إذا  
ضائق الحجة ، وتبييت ما راموه في ذلك من المرامي البعيدة ، وارتكبوها لأجله  
من المراكب الصعبة ، التي يشهد القلب أن المحرك لها ، والباعث عليها ،



شدة إعظام المتقدم ، والكلف بنصرة ما سبق إليه الاعتقاد ، وألفته النفس<sup>(١٩٤)</sup> .

ويأتى ابن فارس اللغوى ( المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ) ، فيؤلف في ذلك تأليفاً مستقلاً ، بعنوان : « ذم الخطأ في الشعر » ، وهو عبارة عن رسالة صغيرة في وريقات ؛ يقول فيها<sup>(١٩٥)</sup> : « والذي دعانا إلى هذه المقدمة ، أن نأسا من قدماء الشعراء ومن بعدهم ، أصابوا في أكثر ما نظموا من شعرهم ، وأخطئوا في اليسير من ذلك ، فجعل ناس من أهل العربية ، يوجهون لخطأ الشعراء وجوها ، ويتمحلون لذلك تأويلات ، حتى صنعوا فيما ذكرنا أبواباً ، وصنّفوا في ضرورات الشعر كتباً ... قال ابن فارس : فيقال لجماعتهم : ما الوجه في إجازة ما لا يجوز إذا قاله شاعر ؟ وما الفرق بين الشاعر والخطيب والكاتب ؟ ... فإن قالوا : لأن الشعراء أمراء الكلام ، قيل : ولم لا يكون الخطباء أمراء الكلام ؟ وهبنا جعلنا الشعراء أمراء الكلام ، لم أجزنا لمولاء الأمراء أن يخطبوا ، ويقولوا ما لم يقله غيرهم ؟ »  
« فإن قالوا : إن الشاعر يضطر إلى ذلك ؛ لأنه يريد إقامة وزن شعره ، ولو أنه لم يفعل ذلك ، لم يستقيم شعره . قيل لهم : ومن اضطره أن يقول شعراً ، لا يستقيم إلا بإعمال الخطأ ؟ ونحن لم نر ولم نسمع بشاعر ، اضطره سلطان ، أو ذو سطوة ، بسوط ، أو سيف ، إلى أن يقول في شعره ما لا يجوز ، وما لا تحيزونه أنتم في كلام غيره .

« فإن قالوا : إن الشاعر يعين له معنى ، فلا يمكنه إبراره إلا بمثل اللفظ القبيح المعيب . قيل لهم : هذا اعتذار أقبح وأعيب . وما الذي يمنع الشاعر إذا بنى خمسين بيتاً على الصواب ، أن يتجنب ذلك البيت المعيب ، ولا يكون في تجنبه ذلك ، ما يوقع ذنباً أو يزرى عروءة ؟ » .

(١٩٤) الوسطة من النفس وجوهه ٩

(١٩٥) ذم الخطأ في الشعر - صفحة ١٧ وما بعدها .

إلى أن يقول ابن فارس في آخر الرسالة : « وهذا كثير ، وليس الغرض إثباته لكثرة وشهرته ، ولكن الغرض الإبانة عن أن الشعراء ، يخطئون كما يخطئ الناس ، ويغلطون كما يغلطون ، وكل الذي ذكره النحويون في إحارة ذلك والاحتجاج له ، جنس من التكلف » .

وقد أشار ابن فارس ، إلى مذهبه هذا مرة أخرى ، في كتابه : « الصاحبي » ، فقال (١٩٧) : « ولا معنى لقول من يقول : إن للشاعر عند الضرورة أن يأتي في شعره بما لا يجوز ... وما جعل الله الشعراء معصومين ، يُوقُونَ الخطأ والغلط ، فما صح من شعرهم فمقبول ، وما أبته العربية وأصوبها فمردود » .

وأخيرا ، يرى أبو عبيد الله محمد بن شرف القيرواني ( المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ) أن « من عيوب الشعر اللحن ، الذي لا تسعه فسحة العربية ، كقول جرير :

وَلَوْ وَلَدْتُ لِعَنْزَرَةٍ جَزَوْ كَلْبٍ

لَسَبَّ بِذَلِكَ الْجَزْوُ الْكَلَابَا

فنصب ( الكلاب ) بغير ناصب ، وقد تحيل له بعض النحويين بكلام كالضرب ، لا يسس ولا يعنى من جوع - وكقول الفرزدق :

وَعَصُ زَمَانٍ يَا أَبَسَ مَرْوَانَ لَمْ يَدْعُ

مِنَ النَّالِ إِلَّا مُنْحَتًا أَوْ مُحَلَّفُ

فرفع ( محلّفا ) وحقه النص ، وقد تحيل بعض النحويين أيضا للفرزدق ، على وجه ، الإقواء أحسن منه ، فاحذر منه ، وإياك وما يعتذر منه بفسيح من العذر ، فكيف بضيق (١٩٨) .

\*\*\*

لاعتقاد ، والفقه

فيؤلف في ذلك

عبارة عن رسالة

هذه المقدمة ،

كثير ما نظموا

أهل العربية ،

حتى صنعوا

ابن فارس :

وما الفرق

الشعراء أعزاء

جعلنا الشعراء

لله غيرهم ؟

يد إقامة وزن

ومن اضطره

ولم نسمع

لك أن يقول

أزه إلا عثل

الذي يبع

المعيب :

وذهبنا في نهاية هذا الفصل ، أن نؤكد أنه لا صحة لما يتردد على ألسنة القوم ، من أن الضرورة الشعرية ، رخصة للشاعر ، يرتكبها متى أراد ، لأن معنى هذا الكلام ، أن الشاعر يباح له عن عمد ، مخالفة المؤلف من القواعد ، وهو ما يتعارض مع ما وصل إلينا من أخبار الشعراء في القديم .

كما ذهبنا أن نؤكد مرة أخرى ، أن هذه الضرورات ، التي أشرنا إلى أهمها هنا ، ليست إلا أخطاء في اللغة ، وخروجاً على النظام المؤلف في العربية ، شعرها ونثرها ، بدليل ورود الآلاف من الأمثلة الصحيحة لهذه الظواهر ، في الشعر نفسه . وهذا هو الفرق الوحيد بينها وبين الظواهر ، التي تحدثنا عنها في الفصل السابق ، والتي يختص الشعر فيها بنماذج معينة ، نغزير عن لغة النثر ، وهي نماذج يجب أن تحصى ، باستقراء الأشعار المختلفة ، ثم تبني عليها قواعد اللغة الشعر ، وهو ما نرجو أن تتكفل به بحوث المستقبل .

\*\*\*

## الفصل الثالث

### أثر الوزن الشعري في أبنية العربية

نقرأ في كتب الصرف العربية ، أن كلمات مثل : ( اطمأن ) و ( اشمأز ) و ( اشرأت ) و ( اقشعر ) و ( ازهر ) وغيرها ، وزنها : ( أفعلل ) ، وهذا يعني أن الهمزة في الكلمات الثلاث الأولى أصلية ، وكذلك العين في الكلمة الرابعة ، والهاء في الكلمة الخامسة ؛ يقول ابن جني مثلاً : « من الأصليين المتداخلين : الثلاثي والرباعي قوطم : زريم وأزرام ، وخضيل وأخضال ، وأزهر وأزهأز ، وضفد وأضفأد ، وزلم القوم وأزلاموا ... وينبغي أن يكون هذا من أصليين : ثلاثي ورباعي ، وهو قياس قول أبي عثمان ... فأمّا أزرام وأضفأد ونحو ذلك ، فلا تكون همزته إلا أصلاً »<sup>(١)</sup> .

غير أن أبا منصور الأزهري ، ذكر<sup>(٢)</sup> - وهو يعدّ أنواع الهمزات في اللغة العربية - الهمزة التي تزداد ، لئلا يجتمع ساكنان ، ومثل لها باطمأن وشمأز وغيرها ، أي أن أصل اطمأن : اطمآن ، وأصل اشمأز : اشمأز ، وهكذا .

فما حكاية التقاء الساكنين هذه ؟ ذكروا أنه لا يجوز في العربية ، التقاء الساكنين إلا في حالتين : الأولى : حالة الوقف ، كما لو وقفنا على مثل : ( باب ) و ( كتاب ) وغيرها .  
والثانية : في وسط الكلمة ، بشرط أن يكون الأول من الساكنين ، حرف

(١) الخصائص ٥١/٦ - ٥١ .

(٢) تهذيب اللغة ٦٨٢/١٥ ونظر كذلك : لسان العرب ١٠/١ .

مد ، والثاني مدغما في مثله ؛ نحو : ( ذَابَّة ) و ( شَابَّة ) و ( الضَّالِّين )  
ونحو ذلك .

والحقيقة أنه لا وجود لما يسمى بالالتقاء الساكنين هنا . وقد وقع  
النحويون العرب ، في هذا الوهم ، بسبب الخط العربي ، فظنوا الألف حرفا  
ساكنا ، وهو في الواقع رمز للفتحة الطويلة ، وإنما نحن في هذه الأمثلة ، أمام  
ما يسمى بالمقطع الرابع ، من المقاطع الصوتية . وليبان ذلك يلزمنا هنا  
التعريح على أنواع المقاطع الصوتية في العربية .

والمقطع الصوتي هو عبارة عن كمية من الأصوات ، تحتوي  
على حركة واحدة ، ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها ، من وجهة نظر اللغة  
موضوع الدراسة ؛ ففي العربية الفصحى مثلا ، لا يجوز الابتداء بحركة  
Vowel وعلى ذلك فكل مقطع فيها ، يبدأ بصوت من الأصوات الصامتة  
Consonant . ويقول كائنيتو : « إن الفترة الفاصلة بين عمليتين ،  
من عمليات غلق جهاز التصويت ، سواء أكان الغلق كاملا أم جزئيا ، هي  
التي تمثل المقطع »<sup>(٢)</sup> .

وأنواع المقاطع العربية في الفصحى خمسة : مقطع قصير مفتوح ،  
وهو ما تكون من صوت صامت وحركة قصيرة ؛ مثل : كَ ( ka ) ،  
ومقطع طويل مفتوح ، وهو ما تكون من صوت صامت وحركة طويلة ؛  
مثل : في ( fī ) ، ومقطع طويل مغلق حركته قصيرة ، وهو ما تكون  
من صوتين صامتين بينهما حركة قصيرة ؛ مثل : مِنْ ( min ) ، ومقطع  
طويل مغلق حركته طويلة ؛ مثل : بَابَ ( bāb ) في الوقف ، ومقطع زائد  
في الطول ، وهو ما يبدأ بصوت صامت ، ثم حركة قصيرة ، ثم يختم بصوتين  
صامتين متتاليين ؛ مثل : بِنْتُ ( bint ) في الوقف .

والمقطع الرابع لا يجوز في العربية الفصحى ، إلا في آخر الكلمة

(٢) دروس في علم أصوات العربية ١٩١

في حالة الوقف عليها ، أو في وسطها بشرط أن يكون المقطع التالي له ،  
مبتدئاً بصامت بمثل الصامت الذي تحتم هو به . وهذه الحالة الأخيرة ،  
هي ما عبر عنها اللغويون العرب القدماء ( بالتقاء الساكنين على  
حدهما ) ، وهو أن يكون الأول حرف مد ، والثاني مدعماً في مثله<sup>(١)</sup> ؛  
خو : ( دابة ) و ( شابة ) و ( الصالين ) و ( مدهامتان ) و ( احمار )  
و ( اصقار ) وما أشبه ذلك .

فصيحة ( أفعال ) إذن . يعتفر فيها التقاء الساكنين ، على رأي  
النحاة ، أو بعبارة أخرى : يجوز فيها ورود المقطع الرابع ، بالاصطلاح الذي  
يعرفه علماء الأصوات اليوم !

غير أننا لا يصح أن نسي ، أن كل ذلك خاص بالشعر ، أما الشعر  
فإن هذا المقطع الرابع ، لا يجوز فيه أصلاً ، إلا في الوقف على القافية ،  
أي أنه لا يجوز فيه أمثال : دابة ، وشابة ، والصالين ، ومدهامتان ،  
واحمار ، واصقار ، وغيرهما ، وإن كان المبرد يرى أنه يجوز في بحر المتقارب ؛  
فيقول : « وحمارة القبط : اشتداد حره واحتداه . وحمارة مما لا يجوز أن  
يحتج عليه بيت شعر ؛ لأن كل ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين ، لا  
يقع في وزن إلا في ضرب منه ، يقال له المتقارب ، فإنه يجوز فيه - على  
بعد - التقاء الساكنين ، وهو قوله :

فذلك القصاص وكان التقا

ص فرضاً وحنماً على المسلمين  
ولو قال : وكان القصاص فرضاً وحنماً ، كان أجود وأحسن ، ولكن قد  
أجازوا هنا في هذه العروض ، ولا نظير له في غيرها من الأغراض<sup>(٢)</sup> .

(١) الكامل الجديد ١٠٥٩ ، قد نقل العلامة في كلام المبرد في شرحه تعليقاً على نظم المبرد  
١٠٣٢ ، ونظر الكليات : حواشي الألف ٢٩٠ ، والعدد ٩٠١ ، والفعال ١٢٦١ ، والاسم العربي  
١٢٥٥ ، قال عنه المبرد في الكافي ١٠٥٨ ، والرواية الجديدة : « كان نقصاناً ، حتى لا يجمع  
فيه ساكنان » ، ويؤيد الأحسن أنه لا يقع في الشعر ، لأن هذه حروف متحركة متصلة ، أحدهما ألف  
والآخر الدال المدغم ، انظر : يوم الخميس ٩٨ .

وقد ذكر المبرد ذلك مرة أخرى ، عند قوله : « مشعان الرأس ،  
يعنى : منتفخ الشعر متفرقة . ومثل هذا لا يكون في شعر ؛ لأن في هذا  
التقاء ساكنين ، ولا يقع مثل هذا في وزن الشعر ، إلا فيما تقدم ذكره  
في المتقارب<sup>(٥)</sup> » .

والذى نظنه نحن أن هذا النوع من المقاطع ، لا تجوز في الشعر  
في غير القافية إطلاقا ، لا في وزن المتقارب ، ولا في غيره ، وأن البيت  
السابق إن كان صحيح الرواية ، فلا بد أن الشاعر قاله بتخفيف الصاد ،  
لا بتشديد ، إن لم تكن الكلمة محرفة أصلا عن : « القصاص » . وقد  
قال ابن سيدة تعليقا على هذا البيت : « قوله : التقاص شاذ ؛ لأنه جمع  
بين الساكنين في الشعر ؛ ولذلك رواه بعضهم : وكان القصاص ، ولا نظير  
له إلا بيت واحد ، أنشده الأنخفش :

وَلَوْلَا جِدَاشٌ أَخَذْتُ دَوَا

بُ سَعْدٍ وَلَمْ أُعْطِهِ مَا عَلَيْهَا  
قال أبو إسحاق : أحسب هذا البيت ، إن كان صحيحا ، فهو : ولولا  
جداش أخذت دواب سعد ؛ لأن إظهار التضعيف جائز في الشعر ،  
أو أخذت رواحل سعد<sup>(٦)</sup> » .

وإذا كان الشعر العرنى ، لا يقبل مثل هذا النوع من المقاطع ، فإن  
الشاعر إذا أراد استخدام كلمة ، تحتوى على هذا المقطع الجائر في الشعر ،  
أقحم همزة في الكلمة ، أو بعبارة أخرى : قسم المقطع إلى مقطعين ، مثل  
قول كثير عزة :

وَأَنْتَ ابْنُ لَيْلَى خَيْرُ قَوْمِكَ مَشْهُدًا

إِذَا مَا أَحْمَارُتْ بِالْعَيْيُطِ الْعَوَامِلِ<sup>(٧)</sup>

(٥) الكامل ١١١/٢

(٦) النظر : لسان العرب ( قصص ) ٣٤٤/٨

(٧) النظر : ديوانه في ١٠/٤٦ ص ٣٩٤ ولسان العرب ( حسن ) ٢٤٩/٢٦ وعت الوليد ٦٩  
و ديوان أبي محمد الثقفي ١٠٦ و يروى البيت كذلك : « إذا ما العوازل بالعبيط الجوارت » في الخصائص

١٢٦/٣ ، ١٤٨/٣ ، والمد يد الملو ١٢٣/٢

ويقول كثير أيضا  
وَلَسْلَازُصْ

ويقول الخطيب :  
وَضِيغُصْ

ويقول دكين الرازي  
رَاكِدُصْ

كما يقول الشاعر  
وَبَعْدُ أَنْتَهْ

ويقول شاعر من  
حَسُّ الْوَا

ومن هذا  
العربية عن هذا

(٨) النظر : ديوان  
لأبي منصور ٣٢٦/١  
١٤٨/٣

(٩) النظر : ديوان  
إصلاحه ، بذلك المراء

(١٠) الرجز

٢٤٩/٢٦ و يروى مشاع

(١١) البيت

الإعراب ٨٣/١ و يروى

(١٢) البيت



ويقول كثير أيضا :

وَلِلْأَرْضِ أَمَّا سَوْدُهَا فَتَجَلَّتْ

يَبَاضًا وَأَمَّا يَبُضُّهَا فَادَّهَامَتْ<sup>(٨)</sup>

ويقول الخطيئة :

وَضِيَّعَتْ الْكَرَامَةُ فَارْمَادَتْ

وَقُبِضَتْ السُّقَا فِي جَوْفِ سَلَمٍ<sup>(٩)</sup>

ويقول ذكّين الراجز :

رَاكِدَةً مِخْلَائِيَّةً وَمِخْلَبَةً

وَجُلَّةً حَتَّى أَيْبَاضٍ مَلْيِيَّةٍ<sup>(١٠)</sup>

كما يقول الشاعر :

وَبَعْدَ انْتِهَاضِ الشَّيْبِ فِي كُلِّ جَانِبٍ

عَلَى لِعْيَى حَتَّى اشْعَالٍ بِهِمَّهَا<sup>(١١)</sup>

ويقول شاعر من بني أسد :

حَشَّ الْوَلَايِدُ بِالْوَقُودِ جُوبَهَا

حَتَّى اسْوَأَدَّ مِنَ الصَّلَى صَفْحَاتُهَا<sup>(١٢)</sup>

ومن هنا يبدو أن كل صيغة على وزن : « افعال » ، قد جاءت في

العربية عن هذا الطريق ، حتى ولو لم يوجد إلى جوارها صيغة : « افعال » في

(٨) انظر : ديوانه في ٤/٥٤ ص ٣٢٣ وشرح الشافعية ١٧٠/٤ والفاوق للمعشرى ٤٦٢/١ والمنع لأن عصفور ٣٢٢/١ وسر صناعة الإعراب ٨٤/١ ويروى : « فاسوأت » في الخصائص ١١٢٧/٣ ١٤٨/٣

(٩) انظر : ديوانه في ٨/٩٢ ص ٣٤٩ وفيه : « السقاء » بالهمز ، وهو حرف تشاغل بحققة غير إصلاحه ، بذلك المراء الذي كتبه في مقدمة الديوان ؟

(١٠) الوجيز في شرح شواهد الشافعية ١٧٠/٤ والخصائص لأن حتى ١٤٨/٣ واللسان ( حسن ) ٢٤٩/١٦ وسر صناعة الإعراب ٨٣/٣ والإبدال لأن الطيب ٥٤٥/٢ والمنع لأن عصفور ٣٢١/٢

(١١) البيت في اللسان ( شغل ) ٣٧٦/١٣ وشرح ابن يعيش للمفصل ١٣٠/٩ وسر صناعة الإعراب ٨٣/١ وشرح شواهد الشافعية ١٦٩/٤ والمنع لأن عصفور ٣٢١/١ وألف ماء للبلوى ١٢٣/٢ (١٢) البيت في عنت الوليد للمعري ٦٩

قال الرأس ،  
لأن في هذا  
تقدم ذكره

وز في الشعر  
، وأن البيت  
يف الصاد ،  
اص . وقد  
لأنه جمع  
، ولا نظير

ما غلبها  
فهو : ولولا  
في الشعر ،

لقاطع ، فإن  
الز في النثر ،  
مطعين ، مثل

الغوايل<sup>(١٧)</sup>

عنت الوليد ٦٩  
في الخصائص

الاستعمال<sup>(١٣)</sup> ، وفيما يلي نقدم دراسة ، لما عثرنا عليه من أمثلة هذه الصيغة ، في بطون المعاجم العربية ، وكتب اللغة ، محاولين ربط المعنى في كل مثال بالثلاثي منه ، والبحث عن الأشعار التي ذكرت فيها هذه الأمثلة :

١ - ( اتمَّار ) : يقال : اتمَّار الشيء اتمَّاراً ، فهو متمَّرٌ ، إذا كان صلياً مستقيماً ، أو طويلاً شديداً<sup>(١٤)</sup> . ومن أمثلة وروده في الشعر ، قول زهير بن مسعود الضبي :

نَسَى لَهَا يَهْلِكَ أَسْحَارُهَا  
بِعُمُومٍ فِيهِ تَحْرِيبٌ<sup>(١٥)</sup>

وقول الفرزدق :

رَأَتْ كَمَرًا مِثْلَ الْجَلَامِيدِ قَحَتْ  
أَحَالِيلُهَا لَمَّا انْمَارَتْ جُدُورُهَا<sup>(١٦)</sup>

ولهذه الكلمة علاقة بما ورد في المعاجم العربية ، من « التتمير » بمعنى : « التبيس » ؛ يقال : تَمَّرَ اللحم ، أي قطعه قطعاً صغيراً وجففه ، وتتمير اللحم والتمر : تحفيفهما<sup>(١٧)</sup> .

وقد حرف بيت الفرزدق في اللسان إلى : « لما انماذت جدورها<sup>(١٨)</sup> » ، ووقف ابن سيدة أمام هذا التحريف حائراً ، ثم حاول تبريره بما يشبه القصة الخرافية ؛ فقال : « ولا أدري كيف هذا ؟ اللهم إلا أن يريد : تماذت ، فسكن التاء ، واحتلب للساكن ألف الوصل ، كما قالوا : اذكر ، وادارأتم ، وهمز الألف الزائدة ، كما همز بعضهم ألف دابة ، فقال : دابة ! »

(١٣) انظر كتاب تولدكه : Noldeke, Zur Grammatik ص ٨ ( الفقرة الخامسة ) .

(١٤) اللسان ( تمر ) ١٦٢/٥ والهمز لأى زيد ٣٠ والأفعال لأن القطاع ١٦٦/١

(١٥) اللسان ( تمر ) ١٦٢/٥

(١٦) ديوانه ص ٤٦٠ والقائض ٥٢٧/١

(١٧) اللسان ( تمر ) ١٦١/٥

(١٨) انظر : اللسان ( معد ) ٥٠٣/٤

وقد ورد في اللغة كذلك : اتمَّال منام البعير ، إذا استوى وانتصب ، وكذلك : اتمَّال الشيء ، إذا طال واشتد<sup>(١٩)</sup> . ولا علاقة لهذا المثال بشيء من مادة ( تمَل ) في العربية ، وإنما نتج - فيما نعتقد - بإبدال الراء لاما ، في كلمة : « اتمَّار » السابقة ، فصارت : « اتمَّال » . والإبدال الواقع بين الراء واللام ، كثير الوقوع في العربية<sup>(٢٠)</sup> ، ولا عجب في ذلك ، فهذان الصوتان من فصيلة الأصوات المائعة أو السائلة Liquida التي يكثر فيها الإبدال في اللغات السامية . ومن أمثلته في العربية : الطَّرس والطلَّس بمعنى : الصحيفة ، والخبَّير والخبَّيل بمعنى : القصير ، وقَرَف العود وقَلَفه بمعنى : قشره . وقال ابن الأعرابي : يقال : كلفتنى عَرَق القربة وعلَّق القربة ، أى كلفتنى أمرا عظيما .

٢ - ( اجتَّال ) : يقال : اجتَّال النبت ، إذا طال وغلظ والتف . واجتَّال الشعر والريش إذا انتفش<sup>(٢١)</sup> . ومن أمثلته في الشعر قول جندل بن المثنى :

جاء الشتاء واجتَّال القبر<sup>(٢٢)</sup>

وقال الراجز الآخر :

موقر الممة مجتَّلتها<sup>(٢٣)</sup>

ولا شك أن لهذا المثال علاقة بما تذكره المعاجم العربية ، من أن الجتَّيل والجتَّيل من الشجر والثياب والشعر : الكثير الملتف<sup>(٢٤)</sup> . وقد فطن إلى هذا أبو حاتم السجستاني فقال : « أصل اجتَّال أفعال من الجتَّيل . ويقال :

(١٩) المسند ( تمَل ) ٨٥/١٣ ( تمر ) ١٦٦/٥ . الأفعال ( تمَل ) ١٦٦/٥ .

(٢٠) انظر : لإبدال الراء للام ٥٦/٢ وما تبعها .

(٢١) المسند ( جتَل ) ١٠٥/١٣ . الأفعال ( جتَل ) ١٦٦/٥ .

(٢٢) المسند ( جتَل ) ١٠٥/١٣ . الأفعال ( جتَل ) ١٦٦/٥ .

(٢٣) المسند ( جتَل ) ١٠٥/١٣ . الأفعال ( جتَل ) ١٦٦/٥ .

(٢٤) المسند ( جتَل ) ١٠٥/١٣ . الأفعال ( جتَل ) ١٦٦/٥ .

(٢٥) المسند ( جتَل ) ١٠٥/١٣ . الأفعال ( جتَل ) ١٦٦/٥ .

شعر جثل ، فهمزه كما يهجر بعضهم : احمأز واسوأذ ، فرارا من التقاء الساكنين ، وهما أول الحرف المشدد ، والألف التي قبله<sup>(٢٥)</sup> .

٣ - ( اجدآر ) : في اللغة أن المحدث هو : المتصب للسيا<sup>(٢٦)</sup> ومن أمثلته في الشعر قول الطرماح :

بَيْتٌ عَلَى أَطْرَافِهَا مُجْدَثِرَةٌ

تُكَابِذُهُمَا مِثْلَ هَمِّ الْمُخَاطِرِ<sup>(٢٧)</sup>

والعلاقة واضحة بين هذا المثال ، والجذر من جذور الثبات . وقد ورد في اللغة كذلك : « المجظئر<sup>(٢٨)</sup> » - بالطاء - وهو المعد شره ، كأنه متصب ؛ يقال : مالك مجظئراً ! ؟ وهو تطور عن : « المجذئر » السابقة ، قلبت فيها الذال ظاء ، أو بعبارة أخرى : فُحِّمَتِ الذال فصارت ظاء ، وذلك أثر من آثار الراء ؛ إذ يميل صوت الراء إلى تفخيم بعض الأصوات المجاورة له في الكلام ؛ مثل قولنا : « صُور » في : « سُور » و « أخرص » في : « أخرس » و « رفص » في : « رفس<sup>(٢٩)</sup> » . وقد روى مثل ذلك كثيرا في العربية الفصحى ؛ إذ فيها : « الخراس والحراص » ، بمعنى : صاحب الدنان ، و « رَسَخَ الشيء » ورَصَحَ » بمعنى : ثبت ، و « رجل أرصَح وأرصح » بمعنى : خفيف لحم الوركين ، و « السراط والصراط » ، بمعنى : الطريق ، وغير ذلك<sup>(٣٠)</sup> .

٤ - ( اجرأش ) : في اللغة : « اجرأش » أى ثاب جسمه بعد هزال . وقال أبو الدفیش الأعرجي : هَزُلَ وظهرت عظامه<sup>(٣١)</sup> . ولم نعثر على

(٢٥) النسخة لأقر حاتم ١٠٠

(٢٦) السالك ( جذار ) ١٩٤/٥ ، الأفعال لأبي القحطاع ١٩٧/١

(٢٧) ملحق ديوانه ص ٢٧٥ وتهدب اللغة ٢٥٥/١١ واللسان ( جذار ) ١٩٤/٥

(٢٨) انظر : لسان العرب ( حطر ) ٢٠٩/٥

(٢٩) انظر كتابا : لحن العامة والتطور اللغوي ٨/٣٣٥

(٣٠) انظر في هذا وغيره : كتاب لإبدال لأبي الطب اللغوي ١٧٨/٩ . ما نعدجا ، وكتاب القلب والإبدال لأبي السكيت ٤٣ - ٤٣

(٣١) لسان العرب - ( حراش ) ١٦٠/٨

شعر ورد فيه ، على طول تقلاب . وله علاقة « بالتجريح » بمعنى الجوع والهرال ، كما حكى المعاجم من كراع الثعلب<sup>(٣٢)</sup> .

٥ - ( احْفَظْ ) : هذه الكلمة ورد أصلها في اللغة ؛ فقد روى الجوهري<sup>(٣٣)</sup> أن العرب تقول : « اجْفَظْتُ الحيفة » بمعنى انتفخت . قال : « وربما قالوا : احْفَظْتُ ، فيحركون الألف ، لاجتماع الساكنين » . هذا إلى ما روى عن الفراء أنه قال : « الجفِظ : المقتول المستفح<sup>(٣٤)</sup> » ؛ فالعلاقة واضحة بينه وبين المادة الثلاثية ، وإن كنت لم أعتز عليه في شعر بعد .

٦ - ( احْرَأْ ) : في اللغة أن « احْرَأَ يَحْرَأُ احْرِئلاً ، يراد به الارتفاع . والمحزئَل : المرتفع<sup>(٣٥)</sup> » . وقد وردت هذه الكلمة بكثرة في الشعر العربي ؛ فمن أمثلة ذلك قول الطرماح :  
وَاسْتَطَرَبَتْ طُغْيَتُهُمْ لَمَّا احْرَأَ بِهِمْ  
أَل الضُّحَى نَاشِطاً مِنْ ذَائِبِ دَدِ<sup>(٣٦)</sup>

كما قال الطرماح أيضاً :  
وَلَوْ خَرَجَ الدَّجَالُ يَنْشُرُ دِينَهُ  
لَرَأَيْتُ تَيْمَمَ حَوْلَهُ وَاحْرَأَتْ<sup>(٣٧)</sup>

وقال حميد بن ثور يصف ناقة :  
وَإِذَا احْرَأَتْ فِي الْمَبَاحِ رَأَيْتَهَا  
كَالْعَقْرِ أَفْرَدَهَا الْعَمَاءُ السَّمَطَرُ<sup>(٣٨)</sup>

(٣٢) اللسان العرب ( حرش ) ١٥٩/٨  
(٣٣) الصحاح ( جفط ) ١١٧/٣ . اللسان ( جفط ) ٣١٧/٩ . والمعر السوطي ٣٦٧/٢  
(٣٤) اللسان ( جفط ) ٣١٧/٩  
(٣٥) اللسان ( حرأ ) ١٥٩/١٣ . والأفعال لأمن القطاع ٢٧٦/١  
(٣٦) ديوانه في ٥/٩ ص ١٥٧ . والمعجم للصواعق ١٢٣/٩ . اللسان ( حرأ ) ١٥٩/١٣  
(٣٧) ديوانه في ٢٧/٤ ص ٥٦ . اللسان ( حرأ ) ١٥٩/١٣  
(٣٨) ديوانه ص ٨٥ . معجم اللغة ٩٥/٤ . اللسان ( عقر ) ٢٧٦/٢

من التقاء

سب (٣٦)

الطير (٣٧)

سب . وقد

شعره ، كأنه

المجذثر

ال فصاحت

فخم بعض

سور

وقد روى

الغراض

سب . ثبت ،

والسراط

جسمه بعد

ولم نعتز على

١٩٤

أدوات القلم

وقال المَرَارُ الفَقْعَسِي يَصِفُ إِبِلًا وَحَادِيهَا :

تَغْنَى ثُمَّ هَزَجٌ فَاخْرَزَالَتْ

تَعْمِلُ بِهَا النَّحَائِزُ وَالسُّدُولُ (٣٩)

وقال أبو دُوَادٍ يَصِفُ نَاقَةً :

ذَاتُ الثِّيَابِ مِنَ الْحَادِي إِذَا بَرَكَتْ

خَوَتْ عَلَى ثَقَابِ مُخْرَزَلَاتِ (٤٠)

وقال مَزَاحِمُ الْعَقِيلِي :

فَصَاحُوا صِيَاحَ الطَّيْرِ مِنْ مُخْرَزَلَةٍ

غَوْرٍ لِهَادِيهَا سَانٌ وَقَوْبَعٌ (٤١)

كما قال الشَّاعِرُ :

يُعْوَلُ عَنِّي الْبَيْدُ إِزْقَالَهَا

إِذَا اخْرَزَالَتْ بِالصِّيَاهِ سَبَبٌ (٤٢)

وقال الْآخَرُ :

فَمَرَّتْ وَأَطْرَافُ الصُّوَى مُخْرَزَلَةٌ

تَبْحُ كَمَا أَحَجَّ الظَّلِيمُ الْمُفْرَعُ (٤٣)

وقد ذكرت المعاجم العربية أن « الخَزَلُ يراد به الارتفاع في السير والأرض (٤٤) » كما ذكر ابن بري أنه يقال : « اخْرَزَلَّ » أيضا ، بمعنى : ارتفع . وأنشد قول الراجز :

تَرْمِي الْفَيَافِي إِذَا مَا اخْرَزَلَتْ

بِعَمَلِ غَيْتِي فَارِكِ قَدْ مَلَتْ (٤٥)

(٣٩) السكندر (ج ١) ١٣٠ : ١٥٩

(٤٠) ديوانه في ٢١٢ من ٢٩٧ م السكندر (ج ١) ١٥٩ : ١٥٩

(٤١) ديوانه في ٢١٢ من ٢٩٧ م السكندر (ج ١) ١٥٩ : ١٥٩

(٤٢) ديوانه في ٢١٢ من ٢٩٧ م السكندر (ج ١) ١٥٩ : ١٥٩

(٤٣) مقاييس اللغة ٨/١ : ١٥١ م السكندر (ج ١) ١٥٩ : ١٥٩

(٤٤) مقاييس اللغة ٨/١ : ١٥١ م السكندر (ج ١) ١٥٩ : ١٥٩

(٤٥) مقاييس اللغة ٨/١ : ١٥١ م السكندر (ج ١) ١٥٩ : ١٥٩

فالعلاقة - كما نرى - واضحة بين : « احزأل » ومادته الثلاثية .

٧ - ( احطأت ) : يقال احطأت البطن ، إذا اشتد أو امتلأ شحماً ، والمحطط : السمين ذو البطة<sup>(٤٦)</sup> . ولم أعثر على شعر وردت فيه هذه الكلمة وتتضح العلاقة بينها وبين المادة الثلاثية في قول المعاجم<sup>(٤٧)</sup> : « احاطب : السمين ، وحطب يحطب : سمين » .

٨ - ( ارفآن ) : يقال : ارفآن الرجل ، أى نفر ثم سكن . ويقال ارفآن غصبي<sup>(٤٨)</sup> . ومن أمثله وروده في الشعر : قول المعاجم :  
حَتَّى اِرْفَآنَ النَّاسُ بَعْدَ الْمَجُولِ<sup>(٤٩)</sup>  
وقول الآخر :

حَتَّى تَرْفِئْسَى ثُمَّ تَرْفِئْسَى<sup>(٥٠)</sup>

ولعل لهذه الكلمة علاقة بما تذكره المعاجم ، من أن « الرّفن » معناه : الشص ، وأن « الرافنة » هي المتبختر في بطن<sup>(٥١)</sup> ؛ ففي البض والتبختر حركة ، وفي التفور مثل هذه الحركة كذلك !

٩ - ( ارمأز ) : يقال : ما ارمأز فلان من مكانه ، أى ما يرح . ورمأز عنه : زال<sup>(٥٢)</sup> . ومن أمثله وروده في الشعر : قول أبي مهدي الأعرجي :

أَنْ سَوَفَ تَمُضِيهِ وَمَا اِرْمَأَزَ<sup>(٥٣)</sup>

(٤٦) الأفعال لأن القطع ٢٧٢/١ والنسك ٤١٣/١ حطبه .

(٤٧) انظر مثلاً : لسان العرب ( حطب ) ٣١٣/١ والصعاج ( حطب ) ١١٣/١ .

(٤٨) لسان العرب ( رفن ) ٤٣/١٧ والأفعال لأن القطع ٧٩/٥ .

(٤٩) ديوانه في ١٤٤/١٣ ص ١٦٥ وجمهرة اللغة ١٧٣/٢ والنسك ( رفن ) ٤٣/١٧ والمجد

لأن يد ٢٦ .

(٥٠) النسك ( رفن ) ٤٣/١٧ .

(٥١) انظر : النسك ( رفن ) ٤٣/١٧ .

(٥٢) النسك ( رجم ) ٢٢٤/٧ .

(٥٣) المقصد والعبارات المعرف ٢٢٨ . والأفعال لأن القطع ٧٩/٢ والعجم ٢٣٣/٣ وجمهرة اللغة



وقول الراجز :

وما أَرْمَأَزَ الْأَسْحَمَانِ الْأَسْحَمُ<sup>(٥٤)</sup>

وقول الآخر :

لَيْسَ إِذَا جِثَّتْ بِمُرْمِيٍّ<sup>(٥٥)</sup>

ولهذه الكلمة علاقة بقول العرب : ارتجز الرجل وترجز ، أى تحرك ،  
ويقولهم : إبل مراميز ، أى كثيرة التحرك<sup>(٥٦)</sup> .

١٠ - ( أَرْمَأَزَ ) : يقال : أَرْمَأَزَ الشعر والوبر والنبات ، إذا طلع  
ونبت<sup>(٥٧)</sup> . كما يقال : أَرْمَأَزَ الشعر إذا انتفش . ومن أمثلة ورودده في الشعر  
قول امرئ القيس :

لَهَا ثَنَرٌ كَخَوَافِي الْعَقَا  
بِ سُوْدٍ يَفِينُ إِذَا تَرَبَّرَ<sup>(٥٨)</sup>

وقول المزار بن منقذ الحنظلي :

فَهَوَ وَرَدُ اللَّوْنِ فِي أَرْبَرَارِهِ  
وَكُمَيْتِ اللَّوْنِ مَالَمَ يَرْبُرُ<sup>(٥٩)</sup>

وقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

لَحَا اللَّهُ جَرْمًا كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ  
وُجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَارْبَارَتْ<sup>(٦٠)</sup>

ولهذه الكلمة علاقة بكلمة « الرُّبْرَة » ، وهى ما بين كتفى الأسد

من الوبر .

(٥٤) السفح للرجزى ٣٣/٢

(٥٥) جمهرة اللغة ٤-٣/٣

(٥٦) انظر : اللسان ( رمز ) ٢٢٤/٧

(٥٧) المعجم لأبي زيد ٢٦١٩ واللسان ( رمز ) ٤٠٥/٥

(٥٨) ديوانه فى ٢٧/٢٩ ص ١٦٣ وأدب الكاتب ١٢٦ واللسان ( رمز ) ٤٠٥/٥

(٥٩) الحماسة بشرح المروقي ١٦٠/١ والمفصليات فى ١١/١٦ ص ١٤٥ والأرملة والأمكنة

للمروقي ٧٣/١ واللسان ( رمز ) ٤٠٥/٥

(٦٠) ديوانه فى ٨/١٦ ص ٤٤ والحماسة شرح المروقي ١٦٠/١ ومعجم ما استعجم ٤٤

١١ - ( اَزْرَأَمَ ) : يقال : اَزْرَأَمَ الرجل اَزْرَأَمًا ، إذا غَضِبَ ، فهو مَزْرُؤَمٌ<sup>(٦٦)</sup> ، ومن شواهد في الشعر : قول الأحمط :  
تَمَدَّى إِذَا سَحَتْ فِي قُبُلِ اَزْرَعِهَا  
وَتَزْرَأَمُ إِذَا مَا بَلَّهَا الْمَطَرُ<sup>(٦٧)</sup>

وقول الآخر :

أَلْقَيْتُهُ غَضَبًا مَزْرَأَمًا

لا سَبَطَ الْكَفَّ وَلَا حَضَمًا<sup>(٦٨)</sup>

ولعل لهذه الكلمة علاقة بما رواه الأصمعي ، من أن « الزَّيْم » هو المضيق عليه<sup>(٦٩)</sup> ، لأن الذي يضيق عليه ، يغضب لا شك في ذلك .

وقد ذهب ابن فارس ، في هذا المثال ، إلى مثل ما نذهب إليه ، من زيادة الهمزة فيه ، وإن ربطه بمعنى آخر للمادة ، فقال : « اَزْرَأَمَ » ، إذا غضب . وهذا مما زيدت فيه الهمزة ، وهو من : زَمَ إذا انقطع ، كذلك إذا غضب تغير خلقه ، وانقطع عما عهد فيه<sup>(٧٠)</sup> .

١٢ - ( اَزْلَأَمَ ) : يقال : اَزْلَأَمَ القوم ازلأما ، إذا ولَّوْا سراعاً<sup>(٧١)</sup> . ومن أمثله في الشعر : قول كثير عزة :  
نَارُضٌ أَخْفَافُ الْمُتَاحَةِ مِنْهُمْ  
مَكَانَ الَّتِي قَدْ تَعَدَّتْ فَارَ لَأَمَتْ<sup>(٧٢)</sup>

(٦٦) اللسان ( ٥/١٠ ) ١٥٥/١٥ . جمهرة اللغة ٢٦٩/٣ . المعجم لأبي زيد ٥٨ . الأفعال لأبي الفتح ٢٦٢/٢

(٦٧) ديوانه ص ١١٩ . اللسان ( ٥/١٠ ) ١٥٥/١٥

(٦٨) اللسان ( ٥/١٠ ) ١٥٥/١٥

(٦٩) اللسان ( ٥/١٠ ) ١٥٥/١٥

(٧٠) مقاييس اللغة ٥٢/٣

(٧١) الفائق للزمخشري ٤٦٢/١ . اللسان ( ٥/١٠ ) ١٥٥/١٥

(٧٢) ديوانه في ١٧٥٥ من ٣٩٦ . اللسان ( ٥/١٠ ) ٣٨٣/٨ . رقم ( ١٥/١٥ ) والفائق ٤٦٢/١

واختموا الأمور فازلأموا<sup>(٦٨)</sup>

وقد أصاب الزمخشري ، حين ذكر أن الهمزة في هذا المثال ، بدل من ألف « أفعال » ، وأن « الكلمة ثلاثية ، فلا تكون الهمزة أصلية ؛ لوضوح اشتقاق الكلمة من قولهم : مَرَّ يَزْلُمُ ويَحْدُمُ ، إذا قارب الخطو مع سرعة . وعن الأصمعي : تَزَلُمُ إلى الشَّدِّ وتَزَرَعُ ، أى تَسْرَعُ<sup>(٦٩)</sup> » .

١٣ - ( اسماء ) : يقال : اسماء الرجل استمداداً ، إذا ورم ، وقيل : إذا انتفخ من الغضب<sup>(٧٠)</sup> . ولم أعثر له على أمثلة شعرية .

وعلاقته واضحة بالمادة الثلاثية : سمد يَسْمُدُ سُمُوداً ، بمعنى : علا ، أو رفع رأسه كثيراً<sup>(٧١)</sup> ؛ لأن الورم علو ، والانتفاخ علو كذلك ، هذا إلى أن المعاجم ذكرت إلى جانب « اسماء » : « اسماء » بهذا المعنى كذلك .

١٤ - ( اسماء ) : في اللغة أن المسمئل هو الضامر ، واسمائل الشيء استمالة ، إذا ضم . ومنه : اسماء الطل ، أى قصر ورجع إلى أصله<sup>(٧٢)</sup> . ومن أمثله الشعرية : قول سلمى بنت جذعة الجهنية :  
يَرْدُ البِيَاهُ حَظِيرَةً وَنَقِيطَةً  
وَرَدَ القَطَاةِ إِذَا اسْمَأَلُ التَّبَعُ<sup>(٧٣)</sup>

(٦٨) اللسان ( ٦٠ ) : ١٦٤/١٥٠

(٦٩) اللسان لم يخشع ( ٦٩ ) : ٤٦٢/١

(٧٠) اللسان ( محمد ) : ٢٠٤/٤

(٧١) اللسان ( محمد ) : ٣٠٣/٤

(٧٢) اللسان ( سمائل ) : ٣٦٩/١٣

(٧٣) جوهرة اللغة ٢٧٢/٣ ، تهذيب اللغة ١٤/٥٥٥ ، اللسان ( سمائل ) : ٣٦٩/١٣ والكلمة للصاغاني

١٧/٥٢ ، مختار لأبي زيد ٩٦ ، مختار النجوم ٤٤٥/١

(٧٤) اللسان

(٧٥) اللسان

(٧٦) اللسان

(٧٧) اللسان

والمشربة اللغة ١١/٥١١

(٧٨) اللسان

(٧٩) اللسان

(٨٠) اللسان

وقول الراجز :

وَأَصَمَّ بَذَنُ الشَّيْخِ وَأَسْخَالًا<sup>(٧٤)</sup>

ولعل هذه الكلمة علاقة بكلمة : « السَّمَل » ، بمعنى : بقية الماء في الحوض<sup>(٧٥)</sup> .

١٥ - ( اشْرَأَبَ ) : اشْرَأَبَ معناها في اللغة : ارتفع وعلا<sup>(٧٦)</sup> . ومن شواهده الشعرية : قول ذى الرمة :  
ذَكَرْتُكَ إِذْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِبٍ  
أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرِبُ وَتُسْحُ<sup>(٧٧)</sup>

وقد أصاب صاحب اللسان حين قال : « اشْرَأَبَ : مأخوذ من المَشْرَبَةِ ، وهى : العُرْفَةُ<sup>(٧٨)</sup> » ؛ فالمشربة : العُرْفَةُ المرتفعة ، والمشارب العلالى .

١٦ - ( اشْمَأَزَ ) : يقال : اشْمَأَزَ يَشْمَأِزُ اشْمَازًا ، إذا تَقَبَّضَ واجتمع بعضه إلى بعض . وقال أبو زيد : اشْمَأَزَ يعنى : ذُجِرَ من الشيء . والمَشْمِئِزُ : المدعور<sup>(٧٩)</sup> . ومن أمثلة وروده في الشعر : قول عمرو بن كلثوم ، يصف قناة صلبة :

إِذَا عَضَّ الثَّقَافُ بِهَا اشْمَأَزَتْ  
وَوَلَّتْهُمْ عَشْوَرَةً رُبُونًا<sup>(٨٠)</sup>

(٧٤) الخصال ٣٣٩/٤

(٧٥) اللسان ( حل ) ٣٦٨/١٣

(٧٦) اللسان ( شرب ) ٤٧٥/١ والأفعال لابن القطّاع ٢٢٥/٢

(٧٧) ديوانه في ١٧١/١ من ٧٩ ؛ عرب أهدت لأبي عبيد ٢٦٥/٣ واللسان ( شرب ) ٤٧٥/١

مهدى اللغة ٣٥٥/١١ والكامل للمبرد ٣٠٣/٢

(٧٨) اللسان ( شرب ) ٤٧٣/١

(٧٩) المعجم لأبي زيد ٣٦ واللسان ( شرب ) ٢٢٩/٧

(٨٠) شرح القصائد السبع ٤٠٤ واللسان ( شرب ) ١٥٨/١٨ والمقاييس ٣٦٣/٤

ولهذه الكلمة علاقة بما تذكره المعاجم من : « الشَّمَز » ، بمعنى التقبض ونفور النفس من الشيء تكرهه .

١٧ - ( اصمأك ) : يقال : اصمأك الرجل ، فهو مصمأك ، إذا غضب<sup>(٨١)</sup> . ومن أمثلة وروده في الشعر : قول رؤبة :  
على ليدئى مصمأك صلخاذا<sup>(٨٢)</sup>

وقول الراجز :

حتى اصمأك كالحميت الموكر<sup>(٨٣)</sup>

ولعل لهذا علاقة بقول المعاجم : « الصمكيك والصمكوك : الغليظ من الرجال . الجاف . وقيل : الجاهل السريع إلى الشر والغواية<sup>(٨٤)</sup> »  
وقد روى صاحب اللسان في الكلمة : « اصمأك » أيضا بلا همز ، كما قال أبو منصور الأزهري فيها : « وأصل هذه الكلمة وما أشبهها ثلاثي »  
والهمزة فيها محذوفة<sup>(٨٥)</sup> .

وقد ورد في اللغة كذلك : « ازماك » بمعنى : غضب<sup>(٨٦)</sup> ، وهي تطور عن : « اصمأك » إذ جهرت الصاد ؛ بسبب مجاورتها للميم المحذورة ، فتحولت إلى زاي مفخمة ، وكتبت بالزاي المرفقة ؛ إذ لا وجود لرمز الزاي المفخمة في الكتابة العربية !

١٨ - ( اصمأل ) : يقال : اصمأل الشيء اصمئلا ، أي اشتد . ويقال للداهية : مصمئلة<sup>(٨٧)</sup> . ومن أمثله الشعرية : قول الكميت :

(٨١) اللسان ( صمك ) ٣٤٤/٦٩

(٨٢) حيوانه في ١١٦/١٦ من ٤٠ والكلمة لمصاغى ٢٦٨/٢

(٨٣) جهرة اللغة ٢٧/٣

(٨٤) اللسان ( صمك ) ٣٤٤/١٢

(٨٥) تهذيب اللغة ٤٢٢/١٠ والنظر للسان ( صمك ) ٣٤٤/١٢

(٨٦) اللسان ( صمك ) ٣٢١/١٢

(٨٧) اللسان ( صمك ) ٤٠٩/١٣ وأهم لأى زيد ٢٦

وَلَمْ تَكْأُذْهُمْ أَلْمُغْضَلَاتُ  
وَلَا مُصْمِلَتُهَا الضُّبْلُ (٨٨)

وقول الشنفرى : أو خلف الأحمر :  
نَبَا مَا نَابَنَا مُصْمِلُ  
جَلَّ حَتَّى ذُقَّ فِيهِ الْأَجْلُ (٨٩)

ولهذه الكلمة علاقة بقولهم : « الصَّمْل : اليبس والشدة .  
والصُّمْل : الشديد الخلق من الناس والإبل والجبال » (٩٠) .

١٩ - ( اضفأذ ) : روى عن الأصمعي أن العرب يقولون :  
اضفأذ الرجل يضفأذ اضفأذاً ، إذا انتفخ من الغضب (٩١) . ولم أعر له  
على مثال في الشعر .

ولعل هذه الكلمة علاقة بقولهم : « ضَقْد ، أى صار كثير اللحم  
ثقيلًا ، مع حمق » (٩٢) !

٢٠ - ( اطمأن ) : معناها « هبط ، أو هدأ واستقر وسكن » .  
والثلاثي منها وإن لم يكن مستعملًا في العربية ، فهو في العبرية **אָטַם** بمعنى :  
أخفى ، والشئ إذا خفى هدأ واستقر . وقال الأزهري : « ويقال : طامن  
ظهره ، إذا حناه ، بغير همز ؛ لأن الهمزة التي حلت في اطمأن ، إنما حلت  
فيها حذار الجمع بين الساكنين » (٩٣) .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن الفعل : « طمأن » يعد بناءً ثانويًا  
حديثًا في العربية ، وكذلك مقلوبه : « طأمن » في مثل قول الفرزدق :

(٨٨) اللسان ( صجل ) ٤٠٩/١٣

(٨٩) جمهرة اللغة ٣٧٢/٣

(٩٠) اللسان ( صجل ) ٤٠٩/١٣

(٩١) تهذيب اللغة ٤/١٢

(٩٢) اللسان ( صجد ) ٤٥٣/٤

(٩٣) تهذيب اللغة ٣٧٧/١٣

وإذا التَّقْوَى جِئَانُ طَأْمِنَ جَاشَهَا

ثِقَةً لَهَا بِحِمَايَةِ الْأَذْيَارِ (٩٤)

وقد ضلَّ سيويه ، فرأى أن الأصل هو : « طَأْمِنَ » ، وخالفه أبو عمر الحرصى ، فرأى ضد ذلك (٩٥)

٢١ - ( اَقْسَانٌ ) : يقال : اَقْسَانُ الرجل اَقْسِنَانَا ، إذا كبر وعَسَى ، واَقْسَانُ العود وغيره ، إذا يس واشتد ، واَقْسَانُ الليل : اشتد ظلامه (٩٦) . ومن أمثلة وروده في الشعر : قول الراجز :  
مَا شَيْتُ مِنْ أَشْمَطِ مُقْسِنٍ (٩٧)

وقول الآخر :

بِتُّ لَهَا يَقْطَانٌ وَأَقْسَانَتِ (٩٨)

ولهذه الكلمة علاقة واضحة بقولهم : « أَقْسِنَ الرجل : إذا صلبت يده على العمل والسقى » . ويؤكد الأزهري هنا أيضا ثلاثية الكلمة ؛ فيقول : « هذه همزة تجلب كراهة جمع بين ساكنين . وكان في الأصل : اَقْسَانٌ يَقْسَانُ (٩٩) » .

٢٢ - ( اَكْبَانٌ ) : يقال : اَكْبَانٌ إذا لظأ بالأرض ، واَكْبَانٌ : انقبض . وقال ابن بزرج : المَكْبِشُ : الذى قد احتبى وأدخل مرفقيه في حُبوته ، ثم خضع برقبته وبرأسه على يديه (١٠٠) . ومن شواهدده في

(٩٤) الكامل للمبرد ١٣٥/٢ وباحتملاف في ديوانه ص ٣٧٦

(٩٥) النظر : سيويه ١٣٠/٢ واللسان ( طين ) ١٢٨/١٧ وعذرات اللسان للمعري ١٠٠

والصنف لأن حتى ١٠٥/١ ومن تابع سيويه : انشرد في الكامل ٢٥٥/٢ وابن حتى في الخصائص ٧٥/٢

(٩٦) اللسان ( قسن ) ٢٢١/١٧ والأفعال لأن القطاع ٦٩/٣

(٩٧) المعر لأنى زيد ٢٦ واللسان ( قسن ) ٢٢١/١٧ وتأويل مشكل القرآن ٢٢٦ وجمهرة اللغة

٢٧٢/٣ ٤٠٢/٣ ٤٠٩/٨

(٩٨) اللسان ( قسن ) ٢٢٦/١٧ وتهذيب اللغة ٤٠٩/٨

(٩٩) تهذيب اللغة ٤٠٩/٨

(١٠٠) اللسان ( كين ) ٢٣٣/١٧ والأفعال لأن القطاع ١١٩/٣



الشعر : قول مدرك بن حصن :  
ياكروا نأ صك فأكثرتا<sup>(١٠١)</sup>

وقول الآخر :

فلم يكثروا إذ رأوني وأقلت  
إلى وخوة كالسوف تهلل<sup>(١٠٢)</sup>

ولا شك أن لهذه الكلمة علاقة بما رواه الأصمعي ، من أن  
« الكثر : ما ثنى من الجلد ، عند شفة الدلو<sup>(١٠٣)</sup> » .

٢٣ - ( اكأر ) : يقال : اكأر الرجل ، إذا تقبض ولم  
يطمئن . والمكأر : المتقبض<sup>(١٠٤)</sup> . ومن أمثلة وروده في الشعر : قول  
الراجز :

وأنا منها مكأر مغمصم<sup>(١٠٥)</sup>

وقول الآخر :

ذي عضدين مكأر نازي<sup>(١٠٦)</sup>

وقول رؤبة :

وكل مخلاف ومكأر<sup>(١٠٧)</sup>

ويقول ابن منظور : « وأميت ثلاثي فعله<sup>(١٠٨)</sup> » ، مع أنه قال قبل  
ذلك بقليل : « كلر الشيء يكأره كأراً ، وكلأه : جمعه » . والعلاقة

(١٠١) اللسان ( كس ) ٢٣٣/١٧ . والإبدال لأقصر الطيب ٣٤٤/١  
(١٠٢) جوهرة اللغة ٤٠٢/٣ . واللسان ( كس ) ٢٣٣/١٧ . والإبدال لأقصر الطيب ٣٤٤/١  
(١٠٣) اللسان ( كس ) ٢٣٤/١٧  
(١٠٤) اللسان ( كسر ) ٢٦٨/٧ . والمغصم لأقصر ريد ٢٧ . والأصمعي لأقصر القطاع ١١١/٣  
(١٠٥) تكملة اللغة ٩٧/١٠ . وأساس اللغة ٢٣١/٢ . واللسان ( كسر ) ٢٦٨/٧  
(١٠٦) تكملة اللغة ٩٨/١٠ . واللسان ( كسر ) ٢٦٧/٧  
(١٠٧) ديوانه ١٢٤/٨ . ص ٦٥ . والإبدال للأصمعي ٩٩ . والكلمة للصاغاني ٢٢٠/٢ . وجوهرة اللغة ٢٧٣/٣  
(١٠٨) لسان العرب ( كسر ) ٢٦٨/٧

بإسار<sup>(١٠٩)</sup>

ن ، وحالفه

ن ، إذا كبر

الليل : اشند

إذا صلبت

تية الكلمة ؛

في الأصل :

، واكأان :

نخل مرفقيه

شواهد في

المعروف ١٠٠

لخصائص ٧٤/٢

١٢ وجوهرة اللغة

واضحة بين الجمع والتقبض . وقد صدق الأزهري حين قال :  
« واكلاز : كان في الأصل : اكلاز<sup>(١٠٩)</sup> » .

هذه هي الأمثلة ، التي تتضح العلاقة فيها بأفعالها الثلاثية . وهناك  
مثالان آخران ، لم تذكر لهما المعاجم العربية أصلاً ثلاثياً ، وهما :

١ - ( اتلأب ) : يقال : اتلأب الطريق ، إذا امتد واستوى .  
واتلأب الحمار ، أي أقام صدره ورأسه<sup>(١١٠)</sup> . ومن أمثله الشعرية :  
قول ليبيد :

فأوردها مسجورة تحت غابة  
من القرنتين واتلأب يخوم<sup>(١١١)</sup>

وقول الخطيئة :

ألا طرقتنا بعد ما حجدوا هند  
وقد سرن غوراً واتلأب بنا نجد<sup>(١١٢)</sup>

وقد أحسن ابن فارس ، بعدم وجود ثلاثيه ، فعده من الموضوع  
وضعا<sup>(١١٣)</sup> .

٢ - ( اضمأك ) : يقال : اضمأكت الأرض اضمأكا : إذا  
خرج نباتها ، وضمأك النبات : إذا روى واخضر<sup>(١١٤)</sup> . ولم يرد له في الشعر  
أمثله . وعده ابن فارس مما وضيع وضعا كذلك<sup>(١١٥)</sup> .

وأما قولهم : « اضمأكت الأرض » بالباء ، فإنه من إبدال الميم بباء .

(١٠٩) تهذيب اللغة - ٩٨/١ وفي الأصل : « واكلاز كان في الأصل اكلاز » وهو تحريف : دليل  
حاشية الأزهري في كتبه من الأمثلة الأخرى . إلى أن المصنف مقحمة : للخلص من القاء الساكنين !

(١١٠) اللسان ( تلأب ) ٢٢٦/١

(١١١) ديوانه في ١٠/١٢ ص ٩٧ واللسان ( تلأب ) ٢٢٦/١

(١١٢) ديوانه في ١/٣٨ ص ١٤١ والأفعال لأمن القطاع ١٢٦/١

(١١٣) المقاييس ٣٦٤/١

(١١٤) اللسان ( ضمك ) ٣٥٨/١٢

(١١٥) المقاييس ٤٠٣/٣

والميم والياء من الأصوات الشفوية ، التي يحدث بينهما الإبدال كثيرا ؛ مثل  
قوله : « مهلا » و « هلا » و « أزمه » و « أزمه » و « كمحته »  
و « كبحته » وغير ذلك (١١٦) .

وإذا استنبينا هذين المثالين ، استطعنا أن نحكم بإطمئنان ، إلى أن  
أصل الأمثلة السابقة هو : « أفعال » ، أي : أثمار ، وأحشال ، وأحذار ،  
وأجراث ، وأحفاظ ، وأحزأل ، وأحظاظ ، وأرفاق ، وأرماز ، وأزبار ،  
وأزرام ، وأزلام ، وأسماء ، وأسمأل ، وأشراب ، وأشمار ، وأصمائل ،  
وأصمأل ، وأضفاد ، وأطمأن ، وأقسأن ، وأكبان ، وأكلأز .

ويؤيدنا في بعض هذه الأمثلة : أبو منصور الأزهري ، وأبو حاتم  
السجستاني ، والزمخشري ، وابن فارس اللغوي .

ولا يعترض معترض ، بأن صيغة : « أفعال » خاصة في العربية  
بالألوان . كصيغة : « أفعل » ؛ مثل : أبلق وأبلاق ، من أبلق وهو سواد  
وبياض ، وأحمر وأحمار ، وأدهم وأدهام أي أسود ، وأزرق وأزراق ، وأسود  
وأسود ، واشتط واشتاط ، بمعنى : اختلف بلونين من سواد وبياض ،  
واشهب واشهب : غلب بياضه سواده ، واصهب واصهب ، والأصهب  
الذي يخالط بياضه حمرة ، وغير ذلك من الأمثلة - فقد ذكرنا أن ذلك هو  
المشائع فيها (١١٧) . وقد عثرت أنا على أمثلة كثيرة في الأدب العربي ، والمعاجم  
اللغوية ، لصيغة أفعال في غير الألوان ، مثل :

١ - أبلأج الشيء أبلجأجا : وضع ( الأفعال لابن القطاع ١١٣/١  
واللسان ٣٧/٣ ) .

٢ - أبلأق الباب : انفتح ( الأفعال لابن القطاع ١١٣/١ ) .

(١١٦) انظر كتابا : نحو العامة والظن اللغوي ٣٦ والظن اللغوي وفوائده ١٧٤

(١١٧) انظر : كتاب سبويه ٢٤٢/٢ والنصف لآمن ص ٧٨/١ وشرح ابن عيسى للمفصل

١٦١/٧ وشرح الشافعي للأسترلابي ١١٢/١ والكلمة لأبي علي الفارسي ٢٩ والنص لابن عصفور

١٩٥/١ وشرح ذرة الغواص للمعالي ٥١ وشرح اللوكي ٨٤

- ٣ - ابهَّارَ الليل : اتصف ( الأفعال لابن القطاع ١١٢/١ واللسان ١٤٨/٥ ) .
- ٤ - اخضأَ الشيء : ابتل ( الأفعال لابن القطاع ٣٣٢/١ واللسان ٢٢٠/٣ ) .
- ٥ - ارعَّادَ اللبن : اختلط بعضه ببعض ، ولم تتمَّ خثورته ( اللسان ١٦٢/٤ ) .
- ٦ - ارمأَ الحبل : ضعف ( اللسان ١٤٧/١١ ) .
- ٧ - ازوارَّ عن الشيء : عدل عنه ( اللسان ٤٢٣/٥ ) .
- ٨ - اشعانَ الرأس : انتفش وتفرق ( اللسان ١٠٦/١٧ ) .
- ٩ - اقراخَ القرس : طلع نايه ونم سته ( الأفعال لابن القطاع ٦٩/٣ ) .
- ١٠ - اقطارَ الشجر : تفتَّر عن ورق أخضر ( الأفعال لابن القطاع ٦٩/٣ ) .
- ١١ - افعالَ الثَّور : انشق عن قُعَّالته ( تهذيب اللغة ٢٥١/١ ) .
- ١٢ - العانَ النبات : الشف وطال ( الأفعال للسرقطى ٤٨٠/٢ ) .
- ١٣ - الهاجَّ اللبن : خثَّر ( إصلاح المنطق ٣٥٠ واللسان ١٨٣/٣ ) .
- ١٤ - املاسَ الشيء : صار أملس ( المنصف لابن جنى ٧٨/١ ومعاني الشعر ١١٠ ) .

هذا ، وقد أحسن الجواليقي بشبه « افعال » بإفعال في عدم التعدي ، وإن تابع جمهرة العلماء ، في أنه من بنات الأربعة ؛ فقال : « وما كان على افعلت ، فإنه لا يتعدى ، نحو : احمررت واحمرار ... ونظيره من بنات الأربعة : اطمأنت واشمأزت (١١٨) .

\*\*\*

ولم يكن إقحام الهمزة في هذه الأمثلة السابقة وغيرها ، هو التطور  
الوحيد الذي أصابها ؛ فقد أدت المبالغة في تحقيق الهمز هنا ، إلى قلب  
الهمزة عينا ، في بعض كلمات هذا العزل في الفصحى ، على طريقة يطق  
بعض أهالي صعيد مصر : « لَع » في : « لَأ » مثلا ، وعلى طريقة  
« العنعة » في لغة تميم<sup>(١١٨)</sup> . وقد وردت في اللغة أمثلة كثيرة ، لانقلاب  
الهمزة عينا ؛ مثل قولهم : « صَبَات على القوم وصَبَع عليهم » ، وهو  
أن تدخل عليهم غيرهم ، « وقولهم : « انْحَافَت النحلة وانْجَعَفَت » ، إذا  
انقلعت من أصلها ، « وقولهم : « الأَسْن : قديم الشحم » ، وبعضهم  
يقول : « العُسْن » وغير ذلك<sup>(١١٩)</sup> .

وفيما يلي بعض أمثلة هذا النوع من التطور الصوتي ، في صيغة  
« أفعال » في العربية الفصحى :

١ - ( اِذْعَر ) : يقال : اِذْعَر الناس ، أى تفرقوا  
وتبددوا<sup>(١٢٠)</sup> . ومن أمثله : قول زهير بن الحارث :  
فَلَا أَفْلَحَتْ قَيْسٌ وَلَا عَزْرٌ تَاصِرٌ  
لَهَا بَعْدَ يَوْمِ الْمَرْجِ حِينَ اِذْعَرَتْ<sup>(١٢١)</sup>  
وقول الأخطل :

قَطَارَتْ شِلَالًا وَاِذْعَرَّتْ كَانُهَا  
عَصَابَةٌ شَنِى خَافَ أَنْ يَتَقَسَّمَا<sup>(١٢٢)</sup>  
وقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي :  
فَلَمْ تُعْنِ جَرْمٌ نَهْدَهَا إِذْ تَلَاقَا  
وَلَكِنْ حَرَمًا فِي اللَّقَاءِ اِذْعَرَّتْ<sup>(١٢٣)</sup>

(١١٨) انظر فصول القوافي والبحوث العربية - فيما مضى من ١٢٥

(١١٩) انظر : الإبدال لأى الطيب ٥٥٥/٢ وما بعدها .

(١٢٠) الأفعال لأس القطاع - ١١٢/١ - اللسان ( يذعر ) ١١٥/٥

(١٢١) اللسان ( يذعر ) ١١٥/٥

(١٢٢) ديوانه من ٢٥٩ - حواشي حديث لأى عبيد ٢٢١/٢ - اللسان ( يذعر ) ١١٥/٥

(١٢٣) ديوانه في ١٢٩ - من ٤٥ - شرح الحماسة لعمرو بن ١٢٩/١

والعلاقة واضحة بين هذه الكلمة ، ومادة ( بدر ) ، ومنها : بدر  
الحث : نثره وفرقه ، وبدر الله الخلق : شهم وفرقهم<sup>(١٢٥)</sup> ، فأصلها :  
« ابدأ » ثم « ابدأ » ثم « ابدع » ، على النحو الذي شرحناه من قبل .  
٢ - ( ارثعن ) : يقال : ارثعن المطر ، إذا كثر ، وارثعن إذا  
استرخى ، وكل مسترخ متساقط : مرثعن<sup>(١٢٦)</sup> . ومن أمثله قول النابغة  
الذياني :

وَكُلُّ مُلْكٍ مُكْفَهَرٌ سَحَابُهُ

كَمِيشِ التَّوَالِي مُرْثَعِنِ الْأَسَافِلِ<sup>(١٢٧)</sup>

وقول رؤبة :

كَأَنَّهُ بَعْدَ رِيَّاحٍ ثَدْمُهُ

وَمُرْثَعْنَاتِ الدُّجُونِ ثَبْمُهُ<sup>(١٢٨)</sup>

وقول أبو الأسود العجلي :

لَمَّا رَأَاهُ جَسْرِيًّا مُجْتَا

أَقْصَرَ عَنْ حَسْبَاءٍ وَارْثَعْنَا<sup>(١٢٩)</sup>

وقول الراجز :

ضَرْبًا وَلَا غَيْرَ مُرْثَعِنِ<sup>(١٣٠)</sup>

والمادة الثلاثية ، تشهد بتطور هذه الكلمة عنها ، فالرثان :  
قطرات المطر ، يفصل بينها سكون<sup>(١٣١)</sup> ، فأصل هذه الكلمة على هذا :  
« ارثان المطر » ثم « ارثان » ثم « ارثعن » .

(١٢٥) اللسان ( بدر ) ١١٤/٥

(١٢٦) اللسان ( رثعن ) ٣٤/١٧

(١٢٧) ديوانه في ٣/٥ ص ٦٥ واللسان ( رثعن ) ٣٤/١٧

(١٢٨) ديوانه في ١٣/٥٥ - ١٤ ص ١٤٩ وسبأ في الرمة في اللسان ( رثعن ) ٣٤/١٦ وليس

في ديوانه .

(١٢٩) اللسان ( رثعن ) ٣٤/١٧

(١٣٠) اللسان ( رثعن ) ٣٤/١٧

(١٣١) اللسان ( رثعن ) ٣٤/١٧

٣ - ( ارمعل ) : يقال : ارمعل الثوب وعبره : إذا ابتل ،  
وارمعل الذمغ : سال وشابح فطرته (١٣٢) . ومن أمثله قول مدرك بن  
حصن الأسدي :

بكي حزناً من أن يموت وأجهش

إليه الجمر شئ وارمعل حينها (١٣٣)

وقول الرقيان :

كنظم اللؤلؤ مرمعل

تلقه نكباء أو شمل (١٣٤)

وقول الشاعر :

وانصب لنا الذهب طاهي وعجلن

لنا بشواة مرمعل دعوها (١٣٥)

ولهذه الكلمة علاقة - فيما يبدو - بقولهم : رمل الثوب ونحوه ،  
إذا لطخه بالدم ، كما يقول : أرمل السهم إرمالاً إذا أصابه الدّم ففنى  
أثره (١٣٦) .

٤ - ( اسمعد ) : يقال : اسمعد الرجل ، إذا امتلأ عصبها (١٣٧) .  
وهي متطورة عن : « اسماد » التي تحدثنا عنها من قبل .

٥ - ( اشمعت ) : قال أبو تراب : سمعت بعض قيس يقول :  
اشمعت القوم في الطلب ، إذا بادروا فيه وتفرقوا (١٣٨) . وقد عرفنا هنا أن  
قبيلة قيس ، ممن يدلون الهمزة عينا ، فأصل الكلمة على هذا : « اشماط »

(١٣٢) اللسان ( ارمعل ) ٣١٧/١٣

(١٣٣) المعاني الكم ٢١٢/١٣ - اللسان ( ارمعل ) ٣١٨/١٣

(١٣٤) اللسان ( ارمعل ) ٣١٨/١٣

(١٣٥) اللسان ( ارمعل ) ٣١٨/١٣

(١٣٦) اللسان ( ارمعل ) ٣١٨/١٣

(١٣٧) اللسان ( اسمعد ) ٢٢٤/١٣

(١٣٨) اللسان ( شمعت ) ٢٢٤/١٣



القوم » ، وقد تطورت بسبب استخدامهما في الشعر عن : « اشماط  
القوم » . وعلاقتها بالمادة الثلاثية ، تنضح في قولهم : « جاءت الخيل  
شماطيط » ، أى متفرقة أرسالا ، وقولهم : « ذهب القوم شماطيط » ، إذا  
تفرقوا (١٣٩)

٦ - ( اشعل ) : يقال : اشعلت الغارة ، إذا شملت وتفرقت  
وانتشرت (١٤٠) . وعلاقتها بمادة « الشمول » واضحة . ويخطئ  
الحوارزمي (١٤١) ، حين يظن أنه « من اشتعال النار مضموماً إليه الميم » أو  
من الشموع وهو الطرب ، مضموماً إليه اللام .

ومن أمثله : قول أوس بن مفرء القيمي :  
وَهُمْ عِنْدَ الْحُرُوبِ إِذَا اشْمَعَلَتْ  
بَنُوهُنَا ثُمَّ وَالْمُتَأَوَّبُونَ (١٤٢)

وقول الطرماح :  
فَمَا لَقِيَتْ قَتْلَى تَعِيمُ شَهَادَةً  
وَلَا صَبَرَتْ لِلْحَرْبِ حِينَ اشْمَعَلَتْ (١٤٣)

وقول الشاعر :  
صَحَّتْ شَاماً غَارَةٌ مُشْمَعَلَةٌ  
وَأُخْرَى سَاهِدِيهَا قَرِيباً لِشَاكِرٍ (١٤٤)

وقول مرة بن محكان السعدي :  
يَبْسَى أَسَدٌ إِنْ تَقْتُلُونِي تُحَارِبُوا  
تَعِيماً إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ اشْمَعَلَتْ (١٤٥)

(١٣٩) اللسان (مجمع) ٢٠٩/٩

(١٤٠) اللسان (مجمع) ٣٩٥/١٣

(١٤١) شروح سقط الزند ١٣١

(١٤٢) الصحاح (مجمع) ١٧٤١/٥ واللسان (مجمع) ٣٩٥/١٣

(١٤٣) ديوانه في ٣٣/٤ ص ٥٨

(١٤٤) اللسان (مجمع) ٣٩٥/١٣ وتهدب اللغة ٣٢٦/٣

(١٤٥) الكامل للمبرد ١٩٩/١

وقول الشعاع :

رُبَّ امْرِئٍ عَمَّ السُّلَيْمِيُّ مُشْمَعِلٌ<sup>(١٤٦)</sup>

٧ - ( اقدَعَر ) : المَقْدَعَر هو : المتعَرِّض للقيام ، ليدخل في أمرهم وحديثهم ، واقدَعَر نحوهم يقدَعَر ، أى رمى بالكلمة بعد الكلمة وترخَّف إليهم<sup>(١٤٧)</sup> . ولعل لهذه الكلمة علاقة بمادة ( قَدَر ) في العربية !

وقد أبدلت راؤها لاما ، فروى في اللغة كذلك : « اقدَعَل »<sup>(١٤٨)</sup> بالمعنى نفسه . وقد سبق أن تحدثنا عن الإبدال الواقع بين الراء واللام ، وعرفنا أنه كثير الوجود في العربية . ومن أمثلة « اقدَعَل » : قول الراجز :

إِذَا كُفِّمَتْ أَكْتَفِي وَإِلَّا

وَحَدَّثَنِي أَرْمَلٌ مُقْدَعِلًا<sup>(١٤٩)</sup>

٨ - ( اقشَعَر ) : يقال : اقشَعَر الجلد ، إذا تَقَبَّضَ وارتعد . وعلاقة هذه الكلمة وثيقة بمادة « قشر » ومنها : « الأقشَر » وهو الشديد الحمرة ، كأن بشرته متقشرة<sup>(١٥٠)</sup> .

٩ - ( اقصَعَل ) : يقال : اقصَعَلَت الشمس ، إذا تَكَدَّت السماء<sup>(١٥١)</sup> ، أى توسَّطتها . وللكلمة ارتباط - فيما يبدو - بالقِصَل ، وهو قطع الشيء من وسطه ، أو أسفل من ذلك<sup>(١٥٢)</sup> .

هذه هي بعض الأمثلة ، التي تطَوَّرت فيها صيغة « افعَال » .

(١٤٦) الكامل للمصنوع ١/١٤٩

(١٤٧) اللسان ( قدح ) ٦/٣٩١

(١٤٨) اللسان ( قدح ) ٦/٧١

(١٤٩) اللسان ( قدح ) ٦/٧١

(١٥٠) اللسان ( قشعر ) ٦/٤٠٤

(١٥١) اللسان ( قصع ) ٦/٧٤

(١٥٢) اللسان ( قصع ) ٦/٧٤

فأبدلت فيها الهمزة عينا ، فبدأ في الظاهر انقطاع الصلة بينها وبين أصلها :  
« افعال » .

\*\*\*

وهناك تطور آخر لصيغة « افعال » ، لم يبالغ في تحقيق الهمزة فيها ، وإنما تميل إلى تسهيلها بعض الشيء ، فتقلب في النطق هاء . وإبدال الهمزة هاء أمر تعرفه العربية ؛ فقد روى لنا اللغويون فيها : « أرقق الماء وهرقته » ، و« أرحق الدابة وهرقتها » و« إياك أن تفعل وهياك أن تفعل » . وغير ذلك (١٥٣) .

وفيما يلي بعض أمثلة هذا النوع من التطور ، في العربية الفصحى :

١ - ( اتمهل ) : يقال : اتمهل الشيء ، أى اعتدل وانتصب (١٥٤) . وأصل هذه الكلمة : « اتمأل » التي تحدثنا عنها من قبل ، وقلنا إن لامها منقلبة عن الراء في : « اتمأر » ؛ أى أن الأصل هو : اتمأر ، ثم اتمأر ، ثم اتمأل ، ثم اتمهل . ويخطئ الزبيدي (١٥٥) ، حين يرى أن الهمزة في : « اتمأل » يدل من الهاء في : « اتمهل » !

ومن أمثلة (١٥٦) هذه الكلمة الجديدة : قول القحيف :  
إِذَا مَا الضُّبَاعُ الْجِلَّةُ اتَّجَعَّتْهُمْ  
نَمَّا التِّي فِي أَصْلَانِهَا قَاتَمَهَلَّتْ

(١٥٣) انظر : الإبدال لأبي الطيب ٥٦٩/٦ وما بعدها ، والقلب والإبدال لأبي السكت

(١٥٤) اللسان (نمل) ٧٤/١٣ (مهمل) ١٥٧/١٤

(١٥٥) تاج العروس (مهمل) ١٢٩/٨

(١٥٦) انظر في هذه الأمثلة : اللسان (مهمل) ١٥٧/١٤ وتاج العروس (مهمل) ١٢٩/٨

وقول معن بن أوس :

لَبَاخِيَّةٌ عَجْرَاءُ جَمَّ عِظَامُهَا  
لَمَتْ فِي نَعِيمٍ وَاتْمَهَلَتْ بِهَا الْجِسْمُ

وقول كعب بن جُعيل :

فِي مَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ نَرٌّ  
وَفِرَاشٌ مُتَعَالٍ مُتَمَهِّلٌ

وقول حبيب بن المرقال العبدي :

لَقَدْ زُوِّجَ الْمِرْدَادُ بَيْضَاءَ طِفْلَةٍ  
لَعُوباً تُنَاغِيهِ إِذَا مَا ائْتَمَهَّلَتْ

وقول عقبة بن مكرم :

فِي ثَلِيلٍ كَأَنَّهُ جِدْعٌ نَخْلٍ  
مُتَمَهِّلٌ مُشْدَدٌ الْأَكْرَابِ

وقول منظور بن مرثد الأسدي :

وَعَتَقِي كَالْجِدْعِ مُتَمَهِّلٌ

٢ - ( اجرهذ ) : يقال : اجرهذت الأرض ، إذا لم يوجد ثيب

ولا مرعى ، واجرهذت السنة : اشتدت وصعبت (١٥٧) . والعلاقة واضحة بين هذه الكلمة ، وقولهم : أرض جرداء ، أى لا نبات فيها . ومعنى هذا أننا نتصور الأصل : احرادت الأرض ، ثم اجرادت ، ثم اجرهذت . ومن أمثله قول الأخطل :

مَسَامِيحُ الشَّتَاءِ إِذَا اِجْرَهذَتْ

وَعَزَّتْ عِنْدَ مَقْسِمِهَا الْجَزُورُ (١٥٨)

(١٥٧) اللسان (جرهذ) ٩٦/٤

(١٥٨) ديوانه ص ٢٠٥ . اللسان (جرهذ) ٩٦/٤

بها وبين أصلها :

تحقيق المهمة

ق. هاء . وإبدال

ق. هاء . أرقت الماء

فعل وهياك أن

، في العربية

أى اعتدل

تحدثنا عنها من

الأصل هو :

ال ، حين يرى

فائمهلت

فان لا من السكت

٣ - ( ادرهم ) : يقال : ادرهم ، أى كبر فى السن . والمدرهم  
 الساقط من الكبر<sup>(١٦٩)</sup> . ومنه قول كثير عزة :  
 نعين ولو أسمن أعلام صديد  
 وأعلام رصوى ما يقلن ادرهم<sup>(١٦٠)</sup>

وقول الفلاح :

أفمت لا أسام حتى يسام  
 ويذرهم هراماً وأهراماً<sup>(١٦١)</sup>

ولا شك أن هذه الكلمة ، ذات علاقة بكلمة : « الأدرم » ،  
 وهو الذى لا أسان له . ومنه الفعل : درمت أسنائه ، أى تحاثت<sup>(١٦٢)</sup> .

٤ - ( ادلم ) : يقال : ادلم الليل والظلام ، إذا كثف  
 واسود<sup>(١٦٣)</sup> . وهذا الفعل روت لنا المعاجم كل مراحل حياته ؛ ففيها :  
 « الأدلم الشديد السواد » . وقد ادلّمت الرجل<sup>(١٦٤)</sup> . « وهذا هو الأصل  
 على وزن « أفعال » ، وفيها أيضاً : « ادلّمت الشيء » : اسود<sup>(١٦٥)</sup> » وهذه  
 هى المرحلة الثانية ، على وزن : « أفعال » .

٥ - ( ازمهر ) : ازمهرير : شدة البرد ، ويقال : ازمهر اليوم

(١٥٩) النسان ( درهم ) ٨٩/١٥  
 (١٦٠) ديوانه ق ٣/٥٤ ص ٣٢٣  
 (١٦١) النسان ( درهم ) ٨٩/١٥  
 (١٦٢) النسان ( درهم ) ٨٧/١٥  
 (١٦٣) النسان ( درهم ) ٩٦/١٥  
 (١٦٤) النسان ( درهم ) ٦٤/١٥  
 (١٦٥) الأفعال لأن القطع ٣٨١/٦

ازمهراً ، إذا اشتد برده (١٦٦) . والعلاقة شديدة بينه وبين زمر الرياح ، بمعنى صفيها ، وهو يصاحب شدة البرد ، في بعض الأحيان .

٦ - ( اسلهب ) : يقال : فرس مسلهب ، يعني : طويل العظام (١٦٧) . والعلاقة واضحة بينه وبين الثلاثي في قولهم : رُح سلب ، أي : طويل (١٦٨) .

٧ - ( اسمهد ) : يقال : اسمهد السنام ، إذا اعظم وامتلأ (١٦٩) . وهذه الكلمة حلقة أخرى ، من تطور الكلمة السابقة : « اسماد » ، التي عرفنا من قبل ، أنها تطورت كذلك إلى : « اسمعد » بالمعنى نفسه .

٨ - ( اسمهر ) : يقال : اسمهر الحبل ، إذا اشتد . والاسمهارة : الصلابة والشدة (١٧٠) . ومن أمثله : قول رؤبة :  
إذا اسمهر الحبل المقاتل (١٧١)

والعلاقة واضحة بينه وبين قول العرب : « سَمَرَه يَسْمَرُه سَمَرًا ، وَسَمَرَه ، إذا شَدَّه . والمسمار هو ما شَدَّ به الشيء » (١٧٢) .

٩ - ( اكفهر ) : المكفهر من السحاب الذي يغلظ ويسود ،

(١٦٦) اللسان (مهمل) ٤١٨/٥

(١٦٧) اللسان (سهب) ٤٥٧/١

(١٦٨) اللسان (سلب) ٤٥٥/١

(١٦٩) اللسان (سمهد) ٢٠٢/٤

(١٧٠) اللسان (سمهر) ٤٨/٦

(١٧١) ديوانه في ٢١/١٣ ص ٢٩ واللسان (سمهر) ٤٧/٦

(١٧٢) اللسان (سمر) ٤٤/٥

ويركب بعضه بعضاً<sup>(١٧٣)</sup> . ومن أمثله قول الطرماح :  
 نركبكم غداة المریدین نساءكم  
 لخططان لما أنرقنا واكفهرنا<sup>(١٧٤)</sup>

والعلاقة واضحة بينه وبين قول العرب « الكفر » بمعنى :  
 الظلمة ، لأنها تستر ما تحتها .

\*\*\*

هذه هي بعض صور التطور في صيغة ( أفعال ) ، التي يرجع  
 السبب في وجودها في العربية ، إلى الوزن الشعري ، وعدم قبوله لبعض  
 المقاطع الجائرة في النثر . ولا يفوتنا هنا ، أن نشير إلى أن الكلمة ، بعد  
 أن تشيع على الألسنة ، تأخذ مجراها الطبيعي في اللغة ، باستعمال باقي  
 المشتقات منها ؛ فلا يعترض علينا بكلمات مثل : القشعريرة ،  
 والطمأنينة ، والاكفهرار ، والزمهريز ، وغير ذلك ؛ لأن هذه الكلمات  
 وأمثالها ، مأخوذة من أفعالها ، بعد أن حدث فيها التطور الذي شرحناه .

\*\*\*

وبعد ، فهذا أحد آثار الوزن الشعري على أبنية العربية . وهناك  
 الكثير من الآثار الأخرى ؛ فالوزن الشعري هو المسئول مثلاً عن وجود  
 ( الكلكال ) إلى جانب ( الكلكل ) بمعنى : الصدر ، و ( درهم )  
 إلى جانب ( درهم ) و ( خاتام ) إلى جانب ( خاتم ) ، وغير ذلك مما  
 سبق أن أشرنا إلى بعضه في الفصل السابق .

وقد روى النحويون بعض الصيغ العربية ، التي وردت على غير

(١٧٣) اللسان ( كتهر ) ٤٦٧/٦ ، والأفعال لأن المقطع ١١٧٣

(١٧٤) ديوانه في ٥٢/٤ ص ٦٥



المألوف فيها ، والقياس الحارى فى أمثالها ، ووقفوا أمامها حيارى ،  
وتكلفوا لها التأويل والتخريج ، وفاتهم فى كل ذلك ، أن السبب فى  
مخالفتها المألوف ، هو استخدامها فى الشعر ، ذلك الاستخدام الذى  
حوّلها عن أصلها ؛ لتسجيم مع الوزن الشعرى ، ثم خرجت من الشعر  
إلى النثر ، وشاعت على الألسنة ، فى صورتها الجديدة .

من ذلك قولهم : ( لم أبُل ) و ( لا أدِر ) (١٧٥) ؛ فقد كثر  
استعمالهم لهاتين الكلمتين فى النثر بهذه الصورة ، والقياس فيهما : ( لم  
أبال ) و ( لا أدرى ) . وهم يعللون الحذف فيهما بكثرة  
الاستعمال (١٧٦) . ويقول المبرد فى سبب هذا الحذف : « وأما لم أبُل ، فإنه  
كثُر فى كلامهم ، وكان الأصل مطرَح ، وكأنه يقول فى الوقف : لم أبال ،  
فيلتقى ساكنان : الألف واللام ، فحذف الألف لالتقاء الساكنين ، ولولا  
كثرته لم يحذف ؛ لأنه يلتقى ساكنان فى الوقف (١٧٧) » .

كما يقول فى تعليل نشوء : ( لا أدِر ) : « وقولهم : لا أدِر ، ردى ،  
وإنما كان يقف عليه ، فوصله على وقفه (١٧٨) » .

أما نحن ، فإننا نرى أن الشعر ، هو المسئول عن نشوء هاتين  
الصيغتين ، من صيغ الكلام فى العربية ؛ فقد وردت ( لم أبُل ) فى قول  
الشاعر :

ولولا إنة الوهبى زبدة لم أبُل

طوال الليالى أن يحالفه المخل (١٧٩)

(١٧٥) انظر فى ذلك : سبوتة ٨٠٢ ، ١٣٢/١ ، ٣٩٠/١٠

(١٧٦) انظر : المحجب ٢٧١٠ وقفه تحريف فى الأخطاء والظواهر المسموعة ١١/١

(١٧٧) المقضب ١٦٧/٣

(١٧٨) المقضب ١٦٩/٣

(١٧٩) ملاح العرب للعدة الأصمهاوى ٣٨

وقول الآخر :  
 غُلَامٌ إِذَا مَا هَمَّ بِالْفَتْكِ لَمْ يُبَلِّ  
 أَلَامَتْ قَلِيلًا أَمْ كَثِيرًا عَوَازِلُهُ (١٨١)

وقول القرزوقي :  
 لَوْلَا بَدَأَ بَشَرُ بْنُ مَرْوَانَ لَمْ أُبَلِّ  
 تَكْثُرَ غَيْظٍ فِي قَوَادِ الْمُهَلَّبِ (١٨٢)

وقول الشاعر :  
 لَوْ مَا هَوَى عَرْسَ كُمَيْتٍ لَمْ أُبَلِّ  
 (١٨٣)

وقد استخدم الفراء عبارة : « لم أبلى » في كلامه هو ، دون ضرورة داعية ، حين قال : « الذى قبله مؤقت ، فلم أبلى أن يخرج بطرح ( من ) كالحال (١٨٣) » ! وكذلك استخدمها ابن خالويه في كلام له ، فيه : « ولم يُبَلِّ (١٨٤) » .

كما وردت عبارة : ( لا أدري ) في قول أبي خراش الهذلي :  
 وَلَا أَدْرِي مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءُهُ  
 خَلَا أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ (١٨٥)

\*\*\*

(١٨٠) الكامل للمبرد ٢٠٦/١

(١٨١) ديوانه ص ١٠

(١٨٢) معاني القرآن للفراء ٨٤/٢

(١٨٣) معاني القرآن للفراء ١٠٤/٢

(١٨٤) إعراب القرآن سورة ١٥٨

(١٨٥) ديوان الهذليين ٢٢٣٠/٣

# البَابُ الرَّابِعُ الشَّرَاءُ وَاللَّغْوُ فِي الْعَرَبِيَّةِ

عَدَاؤُهُ (١٨١)

الْمُهَلَّبُ (١٨٢)

(١٨٣)

هو ، دون ضرورة  
أن يخرج بطرح  
فيه في كلام له ،

الطَّلِي :

جِدْ مَحْضُ (١٨٥)

يبدأ تاريخ  
المعجزة في العر  
الإسلامي ، ولقد  
ودستور المسلمين  
عرفنا من قبل -

وقد تحدث  
معالي الألفاظ  
عنه ، في تفسير  
للقرآن ، على

وتحدث  
اتباعه ، في تزيين

١ -  
الثقاليب ، مثل  
والحكم لأن

٢ -  
أو الأول للكل

# الفصل الأول المعاجم العربية

## نظرة تاريخية

يبدأ تاريخ علم اللغة العربية بالقرآن الكريم ، وقد بدأت الدراسات المعجمية في العربية - ككل الدراسات اللغوية عند العرب - لخدمة الدين الإسلامي ، ولغرض فهم القرآن الكريم ، المصدر الأول للتشريع الإسلامي ودستور المسلمين ؛ فالقرآن الكريم ، هو محور الدراسات العربية كلها كما عرفنا من قبل - وهو الأساس الذي من أجله قامت هذه الدراسات .

وقد تحدثنا من قبل ، عن ارتباط نشأة المعاجم العربية ، بالبحث عن معاني الألفاظ الغريبة ، في القرآن الكريم ، وعرفنا منهج ابن عباس ، رضي الله عنه ، في تفسير ألفاظ القرآن الكريم بالشعر ، واعدنا تفسير ابن عباس للقرآن ، على هذا النحو ، نواة للمعاجم العربية .

ونتحدث فيما يلي عن أنواع المعاجم العربية ، بالنسبة للنظام الذي اتبعته ، في ترتيب الكلمات بها ، فهناك ثلاثة أنواع من المعاجم :

١ - نوع رتب الكلمات ، على حسب المخارج الصوتية ، وطريقة الثقاليب ، مثل : كتاب العين للمخيليل بن أحمد ، وتهذيب اللغة للأزهري ، والمحكم لابن سيدة الأندلسي .

٢ - ونوع رتب الكلمات ترتيباً أبجدياً ( بحسب الأصل الأخير ، أو الأول للكلمة ) ؛ مثل : الصحاح للجوهري ، ولسان العرب لابن



الملك بن قريب الأصمعي « ( المتوفى سنة ٢١٦ هـ ) ، بقيت لنا المؤلفات التالية :

- ١ - الإبل .
- ٢ - الخيل .
- ٣ - الشاء .
- ٤ - الوحوش .
- ٥ - الفرق .
- ٦ - خلق الإنسان .
- ٧ - النبات والشجر .

**والكتاب الأول : « الإبل »<sup>(٢)</sup> ، وصل إلينا في روايتين مختلفتين ، ولا عجب في ذلك بالنسبة للأصمعي ؛ فقد روى التبريزي<sup>(٣)</sup> أن الأصمعي أملى كتابه : خلق الإنسان ( رقم ٦ ) ، خمس عشرة مرة ، فكل نسخة من إملائه ، تختلف سائر النسخ في نقص أو زيادة .**

ويتحدث الأصمعي في كتاب : « الإبل » عن نتائجها وحلبها ، وأسماء أعضائها ، وألوانها ، وطريقة ورودها الماء ، وأدائها ، وسيرها ، وغير ذلك . وفيما يلي نص صغير منه ( ص ١٤٢ ) :

« فإذا ألفت ( الناقة ) ولدها ، فهو ساعة يقع ( سليل ) ، فإذا وقع عليه اسم الذكر والتأنيث ، فإن كان ذكراً فهو ( سقب ) ، وإن كان أنثى فهو ( حائل ) . قال أبو ذؤيب :

فَإِنَّكَ أَنْتَى لَا يَسْرُخُ الْقَلْبُ حُثْهَا

وَلَا ذِكْرُهَا مَا أَرْزَمَتْ أُمَّ حَائِلٍ

وقال الأسدي :

مِنْ عَهْدَةِ الْعَامِ وَعَامِ قَابِلٍ

مَلْقُوحَةٍ فِي بَطْنِ نَابِ حَائِلٍ

فإذا قوى ومشى فهو ( راشع ) ، وهي ( المرشح ) . وهي ( المطفل ) ما دام ولدها صغيراً . فإذا ارتفع عن الرشح فهو ( الجادل ) ، فإذا حمل

(٢) نشره أوجست هافر A. Haffner في كتاب : « الكثر اللغوي في الشعر العربي » - بيروت ١٩٠٥ . ص ٦٦ - ١٥٧ .

(٣) شرح حماسة أبي تمام للتبريزي ٥٧ .



في سنامه شعبا فهو ( المُعَكِّر ) ، وهو في هذا كله ( خوار ) ، فإذا  
فُطِم فهو ( مُصِيل ) . الخ .

أما الكتاب الثاني : « الخيل » ، فبدأ الفصل الأول منه ، بعد  
إسناد طويل ، بإعادة الخيل للفحل حتى تستج ، ثم يلي ذلك تسمية ولد  
الفرس ، من حين ولادته ، حتى يصل سنه إلى خمس سنوات ، وتسمية  
خلق الخيل جزءاً جزءاً . أما الفصل الثاني ، فهو بعنوان : « ما يستحب في  
الخيل » . والفصل الثالث في : « ما يكره في الخيل » . ويلي ذلك فصل  
آخر في : « صفة مثني الخيل وعدوها » ، وفصل خامس في : « ألوان  
الخيل » ، يليه فصل عن : « الشيات » ، وهي العلامات التي توجد في  
الخيل . ويختم الكتاب بذكر الخيل المشهورة ، وأسماء أصحابها . ثم يقصّ  
الأصمعي بعض القصص عن سياق الخيل وغيرها . ومن أمثلة الكتاب في  
باب الشيات ( ص ٢٢ ) :

« منها : العُرّة ، وهو بياض الجبهة ، فإذا صغرت فهي قُرحة ، فإذا  
استطالت وانصبّت فهي شِعْرَاح ، فإذا انتشرت قيل : عُرّة شادخة ، وفرس  
شادخ العرة . وقال ابن مفرغ :

شَدَخَتْ عُرَّةُ السَّوَابِقِ فِيهِمْ

في وجوه مع اللّمام الجعّاد  
فإذا ابيض موضع اللطمة من الفرس ، قيل : لَطِيم ، فإذا ابيضت جفلاته  
العليا ، فهو أرثم ، وهي رثاء » .

ولم يكن الأصمعي هو الذي ألف وحده في الخيل ؛ ففي عصره ألف  
كل من : أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ( المتوفى سنة  
٢٦٦ هـ ) كتاباً في الخيل بعنوان : « نسب الخيل في الجاهلية والإسلام  
وأخبارها » ، تحدث فيه عن بعض خيول العرب المشهورة وأخبارها . كما ألف  
أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي ( المتوفى سنة ٢٣١ هـ ) كتاباً آخر سماه :

(٤١) نشره كذلك ألبرت جفر A. Hallner في مجلة SBWA فيما ١٨٩٥ م - ج ١٣٢/١

« كتاب أس  
المشهوره ،  
المتى ( المت  
غيره ، من  
( ص ١٣٦ )  
ألف على  
المجري  
الشجعان  
وتع  
وهو : « ال  
وتأجها ،

أى أكل  
أفطموه ،  
فطم الخيل  
جفرة ،  
وبت قرنا  
وجمعه عزم  
قد أخذ

(٥)  
Jen Chevaux

(٦)  
(٧)  
(٨)

« كتاب أسماء خيل العرب وقرانها »<sup>(٥٦)</sup> ، تحدث فيه عن حيول القنائل المشهورة ، كحيول قريش وبنى أسد وغيرهما ، كما ألف أبو عبيدة معمر بن المثنى ( المتوفى سنة ٢٠٩ هـ ) « كتاب الخيل »<sup>(٥٧)</sup> ، ويتناثر هذا الكتاب عن غيره ، من الكتب المؤلفة في الخيل ، بأن فيه فصلا حوليا ( ص ١٣٦ - ١٧٣ ) عن الأشعار التي قيلت في وصف الخيل . وكذلك ألف على بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي ( من علماء القرن الثامن الهجري ) كتابا في الخيل ، بعنوان : « حلية الفرسان وشعار الشجعان »<sup>(٥٨)</sup> .

ونعود الآن مرة أخرى ، إلى كتب الأصمعي ، فالكتاب الثالث وهو : « الشاء »<sup>(٥٩)</sup> ، هو الكتاب الوحيد الباقي لنا ، في وصف حمل الغنم ، وتاجها ، وحلبها ، ومرضها ، وغيوبها . وفيما يلي نص منه ( ص ٨ ) :

« فإذا أكل ولدها من الأرض ، قيل : قارم . وقد قرم يقرم قرما ، أى أكل الحمل من الأرض ، فإذا أرادوا أن يقطموه من اللبن ، قيل : افطموه ، فإذا فعل ذلك به ، فهو القطم . ومعنى القطم : القطع ؛ يقال : فطم الحمل وما أشبهه فطما ، فإذا انتفخ جوفها من الماء والشجر ، فهي جفرة ، والذكر جفر . والحلان : الجدى الصغير ، فإذا تحرك الجدى ونبت قرناه ، فهو عثود ، وجمعه عثدان . فإذا أدرك السقماد فهو عريض ، وجمعه عرضان ، فإذا أتت عليه ثمانية أشهر ، أو تسعة ، أو نحوها ، قيل : قد أجذع ، وهو جذع ، وهي جذعة » .

(٥٦) شوه هو الكتاب الذي قلده : أ. ليفي دلافيدا ، G. Levi Della Vida في مجموعة تصوات

Les Livres des Chevaux - ليدن ١٩٢٨ م .

(٥٧) نشر في حيدر آباد بالهند سنة ١٣٥٨ هـ .

(٥٨) نشر مصورا في باريس سنة ١٩٢٢ م . ثم نشره محمد عبد العلي حسن بالقاهرة سنة ١٩٤٩ م .

(٥٩) نشره : أوجست هافنر ، A. Haffner في مجلة SBWA لينا ١٨٩٦ م ج ٦/١٣٣ .

خوار ، فإذا

لأن منه : بعد

لك تسمية ولد

وات ، وتسمية

ما يستحب في

على ذلك فصل

في : « ألوان

التي توجد في

فأياها ، ثم يقص

مثلة الكتاب في

في قرحة ، فإذا

شاذة ، وقرن

الجعد

صفت حنكته

ففي عصره ألف

( المتوفى سنة

أهلية والإسلام

سارها . كما ألف

بأيا آخر سماه :

والكتاب الرابع : « الوحوش »<sup>(٩)</sup> ، عالج فيه الأصمعي صفة  
الحمار الوحشي ، والظبي ، والوعل ، والدعام ، والأسد ، والذئب ،  
والضبع ، والثعلب ، والأرنب البري . وفيما يلي باب أسماء الثعالب فيه  
( ص ٣٧٨ ) :

« يقال : ثعلب وثُعالة . ويقال للثعلب : الهجرس . ويقال له :  
سُسم . قال :

وأشبه الهجرس في القتال

ويقال لولد الثعلب : الثقل مثل : يُعْفَر . قال امرؤ القيس :

لَهُ أَبْطَلَاظِي وَسَاقِيَا نَعَامِيَّةٍ

وإِرْحَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ ثَقْلٍ

والصَّيْدَن : لم أسمع له إلا في شعر كثير . ويقال للأثني من الثعالب :  
الثملة » .

وقد ألف مثل تأليف الأصمعي هذا ، محمد بن المستنير قطرب  
( المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ) . وعنوان كتابه : « ما خالف فيه الإنسان البهيمة في  
أسماء الوحوش وصفاتها »<sup>(١٠)</sup> . وقد ألف « قطرب » هذا كتابا آخر لطيفا ،  
يعنوان : « المثلثات » . وليس هذا الكتاب في الهندسة ، كما قد يتبادر إلى  
الذهن من عنوانه ، وإنما هو في الكلمات التي وردت عن العرب ، بثلاث  
حركات في حرف واحد منها ، فيتغير المعنى تبعاً لذلك ؛ مثل : العُمر :  
الماء الكثير - العُمُر : الجفد - العُمَر : الرجل الجاهل . ومثل : الكلام :  
الحديث - الكلام : الحروح - الكلام : الأرض الوعرة . ومثل :  
المسك : الجلد - المسك : الطيب - المسك : الطعام .

والكتاب الخامس : « الفرق »<sup>(١١)</sup> ، يتحدث فيه الأصمعي عن

(٩) نشره « ريدلف جاير » R. Geier في مجلة SBWA ثانيا ١٨٨٨ م ج ١/١١٥

(١٠) نشره « جام » كذلك ، وجعله ملحقاً لكتاب الأصمعي في الوحوش

(١١) نشره « مولر » D.H. Müller في مجلة SBWA ثانيا ١٨٧٦ م ج ٨٤

الفرق بين الإنسان والحيوان ، في تسمية القدم ، والشفة ، والأنف ،  
والظفر ، والرجل ، والصدر ، والثدي ، والفرج ، والمخاط ، والبصاق ،  
والعرق ، والجلوس ، والتعوط ، والمكاح ، والحمل ، والولادة ، والأولاد ،  
والأصوات . وفيما يلي مثال من فصل الرجل ( ص ٢٤٠ ) :

«وهي رجل الإنسان ، والجمع الأرجل . ومثله قدمه ، والجمع  
أقدام . والحافر من الفرس في موضع القدم من الإنسان ، والجمع الحوافر .  
والخف من البعير ، والجمع أخفاف . ويقال : الخف ، للنعامة أيضا .  
والظلف من الشاة والبقرة والظباء ، والجميع أظلاف » .

والكتاب السادس هو : «خلق الإنسان» ، ويصف  
الأصمعي فيه بعد مقدمة عن الحمل ، تقلب أحوال الإنسان ، منذ  
ولادته ، إلى أن يصير هرمًا - أعضاء الإنسان المختلفة ، بالترتيب ، متدنا  
بالرأس حتى القدم ، مستشهدا بالشعر على كثير من الكلمات التي يذكرها  
- على حسب عادته . ومن أمثلة ( ص ٢٠٨ ) :

« وفي الأصابع : الرواحب ، وإحدى راحتي ، وهي السلاميات  
ظهورها . قال النابغة :

على عارفات للطعام عوايس

إذا عرضوا الخطي فوق الرواحب  
وفي الكف : البراجم ، والواحدة منها : برجمة ، وهي ملتقى  
بعض السلاميات ، من ظهر الكف ، إذا قطن الإنسان كفه ، تسرت  
وارتفعت . وفي الكف : الأشاجع ، وهي العصبات التي على ظهر  
الكف ، تتصل بطون الأصابع ، والواحد أشجع . قال ذو الرمة :

أعند بها الإذلاج كل شسردل

من القوم ضرب اللحم عذرى الأشاجع

أصمعي صفة

والدب .

والثعالب فيه

ويقال له :

سبب تنقل

من الثعالب :

المستبر قطرب

الإنسان الهيمة في

فأيا آخر لطيفا :

كما قد ينادر إلى

العرب ، ثلاث

مثل : القعر :

ومثل : الكلام :

الوعرة . ومثل :

ضعام .

فيه الأصمعي عن

وقد أُلّف في موضوع : «خلق الإنسان»<sup>(١٣)</sup> ثابت بن أفي ثابت  
( من علماء القرن الثالث الهجري ) . ويعتمد ثابت في كتابه : «خلق  
الإنسان»<sup>(١٤)</sup> على الأصمعي كثيرا ، غير أن كتاب الأصمعي لا يبلغ  
نصف ما في كتاب ثابت ، من حيث اللغة والشواهد والتفصيل ، ونسبة ما  
فيه من الشواهد إلى قائله . ومن أمثلته في باب العيوب في العين  
( ص ١١٦ ) :

« وفي العين : الحول والقبل ... فالحول : أن تكون كأنها تنظر  
إلى الزجاج . والقبل كأنها تنظر إلى غرض الأنف . وقال ابن الأعرابي :  
الحول أن تميل الحدقة إلى اللحاظ ، والقبل أن تميل إلى المؤق . وفي  
العين : العمى والعمور والكُمة ... والكُمة : أن يولد الولد لا يبصر شيئا .  
وقد أُلّف في هذا الموضوع كذلك : أبو إسحاق إبراهيم بن السري  
الرجاج ( المتوفى سنة ٣١٠ هـ ) . وفي كتابه : «خلق الإنسان»<sup>(١٥)</sup> ،  
يصف الزجاج في ٣٤ فصلا ، أعضاء الإنسان من الرأس إلى القدم ،  
وصفا لغويا ، وهو متأثر بكتاب : «خلق الإنسان» للأصمعي ، تأثرا  
كبيرا ، فالمقارنة بين الكتابين تبين أن الزجاج ، حذف من كتاب  
الأصمعي التعبيرات المكررة ، والاستطرادات ، والشواهد الشعرية إلا في  
النادر ، والمقدمة والخاتمة ، وأضاف إليه فصلين صغيرين ، عن : الأست ،  
وفرج المرأة .

ومن أُلّف في : «خلق الإنسان» كذلك : أبو الحسين أحمد بن  
فارس ( المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ) . وكتابه يسمى : «مقالة في أسماء أعضاء  
الإنسان»<sup>(١٦)</sup> ، وهو كتاب مختصر جدا ، ليس فيه شاهد شعري واحد .

(١٣) وانظر كذلك : المؤلف في خلق الإنسان ، للمكتورة وجيهة السطل - دمشق ١٩٧٦ م

(١٤) نشره عبد الستار أحمد فراج ، في الكويت سنة ١٩٦٥ م

(١٥) نشره الدكتور إبراهيم السامرائي في بغداد سنة ١٩٦٣ م

(١٦) نشره الدكتور فيصل دليمج في دمشق سنة ١٩٦٧ م

ومن المخطوطات الباقية في موضوع : « خلق الإنسان » كذلك :  
كتاب أنى عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي ( المتوفى سنة  
٤٢١ هـ ) ، ويعتمد فيه على كتاب الأصمعي كثير<sup>(١٧)</sup> . ومن المخطوطات  
كذلك : كتاب جلال الدين السيوطي ( المتوفى سنة ٩١١ هـ ) ،  
ويسمى : « غاية الإحسان في خلق الإنسان » ، وهو مخطوط يدار الكتب  
المصرية .

وأخر كتاب بقي لنا من كتب الأصمعي اللغوية ، هو كتاب :  
« النبات والشجر »<sup>(١٨)</sup> . وفي هذا الكتاب ، يكتفى الأصمعي بذكر  
أنواع النبات المعروفة عند العرب ، بلا شرح أحيانا ، كقوله مثلاً في باب  
ما ينبت في السهل ( ص ٤٠ ) :

« وما ينبت في السهل : العرفج ، والغضر ، واحدته الغضرة ،  
والنغض واحدته نغضة . والأفاني واحدته أفانية . والسطاح واحدته  
السطاحة . والفنا وهو غنب الثعلب . والحلمة » .

ومن ألف مثل هذا التأليف كذلك : أبو زيد سعيد بن أوس  
الأنصاري ( المتوفى سنة ٢١٤ هـ ) ، فله كتاب يسمى : « الشجر »<sup>(١٩)</sup> ،  
وأبو حنيفة الدينوري ( المتوفى سنة ٢٨٠ هـ ) ، فله كتاب يسمى :  
« النبات »<sup>(٢٠)</sup> .

(١٧) منه مخطوطان في المتحف العراقي بغداد ، والمكتبة الطاهرية بدمشق . وقد حققناه وأعدناه  
للنشر .

(١٨) نشره : أوجست هفتر A. Hafiz ، الأث : لويس شيخو اليسوعي ، في مجموعة بعنوان  
« النغمة في شذور اللغة » - بيروت سنة ١٩١٤ م ، ص ١٧ - ٥٩ ثم نشره محمد الله يوسف الغيم بالقاهرة  
١٩٧٦ م .

(١٩) هذا الكتاب نشره : ناغلبرج S. Nagelberg سنة ١٩٠٩ م ، اعتماداً على مخطوطة وحيدة ،  
تعمل اسم ابن خالويه ( المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ) ، غير أنه عاد فأثبت في مقدمته ( ص ٣ - ٩ ) أن الكتاب  
لأن زيد الأنصاري ، وإن كان قد وضع اسم ابن خالويه ، في عنوان الكتاب بالعربية ، على أنه المؤلف .  
(٢٠) نشره : لوين Lewin قطعة من الجزء الخامس منه ، في لندن سنة ١٩٥٣ م ، ثم نشر الجزء الثالث مع  
النصف الأول من الجزء الخامس منه ، في فيسبادن سنة ١٩٧٤ م .

ويعرى للأصمعي عندما ذكرنا ، كتابان آخران في اللغة مطبوعان ، هما كتاب « الأضداد »<sup>(٢١)</sup> ، وكتاب « النخل والحكم »<sup>(٢٢)</sup> . غير أن من يدرس الكتاب الأول ، ويقارنه بكتاب « الأضداد » لا يسر السكيت<sup>(٢٣)</sup> ، يدهش حين يرى الاتفاق الكبير بين هذين الكتابين . وقد لاحظ هفتر « ذلك » ، غير أنه قال في مقدمة كتاب ابن السكيت : « يمكننا اعتبار كتاب الأضداد ، لابن السكيت ، كرواية ثانية لكتاب الأصمعي »<sup>(٢٤)</sup> .

وهذا الكلام الذي يقوله هفتر « غير صحيح » ، فإن كتاب « الأضداد » الذي ينسب للأصمعي ، يفيض بالرواية عن أبي زيد ، والأموي ، وابن الأعرابي ، وأبي عبيدة ، والفراء ، والأثرم . وإن من يدرس مؤلفات الأصمعي ، يعرف أنه لم يرو عن هؤلاء الرجال شيئاً ، وعلى الأخص عن خصمه : ابن الأعرابي ، وأبي عبيدة ، فلا يوجد في أي كتاب من كتبه أي ذكر لهم . هذا إلى أن الأخير ، وهو الأثرم ، شيخ لابن السكيت ، لا للأصمعي .

وإذا كنا نرى هذه الأسماء ، ترد بعينها في أماكن مطابقة ، في كتاب ابن السكيت ، فإن المرء يستطيع الحكم بأن كتاب « الأضداد » ، الذي ينسب إلى الأصمعي ، ليس إلا رواية أخرى لكتاب ابن السكيت .

أما أن تكون المخطوطة التي اعتمد عليها هفتر « في نشر الكتاب » ، كانت تحمل اسم الأصمعي ، فأمر سهل التعليل ؛ لأن الكتاب يبدأ بعبارة : « قال الأصمعي » ، فابن السكيت يبدأ كتابه بالرواية

(٢١) نشره : أبجست هفتر (A. Haffner) في مجموعة بعنوان : « ثلاثة كتب في الأضداد » - بيروت ١٩١٣ م - ص ٥ - ٦١

(٢٢) نشره : أبجست هفتر (A. Haffner) بالأب « لويس شيخو » في كتاب : « اللغة في شعور » - بيروت ١٩١٤ م - ص ٦٣ - ٩٨

(٢٣) نشره في مجموعة : « ثلاثة كتب في الأضداد » السابقة .

(٢٤) هامش صفحة ١٦٣



عن الأصمعي ، فجاء أحد النساخ ، وحسب الكتاب كله للأصمعي ،  
فنسبه إليه . وأغلب الظن أن ذلك قد حدث هنا ، ويحدث في حالات  
مماثلة ، بسبب ضياع ورقة العنوان .

ولا يعنى ما قلناه هنا أن الأصمعي ، لم يؤلف كتابا  
في « الأضداد » ؛ فإن كل المصادر التي ترجمت له ، تذكر أنه ألف مثل  
هذا الكتاب<sup>(٢٥)</sup> ، غاية ما هناك أنه ضاع ولم يصل إلينا ، وليس هو على أية  
حال ، ذلك الكتاب المطبوع ، الذي نشره « هفتر » منسوباً إليه<sup>(٢٦)</sup> .

أما الكتاب الثاني : « النخل والكرم » ، فقد قال عنه « هفتر » في  
المقدمة : « هذا الفصل ورد في النسخة الدمشقية ، من الصفحة  
٢٦١ - ٢٩٣ وليس في أول الفصل ذكر اسم الأصمعي ، ولكن صاحب  
لسان العرب ، نقل كثيرا من هذا الكتاب بحرفه الواحد ، وهو يعزوه مطلقا  
إلى الأصمعي ، فلا تمارى في نسبه إليه » .

غير أن « لويس شيخو » يشك في هذا الكلام ، حين يقول : « أما  
نسبة الدكتور هفتر هذا الكتاب إلى الأصمعي ، فهو على ما نظن على  
التغليب ؛ لأن نسختنا التي أخذ عنها ، لا تصرح باسم الأصمعي . ومن  
المحتمل أن يكون الكتاب ، لأبي عبيد معاصر الأصمعي . وبما يحملنا إلى  
نسبته لأبي عبيد ، أن الشروح للمفردات ، توافق ما جاء في لسان العرب ،  
والمخصص لأبي سيدة ، منسوباً لأبي عبيد ، أكثر منها للأصمعي ، ومن  
المحتمل أيضا أن يكون الكتاب لأبي حاتم ، تلميذ الأصمعي » .

وإننا حين ندرس كتاب : « النخل والكرم » هذا ، يتبين لنا أنه في

(٢٥) انظر مقدمة تحقيقنا لكتابه : « اشتقاق الأسماء » ص ٢٧ - ٢٨ .

(٢٦) انظر كذلك مقالنا : « كتاب الأضداد للأصمعي ليس للأصمعي » في مجلة : « لسان العرب »  
العراقية ( نوفمبر ١٩٦٦ م ) ، وكتاب عمى الدين توفيق الدين السكيت المسمى ٢٤٧ - ٢٤٨ وقد حاول محمد  
حسين آل ياسين عنا تصحيح نسبة هذا المطبوع إلى الأصمعي ، وهو من يرى : « انظر كتاب : الأضداد  
في اللغة ٣٦٧ - ٣٧٥ » .

المواقع كتابان مستقلان ، لا علاقة لأحدهما بالآخر ، وهما : « كتاب النخل » و « كتاب الكرّم » .

وقداسة الكتاب الأول ، تفودنا إلى اليقين ، بأن هذا الكتاب ، ليس إلا قطعة من كتاب : « الغريب المصنف » ، لأنى عبيد القاسم بن سلام - وستحدث عنه بالتفصيل فيما بعد - وذلك بعد حذف أسماء الرواة ، ومعظم الشواهد الشعرية . والمثال التالى يوضح ذلك على الوجه الأكمل :

النخل ٣/٧٠ : « ومن نعوت النخلة فى حملها : إذا كانت تدرك فى أول النخل ، فهى البُكُور ، وهن البُكر . والمُتَبِّل : الأم يكون لها قسيمة ، وقد انفردت ، واستغنت عن أمها . ويقال لتلك القسيمة : البُتُول . والبُكُور مثل البُكُور . والمُتَبِّل : التى تبث ( كذا ) بواسرها . والخَضِيرَة : التى تبث ( كذا ) بُسْرها وهو أخضر . والمتخار : التى تبقى حملها إلى آخر الصَّرام » .

الغريب المصنف ١٨/٢٥٩ : « باب نعوت النخل فى حملها : الأصمعى : إذا كانت تدرك فى أول النخل ، فهى البُكُور ، وهن البُكر . وأنشد للمتخل :

ذَلِكَ قَادِيكَ إِذْ جُنُبْتُ

أَحْمَالُهَا كَالْبُكْرِ الْمُتَبِّلِ

قال : والمُتَبِّل : الأم تكون لها قسيمة ، قد انفردت واستغنت عن أمها ؛ فيقال لتلك القسيمة : البُتُول . الفراء : البُكُور مثل البُكُور . قال : والمتَبِّل : التى ينتثر بُسرها . والخَضِيرَة : التى ينتثر بُسرها وهو أخضر . الأصمعى : المتخار : النخلة التى تبقى حملها إلى آخر الصَّرام . وأنشد :

تَرَى الْعَضِيضَ الْمَوْقَرَ الْمُتَخَارَا

مِنْ وَقَعِهِ يَنْتَثِرُ الشَّارَا »

أما الكتاب الثانى : « الكرّم » ، فعلى أوله العبارة التالية : « عن أنى

حاتم السجستاني « . وقد علق المأثر على ذلك بقوله في الهامش : « كذا في الأصل ، والظاهر أن أبا حاتم السجستاني ، روى كتاب الكرم عن الأصمعي » .

غير أن نص كتاب الكرم يبدأ بالإسناد التالي : « حدثنا الحسن بن علي الطوسي ، قال : حدثنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري ببغداد ، قال : أخبرنا أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان <sup>(٢٧)</sup> السجستاني ، قال الطائفي : يقال ... » .

وفي هذا الإسناد ، لا نرى اسم الأصمعي على الإطلاق ، بل نرى اسم أبي حاتم السجستاني . وهذا يجعلنا نؤمن بأن هذا الكتاب ، من تأليف أبي حاتم ، لا من تأليف الأصمعي . ويؤيد هذا أيضا أن ابن النديم <sup>(٢٨)</sup> يذكر أن أبا حاتم ألف كتابا في « الكرم » . ولم يذكر واحد ممن ترجموا للأصمعي ، أنه ألف مثل هذا الكتاب <sup>(٢٩)</sup> .

وإذا كان كتاب « الأضداد » للأصمعي ، قد ضاع ، فإن مجموعة ضخمة من كتب الأضداد التي ألفها اللغويون العرب ، قد وصلت إلينا . وأول هذه الكتب : كتاب « الأضداد » <sup>(٣٠)</sup> ، لأبي علي محمد بن المستنير قطرب ( المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ) ، الذي سبق أن ذكرنا من مؤلفاته اللغوية : كتابي « الوحوش » و « المثلثات » . و « قطرب » لقب له ، لقبه به أستاذه سيبويه ؛ إذ كان قطرب يكرر إليه ، « فيفتح سيبويه يابه ، فيجده هنالك ، فيقول له : ما أنت إلا قطرب ليل ، فلقب قطربا لذلك » <sup>(٣١)</sup> .

(٢٧) في الأصل : « عمر » وهو تحريف.

(٢٨) الفهرست ٤٣.

(٢٩) انظر في هذا كتابا : Das Kitāb al-Ġarīb al-Muṣannaf, S.95 FF. ومقالتنا بعنوان :

« بكتات النحل والكرم أيضا ليس للأصمعي » في مجلة « المكتبة » العراقية ( مارس ١٩٦٧ م ) ومقدمتنا لتعقيق كتاب « الشقاق الأسماء » للأصمعي ٢٣ - ٣٩ .

(٣٠) نشره : هانز كوتلر H. Kotler في مجلة « إسلاميكا » Islamica سنة ١٩٣٦ ( المجلد الخامس )

ص ٢٤١ - ٢٨٤

(٣١) انظر : لسان العرب ( قطرب ) ٧٧/٢ .

وقد عالج قطرب في كتابه ٢١٨ كلمة من كلمات الأضداد ،  
 واستشهد عليها بكثير من أبيات الشعر ، والقرآن الكريم ، والأمثال العربية ،  
 غير أنه أخطأ في عدد بعض الكلمات من الأضداد وما هي منها ؛ مثل :  
 « برّد » التي جعلها بمعنى : برّد وسخّن ، كما تحدثنا عن ذلك من قبل .  
 ومن أمثلة الكتاب ( ص ٢٥٤ ) :

« ومنه القانع : الراضى ، والقانع : السائل ، فنع قناعة وقنعا  
 وقنعانا : رضى . وقنع قنوعا : أى سأل . وقال عدى بن زيد :  
 وما لحثّ ذا وصل وأبث يوصله  
 ولم أحرم المضطرّ إذ جاء قانعا  
 أى سائلا . وقال لبيد من المعمرين :

فمنهم سعيد أجّد بنصيبه  
 ومنهم شقيّ فى المعيشة قانع »

والكتاب الثانى فى « الأضداد » ألّفه أبو يوسف يعقوب بن  
 إسحاق السكيت<sup>(٣٢)</sup> ( المتوفى سنة ٢٤٤ هـ ) . و « السكيت » لقب  
 أبيه إسحاق ؛ لأنه كان يطيل السكوت .

وعالج ابن السكيت فى هذا الكتاب ٩٤ كلمة ، من كلمات  
 الأضداد ، واستشهد عليها بكثير من أبيات الشعر ، والقرآن الكريم . وقد  
 سبق أن عرفنا أن كتاب الأضداد ، الذى ينسب للأصمعى ، ليس إلا رواية  
 أخرى ، لكتاب ابن السكيت هذا .

ويبدو أن ابن السكيت ، قد استعان فى تأليف كتابه ، بكتاب  
 الأصمعى المفقود ، كما يبدو أنه استخدم كتاب : « الغريب المصنف »  
 لأبى عبيد القاسم بن سلام ، بلا إشارة إليه ؛ فإن العبارات المروية فيه عن

(٣٢) سيرة ، ألّفه هف . A. Haffner فى مجموعة بعنوان : « ثلاثة كتب فى الأضداد » بيروت

أن أريد ، وإلى عبدة ، والفراء ، والأعمى ، توجد بعضها في كتاب « العريب  
المصنف » - ومن أمثلة الكتاب (ص ٢٠٢) :

« القاع والقع : الراضي بما قسم له ، ومصدره : القاعة .  
والقاع : السائل ، ومصدره : القوع . قال عدي :  
وما حُلت قاعل وأُتت بوصله

ولم أحرِم المضطرب إذ جاء قاعها  
أي سائلا . وقال الله عز وجل : وأطعموا القاع والمعتز ، فالقاع : السائل ،  
والمعتز : الذي يأتيك ويتعرض لك . قال الشاعر :

لما ل المرء يصلحه فيغني

مفارقة أغلف من القشوع  
أي أغلف من المسألة . قال : أحرى أن أن أعرابيا أني قوما ، فسألهم فلم  
يعطوه ، فقال : الحمد لله الذي أقتنى إليكم ، أي أحوجني إليكم » .

والكتاب الثالث ، الذي وصل إلينا من كتب « الأضداد » هو  
لأنى حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني<sup>(٣٣)</sup> ( المتوفى سنة  
٢٥٥ هـ ) ، ويعالج فيه صاحبه ١٧٠ كلمة من كلمات الأضداد ، ويبدو  
أنه استخدم كتاب الأضدعى المفقود كذلك . ومن أمثلة هذا الكتاب  
( ص ١١٦ ) :

« وقالوا : القاع : السائل الطالب ، وهو في القرآن : وأطعموا  
القاع والمعتز ... والقاع أيضا : الراضي بالشئ ... »

والكتاب الرابع في « الأضداد » - وهو أكبر كتب الأضداد  
وأهمها - هو كتاب أنى بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري<sup>(٣٤)</sup> ( المتوفى  
سنة ٣٢٧ هـ ) . وفي هذا الكتاب ٣٥٧ كلمة من كلمات الأضداد ،

(٣٣) شد ، فهو ، في مجموعة «سابقة في الأضداد» ص ٥٩ - ٥٧

(٣٤) شد ، هو ، في مجموعة «سابقة في الأضداد» ص ٥٩ - ٥٧

١٩٦٠ م وكان قد نشر من قبل في القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ .

فقد جمع ابن الأنباري في هذا الكتاب ، كل كلمات الأضداد في مؤلفات  
سابقية ، وشرحها شرحاً مفصلاً ، وأكثر من إيراد الشواهد عليها من الشعر  
والقرآن الكريم .

والكتاب الخامس في « الأضداد » ، ألفه معاصر لابن الأنباري ،  
وهو أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي<sup>(٣٥)</sup> ( المتوفى سنة  
٣٥١ هـ ) . وقد عالج فيه ٣٠٠ كلمة من كلمات الأضداد ، كما هاجم  
كثيراً ممن ألف في الأضداد من قبله ، وخطأهم ؛ فقد خطأ قطرباً مثلاً في  
قوله : إن قولهم : « بَلَّحَ الرجل بشهادته » معناها : كتمها أو أظهرها ؛  
فيرى أبو الطيب اللغوي أن ذلك تصحيف ، وأنه إنما يقال في كتمان  
الشهادة : « بَلَّحَ بشهادته »<sup>(٣٦)</sup> بالخاء .

والكتاب السادس في « الأضداد » ، ألفه أبو محمد سعيد بن  
المبارك ، المعروف بابن الدهان النحوي<sup>(٣٧)</sup> ( المتوفى سنة ٥٦٩ هـ ) . وقد  
ذكر في هذا الكتاب ٢٩١ كلمة من كلمات الأضداد .

والكتاب السابع والأخير من كتب « الأضداد » ، ألفه  
أبو الفضائل رضي الدين الحسن بن محمد الصاغاني<sup>(٣٨)</sup> ( المتوفى سنة  
٦٥٠ هـ ) .

وفي هذين الكتابين الصغيرين ، جمع ابن الدهان والصاغاني ،  
مجموعة كبيرة من كلمات الأضداد ، ورتبها ترتيباً هجائياً ، بعد أن حذف  
أسماء الرواة والشواهد ، الموجودة في كتب السابقين ، واختصراً العبارة

(٣٥) نشره الدكتور عزة حسي ، في دمشق سنة ١٩٦٣ م .

(٣٦) الأضداد لأبي الطيب ٨٦/١ وانظر : أضداد قطرب ٢٧٩ هامش ١ .

(٣٧) نشره الشيخ محمد حسن آل ياسين ، في مجموعة : نفاثات المخطوطات - بغداد ١٩٦٣ م .

ص ٨٥ - ١٠٨ .

(٣٨) نشره « أوجست هافنر » A. Haffner وجعله ذبلاً لمجموعة السابقة ؛ ثلاثة كتب في

الأضداد ص ٢٢١ - ٢٤٨ .

اختصاراً كبيراً إلى درجة أننا لا نعثر في هذين الكتابين ، في كثير من الأحيان ، إلا على الكلمة من كلمات الأضداد ومعنيها المتضادين فحسب .

\*\*\*

ولم يؤلف أبو الطيب اللغوى - الذى تحدثنا عنه من قبل - كتاب الأضداد فحسب ، بل ألف عدة كتب لغوية ، وهى :

١- شجر الدرّ فى تداخل الكلام بالمعاني المختلفة<sup>(٣٩)</sup> ، وطريقته فيه أن يذكر اللفظة ، ثم يفسرها بلفظة ثانية ، ويفسر اللفظة الثانية بثالثة ، والثالثة برابعة ... وهكذا ، ثم يعود إلى اللفظة الأولى ، ويفسرها بلفظة ثانية ، غير ما فسرنا به فى المرة الأولى ، ثم يفسر الثانية بثالثة ، والثالثة برابعة ... إلخ . ويسمى كل تلك التفسيرات المنبثقة من لفظة واحدة : شجرة ، وكل تفسير منها : فرع لتلك الشجرة ، وهو فى هذا التأليف ، يستغل ما فى اللغة العربية ، من كلمات « المشترك اللفظى » الذى نعالجه فيما بعد . مثال ذلك : الشجرة الأولى :

## الشجرة الأولى





ولم يكن « أبو الطيب اللغوي » ، هو أول من ألف مثل هذا النوع من التأليف ؛ فقد سبقه إلى ذلك : أبو عمر محمد بن عبد الواحد المطرزي ، المعروف بـ غلام ثعلب ( توفي سنة ٣٤٥ هـ ) وكتابه يسمى : « المُدَّخِل في غريب اللغة »<sup>(٤٠)</sup> ، وطريقته مثل طريقة أبي الطيب ، غير أنه يتضمن كثيراً من الألفاظ الموعلة في العربية .

ولدينا كتاب ثالث في هذا الموضوع ، وهو كتاب : « المسلسل في غريب لغة العرب »<sup>(٤١)</sup> « لأبي الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي القرطبي ( المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ) . وهو مؤلف من خمسين باباً ، يبدأ كل باب منها بيت من الشعر ، غامض المعنى ، يتناول المؤلف منه كلمة ويفسرها بأخرى ، وهذه بثلاثة ... وهكذا . وهو مليء فيما عدا ذلك بالشواهد الشعرية .

٢- كتاب الإتياع<sup>(٤٢)</sup> : والإتياع عبارة عن تأكيد الكلمة ، بصم كلمة أخرى إليها ، لا معنى لها في ذاتها ، غير أنها تساويها في الصيغة والقافية ، بغرض الزينة اللفظية وتأكيد المعنى . والكلمة الثانية تسمى كلمة « الإتياع » . ويقسمها اللغويون العرب ، بحسب معناها ، إلى ثلاثة أقسام :

( أ ) كلمة الإتياع لها معنى واضح ، يدرك بسهولة ؛ مثل قولهم : هنيئاً مريئاً .

( ب ) كلمة الإتياع لا معنى لها على الإطلاق ، ولا تستخدم وحدها ؛ مثل : شيطان ليطان ، وحسن يسن .

(٤٠) نشره محمد عبد الجواد ، بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م .

(٤١) نشره كذلك محمد عبد الجواد ، بالقاهرة سنة ١٩٥٧ م .

(٤٢) نشره عز الدين النوجي ، في دمشق سنة ١٩٦١ م ، اعتماداً على مخطوطة نفص صفحة من المقدمة .

( ج ) كلمة الإتياع لها معنى متكلف مستخرج من الأولى :  
مثل : حبيت نبيت .

وقد ألف مثل هذا التأليف كذلك : أبو الحسن أحمد بن فارس  
اللغوى ( المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ) واسم كتابه : « الإتياع والمزاوجة »<sup>١٤٣</sup> ،  
ولا يظهر من مقدمته أى فرق بين الإتياع والمزاوجة ، غير أن « برونو »  
Brünnow ناشره الأول ، يرى « أنه يظهر من أمثلة ابن فارس بوضوح ، أن  
كلًا من الإتياع والمزاوجة ، يفترقان عن التعبيرات المماثلة كالسجع مثلاً ،  
في أن الكلمة الثانية في الإتياع والمزاوجة ، لا ترد فيما عدا ذلك من  
التركيب ، أو على الأقل بهذا المعنى . كما يبدو أن اصطلاح الإتياع ، يقصد  
به الصيغ الوصفية ، التي تتبع الكلمة الأولى بلا رابط ، على حين أن الصيغ  
الفعلية ، التي ترتبط بالكلمة الأولى برابط ، أو تكون وحدها جملاً  
مستقلة ، تسمى بالمزاوجة » .

وكتاب الإتياع لابن فارس ، مرتب ترتيباً هجائياً ، على حسب  
الأصل الأخير من الكلمة . ومن كلمات الإتياع فيه : « إنه لعقريت  
نقرت » و « خراب يثاب » ، وهذا يذكر بالعربية ١١٦٦ ١١٦٦ ١١٦٦ ومن  
المزاوج : « قوطم في جواب من قال : هات : لا أهاتيك ولا أوتاتيك .  
والمعنى مفهوم في الكلمتين » ، وقوطم : « ما عنده عيش ولا فيض ، أى  
كثير ولا قليل » .

٣ - كتاب المشى<sup>١٤٤</sup> : يقسم أبو الطيب اللغوى في هذا  
الكتاب ، المثنيات العربية ، إلى عشرة أقسام ، منها :

(١٤٣) بشرو ، برونو ، R. Brünnow في مدينة Chessen بألمانيا سنة ١٩٠٦ م ، ثم نشره كان مصطفى  
القاهرة سنة ١٩٤٧ م .  
(١٤٤) نشره حر الدين النجاشي ، في دمشق سنة ١٩٦٠ م .

( أ ) الاثنان غلب اسم أحدهما على اسم صاحبه ؛ مثل :  
العمران = أبو بكر وعمر .

( ب ) الاثنان جمعا في التشية لاتفاق اسميهما ؛ مثل : الأذنان  
والعينان .

( ج ) الاثنان غلب نعت أحدهما على نعت صاحبه ؛ مثل :  
الأسودان = التمر والماء .

( د ) الاثنان جمعا في التشية لاتفاق نعتيهما ؛ مثل : الأحمران =  
الخمر واللحم .

( هـ ) الاثنان اللذان لا يقردان من لفظهما ؛ مثل : الملوان =  
الليل والنهار .

٤ - كتاب الإبدال<sup>(٤٥)</sup> : يعالج فيه أبو الطيب ، صيغ الكلمات  
المختلفة ، التي نشأت عن طريق المماثلة ، أو المخالفة الصوتية ،  
أو خصائص اللهجات العربية .

مثال النوع الأول : الشاسيب > الشاسف = الضامر .

والشاسب > الشازب = الضامر .

والسببى > السبندى = الجرىء .

وهرت > هرط = شق .

ومثال النوع الثانى : لص > لصت ( معروف ) .

وطس > طست ( معروف ) .

والحدثق > الحدرنق = العنكبوت .

ومثال النوع الثالث : أبلج > أبلد = واضح .

وأجاء > أشاء = ألجأ .

(٤٥) نشره كذلك عبد القين التوحى ، في دمشق سنة ١٩٦٠ - ١٩٦١ م .

غير أن هناك الكثير من الكلمات ، التي لم تنشأ إلا بسبب  
التصحيف والتحريف ، اللذين ابتليت بهما الكتابة العربية منذ القدم :  
وذلك مثل : الأصلح والأصلح ، بمعنى : الأصم ، والحنثل والخنثل ،  
بمعنى : الضعيف ، ودجن بالمكان وزجن به ، بمعنى : أقام به ،  
والدخاميس والرؤخاميس ، بمعنى : الشديد ، والمعكود والمعكول ، بمعنى :  
المحبوس ، والزور والزون ، بمعنى : الصنم .

والمثال الأخير يذكرنا بما عرفناه من قبل ، عن التحريف الذي وقع فيه  
صاحب الصحاح ، حين استشهد على أن « اللجز » مقلوب : « اللزج »  
بييت ابن مقل :  
يَعْلُونَ بِالْمَرْدُوقِشِ الْوَرْدِ ضَاحِيَةً  
عَلَى سَعَابِيبِ مَاءِ الضَّالَةِ اللَّجْزِ

ونسي أن هذا البيت ، من قصيدة نونية في ديوان ابن مقل ، وصحة  
الروى : « الضالة اللجن » .

وقد ألف قبل أنى الطيب اللغوى ، في موضوع الإبدال :  
أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت ( المتوفى سنة ٢٤٤ هـ ) ، واسم  
كتابه : « القلب والإبدال » (٤٦) .

\*\*\*

ونتحدث الآن عن جهود عالم آخر معاصر للأصمعي ، في المعاجم  
العربية ، وتأليف الرسائل اللغوية المفردة ، ذلك هو أبو زيد سعيد بن أوس  
الأنصاري ( المتوفى سنة ٢١٤ هـ ) وقد عرفناه من قبل مؤلفاً لكتاب :  
« النبات والشجر » .

(٤٦) نشره + فهرس + A. Haffner في مجموعة : « الكم اللغوى في القرن العريق » - أخرج

١٩٠٥ م - ص ٣ - ٩٥ ثم نشره الدكتور حسين محمد شرف ، بالقاهرة سنة ١٩٧٨ م بعنوان : « الإبدال » .

ومن رسائله اللعوية التي وصلت إلينا :

١ - **المطر** (٤٧) : يتحدث أبو زيد في هذا الكتاب ، عن أسماء المطر ، والرعْد ، والبرق ، والسحاب ، والمياه . ويقف في الكتاب الاستشهاد بالشعر . ومن أمثلته :

« أسماء البرق : البرق وجماعه البروق . ويقال : برقت السماء تَبْرُقُ بَرْقًا . وأبرق القوم إبراقًا : إذا أصابهم البرق . وتكشَّف البرق تكشُّفًا ، وهو إضاءته في السماء . واستطار البرق استطارَةً ، وهو مثل التكشُّف ، ولمع البرق يلمع لمعًا ولمعانًا ، وهي البرقة ثم الأخرى ، المرة بعد المرة (٤٨) . . . »

٢ - **المهمز** (٤٩) : وقد عالج فيه أبو زيد حوالي ٣٠٠ كلمة ، تحتوي على المهمة في جميع تصاريقها . ولعل السبب في ظهور مثل هذا النوع من التأليف ، هو أن الناس لم يكونوا يهزمون في كلامهم العامي ، في حياتهم اليومية ، فإذا أرادوا محاكاة اللغة الفصحى ، في مواقف الجد ، حدث خلط كبير ، في همز ما لا يستحق المهمز ؛ لأنهم إذا كانوا يقولون في الكلام العامي : قرئت الكتاب ، وقرئت الضيف ، فإنهم في حالة محاكاة الفصحى ، يقولون : قرأت الكتاب ، وقرأت الضيف مثلاً . وليس في المثال الثاني همز في الفصحى ؛ لأنه من قرأ يقرئ بمعنى : أطلع الضيف . وقد حدث مثل ذلك تماماً في الجاهلية ، وعصور الاحتجاج العربية ؛ فقد « قالت امرأة من العرب : رثأت زوجي بأبيات - وهمزت - أرادت : رثيته . قال الجوهري : وأصله غير مهموز . قال القراء : وهذا من

(٤٧) نشره « جوتهايل » Gottlieb في الجزء السادس عشر من مجلة JAOS سنة ١٨٩٥ م .  
ص ٢٨٢ - ٣١٧ ، ثم نشره « لويس شيخو اليسوعي » في مجموعته : « اللغة في شذوذه » - بيروت سنة ١٩١٤ م - ص ٩٩ - ١٢٠ .

(٤٨) المطر لأن يهد ( نشره شيخو ) ٨ - ٩ .

(٤٩) نشره الأب « لويس شيخو اليسوعي » في بيروت سنة ١٩١٠ م .

المراد على التوهمة : لأنها رأيتهم يقولون : رأيت اللس . فظنت أن المراد به  
مها<sup>١٥٠</sup> .

وقد عرفنا من قبل أن ترك الحمير ، من خصائص لغة أهل الحجاز  
وهديل ومكة والمدينة ، أما الهجر فهو من خصائص لغة نعيم<sup>١٥١</sup> . وقد  
استعارته العربية القصص من نعيم .

وقد قسم أبو زيد كتابه على ثلاثين باباً ، بحسب مكان الفمزة  
من الكلمة ، والصيغ والترتيب الأتحدى في بعض الأحيان ، ومن أمثلة  
الكتاب ( ص ٢٦ ) :

« وتقول : قد اشمار الرجل اشمرازا ، إذا دغر من شيء ، وهو  
المدغور . تقول : قد استمال الظل استملا : إذا صار إلى أصله . قال  
الشاعر :

يرد المياه حاضرة ونفيسة

ورَد القطاة إذا استمال التبغ  
واستماله أن يرجع إلى أصل العود . والتبغ : الظل . وتقول : قد احرأل الإبل  
والقوم احرألا : إذا اجتمعوا ... »

٣ - كتاب اللبأ واللبن<sup>١٥٢</sup> : واللبأ هو أول اللبن في الشاح .  
وبعاج أبو زيد في كتابه ذلك ، أنواع اللبأ المختلفة ، منذ أن يحلب حتى  
يستخلص منه الزبد . ومن أمثلة الكتاب ( ص ١٤٤ ) :

« ومن اللبأ : الرثيفة ، وهو أن يحلب على الحامض فيختر ، وهو :  
الهديد أيضا ، وهو المؤتلخ والتلخ اتلاخا . ومنه العُشمر والمغير : الشديد  
الحموضة إلى المرارة ، والصقفة مثله ، ثم الحامض هو الحامز ، ثم الحارز ،

(١٥٠) نظر : سواد العرب ٧٧/١ رثاء

(١٥١) نظر : سواد العرب ٧٤/١

(١٥٢) بشر الأندلس شعوب يسوع في مجموعة : اللغة في شذو اللغة - ص ١٤٦ - ١٤٧

أد المطر ،

الاستشهاد

ت السماء

ت البرق

وهو مثل

المرّة بعد

ة ، تحوى

النوع من

في حياتهم

د خلط

في الكلام

محاكاة

وليس في

أطعم

الاحتجاج

وهزرت -

وهذا من

١٨٩٥ م

جودسة

وهو أشد حمضا من الحامض . والعاتك مثل الحارز . والعرق : الخبيث الحمض . والقاطع والحاذق مثله . والياسل مثله . والصرب مثل العرق أيضا .

٤ - النوادر في اللغة<sup>(٥٣)</sup> : وهو كتاب يجمع بين دفتيه ، الكثير من ألفاظ اللغة ، غير متبع منها معينا في ترتيبها . وليست كل الألفاظ الواردة فيها ، نادرة أو غريبة ، كما يوهم عنوانه ، فهو يورد النادر الشاذ من اللغة ، إلى جانب الفصيح المشهور منها . والكتاب مليء بمقطعات الشعر ، والأراجيز النادرة . ومن أمثلته ( ص ١٨٧ ) :

« أبو زيد : يقال : جمل ناهل في جمال نهال ، وثاقه ناهلة في نوق نهال ونواهل ، وهي العطاش . وقال الراجز :

إِنَّكَ لَنْ تُثَانِيَنِي النَّهَالُ

بِمَثَلِ أَنْ تُدَارِكَ السَّجَالُ  
يقال : ثأى الرجل عني ، أي احبسه عني . والثأاة : الحبس . والنواهل من الإبل وغيرها من المواشي : الرءاء اللاتي قد نهلن نهالا ، أي روين ريا . »

وقد كثرت التأليف في النوادر ، إلى درجة أننا لا نجد لغويا في ذلك العصر المبكر ، إلا وله في النوادر كتاب أو أكثر . وقد بقي لنا من هذه الكتب ، كتاب أبي زيد السابق ، وكتابان آخران هما :

١ - كتاب النوادر ، لأبي مسنحل الأعرابي عبد الوهاب بن حريش ( توفي في أواخر القرن الثالث الهجري ) ، تلميذ الكسائي ( المتوفى سنة ١٨٩ هـ ) . وكتابه كبير في جزأين ، نشره الدكتور عزة حسن ، في دمشق سنة ١٩٦١ م .

٢ - النوادر ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي ( المتوفى سنة

(٥٣) نشره سعيد الخوري الشرتوني ، في بيروت سنة ١٨٩٤ م .



٣٥٦ هـ ) ، وقد طبع مع كتابه : « الأمل » المشهور ، في بولاق سنة ١٣٢٤ هـ ، ثم طبع بعد ذلك في دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ م .

\*\*\*

ولنعرج الآن على عالم آخر ، معاصر للأصمعي وأبي زيد ، هو أبو زكريا يحيى بن زياد القراء ( المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ) ، لثري جهوده في تأليف الرسائل اللغوية المفردة ؛ فمن كتبه الباقية لنا في هذا الميدان :  
١ - الأيام والليالي والشهور<sup>(٥٤)</sup> : عالج القراء في هذا الكتاب : الأسماء القديمة والحديثة ، للأيام والشهور العربية ، وأسماء الهلال والقمر والشمس ، وظلمة الليالي ، والأيام الباردة والحارة ، كما أنه يستشهد على ما يقوله دائما ، بالقرآن والشعر والأمثال .

والأسماء القديمة للأيام عند العرب في الجاهلية ، هي كما يذكر القراء :  
الأحد = أول . الاثنين = أهون . الثلاثاء = جبار . الأربعاء = دُبار .  
الخميس = مؤنس . الجمعة = العُروبة . السبت = شيار .

تلك هي الأسماء القديمة للأيام . أما الأسماء التي تستخدمها اليوم ، فهي مستعارة في العربية ، من الآرامية والعبرية ، فيما عدا يوم « الجمعة » فهي تسمية عربية خالصة . أما « العُروبة » القديمة ، فهي اسم سامي قديم ، يوجد كذلك في اللغة الآرامية .

أما الشهور العربية القديمة ، فهي كما يذكر القراء : محرم = المؤتمر . صفر = ناجر . ربيع الأول = نُحوان . ربيع الثاني = بُضان . جمادى الأولى = الحنين . جمادى الآخرة = وَرْنة . رجب = الأصم . شعبان = وَغْل . رمضان = ناتق . شوال = عاذل . ذو القعدة = هُواع . ذو الحجة = بُرك .

(٥٤) نشره إبراهيم الأبياري بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م . وهذا الكتاب لم يذكره أحد ، ومن أرجحوا للقراء ، كما يشك الناشر في أن تكون محتويات الكتاب كلها من صنع القراء .

ومثل كتاب الفراء في : « الأيام والليالي والشهور » كتاب :  
 « الأرملة والأمكنة » لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوق ( المتوفى  
 سنة ٤٢١ هـ ) وهو كتاب ضخم ، نشر في جزأين بحيدر آباد في الهند  
 سنة ١٣٣٢ هـ ، وهو وإن كان يحتوي على شروح لغوية ، فإنه يعد كتابا في  
 الفلك ، أكثر من أن يكون معجما لغويا . ومثله في ذلك كتاب : « الأرملة  
 والأنواء »<sup>(٥٥)</sup> لأبي إسحاق إبراهيم المعروف بابن الأجداني ( المتوفى سنة  
 ٩٥٠ هـ ) .

٢ - المنقوص والممدود<sup>(٥٦)</sup> : وقد تابع ناشره في هذا العنوان ،  
 مخطوطة الأصل ، وذكر أن بعض الكتب تسميه : « المقصور والممدود » ،  
 وقال إن هذه التسمية الأخيرة هي « الأوفق » : لأن فيه بعض كلمات  
 آخرها ألف زائدة ، فلا تسمى منقوصة . ومن أمثلة الكتاب  
 ( ص ٢٣ ) :

« باب ما يفتح أوله فيمد ، وإذا كسر أوله قصر ، من ذلك : اليلي  
 مقصور يكتب بالياء ، ويفتح فيمد . قال الشاعر :  
 « لَمَرَّةٌ يُبْلِيهِ بَلَاءُ السَّرْبَالِ  
 مَرُّ اللَّيَالِي وَاتِّقَالُ الْأَحْوَالِ »  
 لقرى مقصور يكتب بالياء ، ويفتح فيمد . قال الكسائي : سمعت القاسم  
 ابن معن يرويه عن العرب : قراء الضيف » .

وقد ألف أكثر من ثلاثين لغويا عربيا ، كتبها في موضوع « المقصور  
 والممدود » لم يبق لنا منها إلا سبعة كتب ، كتاب الفراء أقدمها ، والستة  
 الأخرى هي :

١ - المقصور والممدود ، لأبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة ،

(٥٥) نشره الدكتور عرفة حسن ، في دمشق سنة ١٩٦٤ م

(٥٦) نشره عبد العزيز الميسى في القاهرة سنة ١٩٦٧ م ، في مجلد واحد مع كتاب : « السبائك

عن أعاليق الزوايا » لحل من حجرة المصنف

الملقب بنفطويه ( المتوفى سنة ٣٢٣ هـ ) وهو رسالة صغيرة ، تجمع أبواب المقصور والممدود ، نشرها الدكتور حسن شاذلي فرهود ، في مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض - المجلد الرابع ( ١٩٧٥/١٩٧٦ م ) ص ٩٣ - ١٢٧ .

٢ - الممدود والمقصود ، لأبي الطيب الوشاء ( المتوفى سنة ٣٢٥ هـ ) . وهو مختصر بدأه بالحديث عن الممدود ، وطريقة كتابته عند الإضافة للضمائر . وبعد أن تحدث عن الممدود والمقصود القياسيين ، عالج المسموع منهما في ستة أبواب . وهو معتمد في كتابه هذا على كتاب الفراء ، وإن لم يصرح بذلك . والكتاب نشره الدكتور رمضان عيد التواب ، في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض - المجلد السابع ( ١٩٧٧ م ) ص ٦٥ - ١٢٥ ثم نشره في سلسلة « روائع التراث اللغوي » التي تصدرها مكتبة الخانجي ، بالقاهرة سنة ١٩٧٩ م .

٣ - المقصور والممدود ، لأبي العباس أحمد بن محمد بن الوليد بن ولاد<sup>(٥٧)</sup> ( المتوفى سنة ٣٣٢ هـ ) وهو مرتب أبجدياً ، على حسب الحرف الأول من الكلمة ، غير أنه مختصر العبارة ، وبه بعض الشواهد الشعرية .

٤ - المقصور والممدود ، لأبي عمر الزاهد ، المعروف بعلام ثعلب ( المتوفى سنة ٣٤٥ هـ ) وهو رسالة صغيرة في وزيقات ، نشره الدكتور عبد الحسين الفتلي ، في مجلة كلية أصول الدين - العدد الأول ( بغداد ١٩٧٥ م ) .

٥ - المقصور والممدود ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي<sup>(٥٨)</sup> ( المتوفى سنة ٣٥٦ هـ ) وهو أضخم كتب المقصور والممدود ، التي

(٥٧) نشره : بولس برونيل ، P. Brönle في ليدن سنة ١٩٠٠ م .

(٥٨) لا زال هذا الكتاب مخطوطة ، منه نسخة وحيدة في دار الكتب المصرية - رقم ١٨٤ لغة .

في ١٩٧٠ م . وقد حققه الدكتور أحمد عبد الحميد عبد الله - بغداد ١٩٧٠ م .

وصلت إلينا ، وأوسعها شرحا ، وأكثرها استيعابا للمادة النغوية ، وأوفاهها  
استشهادا بالشعر والقرآن والأمثال .

٦ - المقصور والممدود ، لأبي البركات بن الأنباري<sup>(٥٩)</sup> ( المتوفى  
سنة ٥٧٧ هـ ) ، وقد رتب فيه مؤلفه مادة المقصور والممدود ، في ستة  
أبواب على النحو التالي :

- الأول : المقصور المفتوح الأول ؛ مثل : العَصَا والسَّيْف .
- الثاني : المقصور المكسور الأول ؛ مثل : الرِّبَا والغِنَى .
- الثالث : المقصور المضموم الأول ؛ مثل : الضُّحَى والدُّجَى .
- الرابع : الممدود المفتوح الأول ؛ مثل : الذِّكَاء والغَبَاء .
- الخامس : الممدود المكسور الأول ؛ مثل : الوَعَاء والغَطَاء .
- السادس : الممدود المضموم الأول ؛ مثل : الهَرَاء والغُثَاء .

ولم يرتب ابن الأنباري الكلمات ، في داخل هذه الأبواب ، على أى  
نوع من أنواع الترتيب .

ويظهر أن السبب في كثرة التأليف في هذا الموضوع ، هو  
أنَّ الناس كانوا قد تركوا الهمز في كلامهم ، كما كان يفعل أهل الحجاز  
من قبل ، فكان يشتبه المقصور بالممدود ، ولا سيما إذا كان للكلمة  
الواحدة صورتان : إحداهما مقصورة بمعنى ، والأخرى ممدودة بمعنى آخر ،  
مثل : الحيا = القيث ، والحياء = الاستحياء . ومثل : الخلا = الحشيش  
الرطب ، والخلاء = الفضاء . ومثل : الغنى = ضد الفقر ، والغناء = من  
الطرب .

(٥٩) نشره الدكتور عطيه عامر ، في ستوكهلم سنة ١٩٦٦ م

٣ - المذكر والمؤنث<sup>(١)</sup> : ينصب اهتمام الفراء في هذا الكتاب ، على شرح ما يسمى « بالمؤنث السماعي » ، فالكلمات التي يسمى بها المؤنث الحقيقي ، وكذلك أسماء القبائل والبلاد والمدن والرياح والنار وأعضاء الجسم المزوجة ، هي في معظم الأحوال مؤنثة ، بغير حاجة إلى علامة تأنيث ؛ مثال ذلك : يد ، وعين ، ورجل ، وذراع ، وإصبع ، وظفر ، وسوق ، ونار ؛ وأغلب الظن أن الناس ، كانوا يحفظون في معاملة بعض هذه المؤنثات السماعية ، معاملة المذكر ، في زمن الفراء ، كما يحدث في زماننا هذا ، في مثل : ذراع ، وإصبع ، وظفر ، وسوق .

وقد ألف حوالي ثلاثين لغويا عربياً ، في موضوع المذكر والمؤنث . ولم يبق لنا من هذه المؤلفات ، سوى أحد عشر كتاباً ، أقدمها كتاب الفراء . والعشرة الباقية هي :

١ - التذكير والتأنيث ، لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني ( المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ) ، وهو لا يزال مخطوطاً ، ومنه نسخة في حوالي ١٠٠ ورقة ، في مكتبة قونية ( يوسف أغا ) باستانبول ، ومختصر منه في المكتبة النعمانية بدار الكتب المصرية . وقد نشر هذا المختصر الدكتور إبراهيم الصامرائي ، في مجلة رسالة الإسلام ، في بغداد سنة ١٩٦٩ م .

٢ - المذكر والمؤنث ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ( المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ) . وقد نشرته أنا ورميلي الدكتور صلاح الدين الهادي ، في مركز تحقيق التراث ، بدار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م .

٣ - مختصر المذكر والمؤنث ، للمفضل بن سلمة ( المتوفى حوالي سنة ٣٠٠ هـ ) . وقد نشرته أنا بالقاهرة سنة ١٩٧٢ م .

٤ - ما يذكر ويؤنث من الإنسان واللباس ؛ لأبي موسى سليمان بن

(١) نسخة مصغرة الورقة في ج. ١٣٤٥ هـ ، تم سنة ١٣٤٥ هـ ، وهي من مخطوطات جامعة القاهرة سنة ١٩٧٥ م .

محمد الحامض (توفي سنة ٣٠٥ هـ) . وقد نشرت أنا هذه الكتاب  
بالقاهرة سنة ١٩٦٧ م .

٥ - المذكر والمؤث ، لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار  
الأنباري ( المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ) . وقد نشره الدكتور طارق الجناني ،  
في بغداد سنة ١٩٧٨ م .

٦ - المذكر والمؤث ، لأبي الحسين سعيد بن إبراهيم بن التستري  
( المتوفى بعد سنة ٣٦٠ هـ ) وقد نشره تلميذنا الدكتور أحمد عبد المجيد  
هریدی بالقاهرة سنة ١٩٨٣ م .

٧ - المذكر والمؤث ، لأبي الفتح عثمان بن جنى ( المتوفى سنة  
٣٩٢ هـ ) . وقد نشره المستشرق « ريشر » Rescher في مجلة « العالم  
الشرق » MC في الجزء الثامن ، ص ١٩٣ - ٢٠٢ وهو مرتب أبجديا .

٨ - المذكر والمؤث ، لأبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي ( المتوفى  
سنة ٣٩٥ هـ ) . وقد نشرته أنا في القاهرة ١٩٦٩ م .

٩ - البلغة في الفرق بين المذكر والمؤث ، لأبي البركات عبد الرحمن  
ابن محمد الأنباري ( المتوفى سنة ٥٧٧ هـ ) . وقد نشرته أنا بمركز تحقيق  
التراث ، بدار الكتب المصرية ، بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م .

١٠ - فتح الرحمن بشرح ما يذكر ويؤث من أعضاء الإنسان ،  
لأحمد السجاعي ( المتوفى سنة ١١٩٧ هـ ) ، وهو لا يزال مخطوطا ، ومنه  
نسخة بدار الكتب المصرية ، برقم ٢٦٩ لغة تيمور .

\*\*\*

والآن ، بعد أن قضينا وقتا ليس بالقصير ، مع الرسائل اللغوية  
الصغيرة ، التي تعد نواة المعجم العربي ، نعرض على المعاجم الكبرى ،  
ونعالج في بداية حديثنا الآن ، المعاجم التي اتبعت نظام الترتيب  
الموضوعي .

وأول كتاب وصل إلينا من هذا النوع ، هو كتاب : « الغريب المصنف »<sup>(٦١)</sup> لأبي عبيد القاسم بن سلام ( المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ) . ولم يقدم أبو عبيد لكتابه مقدمة تبيّن منهجه ، والمصادر التي استخدمها في كتابه ، شأنه في ذلك شأن الكتب المؤلفة في هذه العصور القديمة . وينقسم « الغريب المصنف » إلى خمسة وعشرين كتابا ، يحتوي كل كتاب منها على عدة أبواب . ويحتوي « الغريب المصنف » كله ، على حوالي ٩٠٠ باب ، تختلف طولا وقصرا ، وقد استغرق أطولها سبع صفحات ، وأقصرها نصف سطر . وفيما يلي بيان للكتب ، التي ينقسم إليها الغريب المصنف :

- |                             |   |
|-----------------------------|---|
| ١ - كتاب خلق الإنسان .      | ٢ - كتاب النساء .                         |
| ٣ - كتاب اللباس .           | ٤ - كتاب الأطعمة .                        |
| ٥ - كتاب الأمراض .          | ٦ - كتاب الدور والأرضين .                 |
| ٧ - كتاب الخيل .            | ٨ - كتاب السلاح .                         |
| ٩ - كتاب الطيور وأغوام .    | ١٠ - كتاب الأواني والقدور .               |
| ١١ - كتاب الجبال .          | ١٢ - كتاب الشجر والنبات .                 |
| ١٣ - كتاب المياه والفتى .   | ١٤ - كتاب النخل .                         |
| ١٥ - كتاب السحاب والأمطار . | ١٦ - كتاب الأرملة والرياح .               |
| ١٧ - كتاب أمثلة الأسماء .   | ١٨ - كتاب أمثلة الأفعال .                 |
| ١٩ - كتاب الأضداد .         | ٢٠ - كتاب الأسماء المختلفة للشيء الواحد . |
| ٢١ - كتاب الإبل .           | ٢٢ - كتاب الغنم .                         |
| ٢٣ - كتاب الوحوش .          | ٢٤ - كتاب السباع .                        |
| ٢٥ - كتاب الأجناس .         |   |

ولم يعتمد أبو عبيد ، في جمع مادة كتابه ، على البدو من الأعراب فحسب ، بل اعتمد كذلك على اللغويين ، الذين تتلمذ عليهم

(٦١) حققنا عن هذا الكتاب - وأعدناه للنشر -



في عصره ؛ فقد تردد في كتابه من هؤلاء اللغويين ذكر : الأصمعي .  
 وأبي زيد الأنصاري ، وأبي عمرو الشيباني ، والكسائي ، والفراء ، والأُموي ،  
 وأبي عبيدة ، والأحمر ، واليزيدي ، وأبي زياد الكلابي ، وهشام بن الكلبي ،  
 وابن الأعرابي .

ومن اليدوي ، وفصحاء الأعراب الذين ذكرهم : أبو الجراح العقيلي ،  
 والعتيس الكتاني ، وأبو الحسن الأعرابي العدوي ، والقناني الأعرابي ،  
 وأبو الوليد الكلابي ، وأبو فقعمس الأعرابي ، وأبو علقمة الثقفي ، وأبو طيبة  
 الأعرابي ، وثور التمرى ، وأبو القعقاع الشكري ، وأبو شبل الأعرابي ،  
 وأبو جحوش الأعرابي .

ويعد كتاب « الغريب المصنف » من أهم الكتب اللغوية القديمة ،  
 التي انتشرت نصوصها ، في ثنايا المعاجم العربية المتأخرة ، وقل أن تجد  
 معجماً منها ، يخلو من ذكر صاحبه « أبي عبيد » . وفيما يلي بعض الكتب  
 التي تأثرت بطريقته ومادته ، من المعاجم ذات الترتيب الموضوعي :

١ - الألفاظ الكتابية<sup>(٦٦)</sup> ، لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني  
 ( المتوفى سنة ٣٢٠ هـ ) : وهو أول كتاب يصل إلينا بعد الغريب  
 المصنف ، متبعاً لمنهجه في الترتيب ، وهو كتاب صغير نسبياً ، يحتوي « في  
 أبوابه الستة والستين والثلاثمائة ، على عبارات الأدب الجزل ، بصورة تجمع  
 في كل باب ، ما يتصل بتأحية معنوية معينة من المترادفات ، مضيع  
 الاستعارة ، والأمثال ، ونثرت الشواهد في الكتاب باقتصاد ، وأحياناً تساق  
 حكمة مثالية لعظيم ، أو آية من القرآن ، أو حديث للرسول ﷺ<sup>(٦٧)</sup> .  
 ومن أمثلته :

« يقال : الستة ، والخول ، والعام ، والحجة . وفي القرآن

(٦٦) طبع عدة طبعات ، إحداهما للطبعة الرحمانية ، بالقاهرة سنة ١٩٢٢ م

(٦٧) انظر : العربية ليوهان فلك ، بترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ص ١٥٧

العظيم : ثمانى حجج - وفيه : فحلولة عاما ، وفيه : حولين كاملين .  
ويقال : تصرفت السنة ، وتجرعت ، وانتقصت . ويقال : كان ذلك عاما  
أول - وعام الأول .

٢ - جواهر الألفاظ (٦٥) ، المقدمة من جعفر ( المتوفى سنة  
٣٣٧ هـ ) : وهو كتاب يتوخى فيه مؤلفه ، الإرشاد العملى ،  
إلى الأسلوب الجزل ، والعبارات المتأنقة ، فى الموضوعات المختلفة ، التى  
قسمها على ٣٧٢ بابا . ويقول المؤلف فى مقدمته : « هذا كتاب يشتمل  
على ألفاظ مختلفة ، تدل على معان مؤلفة ، وأبواب موصوفة ، بحروف  
مُسجَّعة مكنونة ، متقاربة الأوزان والمباني ، متناسبة الوجود والمعاني ، توفق  
أبصار الناظرين ، وتروى بصائر المتوسمين ، وتنسج بها مذهب الخطاب ،  
ويتفصح معها بلاغة الكتاب (٦٥) »

ثم بين « فى لفظ قليل دال ، المطالب التى ينبغى أن تتحقق  
فى الأسلوب الجزل (٦٦) » ، فقال : « وأحسن البلاغة : الترتيب  
والسجع ، واتساق البناء ، واعتدال الوزن ، واشتقاق لفظ من لفظ ،  
وعكس ما يُنظم من بناء ، وتلخيص العبارة بالألفاظ مستعارة ، وإيراد الأقسام  
موفورة بالتام ، وتصحيح المقابلة بمعان متعادلة ، وصحة التقسيم باتفاق  
النظوم ، وتلخيص الأوصاف بنفى الخلاف ، والمبالغة فى الرصف بتكرار  
الوصف ، وتكافؤ المعاني فى المقابلة ، والتوازي ، وإيراد اللواحق ، وتمثيل  
المعاني (٦٧) »

ثم وضح كل مطلب من هذه المطالب ، بأمثلة مختارة من الأدب

(٦٥) ضيع بالقاهرة سنة ١٩٣٢ م .

(٦٥) جواهر الألفاظ من ٢ .

(٦٦) العربية - ليعلم ذلك ١٥٢

(٦٧) جواهر الألفاظ ٣

العربى . وبعد أن انتهى من كل ذلك ، تابعت أبواب الكتاب عنده ، مبتدئا ذلك بباب : « فى معنى : أصلح الفاسد وضده » .

وفى الكتاب قليل من الشواهد الشعرية والنثرية ، من القرآن ، والحديث ، والأمثال . وفيما يلى باب صغير من أبوابه ، وهو باب : « فى ثبات الأصل ونباهة الذكر <sup>(٦٨)</sup> » :

« رسا طَوْذَه ، وهطل جَوْذَه ، وزخر بحره ، وفاض شهره ، وآض عُرْه ، وعلا رُزْه ، وسطع سعدَه ، وارتفع جَدُّه ، وأفل تحسه ، وسلمت نفسه ، وأقبل بختَه ، وبُعِدَ صونَه ، وصبته أيضا ، وصلح أمره ، وعلا ذِكْرُه ، وكثرت دولته ، واشتدت صولته ، وعادت أيامه ، واشتد إقدامه ، وثبت وطأته ، وانتعشت وَجْبَتُه ، وزالت نكبتَه ، وعادت نعمته ، وانسدت نَقْمَتُه » .

٣ - متخير الألفاظ <sup>(٦٩)</sup> ، لأبى الحسين أحمد بن فارس اللغوى ( المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ) : وهذا أيضا كتاب فى الألفاظ الجزلة ، والعبارات الرائعة ، التى تعلقو على المبتذل المسترذل ، وتنزل عن الغريب الوحشى . وقد رتب مؤلفه على حسب الموضوعات ، فى ١١٤ بابا ، ملأها بالكثير من ألفاظ الشعراء وعباراتهم .

وهو يروى فى كتابه ، عن الكثير من اللغويين ؛ كالأصمعى ، وأبى عبيدة ، وابن الأعرابى ، وأبى زيد الأنصارى ، والفراء ، وغيرهم . كما استشهد فيه بشيء من الشعر ، والقرآن ، والحديث ، والأمثال . وقال فى مقدمته :

« هذا كتاب : متخير الألفاظ ، مفردها ومركبها ، وإنما نخلته هذا الاسم ؛ لما أودعته من محاسن كلام العرب ، ومستعذب ألفاظها ، وكريم

(٦٨) حواهر الألفاظ ٢٢١

(٦٩) نشرة الأستاذ هلال ناجى ، فى تعداد سنة ١٩٧٠ م .

خطابها ، منظوم ذلك ومنثوره . ولم آل جهدا في الانتقاء والانتخاب والتخير . وهو كتاب كاتب عرف جوهر الكلام ، وأثر الاختصاص بحجده ، أو شاعر سلك المسلك الأوسط ، مرتقيا عن الدون المسترذل ، ونارزا عن الوحشي المستعرب ؛ وذلك أن الكلام ثلاثة أضرب : ضرب يشترك فيه العلية والدون ، وذلك أدنى منازل القول . وضرب هو الوحشي ، كان طبع قوم فذهب بذهابهم . وبين هذين ضرب ، لم ينزل نزول الأول ، ولا ارتفع ارتفاع الثاني ، وهو أحسن الثلاثة في السماع ، وألذها على الأفواه ، وأزينا في الخطابة ، وأعذبها في القريض<sup>(٧٠)</sup> .

ومن أمثلة أبوابه : « باب الظلمة » ؛ يقول فيه : « هي الظلمة ، والغيب ، وليلة ليلاء ، ويوم أيوم . والسمر : الظلمة . ويقال : جن الليل ، ودجا ، وأثانا في جلب الليل ، أي سواده . ويقال : ظلماء داجية ، وليلة خدارية . ومن ألفاظ الشعراء : دجا الليل ، وانساب الظلام ، وأغدق<sup>(٧١)</sup> .

٤ - التلخيص في معرفة أسماء الأشياء<sup>(٧٢)</sup> ، لأبي هلال العسكري ( المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ) : وقد أراد به مؤلفه ، أن يفى عما « عجزت جميع كتب الأسماء والصفات عن بلوغ غايته<sup>(٧٣)</sup> » ؛ ولذلك غاب بعض الكتب السابقة عليه بأنها « لا تحدى على المبتدئين ، ولا يحتاج إليها المتوسطون<sup>(٧٤)</sup> » . أما كتابه هو ، فإنه « أجمع لما أريد به ، وأوضح وأسهل وأقرب<sup>(٧٥)</sup> » .

وقد قسمه إلى أربعين بابا ، تنظم مظاهر الحياة المختلفة ، وفي كل

(٧٠) نسخة الأصل ١٣٠

(٧١) نسخة الأصل ٢٠٤

(٧٢) شرح المتن : منة حسن . في : نسخة ٩٩٨ م . نسخة ٩٩٨ م .

(٧٣) نسخة الأصل ٢٠١

(٧٤) نسخة الأصل ٢٠١

(٧٥) نسخة الأصل ٢٠١

باب الكتاب عنده ، مبتدئا

١٠

ية والنهية ، من القرآن .

من أبوابه ، وهو باب .

بحره ، وفاض نهره ، وأض

، وأقل نخسه ، وسلمت

فضا ، وصلح أمره ، وعلا

ت أيامه ، واشتد إقدامه ،

مكبته ، وعادت نعمته ،

من فارس اللغوي ( المتوفى

الحرلة ، والعبارات الرائعة ،

الوحشي . وقد رتبته مؤلفه

بالكثير من ألفاظ الشعراء

اللغويين ؛ كالأصمعي ،

، والفراء ، وغيرهم . كما

لحديث ، والأمثال . وقال

ومركبها ، وإنما نخلته هذا

مستعذب ألفاظها ، وكريم

باب مجموعة من التصريفات ، التي يحتاج إليها الموضوع . وهو مقتصد في الشواهد الشعرية ، وفي الرواية عن القدماء . وفيما يلي مثال « ذكر النوم » من باب : « ذكر أخلاق الإنسان وأفعاله وتصرف أحواله » :

« فأول النوم : النُومُ والسَّنة والثَّعاس : نَعَسَ يَنعَسُ ، وَوَسَسَ يَسْسُ . ويقال للنوم : الهُجُود والهَجُوع . فأما التَّهَجُّد فالسَّهر . وقيل : هو السَّهر للعبادة . وفي القرآن : فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ . والرَّقَادُ والتَّهَيُّمُ . رَقَدَ يَرْقُدُ ، وهو رَاقِدٌ ، وهم رُقُودٌ ، وهم يَهْوِمُ يَهْوِمُ تَهْوِيماً . والإعفاء التَّوَمَةُ الحَفِيَّةُ ، أَغْفَى يُغْفِي . والعمامة تقول : غَفَا يَغْفُو ، وَلَا أَعْرِفُهُ صَحِيحاً . والبرَدُ : النوم . وفي القرآن : لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَاباً (٧٦) » .

٥ - مبادئ اللغة (١٧٧) ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي ( المتوفى سنة ٤٢١ هـ ) : وهو كتاب صغير ، يحتوي على أبواب قصيرة ، في السماء والكواكب ، والمياه ، والجبال ، والكسوة ، والنار ، والطعام والشراب ، والسلاح ، والحيل ، والسباع ، والطيور ، والشجر والنبات ، وغير ذلك .

وتعريفاته مختصرة ، وشواهد قليلة ، ولم يذكر فيه اسم راوٍ واحد ، غير أن في صفحة العنوان النص التالي : « هذا الكتاب ، أعني مبادئ اللغة ، مستخرج من كتاب العين للخليل ، ونوادر ابن الأعرابي ، وحروف أبي عمرو الشيباني ، ومصنف أبي عبيد (٧٨) ، وجمهرة ابن دريد الأزدي » .

ومما تلفت النظر في هذا الكتاب ، أن الإسكافي يفسر الكلمة العربية أحياناً ، بكلمة فارسية الأصل ؛ مثل قوله ( ص ٤٧ ) : « المِسْخُ : الِيلاس ، وجمعه : أمساح ومسوح » ، وقوله ( ص ٥٥ ) : « السَّطَل : ويقال له : الطَّس والطَّسَّة » ، وقوله ( ص ٨٦ ) : « المُنْتَقَب بالفارسية :

(٧٦) النحوي ١٣٣-١

(٧٧) طبع بالقاهرة سنة ١٣٢٥ هـ

(٧٨) في الأصل : « أبي زيد » وهو مخرف

جفت » . ولعله ألف هذا الكتاب للمعربين ، الذين يتعلمون العربية .

٦ - فقه اللغة وسر العربية ، لأبي منصور عبيد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ( المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ) : ألف الثعالبي هذا الكتاب ، للمؤيد أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي ، وذكر في مقدمته عددا من العلماء ، الذين اعتمد عليهم ، في تصنيف كتابه هذا : فقال : « وتركنا والأدب والكتب ، أنتقى منها وأنتخب ، وأفضل وأيوب ، وأنتجع من الأئمة مثل : الخليل والأصمعي ، وأبي عمرو الشيباني والكسائي ، والفراء وأبي زيد ، وأبي عبيدة وأبي عبيد ، وابن الأعرابي والنضر بن شميل ، وأبوي العباس ( أحمد بن يحيى ثعلب ، ومحمد بن يزيد المبرد ) وابن دريد ، ونفطويه وابن خالويه ، والخارزمي والأبهري ، ومن سواهم من ظرفاء الأدباء » .

ويحتوي كتاب « فقه اللغة » على ثلاثين بابا ، مقسمة إلى حوالي ستائة فصل . وهو نفسه بقول في خاتمته : « ... وتقرير الأبواب ، فبلغت بها الثلاثين على مهل وروية ، وضمنتها من الفصول ما يباهر السامع » . وقد طبع الكتاب أكثر من مرة .

واعتماد الثعالبي على كتاب « الغرب المصنف » لأبي عبيد ، كبير : إذ لم يفعل في كثير من الأحيان ، أكثر من نقله نص أبي عبيد في كثير من فصوله ، بل لقد نقل فصلا وحده ملحقا بخاتمة الورقة ، من باب : « الزمال » في كتاب الغرب المصنف ، وهو من زيادات السامع !

٧ - المختص في اللغة<sup>(٧٩)</sup> : لأبي الحسن علي بن سيدة الأندلسي ( المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ) : وهو أكبر كتاب وأهم مصنف في المعاجم العربية ، ألف على الترتيب الموضوعي ، وقد نص ابن سيدة في مقدمته ، على مصادره التي رجع إليها ، ووضع في داخل نصه ، أسماء الأعلام الذين

استخدم مصادرهم ، في عناية فائقة تبعث على الاحترام والإعجاب ، فهو يعزو كل قول إلى صاحبه ، ويعلق على هذا القول أو ذلك أحيانا .

ومن مقدمته ، نرى أنه اعتمد على كثير من الرسائل اللغوية ، التي ألفها : ابن السكيت ، وثعلب ، وأبو حنيفة الدينوري ، والفراء ، والأصمعي ، وأبو زيد ، وأبو حاتم السجستاني ، والنضر بن شميل ، إلى جانب جمهرة اللغة لابن دريد ، وكتاب العين للمخيل بن أحمد ، والبارع للقالبي . وكان أكثر اعتماده على كتاب : « الغريب المصنف » لأبي عبيد ، إذ كان يحفظه عن ظهر قلب ، فقد قال أبو عمر الطلمنكتي : دخلت مربية ، فتشيت في أهلها ، ليسمعوا عني غريب المصنف ، فقلت لهم : انظروا من يقرأ لكم ، وأمسك كتابي ، فأتوني برجل أعمى ، يعرف بابن سيدة ، فقرأه على من أوله إلى آخره ، من حفظه ، فعجبت منه (١٨٠) .

وقد كشف ابن سيدة في مقدمة كتابه هذا ، عن فائدة الترتيب الموضوعي للمعاجم ، وأنه « أجدى على التصحيح العذرة ، والبلغ المقوة ، والخطيب المصقع ، والشاعر المجيد المدقع ؛ فإنه إذا كانت للمسمى أسماء كثيرة ، وللموصوف أوصاف عديدة ، تنقى الخطيب والشاعر منها ما شاء ، واتسعا فيما يحتاجان إليه من سجع وقافية » (١٨١) .

٨ - كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ من اللغة وغريب الكلام (١٨٢) ، لأبي إسحاق إبراهيم بن اسماعيل ، المعروف بابن الأحدثي ( المتوفى في حدود سنة ٦٠٠ هـ ) : وهو كتاب صغير جدا ، لم يذكر فيه مؤلفه شيئا عن مصادرهِ ، ولم يرد فيه ذكر عالم من علماء اللغة ، ما عدا موضعا واحدا ، ذكر فيه أبو زيد والأصمعي وأبو عبيدة . وليس في الكتاب إلا شاهد شعري واحد . وقد قصد مؤلفه إلى ذلك قصدا ، فهو يريد لكتابه أن

(١٨٠) - مقدم الأندلس ٢٢٣ .

(١٨١) - القصص ٦١٢ .

(١٨٢) - يقع في نحو مائة ورقة - ١٠٣٦ - في جامع بوز - بغداد .



يكون صغير الحجم ، واضح العبارة ، خاليا من التطويل والاستشهاد ،  
يسهل على طائفة اللغة الانتفاع به ، وحقيقته إلى شيء لقد

ولمؤلف خمسة يقول في المقدمة : « هذا كتاب مختصر في اللغة ،  
وما يحتاج إليه من غريب الكلام ، وأدعاه كثيرا من الأسماء والعطف ،  
وحساب حركات الألفاظ واللغات ، وأعياده من الشواهد ليسهل حفظه »

\*\*\*

ونعالج فيما يلي النوعين الآخرين « من المعاجم العربية ، وهي التي  
بنت فيها المادة اللغوية ، على حسب الخارج الصوتية وطريقة التقاليد ، أو  
على حسب الترتيب الأبجدي ، ويستوعق في عرضنا هذه المعاجم المذبح  
التاريخي

وأقدم معجم من هذا النوع ، يقابلنا على الإطلاق ، هو : « كتاب  
العين<sup>(٨٢)</sup> » ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ( المتوفى سنة ١٧٥ هـ ) ،  
عقري زمانه ، الذي اكتشف موازين الشعر العربي ، ووضع طريقة الضبط  
بالشكل ، التي نستخدمها حتى يومنا هذا .

وهناك خلاف كبير ، في نسبة كتاب العين إليه<sup>(٨٣)</sup> . ويبدو  
أن الخليل بن أحمد كتب مقدمته ، ووضع الهيكل العام للكتاب ، ثم  
حشاه من بعده تلميذه : « الليث بن المظفر » ( المتوفى سنة ١٩٠ هـ ) .

وقد بنت المادة اللغوية في كتاب العين ، على حسب مخارج  
الأصوات من الحلق على النحو التالي :  
أ ح ح ه ح خ ع ا ق ك ج ح ط ص ز ا ط ذ ت ا  
ط ذ ث ا ر ل ن ا ف ب م ا و ا ي ا .

(٨٢) طبعت في المطبعه عمرة في ١٤٤٢ هـ ، بعد الأتمتع به ، في بغداد سنة  
١٩١٢ - ١٩١٣ م . ثم طبعه في مصر في ١٤٤٢ هـ ، في بغداد سنة ١٩٢٧ م .  
(٨٣) طبع في المطبعه في ١٤٤٢ هـ ، في بغداد سنة ١٩٢١ م .

وقد دل أحد الشعراء على ترتيب العين ، بأوائل كلمات الأبيات التالية :

عن حزن محر حریده عثاحه  
قلبی کواه جوئی شدید ضیار  
صحی سیندئون زجری طلیا  
دهشی تطلب ظالم ذی نار  
رغما لیدی نصحی فواذی باخوی  
متلهب و ذوی الملام یُماری

وهو يقسم كل حرف من هذه الحروف ، إلى مضعف الثلاثي ، ومضعف الرباعي ، والصحيح ، والمعتل ، والرباعي . وهو يتبع في كل قسم من هذه الأقسام « طريقة التقاليد » . وهذه الطريقة تتج في الشائ ( مضعف الثلاثي ) إمكانيين لا غير : مثل : ع / ق ع ، ومثل : ع ك / ك ع ... إلخ . أما الثلاثي ففيه ستة تقاليد : مثل :

ر ج ع / ر ع ج / ع ج ر / ع ر ج / ج ع ر / ع ر ج  
وَأَمَّا الرِّبَاعِي فَقِيه ٢٤ تَقْلِيلًا ؛ مِثْل :

ع ب ق د ر ا ع ب ر ق ا ح ف ر ب ا ع ر ق ب ا ح ر ب ف  
ب ع ق د ا ب ا ع ر ق ا ب ق ع د ا ب ق ر ع ا ب ر ق ع ا ب ر ع ق  
ق ع ب ر ا ق ع ر ب ا ق ب ع ر ا ق ب ر ع ا ق ر ع ب ا ق ر ع ب  
ر ق ع ب ا ر ق ب ع ا ر ع ق ب ا ر ع ب ق ا ر ب ق ع ا ر ب ع ق

وفي الحماسى عدد من التقلبات ، تبلغ ١٢٠ تقلباً ، كالمثال  
التالى ، مضروباً فى خمسة أضعاف :

س ف ر ج ل / س ف ر ل ج / س ف ج ر ل /  
س ف ج ل ر / س ف ل ج ر / س ف ل ر ج

س ر ج ف ن | س ر ج ل ف | س ر ف ج ن |  
 س ر ف ل ج | س ر ل ف ج | س ر ل ج ف |  
 س ر ج ل ف ر | س ر ج ل ر ف | س ر ج ف ر ل |  
 س ر ج ف ل ر | س ر ج ر ف ل | س ر ج ر ل ف |  
 س ل ر ف ج | س ل ر ج ف | س ل ر ج ف ر |  
 س ل ج ر ف | س ل ف ج ر | س ل ف ج ر ج |

ومن الطبيعي أن هذه التقاليد ، ليست كلها مستعملة عند العرب ، ولذلك ترى الخليل يهمل المستعمل فحسب . من تقاليد المادة الواحدة فينبه عليها ؛ مثل قوله : « باب العين والهاء والذال : ع ه د / ع د ه / د ه ع مستعملات » . ومعنى هذا أن هناك ثلاثة تقاليد أخرى ، غير مستعملة من هذه المادة ، تركها الخليل بن أحمد .

ويضم « حرف العين » في كتاب الخليل ، جميع الكلمات التي تتضمن صوت العين في أي موضع منها ، ثم يليه « حرف الهاء » ويضم جميع الكلمات المشتملة على هاء ، في أي موضع منها ، مع استبعاد الكلمات التي فيها عين ؛ لأنها قد ذكرت في حرف العين . ثم يلي ذلك « حرف الهاء » مستثلاً على الكلمات التي دخلتها الهاء ، عدا ما يشتمل منها على عين أو هاء ... وهكذا ، حتى إذا وصلنا إلى باب الميم مثلاً ، وجدناه لا يكاد يعدو صفحة أو صفحتين ، على حين أن باب العين ، وهو الباب الأول ، باب ضخم جداً ، بل إنه أضخم أبواب الكتاب .

ويقال إن هذا الترتيب الضوقي ، لم يتكرره الخليل ، وإنما هو ترتيب اللغة السنسكريتية ، وهي لغة الهند القديمة ؛ فإن هذه اللغة كانت ترتب حروفها على هذا النظام ، ابتداء من أقصى الحروف مخرجاً إلى أدناها . وقد اتصل المسلمون بالهند في الفتوحات الإسلامية ، بل اتصل بهم عرب الحاضرة في القديم ، كما جاء كثير منهم إلى العراق وعاش فيه ، فقليل إن

الخليل عرفت منهم هذا النظام<sup>١٨٥</sup> غير أن الأئمة من مصنف التلاوي ،  
ومصنف الرباعي ، وغير ذلك قد سبق الله لحسنه ، هذه الأئمة من  
الأئمة التي تثار بها اللغات السامية ، عن اللغات الهندوأوروبية ، وكذلك  
الأعر في « التقاليد » ، لم نجد من ينص على أنها استخدمت في معاجم  
الفتوح . وإذن فهاتان الخطوتان لا تراع في أيهما المخليل بن أحمد .

وقد أثر ترتيب كتاب العين ، ذلك الترتيب السوي ، في تصنيف  
المعاجم العربية ، لعدة قرون طويلة بعد كتاب العين للمخليل بن أحمد ، فقد  
أثر في البارغ للقلالي ، وهديب اللغة للأزهري ، وأخكم لابن سيده ، وأخبط  
لابن عباد ، والامع للفيروزآبادي . كما أثر نظام كتاب العين كذلك في كل  
من : جمهرة اللغة لابن دريد ، وديوان الأدب للقلالي ، ومجمل اللغة لابن  
فارس . وستحدث عن كل هذه المعاجم فيما بعد .

وقد اختصر كتاب العين ، عالم أندلسي ، يعرف بأبي بكر الزبيدي  
الإشبيلي ( المتوفى سنة ٣٧٩ هـ ) . ويصف السيوطي هذا المختصر ، بأنه  
أحسن من الأصل<sup>١٨٦</sup> .

ومن هذا العصر المكر ، وصل إلينا معجم آخر ، اسمه :  
« الجيم »<sup>١٨٧</sup> ، لأبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني ( المتوفى سنة  
٢٠٦ هـ ) . ولا يبدأ الكتاب بحرف الجيم ، كما كنا نتوقع من تسميته  
بذلك على نمط كتاب العين . وقد وقع في هذا الوهم بعض القدماء ؛ فقد  
روى السيوطي أن ابن مكنوم قال في تذكرته : « سئل بعضهم : لم سمي  
كتاب الجيم - تصنف أبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني ، بهذا الاسم ؟  
فقال : لأن أوله حرف الجيم ، كما سمي كتاب العين ؛ لأن أوله حرف العين .

(١٨٥) الطبري St. Wild: Das Kitāb al-'Ayn und die arabishe Lexikographie

(١٨٦) المهر في علوم اللغة ٨٧/١ وقد نشرت قطعة منه بتحقيق علال القاسبي بالرياض سنة ١٩٦٣ م .

(١٨٧) منه مخطوطة وحيدة مكنة دير الإسكوريال بأسبانيا . وقد نشره مجمع اللغة العربية ، بتحقيق إبراهيم  
الإبياري وآخرين ، بالقاهرة سنة ١٩٧٤ - ١٩٧٥ م .

قال : فاستحسنا ذلك ، ثم وقفنا على نسخة من كتاب الجيم ، فلم نجد مبدوءاً بالجيم (٨٨) .

ولعل سبب تسميته بالجيم ، ما ذكره الفيروزآبادي في قوله : « وقال أبو عمرو الشيباني : الجيم في لغة العرب : الدياج . وله كتاب في اللغة ، سماه بالجيم ، كأنه شبهه بالدياج لحسنه (٨٩) » .

ولكتاب « الجيم » أسماء أخرى ، ذكرتها كتب التراجم ، فهو يسمى كذلك : كتاب اللغات ، وكتاب الحروف (٩٠) ؛ غير أن النسخة التي بقيت لنا من هذا الكتاب ، لا تحمل إلا اسم : كتاب الجيم .

وليس في كتاب الجيم مقدمة ، تهدينا إلى هدف المؤلف من كتابه ولكن دراسة الكتاب نفسه ، تدل على أنه قصد إلى تدوين الألفاظ الغريبة ، من لغات العرب . ويقال إنه جمع أشعاراً لحوالي ثمانين قبيلة عربية ، ثم جمع الألفاظ الغريبة في هذه الأشعار ، وفسرها في هذا الكتاب .

« ومتيج أبي عمرو في ترتيب كتابه ، غاية في البساطة ، فقد قسم الكتاب إلى أبواب ، قصر كل واحد منها ، على حرف من حروف الهجاء ، واتبع في ترتيب هذه الحروف ، الطريقة المألوفة لنا اليوم ، غير أنه قدم الواو على الهاء ، فالباب الأول للألف ، والثاني للباء ، والثالث للتاء ، إلى آخر الحروف ، ثم ملأ هذه الأبواب ، بالألفاظ المبدوءة بالحرف الخاص بكل باب ، بلا مراعاة لأي حرف بعدها ، ولا اعتداد بالصيغ التي تنفرع عن الأصول ، ولا نظر لأي أمر من الأمور ، وإنما هي ألفاظ يأتي بعضها وراء

(٨٨) المهر في علوم اللغة ٩٠/١

(٨٩) رسائل في النحو ٣٥١/٢

(٩٠) انظر الحروف المحبلة بن أحمد بن أبي عمير في مقدمة العباد للصالحين (٣٠/١) حين ذكر مقدماته . وقال : « وكتاب الحروف لأبي عمرو الشيباني وكتاب الجيم له » . فقل في سقلا ، وصوابه : « وهو كتاب شبيه » . وعلى ما يؤيد ذلك الظن أن الصالحين نفسه روى في التكملة (١٤١/١) كلاماً على كتاب : حروف ، لأبي عمرو الشيباني ، وهو نسخة في كتاب الجيم (١٣٦/١) .

بعض ، وكل لفظة منفصلة عن تاليتها تمام الانفصال ، فعلى الباحث عن أى لفظ فى هذا الكتاب ، أن ينظر فى أوله ، فإن كان « باء » مثلاً ، فعليه أن يقرأ باب الباء كله ، عسى أن يعثر على ما يبحث عنه<sup>(٩١)</sup> .

وقد اشتهر عن كتاب « الحيم » أن فيه تسجيلاً لكثير من اللهجات العربية القديمة ؛ بسبب كثرة ما ورد فيه من قوله مثلاً : قال السعدى .. قال الطائى .. قال الحميرى .. قال الكلانى .. قال الغنوى .. قال الكلبي .. قال العكلى .. قال القيسى .. إلخ<sup>(٩٢)</sup> .

غير أن دراسة الكتاب ، تثبت أن أباً عمرو ، لم يرد بذلك إلا ذكر أسماء الرواة ، الذين روى عنهم مادة كتابه ، وقد حدد المراد من تلك الأسماء فى غير موضع من كتابه ؛ فالسعدى مثلاً هو : أبو جابر السعدى ( ٢٢٤/١ + ١٩٦/٢ + ٢٦٨/٣ ) والطائى هو : ذكين الطائى ( ١٥٩/١ + ٣٠٢/١ + ٥٢/٢ ) والحميرى هو : أبو السفاح الحميرى ( ٢٤٧/١ + ٢٨٠/١ + ١٤٣/٢ + ٢٢٢/٢ + ٢٥١/٢ + ٩/٣ + ٢٩/٣ ) وقال عنه مرة : أبو السمع أحد بنى بكر بن كلاب ( ١٩٤/٢ ) والغنوى هو : نصر الغنوى ( ١٢٣/١ + ٢٨١/١ + ٢٠٠/٢ + ٢٥٣/٢ + ١٩٢/٣ ) ، وغير ذلك كثير جداً .

ولا يريد أبو عمرو بروايته عن هؤلاء ، ذكر خصائص لهجاتهم القبلية ؛ بدليل أنه إن أراد ذكر كلمة من لهجة معينة ، نص على ذلك ؛ كقوله مثلاً : تقول بنو أسد ( ١٨٣/١ + ٥٩/٢ ) فى كلام بنى شيان ( ٢٧٤/١ ) بلغة بلى ( ٣٥/٢ ) كلب تقول ( ١٩٩/٢ + ١٩٢/٣ ) لغة لطيء ( ٤٠/٣ ) بلغة عقيل ( ١٨١/٣ ) .

(٩١) المعجم العربى - تدقيقى حتى هذا ٨٠

(٩٢) هذا مثلاً مقدمة الحيم ٢٧/١ وكانت بعض النسخ مثلاً ذلك ، فى الصفحة الأولى من كتابه هذا

وليس أدل على ما نذهب إليه من قوله مثلاً : وقال الثعلبي : طيىء  
تسمى الصحرة سهوة ( ٩٢/٢ ) : فهذا الثعلبي - في نظري - ليس إلا  
شخصاً معيناً ، يروي عن العرب بعامية ، لا عن قبيلة بعينها هي قبيلته ، كما  
تري !

ونصل الآن إلى أوائل القرن الرابع الهجري . وأول ما يقابلنا فيه  
من المعاجم العربية ، كتاب : «الجمهرة في اللغة»<sup>(٩٣)</sup> ، لمحمد بن الحسن  
ابن دريد الأزدي ( المتوفى سنة ٣٢١ هـ ) وهو صاحب كتاب معروف لنا  
جميعاً ، هو كتاب : «الاشتقاق» ، الذي حاول فيه أن يشتق أسماء  
القبائل العربية والأشخاص ، من مواد لغوية ، كقوله مثلاً : « واشتقاق  
قضاة من شبتين : إما من قولهم : تقضع الرجل عن أهله : إذا بعد  
عنهم ، أو من قولهم : تقضع بطنه ، إذا أوجعه أو وجد في خوفه  
وجعا »<sup>(٩٤)</sup> .

أما كتابه : «الجمهرة في اللغة» ، فإنه معجم لألفاظ اللغة  
العربية ، رتب فيه المادة اللغوية ، على الترتيب الهجائي المعروف لنا جميعاً .  
ويعلل ابن دريد لتسمية كتابه بالجمهرة ، بقوله : « وإنما أعربناه هذا الاسم :  
لأننا اخترنا له الجمهور من كلام العرب ، وأرجأنا الوحشي المستكر<sup>(٩٥)</sup> » .  
ولم يذكر ابن دريد في مقدمته ، مصدراً لكتابه سوى كتاب « العين »  
للخليل بن أحمد<sup>(٩٦)</sup> ، غير أنه يطالعنا في نص الجمهرة نفسها ، أسماء :  
الأصمعي ، وأبي عبيدة ، وأبي حاتم ، وأبي زيد ، وغيرهم .

ويبدو تأثير ابن دريد بكتاب العين ، في تقسيمه المواد إلى الثنائي  
والثلاثي والرباعي ، ومضعف الرباعي ، والمعتل ، والصحيح ، وكذلك

(٩٣) : شرح ابن دريد ، كرتكو ، Krenkow ، ابن خلدون ، سنة ١٣٤٤ - ١٣٥١ هـ .

(٩٤) : الاشتقاق لابن دريد ، ٥٣٦ .

(٩٥) : جمهرة اللغة ، ٤١ .

(٩٦) : جمهرة اللغة ، ٣١ .



في طريقة التقاليد ؛ ولذلك فإنه على الرغم من أن الأساس في ترتيبها ، هو الأساس الأبجدي المعروف لنا ، فإن الكشف فيها عن كلمة من الكلمات ، أمر صعب جدا . ولولا أن ناشر « الجمهرة » قد صعد فهرسا حديثا مفصلا لها ، في الجزء الرابع ، لما أمكننا أن نقبل منها الفائدة المشودة ، إلا يشق الأنفس .

وفي آخر « الجمهرة » نجد بابا عقده ابن دريد ، لما سماه : « النوادر » . وقد قسمه إلى أبواب بحسب الصيغ ؛ فباب لفعللاء ، وآخر لفاعلاء ... إلخ . ولم يراع ابن دريد في هذه الأبواب ، ترتيبا أبجديا في ذكر مفرداته ، كما نجد في آخر « الجمهرة » كذلك ، عدة أبواب صغيرة ؛ مثل : « باب في صفة النعل »<sup>(٩٧)</sup> ، وهو خلط للنظام الأبجدي ، بنظام الموضوعات والمعاني .

وتحتوي « الجمهرة » على شروح للكلمات ، وأبيات من الشواهد لا توجد أحيانا في غيرها من المعاجم العربية . وقد اعتمد على الجمهرة في تأليف المعاجم فيما بعد : ابن سيده الأندلسي في كتابه : المختص والمحكم ، والصاغاني في : العباب والتكملة .

والمعجم الذي تلا جمهرة ابن دريد في الظهور ، هو : « ديوان الأدب في بيان لغة العرب »<sup>(٩٨)</sup> ، لإسحاق بن إبراهيم الفارابي ( المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ) : وهذا الكتاب لا يمت إلى الأدب بصلة - كما يوهم عنوانه - بل هو معجم لألفاظ اللغة العربية . وينقسم « ديوان الأدب » إلى ستة كتب ، على النحو التالي :

١ - كتاب السالم .

(٩٧) جمهرة اللغة ٤٥٩/٣

(٩٨) نشره هذا المعجم الحليل في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بتحقيق الدكتور أحمد محمد عمر .

سنة ١٩٧٤ - ١٩٧٨ م

- ٢ - كتاب المضاعف .
- ٣ - كتاب المثال .
- ٤ - كتاب ذوات الثلاثة ( أى الأجوف ) .
- ٥ - كتاب ذوات الأربعة ( أى الناقص ) .
- ٦ - كتاب الهمزة .

وكل كتاب من هذه الكتب الستة ، ينقسم إلى قسمين : الأول منهما خاص بالأسماء ، والثاني خاص بالأفعال . وكل قسم من هذين ينقسم إلى أبواب ، على أساس الأبنية ، فباب لفعل ، وآخر لفعل ، وثالث لفعل ، وما شابه ذلك . وأخيرا تنقسم الأبواب ، بحسب حروف المعجم ، على الألف باء تاء ... إلخ ، على حسب الأصل الأخير من الكلمة ، ففى فصل الباء مثلا ، نجد الكلمات التى أصلها الأخير باء ، ثم ترتب الألفاظ التى أواخرها الباء فى فصولها ، بحسب الحرف الأول منها ، فالثانى فما بعده من الحروف ، إن وجدت .

وذلك النظام الأخير نفسه ، هو الذى اتبعه - فيما بعد - الجوهري ، ابن أخت الفارائى ، فى صحاحه ، واشتهر بأنه مبتكره ، على حسب دعواه فى مقدمته ، وهى غلطة شائعة ، لابد من التنبيه عليها . ويقول الدكتور حسين نصار : « إن السبب فى اللجوء إلى هذا النظام ، شيوع السجع فى القرن الرابع الهجرى ، الذى ألف فيه ( الديوان ) ، وحاجة الأدباء إلى الكلمات المتحددة الحرف الأخير . ومن الأسباب أيضا : اختفاء العرب من بين الشعراء ، وغلبة الأعاجم على الشعر ، وضعف محصولهم اللغوى ، وحاجتهم إلى البحث عن الألفاظ ، التى تتفق مع قوافيهم » (٩٩) .

يقول الفارابي في مقدمة كتابه : « وقد أنشأت بتوفيق الله تعالى .. كتابا ، عملت فيه عمل من طئ لمن حب ، مشتملا على تأليف لم أسبق إليه ، وسابقا بتصنيف لم أراحم عليه ، وأودعته ما استعمل من هذه اللغة ، وذكره النحارير من علماء أهل الأدب في كتبهم ، مما وافق الأمثلة التي مثلت ، والأبنية التي أوردت ، مما جرى في قرآن ، أو أتى في سنة ، أو حديث ، أو شعر ، أو رجز ، أو حكمة ، أو سجع ، أو مثل ، أو نادرة<sup>(١)</sup> » .

وإذا كان « الفارابي » قد جدد في تأليف المعاجم ، باتباع الترتيب الأبجدي في داخل كل باب ، فإنه كان لا يزال متأثرا بكتاب العين ، في تقسيمه المادة اللغوية أصلا على الأوزان : السالم والمضاعف ، وغير ذلك مما سبق الحديث عنه .

وفي الوقت نفسه ، الذي ظهر فيه « ديوان الأدب » للفارابي في المشرق ، ظهر في المغرب في بلاد الأندلس ، معجم آخر اسمه : « البارع في اللغة » ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي ، المشهور بالقال ( المتوفى سنة ٣٥٦ هـ ) ، وهو تلميذ ابن دريد السابق . ويقال إن القالي ابتداء فيه عام ٣٣٩ هـ ، ثم مات قبل أن يتمه ويهذبه ، فتولى تهذيبه ورأقه : « محمد بن الحسين الفهرى » من أهل قرطبة ، مع أحد علمائها ، وهو : « محمد بن معمر الحياتي » ، فاستخرجاه من الصكوك والرقاع .

رؤى عن أحد أبناء القالي أنه قال : « ابتداء أبي - رحمه الله - بعمل كتاب : البارع ، في رجب سنة ٣٣٩ ثم قطعتة علل وأشغال ، ثم عاود النظر فيه ، بأمر أمير المؤمنين ، وتأكيده عليه ، فعمل فيه من سنة ٣٤٩ فأخذه مجد واجتهاد ، وكمل له ، وابتداء بنقله ، فكمل لنفسه إلى شوال سنة

٣٥٥ كتاب الحمز ، وكتاب الهاء ، وكتاب العين ، ثم اعتل في هذا الشهر<sup>(١٠١)</sup> .

ولم يصل إلينا من هذا المعجم ، سوى قطعتين صغيرتين ، الأولى : في المكتبة الوطنية بباريس ، والثانية : في المتحف البريطاني ، وهي أكبر من الأولى . وقد نشرها مصورة في كتاب : المستشرق « فولتون » A. Fulton في لندن سنة ١٩٣٣ م ، ثم نشرت القطعتان ، بتحقيق هاشم الطعان ، في بغداد سنة ١٩٧٥ م .

وقد اتبع القالي في معجمه - كما يتضح مما تبقى لنا من الكتاب - منهج الخليل بن أحمد ، في ترتيب المادة اللغوية ، على حسب مخارج الأصوات ، مع اختلاف طفيف ، على النحو التالي :

ء هـ ع ح خ غ / ا ق ك اض ج ش ال ر ن / ط د ث / ص ز س / ظ ذ ث / ف ب م / و ا ي [١٠٢] .

وقد اعتمد القالي في مادة كتابه : « البارع » على كتاب « العين » اعتماداً كبيراً ، إلى جانب اعتماده على كتاب : « الغريب المصنف » ، لأنني عبيد القاسم بن سلام ، وكتب أبي زيد ، وأبي حاتم ، وابن السكيت ، وغيرهم . وقد أخطأ « كرنكو » F. Krenkow حين ذكر أن « البارع » اعتمد على كتاب الحمهرة لابن دريد<sup>(١٠٣)</sup> ؛ لأن المقارنة تثبت خطأ ذلك الرأي .

وقد ظل أثر كتاب العين باقياً في معجم آخر ، ظهر في ذلك الوقت ، وبقي لنا حتى الآن كاملاً ، ذلك هو معجم : « تهذيب

(١٠١) إنباء الرواة للقفطي ٢٠٩/١

(١٠٢) انظر مقدمة البارع ( شرة الطعان ) ٧١

(١٠٣) انظر : F. Krenkow, The Beginnings of Arabic Lexikography til the time of

al - Ishtarj 266

اللغة (١٠٤) ، لأنى منصور محمد بن أحمد الأزهرى ( المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ) : وكان الأزهرى يهدف بمعجمه هذا إلى تنقية اللغة العربية من الشوائب ، التى تسربت إليها فى مؤلفات سابقيه من اللغويين . ويقول الأزهرى فى مقدمة كتابه : « وقد سميت كتابى هذا : ( تهذيب اللغة ) ؛ لأنى قصدت بما جمعت فيه ، نفى ما أدخل فى لغات العرب ، من الألفاظ التى أزالها الأغبياء عن صيغتها ، وغيروا الغم عن سننيتها ، فهذبت ما جمعت فى كتابى من التصحيف والخطأ ، بقدر علمى ، ولم أحرص على تطويل الكتاب ، بالحشو الذى لم أعرف أصله ، والغريب الذى لم يسنده الثقات إلى العرب (١٠٥) » .

وقد رتب الأزهرى تهذيبه ، كترتيب كتاب العين ، للخليل بن أحمد ، على حسب مخارج الأصوات ، من الحلق إلى الشفتين ، سواء بسواء ، واستقى مادته منه ، ومن غيره من الكتب التى ألفت قبله . وقد ذكر هذه الكتب جميعها ، وترجم لأصحابها ، فى مقدمته المطولة لكتابه ، وأضاف إلى هذه المصادر جميعها ، ما سمعه هو من العرب بنفسه ؛ فقد وقع الأزهرى أسيراً فى أيدي القرامطة ، فسحت له الفرصة لكى يختلط بالبدو والعرب الخلص ، فنقل عنهم الكثير فى معجمه : « تهذيب اللغة » ، وقال فى ذلك : « فبقيت فى إسارهم ذهرا طويلا ، وكنا نتشتى الدهناء ، وترتفع الصمان ، وتنقيط الستارين ، واستفدت من مخاطبتهم ، ومحاوره بعضهم بعضا ، ألفاظا جمّة ، ونوادير كثيرة ، أوقعت أكثرها فى مواقعها من الكتاب (١٠٦) » .

ويعد هذا المعجم ، مع معجم « المحكم » ، لابن سيده الأندلسي ، من أهم مصادر « لسان العرب » الذى يأتى الكلام عليه فيما بعد .

(١٠٤) طبع هذا الكتاب الجليل - تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف - ١٩٦٧ .

(١٠٥) تهذيب اللغة ١/١٠٥

(١٠٦) تهذيب اللغة ١/٧٠

وقد تأثر بكتاب « العين » في ذلك العصر أيضا ، كتاب آخر  
 للصاحب بن عباد أرى القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس ( المتوفى سنة  
 ٣٨٥ هـ ) ، وهو كتاب : « المحيط في اللغة » (١٠٧) : وهو متأثر بكتاب  
 العين في الترتيب والمادة ، غير أن فيه زيادات في بعض المواد ، عن كتاب  
 العين ، تحت عبارة : « أهمله الخليل » ومعظم هذه الزيادات ، مأخوذ عن  
 كتاب « تكملة كتاب العين » للخارزنجي ( المتوفى سنة ٣٤٨ هـ ) .  
 ويلاحظ فيه - فيما عدا ذلك - أنه ترك معظم شواهد كتاب العين .  
 وفي أواخر القرن الرابع الهجري ، ألف أبو الحسين أحمد بن زكريا بن  
 فارس اللغوي ( المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ) معجمين مهمين هما : مجمل اللغة ،  
 ومقاييس اللغة .

فالأول وهو : « مجمل اللغة » (١٠٨) ، معجم صغير ، يمتاز بتعريفاته  
 المختصرة وشواهده الكثيرة ، وهو يعتمد على الخليل ، وابن دريد ،  
 والكسائي ، والفراء ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ،  
 والأموي ، وأبي عمرو الشيباني ، وغيرهم (١٠٩) .

وهو مرتب أبجديا ، على حسب الأصل الأول للكلمة ، مع الأصل  
 الثاني والثالث ، موردا الحرف مع ما يليه ، إلى أن يصل إلى حرف الياء ، ثم  
 يعود إلى ما تبقى من الحروف ، مبتدئا بالألف إلى الحرف الذي عقد له  
 الباب - وهو متأثر بكتاب العين ، في تقسيمه الحرف الواحد ، إلى مضعف  
 الشائي ، والثلاثي ، وما زاد على الثلاثة .

أما المعجم الثاني ، وهو : « مقاييس اللغة » (١١٠) ، فإنه يتبع نفس

(١٠٧) نشر الشيخ محمد حسن آل ياسين الجزائري : الأول والثاني منه في بغداد سنة ١٩٧٥ - ١٩٧٨ م  
 وقد استغرقا حروف العين من الكتاب

(١٠٨) طبع الجزء الأول منه - بصاية الشيخ محمد عبي الدين عبد الحميد بالقاهرة سنة ١٩٤٧ م

(١٠٩) مجمل اللغة ٣/١

(١١٠) نشر هذا الكتاب ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، بالقاهرة سنة ١٣٦٦ - ١٣٧١ هـ

الترتيب والنظام ، الذي اتبعه مؤلفه في الحمل - وذكر ابن فارس في مقدمته ، أنه اعتمد أصلاً على كتب خمسة ، وهي :

- ١ - العين ، للخليل بن أحمد .
- ٢ - غريب الحديث ، لأبي عبيد القاسم بن سلام .
- ٣ - الغريب المصنف ، لأبي عبيد القاسم بن سلام .
- ٤ - إصلاح المنطق ، لأبي السكيت .
- ٥ - جمهرة اللغة ، لأبي ذريرد .

ثم قال : « فهذه الكتب الخمسة ، معتمدنا فيما استنبطناه من مقاييس اللغة ، وما بعد هذه الكتب ، فمحمول عليها وراجع عليها ، إذا وقع الشيء النادر ، نصصناه إلى قائله إن شاء الله (١١١) »

غير أن كتاب : « المقاييس » يمتاز على كتاب : « الحمل » ، بأن فيه فكرتين جديدتين ، على حركة التأليف في المعاجم العربية ، سبق أن تحدثنا عنهما ، ووصفناهما بأنهما من صميم الدراسات في : « فقه اللغة العربية » ، وهما فكرتا : الأصول والنحت ؛ فهو في المقاييس ، يحاول أن يعالج مفردات المادة الواحدة ، تحت أصل أو أصليين ، كما جمع ما زاد على الثلاثة من كل مادة ، تحت أبواب معينة ، وحاول تفسير بعضها بما يسمى : « النحت » . ويظهر أن « المقاييس » ألف بعد « الحمل » ؛ لأن الثاني فيه بعض بدايات هذا التفكير .

ويشتمل القرن الرابع الهجري ، بمعجم نال الشهرة ، وطبق ذكره الآفاق ، ذلك هو معجم : « تاج اللغة وصحاح العربية » (١١٢) ، لأبي نصر إسماعيل بن حماد النيسابوري المعروف بالجوهري ( المتوفى حوالي سنة

(١١١) مقاييس اللغة ١/٥

(١١٢) نشر الصحاح في سنة أجواء ، بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار - القاهرة سنة ١٩٥٦ م

٥٠٠  
اللغوية  
الأصل  
القاراني  
الجوهري  
يدعى  
« على تر  
ياقوت  
والإيضاح  
تجميع  
مخارجات  
هذب  
وزارة المع  
بعدهما  
الصحاح  
وقد  
ابن إسماع  
الخصص  
أن  
أن ذكرنا  
لأبي عبيد



٢٠٠ هـ) ، وبظهوره ظهر أول معجم للغة العربية ، ثبت فيه المادة اللغوية ، من أولها إلى آخرها ، حسب الأصل الأخير للكلمة ، مع مراعاة الأصل الأول أيضا . وقد ظهرت بواحد هذا الترتيب ، في كتاب حاله الفارابي : « ديوان الأدب » كما ذكرنا من قبل . ولا شك في أن الجوهري ، قد تأثر بديوان الأدب ، في هذا النوع من الترتيب ، وإن كان يدعى في مقدمة الصحاح ، أنه الذي ابتكر هذا الترتيب ؛ فيقول : « على ترتيب لم أسبق إليه ، وتهذيب لم أغلده عليه » (١١٣) ؛ فقد ذكر ياقوت (١١٤) أن الجوهري قرأ ديوان الأدب على حاله بفاراب .

وللصحاح شروح وتكملات واستدراكات ، منها : « التنبيه والإيضاح على ما وقع في كتاب الصحاح » لابن برى وقد طبع منه جزءان بمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٨٠ - ١٩٨١ م . وقد اختار الرازي منه مختارات سماها : « مختار الصحاح » وتابع في ترتيبها نفس ترتيب الصحاح ، ثم هذب هذا المختار في العصر الحديث ، الأستاذ محمود خاطر ، بتكليف من وزارة المعارف العمومية ، في مصر ، فغير ترتيبه مراعى الحرف الأول والثاني وما بعدهما ، وحذف منه مالا ينبغي أن يطرق مسامع النشء ، وقد ترجم الصحاح مختصرا إلى الفارسية ، كما ترجم إلى التركية .

وفي منتصف القرن الخامس الهجري ، يظهر أبو الحسن علي ابن إسماعيل بن سيدة الأندلسي ( المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ) بمعجمه : المختص في اللغة ، والحكم والمحيط الأعظم .

أما الأول ، فهو مرتب على حسب المعاني والموضوعات - كما سبق أن ذكرنا ذلك - وهو يعتمد اعتمادا كبيرا على كتاب « الغريب المصنف » لأبي عبيد ، إذ نقله كله تقريبا في كتابه . وفيه ميزة حسنة ، وهي أنه إذا نقل

(١١٣) الصحاح ٢٢١

(١١٤) معجم الأندلس ٢٣١

نصا من كتاب ، نسيه إلى صاحبه . وبعد كتاب المخصص من أكمل الكتب التي ألقت على حسب المعاني .

أما المعجم الثاني : « المحكم والمحيط الأعظم »<sup>(١١٥)</sup> ، فقد ألف فيما يظهر بعد المخصص ، وهو يتبع نظام كتاب « العين » للجليل بن أحمد تماما . ومصادره في المحكم ، هي نفس مصادره في المخصص ؛ إذ إنه ذكرها في مقدمته ، غير أنه بخلافه في المخصص ، لا يذكر في نص المحكم مرجعا إلا في النادر ، كما يتصرف في عبارة المراجع ، التي ينقل عنها في المحكم . بعكس الحال في المخصص .

ونتقل الآن إلى أوائل القرن السادس الهجري ، لنرى الرنخشي ، وهو أبو القاسم محمد بن عمر بن محمد الخوارزمي جاز الله ( المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ) يؤلف كتابه : « أساس البلاغة »<sup>(١١٦)</sup> . وقد خطا الرنخشي في كتابه هذا خطوة جديدة ، في حركة التأليف في المعاجم العربية ؛ إذ رتب فيه المادة اللغوية ، بحسب الأصل الأول للكلمة ، مراعى الأصل الثاني والثالث أيضا ، كما اهتم فيه كذلك بناحية مهمة في دلالة الألفاظ ، تلك هي ناحية المعاني الحقيقية والمجازية للكلمات ، كقوله في مادة ( لحد ) مثلا :

« قبر ملحد وملحد . ولحدت القبر وألحدته . وقبروه في لحد وملحد . ولحد للميت وألحد له : حفر له لحداً . ولحد الميت وألحدته : جعله في اللحد . ومن المجاز : لحد السهم عن الهدف وألحد . وألحد في دين الله . وألحد عن القصد : عدل عنه . وألحد في الحرم ، وألحد إليه وألحد : مال إليه . وألحد إليه : التجأ . ومالي دُونك ملتحذ<sup>(١١٧)</sup> » .

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس ، أن الرنخشي « لم يوفق في كل حالة ،

(١١٥) نشر المحكم بتحقيق مصطفى السقا وآخرين ، بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م . وما بعدها

(١١٦) طبع أساس البلاغة ، بدار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٢ م .

(١١٧) أساس البلاغة ( لحد ) ٣٢٤/٢

فقد ضل الطريق ، حين حاول اشتقاق معنى حسّي ، من آخر معنوي ، مع أن الذي أجمع عليه المحدثون من علماء اللغات ، هو أن المعاني الحسية أسبق في الوجود ، وأجدر بأن تعدّ المعاني الحقيقية ، وغيرها فروع لها عن طريق المجاز (١١٨) .

ويبدو أن معجم « أساس البلاغة » هو المعجم الوحيد ، الذي اعتمد على كتاب « الجيم » لأبي عمرو الشيباني .

وفي أواخر هذا القرن السادس ، ظهر تشوان بن سعيد الحميري ( المتوفى سنة ٥٧٣ هـ ) بكتابه : « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » (١١٩) ، وهو معجم مهم لما فيه من إشارات قصصية ، تاريخية ، وجغرافية ، ولغوية ، من بلاد اليمن موطن المؤلف . وهو معجم معقد الترتيب ، ولا يوازيه في هذا إلا « ديوان الأدب » للفارابي .

وهو مرتب أساساً على حسب الأصل الأول للكلمة ؛ فقد رتب مؤلفه على حروف المعجم ، وجعل لكل حرف من حروف المعجم كتاباً ، ثم جعل له ولكل حرف معه من حروف المعجم باباً ، ثم جعل كل باب من تلك الأبواب شطرين : أحدهما للأسماء ، والآخر للأفعال ، مقدماً الأصل على المزيد ، مبتدئاً في أول كل كتاب بالمضاعف ، جاعلاً لكل كلمة من الأسماء والأفعال ، وزناً ومثالاً ، مرتباً الكلمات في كل وزن ، ومشيراً إلى حرفها الأخير (١٢٠) . وهو متأثر بكتاب العين ، في التنظيم الداخلي للمواد ، وهو نظام الأبنية ؛ ولكل هذا لم يجد من يتأثر به أو يتبعه .

ونصل بعد هذا ، إلى منتصف القرن السابع الهجري ، لنترى

(١١٨) في اللهجات العربية ١٨٧

(١١٩) نشرته جزيان في القاهرة بمطبعة عيسى إياي الحلبي ( بدون تاريخ ) ، كما طبع منه جزيان

بتحفيل المستشرق ، نيترسين ، K.V.Zettersteen في لندن سنة ١٩٥١ - ١٩٥٣ م

(١٢٠) انظر : شمس العلوم ( نشر الحلبي ) ٤/١

أبا الفضائل رضى الدين الحسن بن محمد الصاغاني ( المتوفى سنة ٦٥٠ هـ ) ، وقد ألف كتابين مهمين هما :

١ - كتاب : « التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية »<sup>(١٢١)</sup> . وقد توسع فيه المؤلف بعد ذلك ، وحماه : « كتاب الذيل والصلة لكتاب التكملة وحاشيتها » ثم جمع بين الصحاح والتكملة والحاشية ، وسمى الجميع : « مجمع البحرين في اللغة »<sup>(١٢٢)</sup> . ويرمز فيه للصحاح بالرمز (ص) وللتكملة بالرمز (ت) وللحاشية بالرمز (ح) .

٢ - كتاب : « العباب الزاخر واللباب الفاخر »<sup>(١٢٣)</sup> : وينقل فيه عن الخليل بن أحمد ، وأبي عمرو الشيباني ، وابن دريد ، والصاحب بن عباد . وينقل فيه ذكر أبي عبيد القاسم بن سلام ، والأزهري ، وابن فارس . وهو مرتب على حسب الأصل الأخير كالصحاح . ومن الطريف أن مؤلفه لم يكمله ، وإنما وصل فيه عند مادة ( بكم ) ، حتى قال فيه بعض الشعراء :

إن الصاغاني الذي حاز العلوم والحكم  
كان قصارى أمره أن انتهى إلى ( بكم )<sup>(١٢٤)</sup>

ونأتى الآن إلى أوائل القرن الثامن الهجري ، وفيه ألف ابن منظور الإفريقي المصري ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ( المتوفى سنة ٧١١ هـ ) معجمه الضخم : « لسان العرب »<sup>(١٢٥)</sup> . وهو مرتب كالصحاح ، على حسب الأصل الأخير من الكلمة ، مع مراعاة الأصل الأول وما بعده . ومصادره هي كما ذكر في مقدمته : المحكم لابن سيده ،

(١٢١) نشر بتحقيق عبد السلام الطحاوي وآخرين ، بالقاهرة سنة ١٩٧٠ - ١٩٧٩ م .

(١٢٢) لا يزال هذا الكتاب مخطوطاً ، ومنه نسخة في مكتبة كوبريتلي باستانبول .

(١٢٣) من العباب أجزاء مخطوطة في مكتبة كوبريتلي وأيا صوفيا باستانبول . وقد نشر الشيخ محمد حسن آل ياسين ، حرف المصنف منه ، في بغداد سنة ١٩٧٧ م .

(١٢٤) انظر : الزهر المسوطي ١ : ١٠٠ .

(١٢٥) طبع لسان العرب في بولاق بالقاهرة سنة ١٣٠١ - ١٣٠٧ هـ ، في عشر مجلدات . ثم طبع في بيروت سنة ١٩٥٥ م ، في ١٥ مجلداً .

وتهديب اللغة للأزهري ، والصحاح للجوهري ، والتنبيه والإيضاح لابن بري ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير<sup>(١٢٦)</sup> . وقد اعتمد على « لسان العرب » التريدي في كتابه : « تاج العروس » اعتماداً كبيراً .

وفي أواخر هذا القرن الثامن ، ألف القيومي ، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي المقرئ ( المتوفى سنة ٧٧٠ هـ ) كتابه : « المصباح المنير في غريب الشرح الكبير » : وهو في الأصل شرح لكتاب عبد الكريم الرافعي ( المتوفى سنة ٦٢٢ هـ ) : « فتح العزيز على كتاب الوجيز » ، وهو شرح لكتاب الغزالي ( المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ) : « كتاب الوجيز في الفروع » . وفيه لذلك كثير من التعبيرات الفقهية والكلامية ، وهو مرتب على حسب الأصل الأول للكلمة ، مع مراعاة الأصل الثاني والثالث ، مثل أساس البلاغة للمحبشي تماماً . وبه قائمة للمراجع في آخره ، بها كثير من الكتب التي سبق أن تحدثنا عنها هنا .

ونأتي الآن إلى القرن التاسع ، لنرى القاموس ، الذي طبقت شهرته الآفاق ، وأصبح اسمه علماً على كل معجم ، وهو كتاب : « القاموس المحيط » ، والقابوس الوسيط ، الجامع لما ذهب من كلام العرب شياطيناً . تأليف أبي الطاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم مجد الدين ، الشيرازي الفيروزبادي ( المتوفى سنة ٨١٧ هـ ) . وقد ذكر في مقدمته أنه ألف كتاباً ضخماً ، سماه : « اللامع المعلم العجائب » ، الجامع بين المحكم والعياب<sup>(١٢٧)</sup> ، وصل فيه إلى الجزء الخامس منه ، وكان مرتباً ترتيب المحكم والعين ، ثم قطع تأليفه ، وألف كتابه : القاموس .

والقاموس مرتب - كما نعرف - على حسب الأصل الأخير

(١٢٦) من الوجه ما وقع فيه من جرح في القرن الحادي عشر . نسخة السيوطي في نسخة المخطوطات (١٢٦٧) .  
(١٢٧) « من أن جملة اللغة الآن زائدة . من مضاف لسان العرب » .  
(١٢٨) نسخة في مكتبة المخطوطات . وقد وجدت في نسخة المخطوطات (١٢٧٨) .

للكلمة ، مع مراعاة الأصل الأول فما أيضا ، كالصحيح ولسان العرب وهو يعد خلاصة لما في المحكم والعيان ، وقد توخى صاحبه فيه الإحاطة والشمول ، مع الاختصار الشديد ، والرمز لبعض ما يقصده أحيانا ، فقد رمز بالجيم إلى كلمة : « جمع » ، وبالميم إلى كلمة : « معروف » ، وبالعين إلى كلمة : « موضع » ، وبالدال إلى كلمة : « بلد » ، وبالثاء المربوطة إلى كلمة : « قرية » .

وقد شرح القاموس كثيرون ، أهمهم : أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن عبد الرزاق مرتضى الزبيدي ( المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ ) ، وذلك في كتابه الضخم : « تاج العروس في شرح جواهر القاموس »<sup>(١٢٨)</sup> .

وقد اعتمد الزبيدي في شرحه للقاموس ، على « لسان العرب » لأن منظور كثيرا ، بالإضافة إلى كثير من المصادر الأصلية ، في جميع فروع المعرفة العربية . وقد دل على هذه المصادر في مقدمته المفصلة ، كما استدرك على صاحب القاموس ، كثيرا من المواد والألفاظ ، التي فاتته ذكرها .

\*\*\*

والآن وبعد أن قطعنا هذا الشوط البعيد ، مع المعاجم العربية ، مند نشأتها إلى عصر الزبيدي ، نرى أن مادتها اللغوية ، قد جمعها الجيل الأول من اللغويين ، ثم توقفت حركة الجمع هذه بعد فترة ، واقتصر جهد العلماء بعد ذلك ، على تبويب هذه المادة وعرضها بطرق مختلفة ، وبذلك أغفلوا ناحية مهمة ، من نواحي الدراسات اللغوية ، تلك هي ناحية التطور اللغوي ، في نواحي : الأصوات ، والبنية . والدلالة ، والأسلوب ؛ فلم يحاول مثلا أحد المؤلفين في المعاجم ، في القرن الرابع أو الخامس الهجري ، أن يبين لنا تطور معنى الكلمة ، التي جمعها قبله أحد علماء القرن الثاق الهجري ، وبعبارة أخرى : لم يبين لنا المعنى ، الذي كان يفهم من الكلمة في عصره ، كما أنه لم يبين لنا كيف كانت تنطق الكلمة ، في لغة التخاطب في عصره ، وليس

(١٢٨) طبع في عدة أجزاء بالقاهرة سنة ١٢٠٦ هـ ، كما طبع مع عدة أجزاء في الكويت

لدينا من ذلك سوى إشارات سريعة ، فيما يسمى بكتب : « لحن العامة » . وقد عالجنا هذه المسألة بالتفصيل ، في كتابنا : « لحن العامة والتطور اللغوي » .

ومن أهم ما نلاحظه على معاجنا العربية : قصورها في الاستدلال على المعنى بالشواهد أحيانا ، فهي رغم غناها بالشواهد ، من القرآن والحديث والشعر والأمثال ؛ فيها الكثير من المواد التي تخلو من هذه الشواهد حلوا تاما ، مما يشكك في صحة ورودها عن العرب ؛ مثل المواد : ( كمثل ) و ( كمثل ) و ( كندش ) و ( كندس ) وغيرها . وهذه الناحية تستدرك الآن ، بعمل معجم للغة العربية ، يستمد ألفاظه من الشعر والنثر . وهذا المعجم بدأه المستشرق الألماني « أوجست فيشر » A. Fischer في الجمع اللغوي بالقاهرة ، ويخرجه الآن نخبة من المستشرقين الألمان ، وعلى رأسهم أستاذنا بروفسور « شبيتالر » A. Spitaler رئيس معهد اللغات السامية بجامعة ميونخ .

ومن النواحي الأخرى ، التي تنقص المعاجم العربية : المقارنات باللغات السامية الأخرى ، وهو شيء لم يفتن له علماء العرب ، على الرغم من أن بعض هذه اللغات كان معروفا لديهم .

ومن عيوب المعاجم العربية المتأخرة : ذلك التضخم الذي رأيناه في « لسان العرب » لابن منظور ، و « تاج العروس » للزبيدي . والسر في ذلك يرجع - كما نرى - إلى نقل المادة اللغوية الواحدة ، من أكثر من مصدر ؛ فمثلا ينقل صاحب اللسان - كما عرفنا من قبل - عن « تهذيب اللغة » للأزهري ، و « المحكم » لابن سيده ، و « الصحاح » للمجوهري . وكل واحد من هذه المعاجم الثلاثة ، استخدم بعض المصادر التي استخدمها الآخر ، كالغريب المصنف لأبي عبيد ؛ ولذلك تقابلنا مثلا ، عبارات هذا الكتاب الأخير ، في « لسان العرب » منقولة ثلاث مرات ، عن المصادر الثلاثة المتقدمة .

لسان العرب  
في الإحاطة  
أحيانا ، فقد  
بالعين  
المربوطة إلى

سيد محمد بن  
ذلك ، وذلك  
١٩٨١

العرب « لابن  
في جميع فروع  
كما استدرك  
لأنه ذكرها .

العربية ، منذ  
للأب من  
العلماء بعد  
أعطوا ناحية  
اللغوي ، في  
أول مثلا أحد  
بين لنا تصور  
عربي ، وبعبارة  
وهو ، كما أنه لم  
قصوه ، وليس

جزء في الكتب



وهناك عيوب أخرى كثيرة ، أبرزها : أن هذه المعاجم تخلط كثيرا ، بين مستوى العربية الفصحى واللهجات القديمة ، في اللفظ والدلالة ، بلا إشارة إلى ذلك في كثير من الأحيان ؛ مثل : السراط والصراط والزراط ، بمعنى : الطريق مثلا ، وكذا كرها لكلمة : « العجوز » مثلا ، أكثر من سبعين معنى ، من بينها : الإبرة ، والجوع ، والسمن ، والقبيلة ، واليد اليمنى . فمن المحال أن تكون هذه المعاني جميعها ، مستعملة في الفصحى .

ومن العيوب البارزة في المعاجم العربية كذلك : أن مادتها اللغوية ، أصابها الكثير من التصحيف والتحريف ، بسبب كثرة تعاور النساخ لها على مر العصور . وقد وقع اللغويون العرب ، في وهم هذا التصحيف والتحريف في معاجمهم ، كالتحريف الذي وقع فيه الجوهري صاحب « الصحاح » ، حين استشهد على أن « اللجر » مقلوب : « اللزج » ، بيت ابن مقبل :  
يَغْلُونَ بِالْمَرْذَقُوشِ الْوَرْدِ ضَاحِيَةً

على سَعَابِيبِ مَاءِ الضَّائِلَةِ اللَّجْزِ  
ونسى أن هذا البيت ، من قصيدة نونية ، وصحة الروي : « اللجن » !

ويُعيب المعاجم العربية كذلك : عدم المنهجية في ترتيب مفردات المادة الواحدة ؛ فيتجتم على المرء في كثير من الأحيان ، أن يقرأ المادة كلها ، للعثور على بعينه ؛ إذ يلزمك أن تقرأ عشر صفحات ، في مادة ( عرف ) ، إذا كنت تبحث مثلا عن معنى كلمة : « مَعْرِفَةُ الْفَرَسِ » ، وما شابه ذلك .

وفي مقدورنا بالطبع ، التغلب على هذه العيوب ، إذا أعدنا النظر مرة أخرى في معاجمنا ، قصصيناها من الحشو والتكرار ، وفصلنا بين مستوى الفصحى واللهجات القديمة ، في ألفاظها ومدلولاتها ، وربنا كلمات المادة الواحدة ، ترتيبا منهجيا ، صارما ، وأعدنا استقرار النصوص القديمة من جديد ؛ لنخلص هذه المعاجم مما فيها من تحريف أو تصحيف ، أو مواد هي من صنع اللغويين ، ولم تجربها ألسنة العرب القدماء .

هذا ويعمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، على إخراج معجم كبير للغة العربية ، مستخدماً المعاجم العربية ، التي وصلت إلينا ، إلى جانب كتب الأدب واللغة ، ودواوين الشعراء . وقد اتبع في تأليفه منها صارماً ، تغلب فيه على كثير من العيوب السابقة . وقد خرج الجزء الأول من هذا « المعجم الكبير » خاصاً بحرف الهجمة ، وطبع بمطبعة دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م ، وهو جهد يتطلب الكثير من الوقت ، وتعاون المتخصصين في هذا الميدان . والله الموفق .

\*\*\*

## الفصل الثاني الاشتقاق وتوليد الصيغ

الاشتقاق « Etymologie » عند علماء الغرب ، أحد فروع علم اللغة ، التي تدرس المفردات ، وينحصر مجاله في « أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة ، وتزويد كل واحدة منها ، بما يشبه أن يكون بطاقة شخصية ، يذكر فيها : من أين جاءت ؟ ومتى وكيف صيغت ؟ والتقلبات التي مرت بها . فهو إذن علم تاريخي ، يحدد صيغة كل كلمة ، في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه ، ويدرس الطريق الذي مرت به الكلمة ، مع التعديلات التي أصابها ، من جهة المعنى ، أو من جهة الاستعمال »<sup>(١)</sup> .

فهو عند علماء الغرب بهذا المعنى ، علم نظري عملي ، يعني بتاريخ الكلمة ، ويتبع حياتها عبر العصور المختلفة . أما الاشتقاق عند العرب ، فهو علم عملي تطبيقي ؛ لأنه عبارة عن « توليد لبعض الألفاظ من بعض ، والرجوع بها إلى أصل واحد ، يحدد مادتها ، ويوحى بمعناها المشترك الأصيل ، مثلما يوحى بمعناها الخاص الجديد »<sup>(٢)</sup> .

والاشتقاق بهذه الصورة ، هو إحدى الوسائل الرائعة ، التي تنمو عن طريقها اللغات وتتسع ، ويزداد ثرائها في المفردات ، فتتمكن به من التعبير عن الجديد من الأفكار ، والمستحدث من وسائل الحياة .

(١) اللغة لاندريس ٢٢٦

(٢) دراسات في فقه اللغة ، لصاحي الصاغ ١٧٤ وانظر في العرض من الاشتقاق - كتاب الاشتقاق

لايز السراج ٣٩

وهناك نوعان من الاشتقاق ، دار الحديث حولهما في مؤلفات  
القدامى من اللغويين العرب ، الاشتقاق الأصغر ، والاشتقاق الأكبر (٣١)  
أما الأول فهو : « أحد ضيعة من أخرى ، مع اتفاقهما معنى »  
ومادة أصلية ، وهيئة تركيب ثبات ، ليدل بالثابتة على معنى الأصل ، بزيادة  
مفيدة ، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة ، كضارب من ضرب ، وحذر من  
حذر (٣٢) »

وهذا النوع هو المعنى عند الإطلاق ؛ ولهذا يسمى : « الاشتقاق  
العام » أو « الاشتقاق الصرفي » ؛ لأنه الذي تنصرف الألفاظ عن طريقه ،  
ويشتق بعضها من بعض ، ومعنى هذا افتراض الأصالة في بعض الألفاظ ،  
والفرعية في بعضها الآخر ، وهنا يختلف النحاة في أصل المشتقات ؛ فبعض  
البصريون أن المصدر أصل المشتقات ؛ لكونه بسيطاً ، أى يدل على  
الحدث فقط ، بخلاف الفعل ، فإنه يدل على الحدث والزمن . أما الكوفيون  
فيعتدون الفعل أصلاً للمشتقات ؛ لأن المصدر يجيء بعده في التصريف ؛  
فيقال مثلاً : ضرب يضرب ضرباً .

ويؤيد الأستاذ عبد الله أمين مذهب البصريين ، ويزيد عليه أن العرب  
اشتقت من أسماء الأعيان ، إلى جانب اشتقاقها من المصادر ، ويدلل على  
ذلك بقوله : « ولا شك أن كل اسم من أسماء الأعيان ، هو أصل  
لمشتقات من مادته ؛ إذ لا يعقل أن الفعل : تأكل ، أى اتخذ إبلاً ، قد

(٣١) اختلف المحدثون من علماء اللغة العرب - في أنواع الاشتقاق ، ومدلول كل نوع ؛ فعند الله  
أمين في كتابه « الاشتقاق » يجعل الأنواع أربعة : صغرى ، وكبرى ، وكسار ، وبالحذف (أو أكثر ، وأكثر  
بالتشديد) . ويعنى بالصغير : الاشتقاق الصرفي ، وبالكبير : الإبدال مثل : معتر ومعتر ، وبالكثير :  
التقلب ، مثل تقليب مادة ( ج - ر ) مثلاً ، وبالكسار : الحذف - مثل : سئل وسئل - أما المذكور  
على عدد الواحد وأى - في كتابه - « فقه اللغة » ( ١٧٢ - ١٨٠ ) ، فيجعل أنواعه ثلاثة : العام ،  
والكبير ، والأكثر ، فالعام هو الصرفي ، والكبير هو التقلب ، والأكثر هو الإبدال - والمذكور صحت  
الصالح في : « دراسات في فقه اللغة » ( ١٧٣ - ٢٧٤ ) . يجعله أربعة أنواع : الأصغر وهو الصرفي ،  
والكبير وهو التقلب ، والأكثر وهو الإبدال ، والكبار وهو الحذف ( وانظر أيضاً : الاشتقاق للمعنى  
( ٦٠ - ١٢ ) )

(٣٢) المرجع في علوم اللغة ١/٣٤٦ وانظر كذلك الاشتقاق لابن السراج ٣٢

ع علم  
القاموس  
قصبة ،  
في مرت  
تسمع  
كلمة ،  
وجه  
في تاريخ  
العرب ،  
بعض ،  
المشرك  
التي تسمو  
تتمكن به  
الحياة .  
اشتقاق

وضع قبل أن يوضع لفظ : إبل نفسه ، ولا الفعل : تأرض ، أى لصق بالأرض ، وضع قبل لفظ الأرض ، ولا الفعل : تبنى أى اتخذ ابنا ، وضع قبل لفظ ابن ... وأوضح من هذا دليلا وأقوى حجة ، على أن العرب اشتقوا من أسماء الأعيان ، كما اشتقوا من المصادر ، أنهم عربوا أسماء أعجمية ، ثم اشتقوا منها مصادر وأفعالا ومشتقات ؛ إذ لا يعقل أن يكون العرب ، قد اشتقوا كل ذلك من مواد الأسماء الأعجمية ، قبل أن يعربوها ... عربوا اللحام ، ثم اشتقوا منه : لحم الفرس <sup>١٥١</sup> » .

وهذا النوع من الاشتقاق قياسى ؛ إذ لا يعقل أن يسمع عن أصحاب اللغة ، جميع المشتقات في كل مادة من مواد اللغة « فكثير من تلك الصيغ التي يجوز اشتقاقها ، لا وجود لها فعلا في نص صحيح من نصوص اللغة ، فهناك فرق كبير بين ما يجوز لنا اشتقاقه من صيغ ، وما اشتق فعلا ، واستعمل في أساليب اللغة المروية عن العرب ، فليس من الضروري أن يكون لكل فعل اسم فاعل ، أو اسم مفعول ، مرويان في نصوص اللغة ، فقد لا يحتاج المتكلم أو الكاتب إلى كليهما في فعل من الأفعال ، فالمشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها ، وقد يسبق بعضها بعضا في الوجود ، وهذا يجدر بنا ألا نتصور ، أن الأفعال أو المصادر ، حين عرفت في نشأتها ، عرفت معها مشتقاتها ؛ فقد تظل اللغة قرونا ، وليس بها إلا الفعل وحده ، أو المصدر وحده ، حتى تدعو الحاجة إلى ما يشتق منها <sup>١٥٢</sup> » .

ويخالف في هذا بعض قدامى اللغويين ، فيرون أنه لا قياس على كلام العرب في الاشتقاق ، وإن كان كلام العرب نوقيف ؛ « فإن الذي وقفنا على أن الاحتكاك السمر ، هو الذي وقفنا على أن الحش مشتق منه ، وليس لنا

١٥١ الاشتقاق لعربى الأولى ١٦٢ - ١٥٦ وأظن في اشتقاق العرب - من الأعيان - اشتقاق  
 لأمر السراج ٢٦  
 ١٥٢ من سائر اللغة ٢٦

اليوم أن نخرج ، ولا أن نقول غير ما قالوه ، ولا أن نقيس قياما لم يقيسوه ؛ لأن في ذلك فساد اللغة ، وبطلان حقائقها<sup>(١٧)</sup> »

وفي هذا القول غلو وإسراف ، في منع القياس على ما اشتقه العرب ، غلاوة على ما فيه من فساد الاعتقاد ، باشتقاق المعنوي من الحسي ؛ فإن « الاحتقان » مأخوذ من « الجن » وليس العكس . وقد وقع بعض اللغويين في هذا الوهم ، حين حاولوا تعليل بعض الأسماء العربية ؛ فقد « سئل أبو عمرو بن العلاء عن اشتقاق الخيل ، فلم يعرف ، فمرّ أعرابي مُحَرَّم ، فأراد السائل سؤال الأعرابي ، فقال له أبو عمرو : دعني فأنا أطف يسؤاله وأعرف ، فسأله ، فقال الأعرابي : استفاد الاسم من فعل المسمى ، فلم يعرف من حضر ما أراد الأعرابي ، فسألوا أبا عمرو عن ذلك ، فقال : ذهب إلى الخيلاء التي في الخيل والعُجَب ؛ ألا تراها تمشي العرضة خيلاء وتكبر<sup>(٨)</sup> » ؛ فأبو عمرو بن العلاء ، على جلالة قدره ، يعتقد في رأى الأعرابي ، الذي ظن أن الخيل مشتق من الخيلاء !

ومثل ذلك أيضا ، محاولة بعض اللغويين ، اشتقاق الأعجمي من العرق ، كاتب دريد الذي ادعى أن « الفردوس » مشتق من : « الفردسة » ؛ فقال : « والفردسة : السعة ، وصدر مفردس : واسع ، معناه اشتقاق الفردوس<sup>(٩)</sup> » ، والخفاجي الذي ادعى أن « السراط » مشتق من « استراط الطعام » أي ابتلاعه ؛ فقال : « فالسراط حينئذ من سرتط الطعام ، أي ابتلعه ، يتخيل أنه يتلع سالكية<sup>(١٠)</sup> » .

وقد حذر المعتدلون من الوقوع في هذا الخطأ ، فقال ابن السراج ،  
في رسالته في الاشتقاق : « مما ينبغي أن يحذر منه غاية الحذر ، أن يشتق

(٧) الفحص ٧٧ - جرد (٣٥٧)

(A) طوقان اویسین ۹۹ و اوم ۲۵۳

(٩) جمهور العدد ٣٣٨ وقد حلت في هذه المدة في صندوق التبرعات : ١٠

7.16. (a)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (b)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (c)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (d)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (e)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (f)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (g)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (h)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (i)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (j)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (k)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (l)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (m)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (n)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (o)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (p)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (q)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (r)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (s)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (t)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (u)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (v)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (w)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (x)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (y)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ , (z)  $\frac{1}{2} \log \frac{1}{2}$ .

من لغة العرب شيء قد أخذ من لغة العجم . قال : فيكون بمنزلة من ادعى  
أنه الطير ولد الحمام<sup>(١١)</sup> .

ولا شك أن ابن السراج ، يقصد بهذه العبارة ، ابن دريد وأمثاله ،  
من طنوا أن الدفاع عن عروبة اللغة ، يقتضى القول باستتقاق الأعجمي  
من العرب ، « فلم يزيدوا بذلك » على أن صيروا الأصل قرعا ، والفرع  
أصلا ، ونسبوا إلى العربية من الإعجاز ، في موافقة اللغات الأجنبية ، مما لا  
يجوز أن يدور مثله في خلد الإنسان<sup>(١٢)</sup> .

وهذا هو الخوارزمي يقول : « الاضطراب معناه : مقياس النجوم ،  
وهو باليونانية : أضطرلابون . واضطر هو : النجم ، ولابون هو : المראה .  
ومن ذلك قبل لعلم النجوم : أضطرنوميا . وقد يهذى بعض المولعين  
بالاشتقاق ، في هذا الاسم بما لا معنى له ، وهو أنهم يزعمون  
أن ( لاب ) اسم رجل ، و ( أطر ) جمع سطر وهو الخط . وهذا اسم  
يوناني . اشتقاقه من لسان العرب جهل وسخف<sup>(١٣)</sup> » .

وإذا كانت جمهرة اللغويين ، كسيبويه ، والحليل ، وأبي عمرو بن  
العلاء ، وأبي الخطاب الأنحش ، وعيسى بن عمر الثقفي ، والأصمعي ،  
وأبي زيد ، وابن الأعرابي ، وأبي عمرو الشيباني ، وغيرهم ، يرون أن « بعض  
الكلم مشتق وبعضه غير مشتق » ؛ فقد غالت طائفة فادعت أن « الكلم  
كله أصل » ، وأكثر منها غلوا تلك الطائفة ، التي ادعت أن « الكلم كله  
مشتق<sup>(١٤)</sup> » فعمم اشتق إذن ، إن لم تكن هناك أصول لهذا الاشتقاق  
المرعوم ؟

وقد أشار ابن السراج إلى هذا الاضطراب ، في مذاهب العلماء حول

(١١) الاشتقاق لابن السراج ٤٦ وانظر أيضا : المعرب للجواليقي ٣ والمزهر ٢٥١/١

(١٢) دراسات في فقه اللغة - لصحبي الصالح ١٧٩

(١٣) مفاتيح العلوم ، للخوارزمي ١٣٤

(١٤) انظر في ذلك كله : المزهر ٢٤٨/١



الاشتقاق ؛ فقال : « هذا كتاب يوضح فيه الاشتقاق الواقع في كلام العرب ، لما يعرض من الحيرة والاضطراب لكثير من الناس فيه ؛ فهم مختلفون ، فمبهم من يقول : لا اشتقاق في اللغة البتة ، وهم الأقل . ومبهم من قال : بل كل لفظتين متفتحتين ، فأحدهما مشتقة من الأخرى . ومبهم من يقول : بعض ذلك مشتق ، وبعضه غير مشتق ، وهؤلاء هم جمهور أهل اللغة<sup>(١٥)</sup> » .

وقد حاول ابن فارس ، أن يرجع أصول الاشتقاق ، في المادة اللغوية الواحدة ، إلى أكثر من أصل ؛ كقوله مثلاً : « الخاء والراء والسين أصول ثلاثة ؛ الأول : جنس من الآنية ، والثاني : عدم النطق ، والثالث : نوع من الطعام ؛ فالأول : الخرس ، بسكون الراء وهو الدن ، ويقال لصانعه : الخراس . والثاني : الخرس في اللسان ، وهو ذهاب النطق ، ويحمل على ذلك فيقال : سحابة خرساء ، ليس فيها رعد . والثالث : الخرس والخرسية ، وهو طعام يتخذ للوالد من النساء<sup>(١٦)</sup> » .

وبعض هذه الأصول ، التي ذكرها ابن فارس في مقاييسه ، ينول إلى بعض ، وقد لاحظ هو ذلك ، فقال مرة : « الظاء والفاء والراء أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على القهر والقوز والغلبة ، والآخر على قوة في الشيء . ولعل الأصلين يتقاربان في القياس<sup>(١٧)</sup> » .

وقد عد الدكتور صبحي الصالح صبيح ابن فارس ، في تعدد الأصول « لوفا من الترف العقلي ، أو التزبد العلمي ، ربما أراد به ذلك العلامة الحليل ، أن يظهر قوة ساعده ، في تلمس الفروق الدقيقة بين المفردات ،

(١٥) الاشتقاق ، لابن السراج ٣١

(١٦) مقاييس اللغة ١٦٧/٢

(١٧) مقاييس اللغة ٤٦٥/٣

التي يرجح البحث العلمي المنتهجي ، أنها تفرعت من أصل واحد ، لا من أصول متفرقة (١٨٨) .

ولكن البعد الزمني ، والحقب الطويلة ، التي تقلبت فيها العربية ، حتى زمان تدوينها ، على أيدي ابن فارس وغيره ، جعل الرابطة بين معاني مفردات المادة الواحدة ، تبدو لنا وكأنها غير موجودة . وهذا هو السر الحقيقي وراء مذهب ابن فارس في أصوله .

\*\*\*

أما الاشتقاق الأكبر ، فقد أُلغى به « ابن حنّى » وهو الذى سماه فى كتابه : « الخصائص » بهذا الاسم ، فى باب طويل بعنوان : « باب فى الاشتقاق الأكبر » (١٨٩) ، قال فى أوله : « هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا ، غير أن أباً على رحمه الله ، كان يستعين به ، ويخلد إليه ، مع إغوار الاشتقاق الأصغر ، لكنه مع هذا لم يسمه ، وإنما كان يعتاده عند الضرورة ، ويستروح إليه ، ويتعلل به ، وإنما هذا التلقب لنا نحن ، وستره فتعلم أنه لقب مستحسن » .

وقد عرفه ابن حنّى ، بقوله : « وأما الاشتقاق الأكبر ، فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة ، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً ، تجمع التراكيب الستة ، وما يتصرف من كل واحد منها عليه ، وإن تباعد شيء من ذلك عنه ، ردّ بلفظ الصعّة والتأويل له » (١٩٠) .

ويسعى ألا يخلط هنا بين الاشتقاق الأكبر ، وطريقة التقليلات التى عرفها من قبل ، فى معجم : « العين » للخليل بن أحمد ، ومنهج نهج ، فالتقليلات هناك طريقة للإحصاء . ولم يحاول الخليل ولا غيره من أصحاب المعاجم ، أن يرجعوا تقاليد المادة المختلفة إلى معنى واحد ،

(١٨٨) ترجمته فى فقه اللغة - ص ١٢٧ - ص ١٢٨

(١٨٩) خصائص ١٣٢٠ - ١٣٩

(١٩٠) خصائص ١٣٥ - ١٣٦

كما فعل ابن جنى - ولكن لعل فكرة كتاب « العين » هى التى أوجت  
إلى ابن جنى ، بموضوع الاشتقاق الأكبر !

وقد ضرب ابن جنى على هذا الاشتقاق أمثلة كثيرة ، منها قوله :  
« فمن ذلك نقل ( ج ب ر ) ، فهى أين وقعت للقوة والشدة . منها :  
( جبرت ) العظم والفقر ، إذا قويتها وشددت منها . والخير : الملك .  
لقوته وتقويته غيره . ومنها رجل ( مجرب ) إذا جرسته الأمور ، وجدته .  
فقوت مته ، واشتدت شكيمته ، ومنه الجراب ؛ لأنه يحفظ ما فيه ، وإذا  
حفظ الشيء ورعى ، اشتد وقوى ، وإذا أغفل وأهمل ، تساقط ورذى .  
ومنها : ( الأتجر والبجرة ) ، وهو القوى السرة ... ومنها : ( الترج )  
لقوته فى نفسه ، وقوة ما يليه به ، وكذلك الترج لنقاء بياض العين وصفاء  
سوادها ، هو قوة أمرها ، وأنه ليس بلون مستضعف . ومنها : ( رجبت )  
الرجل ، إذا عظمته وقويت أمره ، ومنه رجب ، لتعظيمهم إياه عن القتال  
فيه ، وإذا كرم النحلة على أهلها فمالت ، دغموها بالرجية ، وهو شيء  
تستدل إليه لتقوى به ، والراجية أحد فصوص الأصابع ، وهى مقوية لها .  
ومنها : ( الرباحى ) وهو الرجل يفخر بأكثر من فعله ... يعظم نفسه ،  
ويقوى أمرها » (٢١) .

ويقر ابن جنى نفسه ، بأن هذا الاشتقاق الأكبر ، صعب  
التطبيق ، على جميع نصوص اللغة ؛ فيقول : « وأعلم أنا لا ندعى أن هذا  
مستمر فى جميع اللغة ، كما لا ندعى للاشتقاق الأصغر ، أنه فى جميع  
اللغة ؛ بل إذا كان ذلك متعذرا صعبا ، كان تطبيق هذا وإحاطته ، أصعب  
مدينا وأعز ملتصقا » (٢٢) .

وإذا كان الأمر كذلك ، فلا داعى للنقد الذى وجه إلى ابن جنى  
قديما وحديثا ، حول هذا النوع من أنواع الاشتقاق ؛ فقد قال السيوطى

(٢١) حاشية ١٢٥١

(٢٢) حاشية ١٢٥٢

مثلاً : « وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح بن حنن . وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً ، وليس معتمداً في اللغة ، ولا يصح أن يستبط به اشتقاق في لغة العرب ، وإنما جعله أبو الفتح بياناً لقوة ساعده ، وردة المختلفات إلى قدر مشترك ، مع اعترافه وعلمه بأنه ليس هو موضوع تلك الصيغ ، وأن تراكيبها تفيد أجناساً من المعاني ، مغايرة للقدر المشترك ، ولا ينكر مع ذلك أن يكون بين التراكيب المتحدة المادة ، معنى مشترك بينها ، هو جنس لأنواع موضوعاتها ، ولكن التحيل على ذلك ، في جميع مواد التركيبات ، كطلب لعنقاء مغرب<sup>(٢٣)</sup> » .

كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس : « وإذا كان ابن حنن ، قد استطاع في غنت ومشقة ، أن يسوق لنا ، للبرهنة على ما يزعم ، بضع مواد من كل مواد اللغة ، التي يقال إنها في جبهة اللغة لابن دريد ، تصل إلى أربعين ألفاً ، وفي معجم لسان العرب تكاد تصل إلى ثمانين ألفاً ، فليس يكفي مثل هذا القدر الضئيل المتكلف ، لإثبات ما يسمى بالاشتقاق الأكبر<sup>(٢٤)</sup> » .

ومع ذلك ، فإن ابن حنن يعدّ مقبولا ومعتدلاً ، حين يحاول إرجاع تغليب المادة ، إلى أصل ثلاثي ، يحمل المعنى العام لهذه المادة ، إذا قيس بما يذهب إليه بعض المحدثين ، من فكرة ثنائية الأصول ، وأن المعنى العام للمادة يرتبط بأصلين اثنين فقط من أصولها .

ومن رواد هذه الثنائية في العصر الحديث : الأب أنستاس ماري الكرملي ، الذي تبنى فكرة الثنائية في العربية ، منذ سنة ١٨٨١ م ، ولم يكن يميل ترددها والدفاع عنها ، وتفصيل القول فيها في المحامع والأندية ، وأخرج فيها كتاباً بعنوان : « نشوء اللغة ونموها واكتسابها » ، وقال في أوله : « عرف بعض حذاق أبناء يعرب الأقدمين ، هذا الرأي ومالوا إليه . ومن قال به ، ولم يحد عنه قيد شعرة : الإصهاني ، صاحب كتاب : غريب القرآن ؛ فإنه

(٢٣) المهر في علوم اللغة ٢٤٧/١

(٢٤) من أسرار اللغة ٥٢

بني معجمه الخليل على اعتبار المضاعف هجاء واحدا ، ولم يسل تكرار حرفه الأخير ، فهو عنده من وضع الخيال ، لا من وضع العلم ولا التحقيق ، أى أنه إذا أراد ذكر : ( مدّ يمدّ مدّا ) مثلا في سفره ، ذكرها كأنها مركبة من مادة : ( مد ) ، أى ميم و دال ساكنة ، ولا يلتفت أبدا إلى أنها من ثلاثة أحرف ، أى : ( مدد ) ، كما يفعل سائر اللغويين ، ولهذا السبب عينه يذكر : ( مدّ ) قبل ( مدح ) مثلا ، ولا يقدم هذه على تلك ، على ما نشاهده في معظم معاجم اللغة ، كالفاموس ، ولسان العرب ، وأساس البلاغة ، وتاج العروس ، وغيرها .

وقد عالج الكرمل كثيرا من مواد اللغة ، بناء على نظريته هذه ، فزعم أنها ثنائية الأصول ، وأن ما زاد فيها على اثنين ، ليس إلا تصديرا للمادة الثنائية ( وهو زيادة في أولها ) ، أو حشوا لها ( وهو زيادة في وسطها ) ، أو كسعا وتديلا فيها ( وهو زيادة في آخرها ) ؛ فعنده أن : ثرم وجرم وجرم وخرم وشرم وصرم وغرم وغرم ، ذات أصل ثنائى ، هو الراء والميم ، مصدر بحرف آخر ، وتدل كلها على « القطع » . كما أن : رتم ورتم ورحم وردم ورسم ورشم ورضم ورطم ودرغم ورقم وركم ، مشتقة عنده أيضا من هذه المادة الثنائية : ( رم ) ، بعد أن حشيت بحرف آخر ، وكلها تدل على « القطع » كذلك !

وقد غالى في فكرته هذه ، فادعى أن أصول اللغات الأجنبية ، توحد في العربية ؛ فمثلا : في الإنجليزية كلمة then هى « إذن » العربية ، وكلمة tail هى « ذيل » العربية ، وكلمة buy هى « باع » العربية ! وانظر إلى إسرافه في ردّ اللغات الأجنبية إلى العربية ، مثلا في ردّ cum اللاتينية إلى « مع » العربية ؛ إذ يقول : « ويستعمل اللاتين : كُـم cum ومعناها : ( مع ) للدلالة على ما يدل على الجمع . وما ( كُـم ) إلا معكوس : ( مك ) المقابل لأداتنا : ( مع ) ؛ وذلك أنه ليس للغريين الحرف

شبهه أبو على  
أن يستبطن به  
ساعده ، وردّه  
موضوع تلك  
بندر المشترك ،  
معنى مشترك  
لك ، في جميع

قد استطاع  
مع مواد من كل  
ل أربعين ألفا ،  
يكفى مثل هذا  
غير (١٢) .

يحاول إرجاع  
، إذا قيس بما  
أن المعنى العام

أستناس ما ترى  
م ، ولم يكن  
تأدية ، وأخرج  
أوله : « عرف  
ومن قال به ،  
القرآن ؛ فإنه

( عين ) ، فيحارون في نقله إلى لغتهم ، وقد نقلوه هنا إلى الكاف ، فقالوا :  
 ( كُفْم ) cum ( ٢٥٥ ) »

ولم يكن الأب مرموحي الدومنيكي ، أقل حماسة من أنستاس  
 الكرمل ، في الدفاع عن هذا المذهب في كتابه : « المعجمية العربية في ضوء  
 الثنائية الألسنية السامية » الذي يقول فيه : « وكل حرف زيد على الأصل  
 الثنائي ، يجرى على قانون التطور اللغوي ، تنويجا أو إقحاما أو تذيلا ، مع  
 بقاء اللحمة المعنوية بين الثنائي والثلاثي ، كما هي مستمرة بين الثلاثي  
 والرابعي ، وما فوقه من المزيدات » .

وقد حذعه مآل إليه المضعف الثلاثي ، في بعض اللغات السامية ،  
 بعد أن سكنت أواخر كلماتها ، لسقوط الحركات الإعرابية وغيرها ، فضاع  
 التضعيف منها ، وصارت على حرفين ، فظن أن هذا هو الأصل فيها ،  
 وقال : « المضاعف العربي ، الذي يقال إنه مركب من ثلاثة أحرف  
 أصلية ، لا تجد مقابلة في السريانية إلا بحرفين اثنين لا أكثر ، مثلا : مقابل  
 قَصْ = قَصْ ، وبخاء حَم = حَم ، وبإزاء مَس = مَس ، وهكذا كل  
 المضاعفات ، التي هي بالحقيقة ثنائيات ، والثاني وارد في كل  
 الساميات » .

وتسى الأب مرموحي ، أنه عند إسناد المضاعف إلى الضمائر ،  
 في العبرية والسريانية ، يظهر التضعيف ؛ فيقال في العبرية مثلا :  $\text{לב}$  sab  
 بمعنى : « أحاط » بغير تضعيف ، وعند إسنادها إلى المتكلم مثلا  
 يقال :  $\text{לבב}$  sabbōr ؛ فيظهر التضعيف ، وقد يفك  
 التضعيف فيقال :  $\text{לבב}$  sabbōr . وانظر كذلك في  
 العبرية :  $\text{לב}$  leb بمعنى : « قلب » إذ لا تضعيف فيها للماء ، لوقوعها  
 في آخر الكلمة ، ولكنها عند الاتصال بالضمائر ، يظهر فيها التضعيف مرة  
 أخرى ؛ فيقال مثلا :  $\text{לבבי}$  libbī = قلبي .

كما يقال في السريانية مثلاً :  $\text{ܐܒܝܐ}$  baz بمعنى : « سلب » ،  
وعند إسنادها إلى الغائب مثلاً يقال :  $\text{ܐܒܝܐܐ}$  bezzat « سلبت » ، وفي  
المتكلم يقال كذلك :  $\text{ܐܒܝܐܐ}$  bezzet = « سلبت » وغير ذلك .

وخلاصة الرأي في الثنائية ، أنها وإن وجدت في بعض الكلمات  
السامية ، فإننا لا يصح أن نعدّها الأصل الأول لهذه اللغات . ونحن مع  
الأستاذ عبد الله أمين ، في أنه « لا يمكننا أن نسلم بأن رجلاً أصله : رَج ،  
وقدأ أصله : قَر ، وفيلأ أصله : في ، كما يقولون <sup>(٢٦)</sup> » .

\*\*\*

### النحت في اللغة :

النحت من ضروب الاشتقاق في اللغة ، وهو « أن تعتمد  
إلى كلمتين ، أو جملة ، فتتزع من مجموع حروف كلماتها ، كلمة فذة ،  
تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها <sup>(٢٧)</sup> » .

ولعل السبب في لشوء بعض المنحوتات في اللغة ، أن المتكلم قد  
يعسر عليه أن « يفصل بين كلمتين ، وردتا إلى ذهنه دفعة واحدة ، وربما  
تداخل الكلمتان فيما بينهما ، تداخلاً تاماً ، والنتيجة الطبيعية لمثل هذه  
الزّلة ، وجود كلمة هي خليط من عناصر مختلفة ، أو صيرورة الكلمتين  
كلمة واحدة ، عن طريق النحت ( Contamination ) أو تكوين كلمة  
صناعية ، مشتملة على مزج من أصوات كلمتين أخريين ، وجامعة  
لغنيتهما . وأكثر الكلمات التي تتكون بهذه الصريقة ، ذات عمر قصير ،  
غير أن قدراً غير يسير منها ، قد يكتب له البقاء ، فيستقر في اللغة كلمات  
جديدة <sup>(٢٨)</sup> » .

(٢٦) لا شقاق ١٥٩

(٢٧) لا شقاق والعرب ١٣

(٢٨) لا شقاق ١٥٩

للكاف ، فقالوا :

من أنستاس  
العربية في ضوء  
يبدأ على الأصل  
أو لذيلاً ، مع  
سيرة بين الثلاثي

لغات السامية ،  
وغيرها ، فضاغ  
والأصل فيها ،  
من ثلاثة أحرف  
مثلاً : مقابل  
، وهكذا كل  
وارد في كل

إلى الضمائر ،  
مثلاً : ١٥  
المتكلم مثلاً  
، وقد يفك  
في كذلك في  
الماء ، لوقوعها  
الضعيف مرة



وينقسم النحت في اللغة إلى أربعة أقسام :

١ - النحت الفعلي : وهو أن تنحت من الجملة فعلاً ، يدل على النطق بها ، أو على حدوث مضمونها ؛ مثل : « جفعل » ، إذا قال لآخر : جعلت فداك ، و « بسم » ، إذا قال : بسم الله الرحمن الرحيم .

٢ - النحت الوصفي : وهو أن تنحت من كلمة واحدة ، تدل على صفة بمعناها أو بأشد منه ؛ مثل : « ضيطر » للرجل الشديد ، من : « ضبط » و « صبر » وفي : « صبر » معنى الشدة والصلاة .

٣ - النحت الاسمي : وهو أن تنحت من كلمتين اسماً ؛ مثل : « جلمود » من : « جمد » و « جلد » . ومثل : « حيقر » للبرد ، وأصله : ح ق ر .

٤ - النحت النسبي : وهو أن تنسب شيئاً أو شخصاً إلى بلد أو « طبرستان » و « خوارزم » مثلاً ، فتنتح من اسميهما اسماً واحداً ، على صيغة اسم المنسوب ، فتقول : « طبرخزي » ونحو ذلك<sup>(٢٩)</sup> .

ولا تنفرد العربية بظاهرة النحت ؛ ففي الإنجليزية مثلاً ، يقال : branch لوجبة الطعام التي تتناول في الضحى ، فتقوم مقام الفطور والغداء معا ، وهي منحوتة فيها من : breakfast = فطور + lunch = غداء<sup>(٣٠)</sup> .

ولأبي الحسين أحمد بن فارس ، اليد الطولى في هذا الموضوع ، فهو إمام القائلين بالنحت بين اللغويين القدامى ؛ يقول في كتابه مقاييس اللغة : « اعلم أن للرباعي والحماسي مذهباً في القياس ، يستنبطه النظر الدقيق ، وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت . ومعنى النحت : أن تؤخذ كلمتان ، وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ<sup>(٣١)</sup> »

(٢٩) انظر : الانتقاء والعرب ٩٣ - ١٥

(٣٠) انظر : دور الكلمة في اللغة ١٥٣

(٣١) مقاييس اللغة ٣٩٨ - ١

وقد سبقه في هذا الخليل بن أحمد ، حين قال : « فأخذوا  
من كلمتين متعاقبتين كلمة ، واشتقوا فعلا . قال :

وتضحك منى شحبة غشيمة

كأن لم نرى قبلي أسيراً يماثياً

نسبها إلى عبد شمس ، فأخذ العين والباء من : ( عبد ) ، وأخذ الشين والميم  
من : ( شمس ) ، وأسقط الدال والسين ، فبنى من الكلمتين كلمة ، فهذا  
من التحت (٣٢) .

ويذكر ابن فارس ، أن الخليل بن أحمد ، سبقه في هذا الرأي ، وأنه  
يسير على منهجه في ذلك ، فيقول : « والأصل في ذلك ما ذكره الخليل ،  
من قولهم : حَيَّلَ الرجل ، إذا قال : حَيَّ عَلَى (٣٣) » .

غير أن ابن فارس ، لم يستطع أن يفسر الرباعي والحماسي كله هذا  
التفسير ، فجعله على ضربين : « أحدهما المنحوت الذي ذكرناه ، والضرب  
الآخر : الموضوع وضعا ، لا محال له في طرق القياس (٣٤) » .

فمن أمثلة المنحوت عنده : « البَحْرُ ، وهو : القصير المجتمع  
الخلق ، فهذا منحوت من كلمتين : من الباء والتاء والراء ، وهو من بَتَرْتُهُ  
فَبَتَرْتُ ، كأنه حَرَمَ الطَّوْلَ ، فَبَتَرْتُ خَلْقَهُ . والكلمة الثانية : الحاء والتاء  
والراء ، وهو من : حَتَرْتُ وَأَحْتَرْتُ ، وذلك لَأَتَفَضَّلَ عَلَى أَحَدٍ ، يقال :  
أَحْتَرْتُ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ ، أَيْ صَبَّقَ عَلَيْهِمْ ؛ فقد صار هذا المعنى  
في القصير ؛ لأنه لم يُعْطَ مَا أُعْطِيَ الطَّوِيلُ (٣٥) » .

ومن أمثلة الموضوع وضعا : الضَّمْعُجُ لِلنَّاقَةِ الضَّمْعَمَةُ (٣٦) ،

(٣٢) العبد الخليل بن أحمد ٦٩/١

(٣٣) مقاييس اللغة ٣٢٩/١ وانظر كذلك - الصاحبي ٢٧١ وأسأل القائل ٢٧٠/٢ والعين ٦٨/١

(٣٤) انظر : المقاييس ٣٢٩/١

(٣٥) مقاييس اللغة ٣٢٩/١

(٣٦) المقاييس ٤٠٢/٣

والطَّفَنُش المَواضع صدور القدمين<sup>(٣٧)</sup> ، والكُرْنافة لأصل السَّعفة الملتق  
تخرج النحلة<sup>(٣٨)</sup>

وقد يكون بين أمثلة هذا الذي عده ابن فارس ، من الموضوع  
وضعا ، أمثلة منحوتة كذلك من كلمتين ، ولكننا نجعل ذلك ؛ وهذا يقول  
ابن فارس في أحد المواضع : « وهذا ما أمكن استخراج قياسه من هذا  
الكتاب ، أما الذي هو عندنا موضوع وضعا ، فقد يجوز أن يكون له  
قياس ، خفي علينا موضعه . والله أعلم بذلك<sup>(٣٩)</sup> » .

غير أن في الكتاب غير هذين الضريين ، أمثلة لا تندرج تحتها ،  
وإنما هي عند ابن فارس ، أصول ثلاثية مزيدة بحرف في أولها ،  
أو في وسطها ، أو في آخرها .

مثال ذلك قوله : « يَلْدَم إذا فَرِق فسكت ، والباء زائدة ، وإنما  
هو : لَدَم ، إذا لَزِم بمكانه قَرَقاً ، لا يتحرك<sup>(٤٠)</sup> » .

وقوله : « الدَّغْلَجَة ، وهو : الذهاب والرجوع والتردد ، وبه يسمون  
الفرس : دَغْلَجاً ، والعين فيه زائدة ، وإنما هو من الدَّلَج والإدلاج<sup>(٤١)</sup> » .

وقوله : « البرَزَخ : الحائل بين الشئين ، كأن بينهما برزاً ،  
أخر متسعاً من الأرض ، ثم صار كل حائل برزخاً ، فالحاء زائدة<sup>(٤٢)</sup> » .

لذلك لا نعجب ، حين نجد ابن فارس ، ينفذ قوله السابق ، بأن  
الرباعي والخماسي على ضريين : منحوت وموضوع ، فيستدرك في موضع

(٣٧) مقاييس ٤٥٨/٣

(٣٨) مقاييس ١٩٤/٥

(٣٩) مقاييس اللغة ١٤٦/٢

(٤٠) مقاييس اللغة ٣٣٣/١

(٤١) مقاييس اللغة ٣٣٩/٢

(٤٢) مقاييس اللغة ٣٣٣/٢ يلاحظ أن ابن فارس لم يلفت هنا إلى أن الكلمة معربة عن الفارسية

( انظر : الألفاظ الفارسية المعربة لأدب شير ١٩ )

لاحق ، بأن منه « ما تحت من كلمتين صحيحتي المعنى ، مطرد في القياس ، ومنه ما أصله كلمة واحدة ، وقد ألحق بالرباعي والحماسي ، بزيادة تدخله ، ومنه ما يوضع كذا وضعاً »<sup>(٤٣)</sup> .

ولم يذهب ابن فارس إلى فكرة النحت في كتابه : « مقاييس اللغة » فحسب ، بل عالجها في كتابه : « الصاحي في فقه اللغة » كذلك ؛ فيقول : « هذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف ، فأكثرها منحوت ، مثل قول العرب للرجل الشديد : ضيَطر ، من : ضبط وضير ، وفي قولهم : صَهْضَلَق ، أنه من : سهل وصلق . وفي الصلدم أنه من : الصلد والصدم »<sup>(٤٤)</sup> .

« ولستأ تبرىء ابن فارس من التكلف ، في بعض ما ادعى فيه النحت ، ولكن تكلفه في بعض أمثلة النحت ، لا يعنى فساد مذهبه ، فيما جاء من كلام العرب ، على أكثر من ثلاثة أحرف »<sup>(٤٥)</sup> .

غير أننا نلاحظ أن ابن فارس ، لا يرى النحت إلا فيما زاد على ثلاثة أحرف ، أما نحن فإننا نراه في بعض الكلمات الثلاثية كذلك ؛ فإن كلمة : « أسمر » مثلاً ، منحوتة - في رأينا - من : « أسود » و « أحمر » .

كما لم يقطن هو ولا غيره ، إلى طريق من طرق خلق الرباعي في العربية ، وهو طريق : « المخالفة الصوتية » ، وهي عبارة عن إبدال أحد الحرفين المتماثلين ، في صيغة : ( قَعْل ) ، حرفاً يغلب أن يكون من الحروف المائعة أو المتوسطة : ( ل م ن ر ) ، مثل : « تَقْرُصَع » ، بمعنى : سال

(٤٣) مقاييس اللغة ٥٠٥/١ ولكن انظر : دراسات في فقه اللغة ، لصحبي الصالح ٦٤٨

(٤٤) الصاحي في فقه اللغة - لابن فارس ٢٧٩

(٤٥) دراسات في فقه اللغة للصالح ٣٦٧ ويرى المرحوم الدكتور مصطفى جواد ، أن ما ذكره ابن فارس في

مقاييس اللغة وفقه اللغة ، في النحت ، لا يعدو الظن والتخمين ، والتأويل البعيد ، انظر : المباحث اللغوية في العراق ٨٦

في متبته ، فأصلها : « تقصّع » حولت فيها الصاد الأولى ، وجعلت راء<sup>(٤٦)</sup> . ومثل ذلك في اللهجات الحديثة : « هرّدم » في : « هدم » و « طرّيق » في : « طبق » و « كرّيس » في : « كبّس » و « خرّمش » في : « حمّش » ، وغير ذلك<sup>(٤٧)</sup> .

وعن هذا الطريق ، يمكن تفسير : « برّجم »<sup>(٤٨)</sup> بمعنى : أغلظ في الكلام ، بأنها ناتجة عن طريق المخالفة ، من الفعل : « بجم » ، وكذلك : « تبلّخص لحمه »<sup>(٤٩)</sup> ، بمعنى : غلظ ، أصلها : « تبخص » . ومثلها : « بلّطخ »<sup>(٥٠)</sup> ، فهي مأخوذة من : « بطّخ » بمعنى : ضرب نفسه في الأرض .

وقد تحدثت المخالفة الصوتية ، بتكرار الحرف الأول من الكلمة ، عوضاً عن أحد المتماثلين فيها ؛ مثل : « كفكف دمه » بدلا من : « كفّف »<sup>(٥١)</sup> . ومثل ذلك في اللهجات الحديثة قولنا : « حكحك » في : « حكّك » ، وغير ذلك .

وقد سبق لنا أن تحدثنا عن طريق آخر ، لتثوء الرباعي في العربية ، وهو طريق استعمال وزن : « افعال » في الشعر ، بإقحام همزة فيه ؛ مثل : « اطمأن » . وعرفنا أن هذه الهمزة الناشئة من الوزن الشعري ، قد تقلب عينا ، كما في لهجة تميم ، وعندئذ يتولد عندنا أمثال : « اقشعر » و « ابدعر » . كما تخفف الهمزة ، فتصير هاء ، في مثل : « اكفهر » و « ازمهر » وغير ذلك . وكل هذه الأمثلة وغيرها ، يعدها اللغويون من الرباعي ، ويجهلون الطريق الذي سلكته في تطورها .

(٤٦) انظر كتابا : عن العامة والتطور اللغوي ٣١٤

(٤٧) انظر مقالنا : التطور اللغوي وقوانينه ١٢٦

(٤٨) مقاييس اللغة ٣٣٣/١

(٤٩) مقاييس اللغة ٣٣٣/١

(٥٠) مقاييس اللغة ٣٣٠/١

(٥١) انظر : الأضداد لابن الأثير ٣٦٢

ومع ذلك ، فهناك الأمثلة الكثيرة ، التي تؤكد أن العربية تعرف النحت ، في كلماتها الثلاثية وغيرها . أما ما ذكره « بروكلمان » ، من أن اللغات السامية لا تعرف تركيب الكلمات<sup>١٥٦</sup> ، فإنه يقصد بذلك ، التركيب الذي في مثل : « حَبَقَر » في العربية الفصحى ، و « رَسَمَال » و « ماورد » في اللهجات العربية الحديثة ؛ فإن التركيب مع الاحتفاظ بجميع عناصر الكلمات الداخلة في التركيب ، أمر نادر في العربية ، بعكس الألمانية ، التي يوجد فيها الكثير من تلك الكلمات ؛ مثل : Schreibtischlampe بمعنى : « مصباح المكتب » ، وغير ذلك .

\*\*\*

الأولى ، وجعلت  
في : « هَدَم »  
و « خَرَّمَش »

في : أغلظ في  
« ، وكذلك :  
تَبَحَّص »  
عني : ضرب

من الكلمة ،  
بدلاً من :  
حَكَحَكَ

في العربية ،  
فيه ، مثل :  
قد تقلب  
« اقشعر »  
« اكفهر »  
« المعويون »

## الفصل الثالث

### ظاهرة الترادف والاشتراك اللفظي والنضاد في العربية

الأصل في كل لغة أن يوضع فيها اللفظ الواحد ، لمعنى واحد ؛ أي أن يكون بإزاء المعنى الواحد فيها لفظ واحد ، ولكن ظروفاً تنشأ في اللغة ، تؤدي إلى تعدد الألفاظ لمعنى واحد ، أو تعدد المعاني للفظ واحد ؛ يقول سيبويه : « واعلم أن من كلامهم ، اختلاف اللفظين ، لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين <sup>(١)</sup> » .

كما يقول قطرب : « الكلام في ألفاظه بلغة العرب ، على ثلاثة أوجه ؛ فوجه منها وهو الأعم الأكثر : اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين .. وذلك قولك : الرجل والمرأة ، واليوم والليلة ، وقام وقعد ... وهذا لا سبيل إلى جمعه وحصره ؛ لأن أكثر الكلام عليه ، والوجه الثاني : اختلاف اللفظين والمعنى متفق واحد ، وذلك مثل : غير وجمار ، وذئب وسيد .. وجلس وقعد .. والوجه الثالث : أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى ، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعداً ؛ وذلك مثل : الأمة الرجل وحده يؤتم به ، والأمة القامة ، قامة الرجل ، والأمة من الأمم . ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعداً ، ما يكون متضاداً في الشيء وضده <sup>(٢)</sup> » .

(١) كتاب سيبويه ٧/١

(٢) أحسن قطرب ٢٤٣ ٢٤٤



والحقيقة أنه لم تكن لغة ، يمثل ما غشيت به اللغة العربية ، من تعدد المفردات الدالة على معنى واحد من ناحية ، أو تعدد معاني اللفظة الواحدة ، إلى درجة التضاد بينها في بعض الأحيان ، من ناحية أخرى .

ويطلق العلماء على المفردات الدالة على معنى واحد ، اسم : « المترادف » Synonym ؛ كما يطلقون على الألفاظ الدالة على المعاني المختلفة ، اسم : « المشترك اللفظي » Homonym ويطلقون على ذات المعاني المتضادة من هذه الألفاظ ، اسم : « الأضداد » .

وإذا كان المحدثون من علماء اللغات ، يسلمون بوقوع أمثلة من هذه الأنواع الثلاثة ، في اللغات المختلفة ، فإن اللسان العربي ، قد طال باعة وامتد ذراعه ، في كل نوع من هذه الأنواع . ويعزى سبب تضخم المعجم العربي ، إلى كثرة أمثلة المترادف والمشارك والأضداد ، في اللغة العربية ، في كثير من الأحيان . ونحاول فيما يلي ، الوقوف على سر هذه الظاهرة الغريبة في العربية .

\*\*\*

### أولاً : المترادف

« المترادفات هي : ألفاظ متحدة المعنى ، وقابلة للتبادل فيما بينها في أى سياق . والمترادف التام - رغم عدم استحالة - نادر الوقوع إلى درجة كبيرة ، فهو نوع من الكماليات ، التي لا تستطيع اللغة أن تجود بها في سهولة ويسر . فإذا ما وقع هذا المترادف التام ، فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محددة ، حيث إن الغموض الذي يعتري المدلول ، والألوان أو الظلال المعنوية ، ذات الصيغة العاطفية ، أو الانفعالية ، التي تحيط بهذا المدلول ، لا تلبث أن تعمل على تخطيطه ، وتقويض أركانه ، وكذلك سرعان ما تظهر بالتدرج ، فروق معنوية دقيقة ، بين الألفاظ المترادفة ، بحيث يصبح كل لفظ منها مناسباً وملائماً ، للتعبير

عن جانب واحد فقط ، من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد<sup>(١٢)</sup> .

وقد اختلف اللغويون العرب ، في وقوع هذا الترادف التام ، في لغتنا العربية ، اختلافا كبيرا ، فمنذ أن بدأ الرعيل الأول ، من هؤلاء اللغويين ، في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، في جمع اللغة العربية ، من أقوال فصحاء العرب من جانب ، وتفريغ ألفاظ القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر ، والخطب ، والرسائل ، حتى نهاية العصر الأموي ، والبحث عن معانيها وتفسيرها من جانب آخر ، أخذ العلماء في تصنيف هذه المادة اللغوية ، في أنماط شتى ، وعن بعض هؤلاء العلماء ، أن يجمعوا الكلمات ، التي تدل على معنى واحد في العربية ، في تأليف مستقل ، سموه أحيانا « بالترادف »<sup>(١٣)</sup> ، وأحيانا أخرى باسم : « ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه »<sup>(١٤)</sup> .

وقد بالغ بعضهم في جمع تلك الألفاظ ، وحشد بينها طائفة كبيرة ، لا تمت إلى المترادف الحقيقي بصلة ، وكان فخر أحدهم على زميله ، أنه يحفظ لهذا الشيء أو ذاك ، كذا وكذا اسما ؛ فقد روى ابن فارس أن هارون الرشيد ، سأل الأصمعي عن شعر ، لأن حزام العكلى ، ففسره ، فقال : يا أصمعي ، إن الغريب عندك لغير غريب . قال : يا أمير المؤمنين ، ألا أكون كذلك ، وقد حفظت للحجر سبعين اسما<sup>(١٥)</sup> .

كما روى ابن فارس ، عن شيخه أحمد بن محمد بن بُنْدَار ، أنه قال : « سمعت أبا عبد الله بن خالويه الهمداني ، يقول : جمعت للأسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتين »<sup>(١٦)</sup> .

(١٢) دور الكلمة في اللغة لأؤلام ٩٨

(١٣) مثل : الألفاظ المترادفة ، لأبي الحسن علي بن عيسى الرمازي ، المطبوع بالقاهرة سنة ١٣٦١ هـ .

(١٤) مثل : ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ، للأصمعي ، الذي نشره مطبع سلطاني بدمشق سنة

١٩٦٤ م .

(١٥) الصاحبي ٤٤ والمرمر ١/٣٢٥

(١٦) الصاحبي ٤٣ والمرمر ١/٣٢٥ والنظر : معجم الأدباء ٤/٩٠٢ .

وقد أدت مبالغة هؤلاء العلماء وغيرهم ، في الاعتداد بهذه الظاهرة ، إلى ظهور طائفة أخرى من العلماء ، تعارض هذا الاتجاه ، وترفض ظاهرة الترادف في العربية ، رفضاً تاماً ؛ ومن هؤلاء : أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي ( المتوفى سنة ٢٣١ هـ ) وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ( المتوفى سنة ٢٩١ هـ ) وأبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه ( المتوفى سنة ٣٣٠ هـ ) وأبو علي الفارسي ( المتوفى سنة ٣٧٧ هـ ) وأبو الحسين أحمد ابن فارس ( المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ) وغيرهم .

قال أبو علي الفارسي : « كنت بمجلس سيف الدولة بجلب ، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة ، وفيهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسماً<sup>(٨)</sup> . فتبسم أبو علي ، وقال : ما أحفظ إلا اسماً واحداً ، وهو السيف ! قال ابن خالويه : فأين المهنت والصارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو علي : هذه صفات ، وكأنَّ الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة<sup>(٩)</sup> » .

كما يقول ابن فارس : « ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة ، نحو : السيف والمهنت والحسام ، والذي نقوله في هذا : إن الاسم واحد هو السيف ، وما بعده من الألقاب صفات . ومذهبنا أن كل صفة منها ، فمعناها غير معنى الأخرى . وقد خالف في ذلك قوم ، فزعموا أنها - وإن اختلفت ألفاظها - فإنها ترجع إلى معنى واحد ، وذلك قولنا : سيف وعُصْب وحسام . وقال آخرون : ليس منها اسم ولا صفة ، إلا ومعناه غير معنى الآخر . قالوا : وكذلك الأفعال ، نحو : مضى وذهب وانطلق ، وقعد وجلس ، ورقد ونام ونسج . قالوا : ففى قعد معنى ليس في جلس ، وكذلك القول فيما سواه ، وبهذا نقول . وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب<sup>(١٠)</sup> » .

(٨) منها واحد وأربعون اسماً ، ذكرها ابن خالويه في شرح التلخيص . انظر المزهري ٤٠٩/١

(٩) المزهري في علوم اللغة ٤٠٥/١

(١٠) الصاحبي ٩٦ والمزهري ٤٠٤/١

كما يقول ابن السراج : « وقد حكى لي عن أحمد بن يحيى ، أنه كان يقول : لا يجوز أن يختلف اللفظ والمعنى واحد ، وهو في هذا القول ، أبعاد من قال : إنه لا يجوز أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى »<sup>(١١)</sup> .

ويقول كذلك ابن يعيش : « ويحكى عن أحمد بن يحيى إنكار ذلك ، ومنع جوازه ، ويزعم أن في كل لفظ زيادة معنى ، ليس في الآخر ؛ ففي : ( ذهب ) معنى ، ليس في : ( مضى ) ، وكذلك باقي الباب ، وهو قول ليس بالسديد »<sup>(١٢)</sup> .

أما ابن درستويه ، فإنه يقول في شرح الفصيح ثعلب : « لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد ، إلا أن يحىء ذلك في لغتين مختلفتين ، فأما من لغة واحدة ، فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد ، كما يظن كثير من اللغويين والنحويين ، وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها ... ولم يعرف السامعون لذلك العلة فيه والفروق ، فظنوا أنهما بمعنى واحد ... وليس يحىء شيء من هذا الباب ، إلا على لغتين متباينتين كما بينا ، أو يكون على معنيين مختلفين ، أو تشبيه شيء بشيء »<sup>(١٣)</sup> .

وقد وضع ابن درستويه يده في هذا الكلام ، على العوامل التي أدت إلى نشأة الترادف ، في اللغة العربية ، في نظر اللغويين العرب ، كما سنعرف فيما بعد .

#### (١١) الاشتقاق لابن السراج ٤٤

(١٢) شرح التصريف للوكلي ٩٧ وما رواه ابن فارس عن شيعته ثعلب ، وكذلك ما رواه عنه ابن السراج ابن يحن ، بخلاف مذهب ثعلب في كتابه : « المحال » إذ روى فيه كثيرا من الألفاظ المترادفة ، ولم يعلق عليها أو ينكرها ، كقوله مثلا : « ويقال : غلام تشنش وشعشع وبلبل ويزيز ، إذا كان خفيفا في السر » ( محال ثعلب ١١/١ ) وقوله : « الزعيم والصير والحصيل والأدين والكفيل والأميل الذي لا تبس في سرجه » ( محال ثعلب ٧٧/١ ) وقوله : « عفا ودرس وبغا وبعى واطرق » ( محال ثعلب ٨٧/١ ) وقوله : « ويقال : قطعت يده وجذمت ونزرت ونكت وبضكت وقرت ووجدت » ( محال ثعلب ٥٤٥/٢ والمراد ٤١١/١ )

(١٣) المراد ٣٨٤/١ وانظر النص الأصلي في : نصحيح الفصيح لابن درستويه ١٦٥/١ - ١٦٦

ويقول ابن الأعرابي : « كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد ، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه ، ربما عرفناه فأحورنا به ، وربما غمض علينا ، فلم نلزم العرب جهله »<sup>(١٢٤)</sup> .

وقال المرزوقي : « سئل بعض أهل اللغة ، عن الفرق بين انقصوا وانقضوا - وكان يدعى أنه إذا اختلف اللفظان ، فلا بد من اختلاف المعنيين - فقال : انقصوا ، معناه : تباينوا ، وهو من قضضت أى كسرت . وارقضوا معناه : رفض بعضهم بعضا »<sup>(١٢٥)</sup> .

وقال التاج السبكي في شرح المنهاج : « ذهب بعض الناس إلى إنكار الترادف ، في اللغة العربية ، وزعم أن كل ما يظن من المترادفات ، فهو من التباينات التي تتباين بالصفات ، كما في الإنسان والبشر ، فإن الأول موضوع له باعتبار النسيان ، أو باعتبار أنه يؤنس ، والثاني باعتبار أنه يادى البثرة . وكذا الخندريس والغفار ، فإن الأول باعتبار العتق ، والثاني باعتبار عقر الدن لشدها . وتكلف لأكثر المترادفات ، بمثل هذا المقال العجيب »<sup>(١٢٦)</sup> .

« وبعض هؤلاء الذين أنكروا الترادف ، كانوا من الأدباء النقاد ، الذين يستشفون في الكلمات أمورا سحرية ، ويتخيلون في معانيها أشياء ، لا يراها غيرهم ، فهم قوم شديدو الاعتزاز بألفاظ اللغة ، يتبنون الكلمات ، ويرعونها رعاية كبيرة ، ينقبون عما وراء المدلولات ، ساجدين في عالم من الخيال ، يصور لهم من دقائق المعاني وظلالها ، ما لا يدركه إلا هم ، ولا يقف عليه إلا أمثالهم »<sup>(١٢٧)</sup> .

ومن هؤلاء الأدباء ، أبو هلال العسكري ، الذي ألف كتابا

(١٢٤) الأضداد لأن الأعرابي ٧ وانظر : المرمر ٣٩٩/١

(١٢٥) شرح اختيارات الفاضل ، للتبريزي ٤٧٢/١

(١٢٦) المرمر في علوم اللغة ٤٠٣/١

(١٢٧) في المنهجيات العربية ١٨٤

في أنه كان  
المقول ، أريد

في إنكار  
في الآخر ،  
في الباب ،

لا يكون  
بشيء ذلك  
اللفظان  
فهموا العرب  
العلة فيه  
في الباب ،  
أو تشبيه

التي أدت  
في سنعرف

في ابن السراج  
وهم يطلق  
في السمع ،  
في سرجه  
يقوله :  
والمزهر

سماه : « الفروق اللغوية » ، نادى فيه بأن « كل اسمين يجريان على معنى من المعاني ، وعين من الأعيان ، في لغة واحدة ؛ فإن كل واحد منهما ، يقتضى خلاف ما يقتضيه الآخر ، وإلا لكان الثاني فضلا لا يحتاج إليه<sup>(١٨)</sup> » .

ولم يكن العسكري من أنصار منع الترادف فحسب ، بل كان ممن يقولون بمنع الاشتراك اللفظي في العربية كذلك ، « فكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين ، فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان ، يدلان على معنى واحد ؛ لأن في ذلك تكثيرا للغة ، بما لا فائدة فيه<sup>(١٩)</sup> » .

وقد أحسن العسكري ، بأنه هو وطائفة قليلة من اللغويين ، يخائفون إجماع القوم ، على القول بالترادف في العربية ؛ ولذلك يقول : « ولعل قائلًا يقول : إن امتناعك من أن يكون للفظين المختلفين معنى واحد ، ردّ على جميع أهل اللغة ؛ لأنهم إذا أرادوا أن يفسروا اللَّبَّ ، قالوا : هو العقل ، أو الجرح ، قالوا : هو الكسب ، أو السَّكَب ، قالوا : هو الصَّب . وهذا يدل على أن اللَّب والعقل عندهم سواء ، وكذلك : الجرح والكسب ، والسكب والصب ، وما أشبه ذلك . قلنا : ونحن أيضا نقول كذلك ، إلا أننا نذهب إلى أن قولنا : اللَّب وإن كان هو العقل ، فإنه يفيد خلاف ما يفيد قولنا : العقل<sup>(٢٠)</sup> » .

ولعلنا نوضح مذهبه هذا ، إذا ضربنا بعض الأمثلة من كتابه ؛ يقول العسكري في الفرق بين المدح والتقريظ ، إن « المدح يكون للحى والميت ، والتقريظ لا يكون إلا للحى . وخلافه التأبين لا يكون إلا للميت . وأصل التقريظ من القرظ ، وهو شيء يدبغ به الأديم ، وإذا دبغ به حسن وصلاح وزادت قيمته ، فشبه مدحك للإنسان الحى بذلك ، كأنك تزيد من قيمته

(١٨) الفروق اللغوية ١١

(١٩) الفروق اللغوية ١٢

(٢٠) الفروق اللغوية ١٣

تحدث إياه ، ولا يصح هذا المعنى في الميت ؟ وهذا يقال : مدح الله .  
ولا يقال : قرطه<sup>(٢١)</sup> .

كما يقول في الفرق بين المدح والثناء ، إن « الثناء مدح مكرر ، من قولك : ثنيت الحيط ، إذا جعلته طاقين ، وثنيته - بالتشديد - إذا أضفت إليه خيطاً آخر - ومنه قوله تعالى : سبعا من المثالي ، يعنى سورة الحمد ؛ لأنها تكرر في كل ركعة<sup>(٢٢)</sup> » .

ومع أن أبا هلال العسكري ، يبالغ في هذا الكتاب في منع الترادف ، ويحاول جاهداً البحث عن الفروق بين الألفاظ المترادفة ، فإنه في كتابين آخرين له ، ينسى هذا المبدأ ، ويذكر الألفاظ المترادفة ، بلا اعتراض عليها ، أو محاولة للتفريق بينها . وأول هذين الكتابين هو : « التلخيص في معرفة أسماء الأشياء » ، وقد ذكرنا من قبل نصاً من نصوصه ، في : « ذكر النوم<sup>(٢٣)</sup> » . يمتلئ بهذه المترادفات . وثاني الكتابين هو : « المعجم في بقية الأشياء<sup>(٢٤)</sup> » ، ذكر فيه من الأسماء الدالة على ( بقية الماء في الحوض ) : الجحفة ( ٦٥ ) والخبطة ( ٧٦ ) والدغث ( ٨١ ) والرشف ( ٨٦ ) والسملة ( ٩٥ ) والهلل ( ١٥٤ ) . كما ذكر من الألفاظ الدالة على ( بقية اللبن في الصرع ) : التفشيل ( ٥٨ ) والرمت ( ٨٨ ) والعقافة ( ١١٧ ) والغلالة ( ١٢٢ ) والغبر ( ١٢٦ ) ، وغير ذلك .

ورغم ما يوجد بين لفظة مترادفة وأخرى ، من فروق أحيانا ، فإننا لا يصح أن ننكر الترادف ، مع من أنكره جملة ، فإن إحساس الناطقين باللغة ، كان يعامل هذه الألفاظ معاملة المترادف ؛ فتراهم يفسرون اللفظة

(٢١) الفرق المغوية ٢٧

(٢٢) الفرق اللغوية ٢٧

(٢٣) انظر فيما مضى - صفحة ٢٣٤

(٢٤) نشره إبراهيم الإياري وعبد الحفيظ شلي ، في القاهرة سنة ١٩٣٤ م .



منها بالأخرى ، كما روى عن أبي زيد الأنصاري أنه قال : « قلت لأعرابي : ما  
 الخبيطى ؟ قال : المتكأكى . قال : قلت : ما المتكأكى ؟ فقال :  
 المتأرف . قال : قلت : ما المتأرف ؟ قال : أنت أحمق » (٢٦) .  
 وكما روى عن المازني أنه قال : « سمعت أبا سوار العنوي يقرأ :  
 وإذا قتلتم نفساً فادّارأتم فيها ، فقلت له : إنما هو ( نفس ) ، فقال :  
 النفس والنفس واحد » (٢٧) .

\*\*\*

أسباب كثرة المترادف في العربية الفصحى :

(١) - تعدد أسماء الشيء الواحد في اللهجات المختلفة ، فكل لهجة  
 تطلق عليه اسماً ، ثم أدى احتكاك اللهجات بعضها ببعض ، ونشأة اللغة  
 العربية المشتركة ، في تلك الظروف الدينية والاقتصادية والسياسية ، التي  
 تحدثنا عنها من قبل - إلى تمسك هذه اللغة المشتركة ، بعدد من تلك  
 الألفاظ التي تدل على معنى واحد في اللهجات المختلفة « وأصبحت الحالة  
 التي انتهت إليها أشبه شيء ببحيرة ، امتزج بمياهها الأصلية ، مياه أخرى  
 انحدرت إليها من جداول كثيرة » (٢٧) .

ولو نظرنا في اللهجات العربية الحديثة ، لوجدنا شيئاً يشبه هذا الذي  
 تتصوره في القديم ، فما يسمى : « فكة » مثلاً في مصر ، يسمى  
 في لبنان : « فرافير » ، وفي سوريا والأردن : « فراطة » ، وفي العراق :  
 « خردة » ، وفي ليبيا : « رفاق » ، وفي السعودية : « صرافة »  
 أو « تفاريق » .

و« البطيخ » مثلاً في مصر ، هو : « الرقي » في العراق ،  
 و« الدلاح » في ليبيا ، و« الحنّاب » في السعودية ، وما إلى ذلك .

(٢٥) جمهرة اللغة ٢٧/٣ ومنها في المعجم ٤١٣/١

(٢٦) أمالي القائل ٨٠/٢ ومنها في المعجم ٤١٣/١

(٢٧) لغة اللغة ، لعلي عبد الواحد وآل ١٦٦

وهكذا لو تصورنا تفاعلا ، يتم بين هذه اللهجات جميعها ، لكان من الممكن أن يحتفظ ببعض هذه الألفاظ ، للدلالة على المسمى الواحد .  
ويفسر لنا هذا السبب ، وقوع المترادف في العربية المشتركة ، أو ما يعرفه باسم العربية الفصحى ، ونستطيع أن نفهم على ضوءه ، ما وقع في القرآن الكريم ، من هذه الألفاظ المترادفة ، كورود : « حلف » و « أقسم » مثلا بمعنى واحد ، في قوله تعالى : « يخلقون بالله ما قالوا » ( التوبة ٧٤/٩ ) ، وقوله : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » ( النور ٥٣/٢٤ ) ، وكورود : « بعث » و « أرسل » بمعنى واحد ، في قوله تعالى : « بعث فيهم رسولا » ( آل عمران ١٦٤/٣ ) ، وقوله : « فأرسلنا فيهم رسولا » ( المؤمنون ٣٢/٢٣ ) .

وإن كان من يمنعون المترادف ، يحاولون التفرقة بين اللفظين ، كأبي هلال العسكري ، الذي حاول أن يفرق بين القسم والحلف ، بأن القسم أبلغ من الحلف ؛ لعله ذكرها هو ، ولا تخلو من التكلف<sup>(٢٨)</sup> .  
كما فرق بين البعث والإرسال ، بأنه « يجوز أن تبعث الرجل إلى الآخر ، الحاجة تخصه دونك ودون المبعوث إليه ، كالصبي تبعثه إلى المكتب ، فتقول : بعثته ، ولا تقول : أرسلته ؛ لأن الإرسال لا يكون إلا برسالة ، أو ما يجري مجراها »<sup>(٢٩)</sup> .

ولا يخفى ما في ذلك من التكلف ، ومخالفة الاستعمال القرآني :

وكثير من هذه الألفاظ الخاصة باللهجات ، لم يستطع النقاد إلى استعمالات اللغة الفصحى ، وبقيت مقصورة على الاستعمال المحلي ، عند هذه القبيلة أو تلك ، وكان من الممكن أن تندثر هذه الألفاظ ؛ لأن نصوص الفصحى الشعرية والنثرية منها ، لم تسجلها بين ألفاظها ،

(٢٨) الفروق الشعرية ٤٢

(٢٩) الفروق المعربة ٢٢٢

لولا أن ساح اللغويون العرب ، في القرون الأولى للهجرة ، في قلب الجزيرة العربية ، وبين القبائل التي اعتمدها هم ، لتلقى اللغة عنهم ، فدولوا عنهم فيما دولوا هذه الألفاظ المحلية .

وقد فطن إلى هذا ابن جنى ، فقال : « وإذا كثرت على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة ، فسمعت في لغة إنسان واحد ، فإن أخرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثرها أو طرفاً منها ، من حيث كانت القبيلة الواحدة ، لا تنوطاً في المعنى الواحد على ذلك كله<sup>(٣٢)</sup> » . كما قال : « كلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد ، كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات ، اجتمعت لإنسان واحد من ههنا وههنا<sup>(٣٣)</sup> » .

ويروى عن الإصفيهاني<sup>(٣٤)</sup> أنه قال : « ويتبع أن يحمل كلام من منع ( الترادف ) على منعه في لغة واحدة ، أما في لغتين ، فلا ينكره عاقل<sup>(٣٥)</sup> » .

كما يقول الأصوليون : إن من أسباب الترادف « أن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين ، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد ، من غير أن تشعر إحدهما بالأخرى ، ثم يشتر الوضهان ، ويخفى الواضهان ، أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر<sup>(٣٦)</sup> » .

٢- ومن أسباب الترادف كذلك : أن يكون للشيء الواحد في الأصل اسم واحد ، ثم يوصف بصفات مختلفة ، باختلاف خصائص

(٣٢) الخصائص ١/٣٧٣

(٣٣) الخصائص ١/٣٧٤

(٣٤) لعنه أبو علي الحسن بن عبد الله الإصفيهاني ، المعروف بلغة ، وهو من تلامذة الرخاج ( بقية الرواة ١/٥٠٩ ) . وقد علق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، على بعض إنباه الرواة ١/٤١ . « الرد على الإصفيهاني لأحمد بن داود أبي حنيفة الدينوري » ، بقوله في هامشه : « هو الحسن بن عبد الله المعروف بلغة الإصفيهاني » .

(٣٥) المهر في علوم اللغة ١/٤٠٥

(٣٦) المهر في علوم اللغة ١/٤٠٥

ذلك الشيء ، وإذا بتلك الصفات تستخدم في يوم ما ، استخدم الشيء ،  
وينسى ما فيها من الوصف ، أو يتناساه المتحدث باللغة .

وفي ضوء هذا السبب ، يمكن النظر إلى السيف وأسمائه المختلفة  
في العربية ، تلك الأسماء التي كانت في الأصل صفات له ، كالصارم ،  
والبار ، والقاضب ، والصقيل ، وغير ذلك .

وقد فطن إلى مثل هذا ، أبو علي الفارسي ، في حوارته الذي سبق  
أن ذكرناه ، مع ابن خالويه ، أمام سيف الدولة . ويقول ابن الأثير : « وقد  
يوجد من الأسماء ما يطلق على المستنى بالوضع ، اسماً للذات لا لمعنى  
فيه ، كالسيف بإزاء هذه الآلة المعروفة كيف كانت . ومنها ما يطلق عليه  
لصفة فيه ، كالصارم ، فإنه موضوع له كصفة الحدة<sup>(٣٥)</sup> » .

كما يقول تولدكه : « وطبيعي أن المعاجم العربية ، قد تضخمت  
جداً ، على الأخص بسبب أنها تذكر التسميات الشعرية ، الشخصية  
الخاصة للأشياء ، على أنها كلمات خاصة ؛ فحين يسمى أحد الشعراء  
الأسد مثلاً ، بالكاسر بالأسنان ، ويسميه شاعر آخر بالساحق ، وغير  
ذلك ؛ فإن المعجم العربي يأخذ هذه التسميات ، على أنها مترادف لكلمة  
الأسد تماماً<sup>(٣٦)</sup> » .

(٣) - وأحد أسباب كثرة المترادفات العربية ، في مؤلفات القدامى  
من اللغويين : التطور اللغوي في اللفظة الواحدة ؛ فقد تتطور بعض أصوات  
الكلمة الواحدة ، على ألسنة الناس ، فتتشأ صور أخرى للكلمة ، وعندئذ  
يعدّها اللغويون العرب ، مترادفات لمسمى واحد .

من ذلك قول ابن جني مثلاً : « ومن ذلك قولهم : هتلت السماء  
وهتنت : هما أصلان ، ألا تراهما متساويين في التصرف ؛ يقولون : هتنت

(٣٥) المصحح لـ ابن الأثير ٣٥٢

(٣٦) اللغات السامية ٨١

قلب الجزيرة  
فدوتوا عنهم

فمعنى الواحد  
أن يكون قد  
، لا تنوطاً  
لوت الألفاظ  
، اجتمعت

في كلام من  
، فلا ينكره

ضع إحدى  
د من غير  
الواضعان ،

شيء الواحد  
خصائص

هذه الرجاء ( رعية  
٥١/١  
لقد المعروف بلغة

السَّمَاءُ تَهْتَرُ تَهْتَانًا ، وَهَتَكَ هَتْلَ هَتَالًا ، وَهَرَّ سَحَابٌ هُتْنٌ  
وَهْتَلُ (٣٧) .

وَمِثْلُ كِتَابِ «الإبدال» العربية ، بِمِثْلِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، الَّتِي  
يَعْدُّهَا الْمُعَرَّبُونَ مِنْ امْتِزَاجَاتٍ ، وَمَا هِيَ مِنْهَا فِي شَيْءٍ ؛ فَإِنَّهُ بِمَا لَا شَكَّ فِيهِ  
أَنَّ الْأَفْعَالَ الْآتِيَةَ : «دَعَسَ» وَ«طَعَسَ» وَ«طَعَزَ» وَ«دَعَزَ»  
وَ«طَحَسَ» وَ«طَحَزَ» وَ«دَعِظَ» وَ«عَزَدَ» وَ«عَصَدَ» بِمَعْنَى :  
جَامِعِ الْمَرَاةِ - هَذِهِ الْأَفْعَالُ كُلُّهَا ، تَتَوَلَّى إِلَى فِعْلٍ وَاحِدٍ هُوَ : «دَعَسَ»  
فِيمَا يَبْدُو ، وَفِيهِ يَظْهَرُ مَعْنَى الْوِطْءِ . أَمَّا بَقِيَّةُ الْأَفْعَالِ ، فَهِيَ نَتِيجَةُ تَطَوُّرٍ  
صَوْتِيٍّ ، فِي بَعْضِ أَصْوَاتِ الْفِعْلِ : «دَعَسَ» مَعَ الْقَلْبِ الْمَكَانِيِّ فِيهِ  
أَحْيَانًا .

وَمِثْلُ ذَلِكَ كَلِمَاتُ : «الْحَثَالَةُ» وَ«الْحَفَالَةُ» وَ«الْحَذَالَةُ»  
وَ«الْحَصَالَةُ» وَ«الْحَصَالَةُ» لِلرَّدَى مِنَ الشَّيْءِ (٣٨) .

وَبَشَبِهِ هَذَا مَا رَوَى عَنْ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ : «اِخْتَلَفَ رَجُلَانِ فِي :  
(الصَّقَرِ) ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : (الصَّقَرُ) بِالصَّادِ ، وَقَالَ الْآخَرُ :  
(الصَّقَرُ) بِالسَّيْنِ ، فَتَرَاضِيَا بِأَوَّلِ وَارِدٍ عَلَيْهِمَا ، فَحَكِيَا لَهُ مَا هُمَا فِيهِ ،  
فَقَالَ : لَا أَقُولُ كَمَا قُلْتُمَا ، إِنَّمَا هُوَ : (الزَّقَرُ) !» (٣٩) . كَمَا رَوَى الْأَصْمَعِيُّ  
كَذَلِكَ عَنْ الْعَرَبِ ، أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : «مَا كَدَدْتُ أُمَّلَّصَ مِنْ فُلَانٍ»  
وَ«أُمَّلَّسَ» وَ«أُمَّلَّزَ» بِمَعْنَى : أُمَّلَّصَ مِنْهُ (٤٠) .

وَقَدْ يَكُونُ التَّطَوُّرُ اللَّغَوِيُّ فِي مَعْنَى الْكَلِمَةِ وَدَلَالَتِهَا ، لَا فِي لَفْظِهَا  
«فَمِنْ الْكَلِمَاتِ مَا تَشْتَرِكُ مَعَانِيهَا فِي بَعْضِ الْأَجْزَاءِ ، وَتَخْتَلِفُ فِي بَعْضِهَا

(٣٧) الخصال ٨٢/٢

(٣٨) انظر في هذه الأمثلة والأمثلة السابقة : كتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي ، في مواضع

متفرقة منه .

(٣٩) الخصال ٣٧٤/١ والمحرر ٢٦٣/١

(٤٠) ما اختلفت ألفاظه وانفقت معانيه ، للأصمعي ٣٠

الآخر . ويمكن تشبيهها بدوائر متحدة المركز . ومجتمعة في جزء من سطوحها . أو مشتركة في جزء من السطح فقط . فإذا مر عليها من طول . ودعت عوامل تغير المعاني . أن تنطبق الدوائر بعضها على بعض . أصبحت تلك الكلمات مترادفة ؛ لأن المعاني لا تبقى على حالة واحدة . فقد يصح الخاص عاما ، أو يصبح العام خاصا ، وإذا قارنا بين الكلمة ( هلك ) في العربية ، وجدنا معناها في العبرية لكل نوع من الذهاب ، في حين أن معناها في العربية ، قد تعدد فأصبح مقصورا على نوع واحد من الذهاب ، وهو ( اغلاك ) . وقد أدنى مثل هذا التطور إلى الترادف بين الموت والهلاك<sup>(١٢١)</sup> .

(٤) ومن عوامل كثرة الترادف في العربية كذلك : الاستعارة من اللغات الأجنبية ، التي كانت تجاور العربية في الجاهلية و صدر الإسلام . وبين الكلمات المترادفة التي رويت لنا ، الكثير من الألفاظ المستعارة من الفارسية وغيرها ، كالدَّمَقْس والإسْتَبْرَق للمحير ، والزَّرْحُول والإِسْفِط والبادق والذَّرياق للخمير ، واليَهْرَج للباطل ، والبَحْت للحد والحظ ، والخَل للموت ، والدَسْت للمصحر ، واليَم للمحرم ، وغير ذلك . ومثل ذلك كلمة : « دَسْتَشَار » من أسماء العسل ، فإنها كما قال ابن منظور : « كلمة فارسية . معناها : ما عصرتة الأيدي . ومنه قول الحجاج في كتابه إلى بعض عماله بفارس : ابعت إليَّ بعسل خَلَّار » من التحل الأبيكار ، من الدسْتَشَار ، الذي لم تمسه النار<sup>(١٢٢)</sup> .

والمستول عن دخول هذه الألفاظ إلى العربية ، واستخدامها إلى جانب الألفاظ الأصلية في اللغة ، هم الشعراء أمثال الأعشى وغيره ؛ فقد ذكر أبو حاتم أن رؤبة بن العجاج ، والفصحاء كالأعشى وغيره ، ربما استعاروا الكلمة من كلام العجم للقافية المستطرفة ، ولا يصرفونه

(١٢١) في نسخة أخرى : هلك

(١٢٢) نسخة أخرى : دَسْتَشَار

ولا يشترطون منه الأفعال ، ولا يرمون بالأصلي ، ويستعملون  
الاستطاف (١٢٣) .

وقد أثرى عامل الافتراض من اللغات الأجنبية ، لغة كالإنجليزية ،  
المترادفات اللغوية إثراء عظيما ؛ يقول أولمان : « واللغة الإنجليزية لغة غنية  
بصفة خاصة ، بالمترادفات أو أشباه المترادفات ، يتعبّر أدق ، فهي قد  
فتحت الباب على مصراعيه ، للاقتراض من اللغة اللاتينية ، وما تفرع عنها  
من لغات . وقد عملت بذلك على إثراء مصادر الترادف فيها ، إثراء واسعا ،  
واكتسبت ألوانا من المعاني الدقيقة ، والدلالات المختلفة ، كما ظفرت بتنوع  
في التعبير » إلى درجة لم تصل إليها أية لغة أوربية أخرى (١٢٤) .

هذه هي بعض العوامل ، التي أدت إلى كثرة الألفاظ المترادفة ، في  
المعاجم العربية ، ومؤلفات اللغويين العرب ، ولا يعنى بقدرنا لها هنا ،  
أن اللغة العربية تخلو من المترادفات ؛ إذ « يجمع المحدثون من علماء  
اللغات ، على إمكان وقوع الترادف ، في أي لغة من لغات البشر ، بل  
إن الواقع المشاهد ، أن كل لغة تشتمل على بعض هذه الكلمات  
المترادفة (١٢٥) » .

غير أن هؤلاء العلماء يشترطون شروطا معينة ، إذا تحققت أمكننا  
القول بأن بين الكلمتين ترادفا . وفيما يلي تلخيص أهم هذه الشروط (١٢٦) :

(١) - الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما ، فإذا تبين لنا  
بدليل قوي ، أن العربي كان يفهم حقا من كلمة : ( جلس ) شيئا ،  
لا يستفيده من كلمة : ( قعد ) ، قلنا حينئذ : ليس بينهما ترادف .

(٢) - الاتحاد في البيئة اللغوية . ولم يفتن المغالون في الترادف إلى مثل

(١٢٣) العرب - لحياتني ٩ .

(١٢٤) دور الكلمة في اللغة . ١٠٠ .

(١٢٥) في اللهجات العربية ١٧٨ .

(١٢٦) انظر ، في بعض هذه الشروط ، في اللهجات العربية ١٧٨ - ١٧٩ .



هذا الشرط ؛ بل عدّوا كل اللهجات وحدة متساوية ، وعدّوا كل الحرية العربية بيعة واحدة ، ولكما عدّ اللغة المشتركة ، أو الفصحى الأدبية ، بيعة واحدة ، وعدّ كل لهجة أو مجموعة مسجمة من اللهجات ، بيعة واحدة .

(٣) - الاتحاد في العصر : فالتحشون حين ينظرون إلى المترادفات ، ينظرون إليها في عهد خاص وزمن معين ، فإذا بحثا عن الترادف ، يجب ألا نلتبس في شعر شاعر من الجاهليين ، ثم نقيس كلماته بكلمات وردت في نقش قديم ، يرجع إلى العهود المسيحية مثلا .

(٤) - ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي آخر ، فحين نقارن بين : ( الحُثْل ) و ( الحَقْل ) بمعنى : الثمل ، نلاحظ أن إحدى الكلمتين ، يمكن أن تعدّ أصلا ، والأخرى تطور لها .

على أية حال ، وكيفما كان نشوء هذا القدر الكبير ، من المترادفات في اللغة العربية ، فقد أفادت هذه الظاهرة في « التوسع في سلوك طرق الفصاحة ، وأساليب البلاغة في النظم والنثر » ، وذلك لأن اللفظ الواحد ، قد يتأثّر باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية ، والتجنيس والترصيع ، وغير ذلك من أصناف البديع ، ولا يتأثّر ذلك إلا باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ (٥٧) .

ويرى ابن يعيش (٥٨) ، أن الترادف يحسن « للحاجة إلى التوسع بالألفاظ ، ألا ترى أن الساجع أو الشاعر ، لو افتقر إلى استعمال معنى : ( قعد ) مع قافية سبية ، لاستعمل معنى : ( جلس ) ، ولو لم يستعمل في هذا إلا ( قعد ) ، لضاق المذهب ، ولم يوجد من التوسع ، ما وجد بوجوده » .

كما أمكن بهذه المترادفات « أن يأتي الشاعر بالاسمين المختلفين

(٥٧) المذهب في علوم اللغة ٢٠٦

(٥٨) شرح المعاني ٩٦

ويستعملون

لغة كالإنجليزية ،

الإنجليزية لغة غنية

ر أدق ، فهي قد

وما تفرغ عنها

لها ، إثراء واسعاً ،

كما ظهرت بتنوع

١٢٣

للفاظ المترادفة ، في

تقدنا لها هنا ،

محدثون من علماء

لغات البشر ، بل

هذه الكلمات

إذا تحققت أمكننا

هذه الشروط (٥٦) :

لما ، فإذا تبين لنا

( جلس ) شيئاً ،

سبهما ترادف .

في الترادف إلى مثل

للمعنى الواحد ، في مكان واحد ، تأكيداً ومبالغة ، كقول الحطيئة :  
 ألا حبذا هند وأرض بها هند  
 وهند أتى من دونها الثاني والثالث (٢٩) »

بل لقد حفظ لنا التاريخ أن « واصل بن عطاء » زعيم المعتزلة ، كان  
 ألغى في صوت الراء ، فلم يحفظ عنه أنه نطق بهذا الصوت ، ولولا المترادفات  
 تعبته على قصده ، لما استطاع ذلك . ومن أمثلة ذلك ، ما يروى عنه من أنه  
 « لما قال بشار بالرجعة ، وتتابع على واصل ما يشهده بإلحاده ، قال  
 واصل : أما لهذا الأعمى الملحد ، أما لهذا المشتف المكنى بأبي معاذ  
 من يقتله ؟ أما والله ، لولا أن الغيلة سحبة من سجايا الغالية ، لدست  
 إليه من يبعج بطنه في جوف منزله أو في حفله ، ثم لا يتولى ذلك إلا  
 عُقيلي أو سُدوسي . فقال : أبو معاذ ، ولم يقل : بشار . وقال :  
 المشتف ، ولم يقل : المرعث ، وكان بشار يبرز بالمرعث . وقال : من سجايا  
 الغالية ، ولم يقل : الرافضة . وقال : في منزله ، ولم يقل : في داره وقال :  
 يبعج ، ولم يقل : يثقر . كل ذلك تخلصاً من الراء (٣٠) »

\*\*\*

### ثانياً : الاشتراك اللفظي

عرف الأصوليون اللفظ المشترك بأنه « اللفظ الواحد الدال  
 على معنيين مختلفين فأكثر ، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة (٣١) » .  
 وكما وقع الخلاف بين اللغويين ، حول وجود المترادف في اللغة ،  
 فأنكروا بعضهم ، نجد الأمر نفسه يتكرر هنا كذلك ، فهذا  
 « ابن درستويه » ، الذي عرفناه من قبل ، معارضاً في وجود المترادف

(٢٩) انظر : المزمع في علوم اللغة ١/٦٠٦ وديوان الحطيئة في ٢/٢٨ من ٤٠ وانظر للمترادف وأثره في  
 تركيز الكلام - البرهان للزركشي ٤٧٢/٢

(٣٠) انظر : معجم الأدباء لياقوت ٢٥٥/١٩ والبيان والبيان للمصنف ٢٦/٩ والكامل للمصنف ١٣٠/٣  
 (٣١) المزمع في علوم اللغة ٣/٩٩

في اللغة الواحدة ، يذكر كذلك أن يكون اللفظ : ( واحد ) من المعاني المختلفة ، ما رواه اللغويون فيه ، وهي : العتور على الشيء ، والعصب ، والعشق ؛ ويقول في شرح قصص ثعلب : « فطن من لم يتأمل المعاني » ولم يتحقق الحقائق ، أن هذا اللفظ واحد ، قد جاء لمعان مختلفة ، وإنما هذه المعاني كلها شيء واحد ، وهو إصابة الشيء خيراً كان أو شراً<sup>(٥٢)</sup> .

كما يقول أيضاً : « فإذا اتفق البناءان في الكلمة والحروف ، ثم جاءا لمعنيين مختلفين ، لم يكن بد من رجوعهما إلى معنى واحد ، يشتركان فيه ، فيصيران متفقين اللفظ والمعنى<sup>(٥٣)</sup> » .

وقد وضع ابن درستويه هذه هنا كذلك ، على الأسباب التي تدعو إلى نشوء المشترك اللفظي في اللغة ، حين قال : « فلو جاز وضع لفظ واحد ، للدلالة على معنيين مختلفين ، لما كان ذلك إبانة ، بل نعمة وتغطية ، ولكن قد يحىء الشيء النادر من هذا لعل ... وإنما يحىء ذلك في لغتين متباينتين ، أو لحذف واختصار قد وقع في الكلام ، حتى اشتبه اللفظان ، وخفى ذلك على السامع ، وتأول فيه الخطأ<sup>(٥٤)</sup> » .

والى مثل هذا الذي فطن إليه ابن درستويه ، يبادى أبو على الفارسي ، بأن « اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، ينبغي ألا يكون قصداً في الوضع ، ولا أصلاً ، ولكنه من لغات تداخلت ، أو أن تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ، ثم تستعار لشيء ، فتكثر وتغلب ، فتصير بمنزلة الأصل<sup>(٥٥)</sup> » .

وفي ضوء هذا الذي ذكره أبو على الفارسي ، ينبغي أن ننظر إلى المعاني الكثيرة المختلفة ، التي تذكرها المعاجم العربية ، هذا اللفظ أو

(٥٢) تصحيح القصص لابن درستويه ٣٦٤/١ منه في الزهر ٣٨٤/١ .

(٥٣) تصحيح القصص لابن درستويه ٢٤٠/١ .

(٥٤) الزهر ٣٨٤/١ ونظر النص الأصلي في تصحيح القصص لابن درستويه ١٦٦-١٦٧ .

(٥٥) المختصر ٢٥٩/١٣ وهو النص في شرح التكملة في التوكي ٦٧ لا لغة .

ذاك ، ككلمة « العجوز » التي روى لها صاحب القاموس ، أكثر من سبعين معنى ، وهي : « الإبرة ، والأرض ، والأزب ، والأسد ، والألف من كل شيء ، والبحر ، والبطل ، والبقرة ، والتاجر ، والثرس ، والثوبة ، والثور ، والجامع ، والحجة ، والجفنة ، والجوع ، وجهنم ، والحرب ، والحربة ، والحصى ، والخلافة ، والخمر ، والحبسة ، ودارة الشمس ، والداهية ، والدرع للمرأة ، والدنيا ، والدثب ، والدثبة ، والراية ، والرحم ، والرعدة ، والرمكة ، ورملة معروفة ، والسفينة ، والسماء ، والسنن ، والسقوم ، والسنة ، وشجر معروف ، والشمس ، والشيخ ، والشيخة ، والصحيفة ، والصنجة ، والصومعة ، وضرب من الطيب ، والضيع ، والطريق ، وطعام يتخذ من نبات بحري ، والعاجز ، والعافية ، وعانة الوحش ، والعقرب ، والفرس ، والفضة ، والقبلة ، والقدر ، والقرية ، والقوس ، والقيام ، والكتيبة ، والكعبة ، والكلب ، والمرأة شابة كانت أو عجوزا ، والمسافر ، والمسك ، ومسمار في قبضة السيف ، والملك ، ومناصب القدر ، والنار ، والناقة ، والنحلة ، ونصل السيف ، والولاية ، واليد اليمنى (٥٦) » .

ويمكننا أن نلخص عوامل نشأة المشترك اللفظي في العربية عموما ، فيما يلي :

١ - الاستعمال المجازي : فمثلا كلمة : « العين » ، يدل في الأصل على عضو الإبصار في الإنسان والحيوان ، بدليل مقارنة اللغات السامية المختلفة ، وهي من الأسماء القديمة فيها . أما العربية ففيها زيادة على هذا المعنى : الإصابة بالعين ، وضرب الرجل في عينه ، والمعابة ، وهذه كلها اشتقاقات فعلية من لفظ « العين » بمعناها القديم . ومن معانيها كذلك : « المال الحاضر » ؛ لأنه يُعَيْن كذلك ، بعكس المال الغائب ، الذي لا تراه العين . ومن معانيها : « الجاسوس » و« ريشة الجيش » وهو

الذى ينظر لهم ؛ وهذا على التشبيه والمبالغة ، فكأن الحاسوس والريشة ، قد تحولتا إلى عين كبيرة ؛ لأن العين أهم أعضائهما في عملهما . ومن المعاني كذلك : « خيار الشيء » و « السيد » و « سنام الإبل » ، وهذه الثلاثة يجمعها « بالعين » قيمتها بالنسبة إلى سائر الجسد ، على التشبيه بها في المكانة والمنزلة . ومن المعاني أيضا : « الدينار » و « عين الركبة » وهى نقرة في مقدمتها ، و « عين الشمس » و « عين الماء » ؛ وهذه كلها على التشبيه بالعين في الاستدارة ، أو سيلان الدمع منها . وبقي من معاني « العين » في العربية : « الأعوجاج في الميزان » و « ما عن يمين قبة أهل العراق » و « السحابة التى تنشأ من ناحية قبة أهل العراق » و « مطر أيام كثيرة لا يقلع » و « طائر » و « ذات الشيء » ؛ وهذه كلها معان ، لا يتضح لنا الآن علاقتها بالعين المبصرة ، وما نظن إلا أن هذه الصلة ، كانت موجودة في أذهان العرب الأوائل ، الذين أطلقوا لفظ : « العين » عليها (٥٧) .

وقد لعب الاستعمال المجازى ، دوره كذلك ، في نشوء المشترك اللفظى ، في غير العربية من اللغات الأخرى ؛ يقول « أولمان » في مثال ذلك من الإنجليزية : « فالاستعارة مثلا كما في نحو : crane وظيفتها إلحاق مدلول جديد بمدلول قديم ، عن طريق العلاقة المباشرة بين المدلولين ، غير أن السمات المشتركة فقط ، هى التى يدركها المتكلم ، حين يتم الانتقال من المعنى القديم ، إلى المعنى الجديد . والمعتاد أن يعيش المعنى القديم ، جنبا إلى جنب مع المعنى الجديد ؛ فالطير المسمى : crane ( وهو طير الكركى ) ، سوف يظل يُدعى بهذا الاسم ، بالرغم من أن اللفظ نفسه ، قد أطلق على تلك الآلة المعهودة التى تستعمل في رفع الأحمال الثقيلة (٥٨) » .

(٥٧) انظر كذلك : المرمر في علوم اللغة ٣٧٢/١ ٣٧٥ وإصلاح المنطق ٥٥ ، و«التأثير على أى العميل» ٨ وشرح النصيب الموكى ١٩٠ والمصحح ، لكراخ ٢٢ ٣٣ وبصائر دوى الخيم ٤/٢ ٥

(٥٨) دور الكلمة في اللغة ١٩٧

وعلى كل ، فمن الملاحظ عند علماء اللغة المحدثين ، أن المعاني الحسية ، أسبق في الوجود من المعنويات ، وأن المعنويات فرع عن الحسيات بطريق المجاز ، غير أن أصحاب المعاجم العربية ، لم يفرقوا بين الحقيقي والمجازي ، في هذه المعاني الكثيرة ، التي جمعوها للكلمات في معاجمهم ، كما رأينا في معاني كلمة : « العجوز » في القاموس المحيط ، من قبل . ولم يهتم من أصحاب المعاجم بهذه الناحية ، وهي التفرقة بين المعاني الحقيقية والمجازية للكلمات ، سوى الزمخشري في معجمه : « أساس البلاغة » - كما عرفنا من قبل - ولكنه لم يوفق في كل حالة ؛ فقد ضل الطريق ، حين حاول اشتقاق معنى حسي من آخر معنوي ، مع أن الذي أجمع عليه المحدثون من علماء اللغات ، هو أن المعاني الحسية ، أسبق في الوجود ، وأجدر بأن تعد المعاني الحقيقية ، وغيرها فروع لها عن طريق المجاز (٥٩) .

ولعل السبب في غموض العلاقة ، بين بعض معاني المشترك اللفظي ، أنها قد تكون مرتبطة بأشياء تاريخية ، أدت إلى نشوء هذه المعاني البعيدة للكلمة ، كالاعوجاج في الميزان وما شابه من معاني « العين » في المثال السابق .

ويضرب « أولمان » مثالا مشابها ؛ فيقول : « كيف اكتسبت الكلمة : collation أى : الموازنة والمراجعة التفصيلية ، مثلا ، معنى : الأكلة الخفيفة ؟ من البديهي أنه ليست هناك مشابهة بين المعنيين ، بل إن احتمال وجود أية صلة بينهما ، احتمال يبدو بعيداً أول الأمر . ولكن التاريخ يمدنا بما يقسر هذه الحالة . لقد كانت العادة في بعض الأديرة ، أن يتناول الرهبان طعاما خفيفا ، بعد فراغهم من قراءة سير الرؤاد الأوائل ، من رجال الدين ، ومراجعة هذه السير ، فكان هذا الارتباط العرضي ، كافيا لأن يتحرف بالكلمة ، ويقودها إلى هذا التطور في المعنى (٦٠) »

(٥٩) في اللهجات العربية ١١٩ والنظر كذلك : دور الكلمة في اللغة ١٩١

(٦٠) دور الكلمة في اللغة ١٧٤

ومن أمثلة تلك العلاقات العامة بين المعاني ، التي يفهمها التاريخ في اللغة العربية ، كلمة : « التقاوى » المستخدمة في الريف المصري ، بمعنى : « البذور » ؛ فهناك من يذهب إلى أن هذا الاستخدام يرجع إلى عهد رأس الأسرة العلوية ، التي كانت تحكم مصر ، وهو محمد علي الكبير ؛ ذلك أنه كان يُعطى الفلاحون من أهراء السلطان ، وحازن الولاية ، ما يعينهم على الزرع ، من البذور . وكان ذلك يخرج من الديوان ، ويكتب في كتب الأعطية : يعطى فلان كذا كيلجة أو إردبا تقوية له ، فلما كثر قرن عطاء البذر بالتقوية ، غلبت التقوية على البذر ، فكان إذا قيل : أخذت التقوية ، فإنما يعني : أخذ البذر ، وجمع التقوية على : التقاوى ، وغلب هذا اللفظ : التقاوى ، على البذور<sup>(٦١)</sup> .

ويبدو أن استعمال الكلمة ، بهذا المعنى في مصر ، ترجع إلى فترة أقدم من عهد محمد علي ؛ فقد عثرت عليها في كتاب : « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » للمقدسي ، أحد علماء القرن الرابع الهجري ؛ يقول في حديثه عن دخل إقليم مصر : « يعبد الفلاح إلى الأرض ، فيأخذها من السلطان ويزرعها ، فإذا حصد ودرس وجمع ، رشت بالعرام وتركت . ثم يخرج الحازن وأمين السلطان ، فيقطعون كرى الأرض ، ويعطى ما بقي للفلاح . وفيهم من يأخذ من السلطان تقوية ، فيزاد عليه في كرى الأرض ، بقدر ما اقتطعها<sup>(٦٢)</sup> » .

٢ - اللهجات : فبعض هذه المعاني المجازية ، التي روت لنا في بعض الكلمات ، لُصِّت بال تأكيد في بيئات مختلفة ، غير أن اللغويين لم يوضحوا لنا ، إلا في التادر ، بيئة هذا المعنى أو ذاك . ومن العبد أن يظن المرء أن هذه المعاني الكثيرة لكلمة : « العجور » السابقة ، كانت تستخدم في العربية في بيئة واحدة . غير أننا لا نعدم إشارة هنا وهناك في كتب اللغة ، إلى القبائل التي كانت تطلق الكلمة ، على هذا المعنى أو

(٦١) انظر : لغويات ، للشيخ محمد علي الحارثي ، ص ٨٥ .

(٦٢) أحسن التقاسيم ، ص ٢١٢ . انظر كتاب : شرح لغة ولفظ العرب ، ص ٣٥٩ - ٣٥٨ .



ذلك ؛ فقد روى لنا أبو زيد مثلاً ، أن قبيلة : « تميم » كانت تطلق كلمة :  
« الألفت » على الأعسر ، وهو الذي يعمل بيده اليسرى ، كأن فيه التفاتاً  
من اليمنى إلى اليسرى . أما قبيلة « قيس » ، فكانت تطلق هذه الكلمة على  
الأحمق<sup>(٦٣)</sup> . ولعلها كانت تلحظ فيه التفاتاً من الكيس إلى الحمق !

كما تطلق عامة العرب على الذئب : « السرحان » و « السيد » ،  
وهاتان الكلمتان تطلقان عند هذيل على : « الأسد »<sup>(٦٤)</sup> .

وكذلك روى لنا الأصمعي ، أن عامة العرب ، كانت تطلق :  
« السليط » على الزيت . أما أهل اليمن ، فكانوا يطلقونه على دهن السمسم  
فقط<sup>(٦٥)</sup> . وهذا من تخصيص العام في دلالة اللفظ ، وهو طريق من طرق  
تطور الدلالة ، في اللغات المختلفة<sup>(٦٦)</sup> .

وقد وضع ابن السراج يده ، على هذا العامل ، من عوامل نشوء  
المشترك اللفظي في اللغة ، فقال : « الذي يوجه النظر ، على واضع كل  
لغة ، أن يخص كل معنى بلفظ ؛ لأن الأسماء إنما جعلت لتدل على المعاني ،  
فحقها أن تختلف ، باختلاف المعاني ، ومحال أن يصطلح أهل اللغة ،  
على ما يلبس دون ما يوضح . وهذا ادعاء من ادعى ، أنه ليس في لغة  
العرب لفظتان متفقتان في الحروف ، إلا لمعنى واحد ، لكنه أغفل أن الحق  
أو القبيلة ، ربما انقرض القوم منهم بلغة ، ليس سائر العرب عليها ، فيوافق  
اللفظ في لغة قوم ، وهم يريدون معنى ، لفظ آخر من لغة آخرين ، وهم  
يريدون معنى آخر . ثم ربما اختلطت اللغات ، فاستعمل هؤلاء لغة هؤلاء ،  
وهؤلاء لغة هؤلاء . فأصل اللغة قد وضعت على بيان وإخلاص ، لكل  
معنى لفظ ينقرد به ، إلا أنه دخل اللبس ، من حيث لم يقصد<sup>(٦٧)</sup> » .

(٦٣) انظر : المزمع في علوم اللغة ٣٨١/١

(٦٤) المنجد ، لكراع القل ٦٣

(٦٥) المزمع في علوم اللغة ٣٨١/١

(٦٦) انظر مقالنا : التطور اللغوي وقوته ٦٧٨ - ٦٧٩ - دلالة الألفاظ ١٤٨

(٦٧) الاشتقاق لابن السراج ٣٣

## ٢ - اقتراض الألفاظ من اللغات المختلفة : إذ ربما كانت اللفظة

المقترضة ، تشبه في لفظها كلمة عربية ، لكنها ذات دلالة مختلفة ، كما لو تصورنا أن العربية ، استعارت من الألمانية ، كلمة ( Kalb ) ( كلب ) بمعنى : « عجل » ، فتصح كلمة : « كلب » في العربية ، من كلمات المشترك اللفظي ، تدل على الكلب الذي نعرفه ، وعلى : العجل .

وقد حدث مثل هذا في العربية القديمة : ففيها أن : « السُّكَّر نقيض الصحو » ، وفيها أيضا أن « كل شق سُدَّ ، فقد سُكِر ، والسُّكَّر سُدَّ الشَّق » (٦٨) ، والمعنى الأول عرق ، أما الثاني فهو معرب من الآرامية : *sakkar* . وقد قطن إلى هذا : شهاب الدين الحفاجي ، حين قال : « لا يضر المعرب كونه موافقا للفظ عرق ، كسُّكَّر ، فإنه معرب ، وإن كان عرق المادة ، بمعنى : أغلق : قال الله تعالى : سَكَّرْتُ أَبْصَارَنَا » (٦٩) .

وفي العربية الفصحى كذلك : « الحُبَّ بمعنى : الوداد ، وهو حُبَّ الشيء » ، وفيها كذلك : « الحُبَّ : الحِجْرَة التي يُجعل فيها الماء » (٧٠) . والمعنى الأول عرق أصيل ، أما الثاني ، فهو فيها مستعار من الفارسية ، لكلمة مماثلة تماما للفظ العرق (٧١) .

وفي العربية كذلك : « السُّور : حائط المدينة ، والسُّور الضيافة » (٧٢) . والمعنى الأول عرق ، أما الثاني فهو لكلمة فارسية ، شرفها النبي ﷺ ( كما قال صاحب القاموس ) حين تطلق بها ، في قوله عليه الصلاة والسلام : « يا أهل الخندق : قوموا فقد صنع جابر سورا » . قال أبو العباس ثعلب : إنما يراد من هذا ، أن النبي ﷺ تكلم بالفارسية .

(٦٨) ساد لغت ( سكر ) ٢٠٦ .

(٦٩) شهاب العليل ٨ .

(٧٠) النظر : القاموس المحيط ١ ج ١ ، ٥١١ و شهاب العليل ٦٨ .

(٧١) انظر المعرب للمعاليقي ٢٠ .

(٧٢) القاموس المحيط ١ سور ٢٣٢ .

صنع سورا ، أى طعاماً دعا إليه الناس (١٧٣) .

٤ - التطور اللغوى : فقد تكون هناك كلمتان ، كانتا فى الأصل مختلفتى الصورة والمعنى ، ثم حدث تطور فى بعض أصوات إحداها ، فاتفقت لذلك مع الأخرى فى أصواتها . وهكذا أصبحت الصورة التى اتحدت أخيراً ، مختلفة المعنى ، أى صارت لفظة واحدة ، مشتركة بين معنيين أو أكثر .

مثال ذلك ما روى لنا ، من أن « مرذ » : أقدم وعنا ، ومرذ الخير : كَيْفَ بالماء (١٧٤) . وأصل الكلمة بالمعنى الثانى هو : « مَرث » ؛ ففى المعاجم : « مرث الشئ فى الماء : أنقع فيه حتى صار مثل الحساء » ؛ فقد أبدل صوت التاء هنا ثاء ، فصارت الكلمة : « مَرث » ، وهذه رواية لنا كذلك (١٧٥) ، ثم جهرت التاء لمجاورتها للمراء ، فصارت : « مَرَذ » ، وبذلك ماثلت كلمة : « مرذ » بمعنى : أقدم وعنا .

ومثال ذلك أيضاً ما فى المعاجم ، من قولها : « القَرْوَة : جلدة الرأس والغنى (١٧٦) » . وأصل الكلمة بالمعنى الثانى ، هو : « الثروة » ، أبدلت التاء فاء ، على طريقة العربية ، فى مثل : « جدت » و « جدفت » و « حثالة » و « حفالة » وما أشبه ذلك .

ومثال ذلك أيضاً ، من أن : دَعَمَ الشئ : قَوَاه ، ودَعَمَهُ : دفعه وطعنه ورماه بشئ (١٧٧) . وأصل الكلمة بالمعنى الثانى ، هو : « دَحَم » (١٧٨) بالحاء ؛ فقد تطورت هذه الحاء ، وجهرت ؛ بسبب مجاورتها للذال المجهورة ، فقلبت إلى نظيرها المجهور ، وهو العين ؛ فصارت : « دَعِم » ،

(١٧٣) العرب للمصنف ١٩٢

(١٧٤) القاموس المحيط ( مرذ ) ٣٣٧/١ واللسان ( مرذ ) ٧/٤ - ٥

(١٧٥) انظر : الإبدال لأبى الطيب ١٥٩/١

(١٧٦) القاموس المحيط ( قررة ) ٣٧٢/٤ والثاقب : عن أبى العميل ٨

(١٧٧) انظر : القاموس المحيط ( دعم ) ١١٢/٤ واللسان ( دعم ) ٩٢/١٥

(١٧٨) انظر : الإبدال ، لأبى الطيب ٢٩٤/١

والتيست لذلك بكلمة : « دعم » ، بمعنى : قوى ، فشأ الاشتراك اللفظي في هذه الكلمة .

ومن الأمثلة كذلك ، ما رويته المعاجم ، من أن « حنك الغراب » هو باطن أعلى القدم من داخل ، و « حنك الغراب » هو شدة سواده<sup>(٧٩)</sup> ، فإنه مما لا شك فيه ، أن « الحنك » بالمعنى الثاني ، متطورة عن : « الحنك » بمعنى : شدة السواد ؛ فليت فيها اللام نوتا ، كما أبدلت في مثل : إسماعيل وإسماعيلين ، وإسرائيل وإسرائيلين ، وجبريل وجبريلين ، وغير ذلك<sup>(٨٠)</sup> .

ويحدثنا « أولمان » عن أثر التطور اللغوي ، في نشوء بعض المشترك اللفظي ، في الإنجليزية ، فيقول : « والمشارك اللفظي ينشأ من اتفاق كلمتين مستقلتين ، أو أكثر في الصيغة ، اتفاقا بطريق الصدفة . وعلى هذا ليس هناك أقل من أربع كلمات تمثلها الصيغة : sound في اللغة الإنجليزية ، فهذه الكلمات الأربع ، بعد أن اشتقت من أصول مختلفة ، أخذت تتقارب بعضها من بعض في الصيغة ، حتى اتحدت وتماثلت ؛ فالكلمة : sound بمعنى : healthy ( صحيح البدن ) ، كلمة جرمانية قديمة ، وهناك ما يقابلها بالفعل في تلك اللغة ، وهي الكلمة : Gesund التي لا تزال تؤدي المعنى نفسه . أما sound بمعنى : ( صوت ) ، فإنها ترجع إلى الكلمة الفرنسية : son وما العنصر : ( d ) إلا تطور متأخر الحدوث . و sound بمعنى : ( سِر الغُور ) امتداد للفعل الفرنسي : sonder . وربما تكون هناك علاقة تاريخية ، بين هذه الكلمة الفرنسية ، والكلمة : sound الرابعة ، التي تعني : ( مضيق الماء ) ، والتي توجد في لغات جرمانية متعددة<sup>(٨١)</sup> . »

(٧٩) انظر القاموس المحيط ( ٣٠٠/٣ ) والسجد ، لكراع المال ٤٠

(٨٠) انظر : الإنداد ، لأبي الطيب ٤٠٢/٣

(٨١) انظر : دور الكلمة في اللغة ١٢٧

تأ في الأصل  
أش إحداهما ،  
الصورة التي  
مشتركة بين

وغيره الخبير :

فرت : فقى

للحساء :

، وهذه رويت

فرت :

لفرقة : جلدة

، الثروة :

و ( جلد )

ودعته : دفعه

« دعم ( ٧٨ ) »

مجاورتها للدال

، دعم :

عدة هي بعض الأمثلة ، التي تدل على ما يذهب إليه المحدثون ، من  
الاشتراك اللفظي في اللغة ، قد ينشأ من تطور صوتي في بعض  
الكلمات

\*\*\*

والاشتراك اللفظي ، لا وجود له في واقع الأمر ، إلا في معجم لغة  
من اللغات ، أما في نصوص هذه اللغة واستعمالاتها ، فلا وجود إلا لمعنى  
واحد ، من معاني هذا المشترك اللفظي . وفي ذلك يقول أولمان : « كثير  
من كلماتنا له أكثر من معنى ، غير أن المؤلف هو استعمال معنى واحد  
فقط ، من هذه المعاني في السياق المعين ؛ فالفعل : ( أدرك ) مثلا ، إذا  
انزع من مكانه في النظم ، يصبح غامضا غير محدد المعنى ، هل معناه :  
( لحق به ) أو ( عاصره ) ، أو أنه يعنى : ( رأى ) أو ( بلغ الخُلم ) ؟  
إنه التركيب الحقيقي المتطوق بالفعل ، هو وحده الذي يمكنه أن يجيب عن  
هذا السؤال ؛ فإذا تصادف أن اتفقت كلمتان أو أكثر ، في أصواتها اتفاقا  
تاما ، فإن مثل هذه الكلمات ، لا يكون لها معنى البتة ، دون السياق  
الذي تقع فيه (١٨٢) » .

وإلى مثل هذا أيضا ، يذهب قدريس ؛ فيقول : « إننا حينما نقول  
بأن لإحدى الكلمات ، أكثر من معنى واحد ( homonymie ) في وقت  
واحد ، نكون ضحايا الالتداع إلى حد ما ؛ إذ لا يطفو في الشعور  
من المعاني المختلفة ، التي تدل عليها إحدى الكلمات ، إلا المعنى الذي  
يعنيه سياق النص ، أما المعاني الأخرى ، فتَمَحَى وتبَدَّد ولا توجد إطلاقا ؛  
فنحن في الحقيقة نستعمل ثلاثة أفعال مختلفة ، عندما نقول : ( الحياط  
يقص الثوب ) أو ( الخبز الذي يقصه الغلام صحيح ) أو ( البدوي خير  
من يقص الأثر ) ، فإننا نستعمل في الواقع ثلاث كلمات ، لا يربطها  
بعضها بعض أي رباط ، لا في ذهن المتكلم ، ولا في ذهن السامع .

« وربما رأى الشخص ، الذى يشمل اللغة بأسرها ، فى تطورها  
 واتساعها ، نقطة واحدة ، أن ( الريشة ) التى من حديد ، جاءت  
 من ريشة الأوزة ، فهى عنده كلمة واحدة ، أخذت دلتان مختلفتين على  
 مرور الزمن ، لذلك يجدد بقاموس يفخر بتبعه لخط سير المعاني ، أن يضع  
 تحت كلمة : ريشة ، معنى الريشة التى من ( حديد ) بعد معنى ريشة  
 ( الأوزة ) . ولكن القارئ الذى يتكلم لغته اليوم ، لا يرى فى هذين  
 الاستعماليين فى الواقع ، إلا كلمتين مختلفتين ، ولا يوجد شخص واحد ،  
 يحاول أن يشكو من الغموض ، عند سماعه جملتين من قبيل : ( يعيش  
 من كد ريشته ) و ( اجث له ريشة ) ، وكل واحد يفهم دون تردد ،  
 أن الكلام فى الجملة الأولى ، عن أحد الكتاب ، وفى الثانية عن أحد  
 الطيور ، فالكلمتان مختلفتان كجميع المشتراك الأخرى . وفى اللغة  
 كلمتان من : ( ريشة ) تقابلان المعنيين السابقين (٨٢) » .

\* \* \*

وقد أدت كثرة المشترك اللفظى فى العربية ، إلى ذبوع ظاهرة  
 « التورية » فيها ، وهى عبارة عن استخدام الألفاظ المشتركة ، فى معان غير  
 متبادرة منها . وكذلك استخدمه بعض الناس ، حيلة للخروج من الميكن  
 المكره عليها ؛ فقد ظن هؤلاء إذا أقسموا بمينا على شيء ، أنهم يرضون  
 ضمائرهم بالقصد إلى معنى ، غير ما يفهمه السامع ، فإذا قال إنسان :  
 والله ما سألت فلانا حاجة قط ، فإنه يقصد فى نفسه من لفظ :  
 « حاجة » ، معنى آخر غير الشائع لهذه اللفظة . و « الحاجة » ضرب  
 من الشجر له شوك . وهذا هو المعنى الغامض ، الذى يقصد إليه الخائف  
 هنا . وقد ألف ابن دريد كتابه : « الملاحن » لهذا الغرض ، وجمع فيه نحو  
 من أربعمئة كلمة ، من كلمات الحيل فى القسم ، من المشترك اللفظى  
 فى العربية (٨٤) .

(٨٢) اللغة الفندريس ٢٢٨

(٨٣) انظر لحن العامة و التطور اللغوى ٧٨

من  
 وفى فى بعض

فى معجم لغة  
 وجود إلا معنى  
 لومان : « كثير  
 مال معنى واحد  
 ك ( مثلا ، إذا  
 هل معناه :  
 بلغ الخلم ) ؟  
 أن يجب عن  
 أصواتها اتفاقا  
 دون السياق

إننا حينما نقول  
 ( hor ) فى وقت  
 فى الشعور  
 لا المعنى الذى  
 توجد إطلاقا ؛  
 ( الحياط  
 البدوى خير  
 لا يربطها  
 السامع

كما أفاد من ظاهرة المشترك اللفظي كذلك ، بعض علماء اللغة ،  
الذين ألفوا في المشجر والمداخل والمسلسل ، كما عرفنا من قبل .

\*\*\*

### ثالثا : التضاد

التضاد : « نوع من العلاقة بين المعاني ، بل ربما كانت أقرب  
إلى الذهن ، من أية علاقة أخرى ، فمجرد ذكر معنى من المعاني ، يدعو  
ضد هذا المعنى إلى الذهن ، ولا سيما بين الألوان ؛ فذكر البياض  
يستحضر في الذهن السواد ، فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي  
المعاني ، فإذا جاز أن تعبر الكلمة الواحدة ، عن معنيين بينهما علاقة ما ،  
فمن باب أولى جواز تعبيرها عن معنيين متضادين ؛ لأن استحضار أحدهما  
في الذهن ، يستتبع عادة استحضار الآخر ؛ فالتضاد فرع من المشترك  
اللفظي (٨٥) » .

ويقول أبو الطيب اللغوي في تعريف الأضداد : « الأضداد جمع  
ضد ، وضد كل شيء ما نأفاه ، نحو : البياض والسواد ، والسخاء  
والبخل ، والشجاعة والجبن . وليس كل ما خالف الشيء ضداً له ؛ ألا ترى  
أن القوة والجهل مختلفان ، وليسا ضدين ، وإنما ضد القوة الضعف ، وضد  
الجهل العلم ، فالاختلاف أعم من التضاد ؛ إذ كان كل متضادين  
مختلفين ؛ وليس كل مختلفين ضدين (٨٦) » .

ومن أنكر الأضداد ، وألف في ذلك كتاباً هو : « ابن درستويه » ،  
الذي عرفناه من قبل ، منكراً للترادف والاشتراك اللفظي ؛ فقد قال  
ابن درستويه في شرح الفصيح : « النوء الارتفاع بمشقة وثقل ، ومنه قيل  
للكوكب : قد ناء إذا طلع ، وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضا ؛

(٨٥) في المصطلحات العربية ٢٠٧

(٨٦) الأضداد لأبي الطيب ١/١



وأنه من الأضداد ، وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك ، في كتابنا في إبطال الأضداد (١٨٧) .

كما روى ابن سيده الأندلسي ، أن أحد شيوخ أبي علي الفارسي ، كان كذلك « ينكر الأضداد التي حكاه أهل اللغة ، وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضده (١٨٨) » .

كما يقول الجواليقي : « المحققون من علماء العربية ، ينكرون الأضداد ، ويدفعونها . قال أبو العباس أحمد بن يحيى ( ثعلب ) : ليس في الكلام ضد . قال : لأنه لو كان فيه ضد ، لكان الكلام محالاً ؛ لأنه لا يكون الأبيض أسود ، ولا الأسود أبيض . وكلام العرب وإن اختلف اللفظ ، فالمعنى يرجع إلى أصل واحد ، فالصارخ المستغيث والصارخ المغيث ؛ لأنه صارخ منهما . . . والقرء الوقت ، فاحتمل أن يكون للحبض والظهر (١٨٩) » .

ويرى ابن دريد أن الأضداد ، لا تكون كذلك إلا في لغة واحدة ؛ إذ يقول : الشعب : الافتراق ، والشعب : الاجتماع ، وليس من الأضداد ، إنما هي لغة لقوم (١٩٠) . « وقد أفاد بهذا » أن شرط الأضداد ، أن يكون استعمال اللفظ في المعنيين ، في لغة واحدة (١٩١) » .

ويذهب أنصار هذا الرأي الأخير ، إلى أن التضاد في المعاني ، ينشأ أولاً في لهجات مختلفة ، ثم تستعير كل لهجة المعنى المستعمل عند الأخرى ، وبذلك يجتمع المعنيان المتضادان في هذه اللهجة ، عن طريق تلك الاستعارة ، ويقولون : « إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال

(١٨٧) المرحوم في علوم اللغة ٣٩٦/٢

(١٨٨) المخصص ٢٥٩/١٣

(١٨٩) شرح أدب الكاتب ٢٥١

(١٩٠) سمهرة اللغة ٢٩١/١ وحفظ اللان ١٨٩/١

(١٩١) المرحوم في علوم اللغة ٣٩٦/٢

أن يكون العرف ، أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحى  
من العرب ، والمعنى الآخر لحى غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض ، فأخذ  
هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء ، قالوا : فالجون الأبيض ، في لغة حتى  
من العرب ، والجون الأسود في لغة حتى آخر ، ثم أخذ أحد القريظين  
من الآخر (٩٢) .

ومن الطبيعي أن الكلمة من كلمات الأضداد ، لم توضع للمعنيين  
المتضادين في أول الأمر ، وإنما وضعت لأحدهما ، ثم جدت عوامل مختلفة ،  
أدت إلى نشأة المعنى الثاني المضاد للمعنى الأول . وقد فطن إلى ذلك بعض  
علماء اللغة ؛ فقالوا : « إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فالأصل  
لمعنى واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع » (٩٣) .

وقد وقف القائل ، على المعاني الأصلية لبعض الكلمات ، فأنكر  
لذلك كونها من الأضداد ، وقال : « الصريم : الصبح ؛ سمي بذلك لأنه  
انصرم عن الليل ، والصريم : الليل ؛ لأنه انصرم عن النهار ، وليس هو عندنا  
ضدًا » (٩٤) ، وقال كذلك : « النطفة : الماء ، تقع على القليل منه  
والكثير ، وليس بضدًا » (٩٥) .

ولم تسلم العربية من هجوم الشعوبيين عليها ، بسبب ما فيها  
من الأضداد (٩٦) ؛ إذ ظن « أهل البدع والزيف والإزراء بالعرب ، أن ذلك

(٩٢) الأضداد لابن الأثير ١١

(٩٣) الأضداد لابن الأثير ٨

(٩٤) أمالي القائل ٣٢٢/٢ ونظر : المهر ٣٩٧/١

(٩٥) أمالي القائل ٢٧/٤ ونظر : المهر ٣٩٧/١

(٩٦) لا وجود لهذه الظاهرة ، فيما أعلم ، في غير اللغة العربية عن اللغات الأخرى ، ولهذا برز  
الشعوبيون ، بعبوة العربية عما فيها من كلمات الأضداد ، لانفرادها بهذه الظاهرة ، وهم لم يتحدثوا عما فيها  
من ترادف وانتم الدلفظي ، نعم لم يشر ؛ لأن لغاتهم الفارسية وغيرها ، لا تخلو من أمثلة لغاتنا الظاهرية .  
وقد حاول الدكتور ؛ يحيى كازم - الحور على بعض أمثلة للتضاد في العربية والسريانية ، وتكلف لذلك عامة  
التكلف ، في كتابه : « التضاد في ضوء اللغات السامية » ؛ فليس في أمثله مثال واحد ، ثبت النقد . وقد  
أحسن هو بذلك ؛ فقال : ص ٤٦ : « وهذه الأمثلة يمكن تأويلها على وجه ، يبرحها من مادة  
الأضداد » !

كان منهم ، اتصال حكمتهم وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس في محاماتهم ،  
وعند اتصال مخاطباتهم<sup>(٩٧)</sup> .

غير أن هذا « رأى باطل » ، لا يرجع إلى حقيقة أو صواب ،  
بل يرجع إلى حقد وضغينة على العرب ، في نفوس هؤلاء الشعوبيين من غير  
العرب ؛ لأن مرة الأمر في مسألة الأضداد في اللغة ، إلى سياق الكلام ،  
وتعلق أوله بآخره ، وإلى قرائن الحال ، التي يكون فيها الناس أثناء  
التخاطب<sup>(٩٨)</sup> .

وما درى هؤلاء أن « كلام العرب يصحح بعضه بعضا ، ويرتبط أوله  
بآخره ، ولا يعرف معنى الخطأ منه ، إلا باستيفائه واستكمال جميع  
حروفه ، فجاء وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ؛ لأنها يتقدمها ، ويأتي  
بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال  
التكلم والإخبار إلا معنى واحد<sup>(٩٩)</sup> » .

غير أننا لا نود أن ننساق وراء المؤلفين في الأضداد ، من اللغويين  
العرب ، فتعد كل ما أتوا به من كلمات هذه الظاهرة صحيحا ، فإننا مثلا  
لا نرى شيئا من التضاد في استعمال كلمة : « الضَّعْف » بمعنى : المثل  
أو المثلي ( ابن الأثير ١٣١ ) ، أو استعمال كلمة : « المثل » بمعنى :  
المماثل أو الضَّعْف ( ابن الأثير ١٣٢ ) ، أو استعمال : « الكأس »  
بمعنى : الإثناء أو المشراب الذي يوضع فيه ( ابن الأثير ١٦٢ ) ،  
أو استعمال : « الأحفاض » بمعنى : الأمتعة أو الإبل التي تحمل هذه  
الأمتعة<sup>(١٠٠)</sup> ( ابن الأثير ١٦٢ ) ، أو استعمال : « الظعينة » بمعنى :

(٩٧) الأضداد لابن الأثير ١ ، القطر : المجلد ١/١٣٧٧

(٩٨) مقدمة الدكتور عروة حسن لتحليل أضداد أبي الفتح اللغوي ٢٠

(٩٩) الأضداد ، لابن الأثير ٧ ، القطر : المجلد ١/١٣٧٧

(١٠٠) وضعها أبو الفتح اللغوي في الأضداد ٧٨٨/٢ ، ٧٧٤/٢ في باب عنوان ١٠ ، ما جاء

مسمى باسم عروة لما كان من شبه ، فأدخله من كان قسما في الأضداد .

على المعنيين لمحي  
بعض ، فأخذ  
في لغة حتى  
أحد الفريقين

وضع للمعنيين  
عوامل مختلفة ،  
إلى ذلك بعض  
فليس ، فالأصل

مات ، فأذكر  
في بذلك لأنه  
ليس هو عندنا  
إلى القليل منه

سبب ما فيها  
بأن ذلك

أخرى ، وهذا يرى  
بمجرد أعضائها  
فإن الظاهر أن  
وتلك تلك غاية  
بست للعدو وقد  
خرجها من باب

المودج أو المرأة في المودج ( ابن الأنباري ١٦٤ ) ، أو استعمال : « الراوية »  
 بمعنى : المرادة أو العير الذي يحملها ( ابن الأنباري ١٦٤ ) ،  
 أو استعمال : « المعصر » للمجارية التي دنت من الحيض عند قيس ،  
 أو التي ولدت أو تعنس عند الأرذ ( ابن الأنباري ٢١٦ ) ، أو استعمال :  
 « طبخ » للطبخ في القدر أو الشوى في الثور ( ابن الأنباري ٢٨٩ )  
 وأبو الطيب ٤٦٢/١ ) . ومثل ذلك كثير في كتب الأضداد ، وبعضه  
 في الحقيقة من باب : المشترك اللفظي ، لا من باب الأضداد .

كما أننا نشترط اتحاد الكلمة ومتعلقاتها في المعنيين ؛ لأن أي تغيير  
 فيها ، أو في متعلقاتها ، يخرجها عن كونها بذاتها تحمل المعنيين المتضادين ،  
 فلا نعدّ لذلك : « ظاهر عنك » بمعنى : زائل ، و « ظاهر عليك »  
 بمعنى : لازم ( ابن الأنباري ٥٦ ) من كلمات الأضداد ، كما أنه ليس  
 من الأضداد كذلك : « راغ على » بمعنى : أقبل ، و « راغ عن » بمعنى :  
 ولّى ( قطرب ٢١٨ وابن الأنباري ١٥٣ وأبو الطيب ٣٢٨/١ ) ، وليس  
 منها : « ترب الرجل » بمعنى : افتقر ، و « أترب » بمعنى : استغنى  
 ( قطرب ٢٦٧ ) . وقد أحسن ابن الأنباري ( ٣٨٠ ) إذ قال : « وهذا  
 عندي ليس من الأضداد ؛ لأنّ ترب يخالف أترب ، فلا يكون ترب  
 من الأضداد ؛ لأنه لا يقع إلا على معنى واحد » . ومثال ذلك أيضا دعوى  
 « قطرب » أن « ثلث » بمعنى : أفسدت وهدمت ، و « أثلث » بمعنى :  
 أصلحت ، من الأضداد ( قطرب ٢٦٨ ) ؛ فقد قال فيه ابن الأنباري  
 ( ٣٨٧ ) : « ليس عندي كما قال قطرب ؛ إذ كان ثلث يخالف أثلث ،  
 فلا يجوز أن يعدّ في الأضداد حرف ، لا يقع إلا على معنى واحد » .

ومن دعاوى قطرب ( ٢٥٥ ) كذلك : « خدّمت » النعل :  
 انقطعت غرونها ، وشسّعها ، و « أخذمت » النعل : أصلحت غرونها  
 وشسّعها .

وقد صرح أبو الطيب اللغوي مرة بأن « شرط الأضداد أن تكون

الكلمة بعينها ، تستعمل في معنيين متضادين ، من غير تغيير يدخل عليها .  
( أبو الطيب ٤٥٥/١ ) وقال مرة أخرى ( ٥٧٨/٢ ) : « ليس هذا عندي  
من الأضداد ؛ لأن شرط الأضداد على ما أصلنا أولاً ، أن تكون الكلمة  
الواحدة ، نسيء عن معنيين متضادين ، من غير تغيير يدخل عليها ،  
ولا اختلاف في تصرفها » .

كما أننا لا نعد من كلمات الأضداد ، ما ترك اللغويون العرب  
الاستشهاد على أحد معنيه ؛ لأنه لم يثبت في كلام العرب أنه يستعمل بهذا  
المعنى ؛ مثل قولهم : إن « قسط » تعني : غذل أو جار ( قطرب ٢٥٩  
 وابن الأنباري ٥٨ وأبو الطيب ٥٩٤/٢ ) ، فالمعنى الأول لا دليل عليه ،  
أما الثاني فقد ورد في قوله تعالى : « وأما القاسطون فكانوا لجهنم  
خطباً » .

كذلك نستبعد من كلمات الأضداد ، تلك التي صحقها اللغويون  
أو حرّفوها ؛ ففي الأضداد لابن الأنباري ( ٦٣ ) : « وقال بعض العرب :  
برّذت من الأضداد ، يقال : برّذ الشيء على المعنى المعروف ، ويقال : برّذ  
الشيء إذا أسخنه ، واحتجوا بقول الشاعر :  
عاقبت الشرّب في الشّفاء فقلّنا  
برّذيه تُصادف فيه سخينا »

ولا شك أن هذا تحريف لعبارة : « بل رديه » ؛ فقد قال  
ابن الأنباري تعليقا على ذلك : « قال أبو بكر : وحكى لي بعض أصحابنا  
عن أبي العباس ، أنه كان يقول في تفسير هذا البيت : بل رديه من الورود ،  
فأدغم اللام في الراء ، فصارتا راء مشددة » ( ابن الأنباري ٦٤ ) .

وقال أبو الطيب ( ٨٦/١ ) في التعليق على البيت : « قال قطرب :  
معنى برّديه في هذا البيت : سخينه<sup>(١)</sup> . وقال أبو حاتم : هذا خطأ ، إنما

الراوية »

( ١٦٤ )

عند قيس ،

استعمال :

أنباري ٢٨٩

اد ، وبعضه

اد

لأن أي تغيير

المتضادين ،

هر عليك »

كما أنه ليس

من بمعنى :

( ٣ ) ، وليس

استغنى

ول هذا

يكون ترب

أيضا دعوى

بمعنى :

ابن الأنباري

لف أثلت ،

واحد » .

العمل :

لحّت غرونها

داد أن تكون

هو : بل رديه ، من الورد ، ولكنه أدغم اللام في الراء ، كما يقرأ : كلاً بل  
 إن على قلوبهم . قال أبو الطيب : وهذا الصحيح ، وبه يستقيم معنى  
 البيت .

ومن التصحيف قول أبي الطيب اللعوى ( ٣٨٣/١ ) : « يقال :  
 أشدّ الليل ، إذا أظلم ، وأشدّ الصبح ، إذا أضاء »<sup>(١١٢)</sup> ، فإنه مما  
 لا شك فيه أن هذا تصحيف للكلمة : « أشدّ » و « السدفة » بمعنى :  
 الظلمة والضوء ( انظر : ابن الأنباري ١١٤ وأبو الطيب ٣٤٦/١ ) .

وبقي بعد هذا مجموعة صالحة من كلمات الأضداد في العربية ،  
 ولا شك في أن الأصل فيها كلها ، دلالتها على معنى واحد ، غير أن هناك  
 عوامل كثيرة ، أدت إلى التضاد فيها .

وفيما يلي عرض لهذه العوامل ، وتطبيقها على بعض كلمات  
 الأضداد ، مع ملاحظة أن التطور في المعنى الأصلي للكلمة ،  
 أو في صورتها على نحو يؤدي إلى التضاد فيها ، قد يحدث في لهجة  
 من اللهجات العربية ، ويروى لنا ذلك على أنه من خصائص تلك  
 اللهجة<sup>(١١٣)</sup> ، وقد تستعيره اللغة المشتركة ، ويعيش فيها جنباً إلى جنب مع  
 المعنى الأصلي ، وحينئذ لا يروى لنا اللغويون شيئاً عن اللهجة ، التي تم فيها  
 مثل هذا التطور ، بل قد يحدث أن تعرب كلمة من الكلمات الأعجمية ،  
 فيخصص معناها عند قبيلة معينة ، ويسير هذا التخصيص في اتجاه مضاد  
 عند قبيلة أخرى ، وأخيراً فمن يدرى لعل بعض الأمثلة قد تم فيها التطور ،  
 في داخل العربية الفصحى نفسها ، بتأثير أحد العوامل التالية :

١ - عموم المعنى الأصلي : قد يكون المعنى الأصلي للكلمة  
 عاماً ، ثم يتخصص هذا المعنى في لهجة من اللهجات ، كما يتخصص

(١٠٢) وانظر كذلك : محاسن نعلب ٢١٤/١ : ٣٥٢/٢

(١٠٣) انظر لبعض كلمات الأضداد في اللهجات العربية القديمة كتاب : « الأضداد في اللغة » محمد

حسين آل ياسين ١٢٤ - ١٢٦



في اتجاه مضاد في لهجة أخرى . ويمكن تطبيق هذا العامل على الكلمات التالية :

( أ ) كلمة : « الذفر » تذكرها كتب الأضداد ، بمعنى : الريح الطيبة ، والريح المشنة ( أبو الطيب ٢٧٧/١ ) . ويقول قطرب ( ٢٦٢ ) : « الذفر : المسك ... ويقال لثن الإبط : الذفر ، فكأنه ضد » . ويبدو أن المعنى الأصلي للكلمة هو : « الريح » وهو أعم من الريح الطيب والخبيث . وقد فطن إلى هذا ابن الأنباري ( ٨٨ ) فقال : « الذفر : جذة الريح في الطيب والثن جميعا » .

( ب ) كلمة : « الطرب » معناها في كتب الأضداد : الفرح والحزن ( ابن الأنباري ١٠٢ ) . والأصل في هذا المعنى : « حفة تصيب الرجل ، لشدة السرور ، أو لشدة الجزع »<sup>١٤</sup> . وقد قال ابن الأنباري : « الطرب ليس هو الفرح ولا الحزن ، وإنما هو حفة تلحق الإنسان ، في وقت فرحه وحزنه » ( ابن الأنباري ١٠٣ ) .

( ج ) المأثم : عدّها أبو حاتم وقطرب من الأضداد ؛ لأنها تدل عندهما على النساء المجتمعات في فرح وسرور ، كما تدل على النساء المجتمعات في غم وحزن ومناحة ( قطرب ٢٧٠ وابن الأنباري ١٠٣ وأبو الطيب ١٨/١ ) . والأصل في ذلك عموم المعنى ، فالمأثم النساء يجتمعن في الخير والشر ( انظر : أدب الكاتب ٢٤ والأضداد لابن الأنباري ١٠٤ والأضداد لأبي الطيب ٢١/١ ) .

( د ) القلت : هذه الكلمة تعني في لغة قبس وتيم وأسد : النقرة الصغيرة في السهل أو الجبل ، وفي الصخرة ونحوها . أما أهل الحجاز ، فيطلقون هذه الكلمة ، على مستنقع ماء في السهل أو في الجبل ، واسع يمكن أن يفرق فيه الفيل ( ابن الأنباري ٤٢٠ وأبو الطيب ٥٨٧/٢ ) . ولا



سُك في أن المعنى الأصلي لهذه الكلمة هو : حفرة الماء ، كبيرة كانت أم صغيرة .

(هـ) السُدفة : يذكر اللغويون أن تميمًا تطلق هذه الكلمة على الظلمة ، ولكن قيسًا تطلقها على الضوء ( ابن الأنباري ١١٤ وأبو الطيب ٣٤٦/١ ) . ومعنى هذه الكلمة في الأصل عام « لأن أصل السُدفة : السَّتر ، فكأن النهار إذا أُقبل ، ستر ضوءه ظلمة الليل ، وكان الليل إذا أُقبل ، سترت ظلمته ضوء النهار » ( ابن الأنباري ٩ والمزهر ٣٨٩/١ ؛ ٤٠١/١ ) .

(و) الصَّريم : تطلق هذه الكلمة على الليل ، كما تطلق على النهار ( قطرب ٢٦٦ وابن الأنباري ٨٤ وأبو الطيب ٤٢٦/١ ) . ويقول أبو حاتم : « الصريم : الليل إذا انصرم من النهار . والصريم : النهار إذا انصرم من الليل ( أبو الطيب ٤٢٦/١ ) . وإذا كان الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل « فأصل المعنيين من باب واحد ، وهو القطع » ( انظر أصداد ابن الأنباري ٨ والمزهر ٤٠١/١ ) .

(ز) الصارخ : معناه في اللغة : المغيث والمستغيث ( قطرب ٢٧٣ وابن الأنباري ٨٠ وأبو الطيب ٤٢٩/١ ) . والمعنى العام في كل من المعنيين هو الصراخ ؛ « لأن المغيث يصرخ بالإغاثة ، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة ، فأصلهما من باب واحد » ( ابن الأنباري ٨ والمزهر ٤٠١/١ ) .

(ح) الجَوْن : معناه الأسود في لغة قضاة ، والأبيض في لغة غيرهم ( قطرب ٢٥٦ وابن الأنباري ١١١ وأبو الطيب ١٥١/١ ) . وهذه الكلمة معربة عن الفارسية ، وهي فيها بمعنى : « اللون » . وقد عربت هذه الكلمة بمعناها الأصلي في كلمة : « زرجون » بمعنى : الحمر ، « وقال السيرافي : زرجون فارسي معرب ، شبه لونها بلون الذهب ؛ لأن ( زَرَّ ) بالفارسية :

الذهب ، و ( حوك ) : اللون ، وهم ثم يعكسوا المصاف والمضاف إليه .  
عن وضع العرب (١٥٥) .

وقد ذهب الدكتور على عبد الواحد واقف ، في هذه الكلمة إلى مثل  
ما ذهبنا إليه ، من أنها معربة من الفارسية ، ثم نقل عن الأب مرموحي  
الدومسكي أن « هذه الكلمة من السريانية : *gawna* ومعناها :  
( اللون ) من باب الإطلاق ، فنقلت إلى العربية بطريق التقييد ، فجاءت  
عند قبيل بدلالة اللون الأبيض ، وعند فريق بقوى اللون الأسود (١٥٦) .

( ط ) الجبر : معناه في العربية : الملك والعبد . وهو في الأصل  
معرب عن الآرامية : *gabra* بمعنى : « رجل » ، وهم أئمة  
من الملك والعبد !

٣ - التفاضل : التفاضل والتشاور من غرائز الإنسان ، التي تسيطر  
على عاداته في التعبير إلى حد كبير ، فإذا شاء المرء التعبير عن معنى سيئ ،  
تشاء من ذكر الكلمة الخاصة به ، وفر منها إلى غيرها ، فجميع الكلمات  
التي تعبر عن الموت والأمراض والمصائب والكوارث ، يفر منها الإنسان ،  
ويكنى عنها بكلمات حسنة المعنى ، قريبة إلى الخير (١٥٧) .

وهذه الظاهرة هي ما يطلق عليه اسم : « اللامساس » أو :  
« الحظر » وهو ترجمة لكلمة : *taboo* ، وتطلق على كل ما هو مقدس ،  
أو ملعون بحرم لسه ، أو الاقتراب منه ، من الأشياء وأسمائها ؛ بسبب  
الاعتقاد الخرافي في سحر الكلمة « فإذا اصطدمت كلمة ما لحظر  
الاستعمال ، تحت تأثير عامل اللامساس ، حلت محلها كلمة أخرى ،  
خالية من فكرة الضرر والأذى . وهذه العادة ليست مقصورة بحال

(١٥٥) لساد العرب ( زرخي ) ٥٧/١٧ ونظر : دراسات في فقه اللغة العربية ، الدكتور السد

يعقوب بكر ١٤٦ - ١٤٧

(١٥٦) انظر : فقه اللغة ، الدكتور على عبد الواحد واقف ١٩٠

(١٥٧) في اللهجات العربية ٢٠٨

من الأحوال على المجتمعات البدائية ؛ فهي معروفة في كل البيئات ، وفي كل أنواع الحضارات بمستوياتها المختلفة . وتحريم استعمال الكلمات بتأثير فكرة اللامساس ، نتيجة طبيعية للخرافات اللغوية ، وأثر من آثار الاعتقاد في سحر الكلمة<sup>(١٠٨)</sup> .

ونحن نعرف في الديانة اليهودية ، أن كلمة : *יהוה* « يهوه » في العبرية ، بمعنى : « الإله » ، ينطقها اليهود : « أذوناي » بمعنى : « سادتي » ؛ بسبب الخوف الذي يسيطر عليهم ، لارتباط الاسم القديم بالكوارث واللعنات ، التي حلت عليهم خلال تاريخهم الطويل<sup>(١٠٩)</sup> .

« وهناك عادات مماثلة ، نلاحظها في المأثورات الشعبية ، لكثير من الأجناس والأمم ؛ ففي بلاد الحجر في العصور الوسطى ، كان الأطفال يسمون أحيانا بأسماء وقائية ، كأن يدعى الواحد منهم « بالموت الصغير » أو « ليس حيا » أو « القذارة » و « الوسخ » ؛ وذلك لصرف الأرواح الشريرة عن هذه المخلوقات ... وعندنا نحن من العادات الخرافية والخرعبلات ، ما يعكس هذه الرهبة العميقة الجذور : رهبة تأثير الكلمة وسحرها العجيب<sup>(١١٠)</sup> .

وهذا هو السر في أننا نقول مثلا : « فلان بعافية » للشخص المريض ؛ تجنبنا للذكر كلمة : المرض ، كما نسعى « الحمى » : « المبروكة » ، ونقول : « يانهار اسوخ » أو : « يانهار اخوس » ، قرارا من ذكر كلمة : « أسود » وغير ذلك .

وعلى هذا النحو ، يمكننا تفسير كلمات الأضداد التالية ، في اللغة العربية :

( أ ) المقازة : معناها في العربية : المنجاة والمهلكة . واشتقاق

(١٠٨) دور الكلمة في اللغة ١٧٧

(١٠٩) انظر - اللغة العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب ٧٥

(١١٠) دور الكلمة في اللغة ١٧٨

الكلمة من : « الفوز » يؤكد أصالة المعنى الأول ، أما إطلاقها على المعنى الثاني ، فهو على سبيل التفاضل . وقد فُطِنَ إلى هذا علماءنا الأقدمون ؛ فقال أبو حاتم السجستاني : « وإنما قيل للعطشان : تاهل ، على سبيل التفاضل ، كما يقال : المفازة ، للمهلكة ، على التفاضل ، ويقال للعطشان : يارتان ، والمملدوغ : سليم ، أي سيسلم ، وسيروى ، ونحو ذلك » ( الأضداد لأبي حاتم ٩٩ ) .

كما قال ابن الأثيري : « واختلف الناس في اعتلال لها : لم سميت مفازة على معنى المهلكة ، وهي مأخوذة من الفوز ؟ قال الأصمعي وأبو عبيد وغيرهما : سميت مفازة على جهة التفاضل لمن دخلها بالفوز ، كما قيل للأسود : أبو البيضاء ، وقيل للعطشان : ريان » ( ابن الأثيري ١٠٥ ) .

(ب) السليم : يطلق في العربية على الصحيح وعلى اللديغ . واشتقاقه من السلامة يؤكد أصالة المعنى الأول . أما إطلاقه على اللديغ ، فهو على التفاضل بسلامته وبرئه من علة ( ابن الأثيري ١٠٥ ) وقطرب ٢٤٨ وأبو الطيب ٢٥١/١ ) وإن كان الدكتور إبراهيم أنيس ، يذهب إلى أن كلمة : « السليم » تطلق على المملدوغ ، على جهة التهكم<sup>(١١١)</sup> !

كما يذهب ابن القطاع ، إلى إنكار التفاضل ، في هذا المثال والذي قبله ؛ فيقول وهو يتحدث عن بناء فَعِيل : « ويجيء بمعنى مفعول ، وللمؤنث بالهاء ، نحو : سليم للديغ ، من سلمته الحية ، إذا لدغته . ولا ينظر إلى قول من قال : إنه على طريقة التفاضل ، فقد غلط في ذلك جماعة من العلماء ، كما غلطوا في قولهم : إن المفازة سميت من الفوز ، على التفاضل ، وإنما سميت من فاز الإنسان وهُوزَ ، إذا هلك ، فهي على هذا : مَفْعَلَةٌ من الهلاك ، لا غير<sup>(١١٢)</sup> » .

(١١١) انظر : في اللهجات العربية ٣٠٩

(١١٢) أنية الأسماء ، الأفعال والمصادر ، لابن القطاع ٢٨٣

(ج) الناهل : تطلق على الرِّيان وعلى العطشان . واشتقاق السهل من ورود الماء والشرب ، ومعناه : « النهل » بمعنى : المورد ، يؤكد أصالة المعنى الأول . أما العطشان ، فقيل له : ناهل ، على التناؤل بالرى ( قطرب ٢٥٣ وابن الأنبارى ١١٦ وأبو الطيب ٦٣٧/٢ ) .

(د) السُّفرَح : معناه في العربية : السرور والحزين المثقل بالدين ( ابن الأنبارى ١٩٧ ) . واشتقاقه من الفرَح بمعنى : السرور ، يؤكد أصالة المعنى الأول . أما إطلاقه على المعنى الثانى ، فهو على التناؤل بأن يفك الله دينه فيفرح .

(هـ) الحافل : تطلق هذه الكلمة على الممتلئ وعلى الخالى ؛ يقال : « ناقة حافل إذا ذهب اللبن من ضرعها ، فلم يبق منه إلا اليسير ، وناقة حافل إذا امتلأ ضرعها باللبن » ( قطرب ٢٧٦ وابن الأنبارى ٢٨٢ وأبو الطيب ٢٢٢/١ ) . وأصل « الحفل » في اللغة : الجمع الكثير ؛ فدلالة « الحافل » على الضرع الممتلئ ، الذى تجتمع فيه اللبن ، دلالة أصلية ، أما إطلاقها على الضرع الخالى ، فهو من باب التناؤل .

(و) البصير : تطلق إلى يومنا هذا على المبصر وعلى الأعمى . وأصل دلالتها على المبصر ، لا تحتاج إلى دليل . أما إطلاقها على الأعمى ، فهو من باب التناؤل له بصحة البصر ( قطرب ٢٥٦ وابن الأنبارى ٣٦٧ وأبو الطيب ٦٣/١ ) .

(ز) المسجور : تطلق هذه الكلمة في العربية ، على المملوء والفارغ ( ابن الأنبارى ٥٤ وأبو الطيب ٣٦٠/١ ) . والظاهر أن إطلاقها على المملوء أصل ، وعلى الفارغ تناؤل بامتلائه ، كما يقال في الريف المصرى : « خذ الملائن » ، ويقصد : خذ الكوب الفارغ من الشراب ، بعد أن يشربه الضيف ؛ تناؤلاً بأن يظل صاحب البيت في نعمة ، ممثلة أكوابه من الخير دائماً .

وقد روى أبو الطيب اللغوى عن الأصمعى قوله : وأما المسحور  
 الفارع ، فقد بلغنى ذلك ، ولا أستيقنه ، ولست أقول فى قوله تعالى :  
 « وإذا البحار فجرت » ، ولا فى قوله : « والبحر المستحور » شيئا ؛  
 لأنه قرآن فأتى به . وأما قول الجارية : إن حوضكم لمسجور ، ولم يكن فيه  
 قطرة ، فيمكن أن يكون هذا الكلام على التفاؤل ، فأرادت القائل ، كما يقال  
 للعطشان : ريان ، وللدبيع : سليم ، أى سيروى ويسلم ، وإنه لمسجور  
 غدا ، أى سيكون ذلك ( أبو الطيب ٣٦٤/١ ) وانظر أضداد قطرب  
 ( ٢٥٧ ) .

٣ - التهكم ( ١١٣ ) : لا شك فى أن عامل التهكم والهزء والسخرية ،  
 من العوامل التى تؤدى إلى قلب المعنى ، وتغيير الدلالة إلى ضدها فى كثير  
 من الأحيان ؛ فأصل كلمة : « التعزير » فى العربية : التعظيم ؛ ومته قوله  
 تعالى : « لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ » ( الفتح ٩/٤٨ ) ،  
 غير أنها تستعمل فى معنى التأديب والتعنيف واللوم ( ابن الأنبارى ١٤٧  
 وأبو الطيب ٥٠٦/٢ ) تهكما واستهزاء بالمذنب .

كما أن إطلاق : « العاقل » على : « الجاهل » إطلاق فى تهكم .  
 وقد قال ابن الأنبارى ( ٢٥٨ ) : « ومما يشبه الأضداد أيضا قولهم للعاقل :  
 يا عاقل ، وللجاهل إذا استهزأوا به : يا عاقل ! » .

ومن المعروف أن « التقريظ » هو مدح الحى ، على العكس  
 من « التأبير » الذى هو مدح الميت ، لكن قد ورد استعمال كلمة :  
 « التقريظ » بمعنى الذم ( أضداد قطرب ٢٦٧ وأضداد ابن الأنبارى ٣٩٢ )  
 من باب التهكم والسخرية بالمدحوم !

واستعمال « القشيب » بمعنى الحديد ، فى قولهم : « ثوب  
 قشيب » استعمال شائع ، وقد حكى قطرب استعماله بمعنى : « الثوب

« الخلق » . قال أبو حاتم : « ولا أعرف القسب بمعنى الخلق » . قال أبو القسب : وقد حكاه عدد من علمائنا ، ولا أحسنه إلا صحيحاً . ( أبو الطيب ٥٨٨/٢ ) . وإذا صح أن هذا المعنى ورد عن العرب ، كان على سبيل التذكير والسخرية من الثوب الخلق !

٤ - الخوف من الحسد : يشيع في القبائل البدائية ، الاعتقاد في السحر والإصابة بالعين ، وتلعب الكلمة دوراً مهماً في هذا الاعتقاد ، فيقر المرء في مثل هذه البيئة ، من وصف الأشياء بالحسن والجمال ، حتى لا تصيبها عين الحسود ، كما تسمع العامة عندنا يقولون ، عندما يشاهدون مولوداً جميل الطلعة : « إيه الوحاشة دي » .

ويقول ابن الأعرابي : « كانت امرأة لا يبقى لها ولد ، إلا أفقدها ، فقبل لها : نقرى عنه ، فسمنته فنقدا ، وكسه أيا العداء ، فعاش »<sup>(١٥٥)</sup> .

ويمكن عن هذا الطريق ، تفسير بعض كلمات الأضداد في العربية ، فمثلاً كلمة : « شوهاء » يوصف بها الفرس القبيح والجميل ؛ فيقال : مهرة شوهاء ، إذا كانت قبيحة ، ومهرة شوهاء إذا كانت جميلة ( ابن الأثير ٢٨٤ وأبو الطيب ٨/١ - ٤ ) . ولا شك أن مادة : « شوه » تعني : التشويه والقبح ، وإطلاق الكلمة على المهرة الجميلة ، إنما هو من باب درء العين ومعنى الحسد . وقد فطن إلى هذا أبو حاتم المسحستاني ، فقال : « لا أظنهم قالوا للجميلة شوهاء ، إلا مخافة أن يصيبها عين » ( انظر : الأضداد لأبي الطيب ٤٠٨/١ ) .

ومثل كلمة : « عَيْن » التي يقال للمخلق ، كالقرية التي تبنّت مواضع منها للتشعب . ووجه الشبه هنا ظاهر بين القرية التي أحلقت والعيون ، فهذا هو المعنى الأصلي للكلمة . أما طي ، فتطلق هذه الكلمة

(١٥٤) انظر الأضداد لقطر ٢٥٣ وأضداد ابن الأثير ٢٦٣

(١٥٥) عالي نعل ٤٦٦/٢



على « الحديد » من الأشياء - دفعا للحمد ودرا للإصابة بالعين ( انظر الأضداد لابن الأثير ٢٩٣ والأضداد لأبي الطيب ٤٩٩/٢ ) .

وإذا كانت كلمة : « الحشيب » بمعنى : السيف الذي لم يصقل ، ظاهرة الاشتقاق من الحشيب ، فإن إطلاقها على السيف الصقليل ، إنما كان فراراً من العين واتقاءً لشر الحسد ( ابن الأثير ٣٢٧ وأبو الطيب ٢٥٥/١ ) .

وهل إطلاق : « البلهاء » على المرأة الكاملة العقل ، إلا من هذا النوع ، إذا كان البله هو نقصان العقل ، وفساد الاختيار والتمييز ؟ ( انظر : الأضداد لابن الأثير ٣٣٣ ) .

ومنه كذلك : إطلاق « الأعور » على الحديد البصر ، وهو في الأصل لمن ذهب إحدى عينيه ( الأضداد لقطرب ٢٥٦ ) .

٥ - التطور اللغوي : قد يحدث في بعض الأحيان ، أن توجد كلمتان مختلفتان ، لهما معنيان متضادان ، فتطور أصوات إحداهما ، بصورة تجعلها تنطبق على الأخرى تماماً ، فيبدو الأمر كما لو كانت كلمة واحدة لها معنيان متضادان .

ومن أمثلة ذلك في العربية : قول بني عقيل : « لمقت الكتاب » أي كتبه ، وقول سائر قيس : « لمقت الكتاب » أي محوته . هكذا يبدو التضاد في الفعل : « لَمَقَ » غير أننا إذا عرفنا أن هناك فعلاً آخر ، بمعنى الكتابة ، هو : « لَمَقَ » ، عرفنا أن بني عقيل ، قد تطور هذا الفعل الأخير في نطقها ، فأبدلت النون لاما . والنون واللام من الأصوات المتوسطة في العربية ، تلك الأصوات التي يحدث فيها الإبدال كثيراً ، وبذلك صار الفعل : « لَمَقَ » ، فتطابق مع نظيره بمعنى : « محَا » ، وتولّد التضاد بين

المعنيين عن هذا الطريق - وقد روى عن أعزاني أنه قال عن كتاب : « ملقته  
بعد ما تمقنه » أي محوته بعد أن سطرته (١١٦٦) .

ومن أمثلة ذلك أيضا قولهم : « تلحلح » بمعنى : أقام وثبت ،  
وبمعنى : زال وذهب ؛ فإن هذا المعنى الثاني ، كان في الأصل للكلمة  
أخرى ، هي : « تحللح » ، ثم حدث قلب مكاني ، فقدمت اللام  
وأحرزت الحاء ، كما قالوا : جذب وجذب - ويوافقنا في هذا التفسير : أبو زكريا  
الفراء من القدماء ( انظر : الأضداد لابن الأثير ٢٣٦ ) .

وإذا عجبنا من دلالة الفعل : « ضاع » على الاختفاء والظهور معا ،  
فإن عجبنا يزول ، إذا عرفنا أن الأصل في المعنى الأول ، هو الفعل القديم :  
« ضيع » ، وفي المعنى الثاني هو الفعل القديم : « ضوع » ، ثم تطور  
الفعلان إلى صورة واحدة ، هي : « ضاع » ، ومع ذلك بقي الفرق بينهما  
واضحاً في المضارع ؛ إذ هو على المعنى الأول : ضاع يضيع ، وعلى المعنى  
الثاني : ضاع يضيوع ( انظر : الأضداد لابن الأثير ٢٨٩ والأضداد  
لأبي الطيب ٤٥٢/١ ) .

٦ - المجاز والاستعارة : أوضح مثال لهذا العامل ، هو إطلاق  
كلمة : « الأمة » على الجماعة وعلى الفرد ( ابن الأثير ٢٦٩ ) ؛ فإنه  
مما لا شك فيه أن الفرد لا يقال له أمة ، إلا على التشبيه بالجماعة على وجه  
المبالغة ؛ فيقال عن هذا العالم أو ذاك : « كان أمة وحده » ، يعني أنه كان  
في رجحان عقله ، وحدة ذكائه ، جماعة بأسرها ، فاستعير له لفظ يطلق  
في العادة على الجماعة .

٧ - احتمال الصيغة الصرفية للمعنيين : هناك صيغ كثيرة  
في العربية ، تستعمل للمفاعل أو للمفعول ؛ ومن هنا ينشأ التضاد كثيراً  
في معاني هذه الصيغ . وهاك بعض الأمثلة :

(١١٦٦) انظر : الأضداد لابن الأثير ٣٥ والأضداد لأبي الطيب ٦١٤/٢ والأضداد لقطر ٢٧٠  
والزهر ٣٩/١

( أ ) صيغ ( فَعُول ) تستعمل في العربية بمعنى : ( فاعل ) ،  
 مثل : شكور وغفور وكفور ، كما تستعمل أحيانا بمعنى : ( مفعول ) ،  
 مثل رسول ، بمعنى : مُرْسِل ، وناق سُلُوب ، بمعنى : مسلوية الولد . ومن  
 هنا وردت إلينا بعض الأمثلة من هذه الصيغة بالمعنيين جميعا ؛ مثل :  
 « دَعُور » بمعنى : ذاعر ومدعور ( قطرب ٢٤٩ وابن الأنباري ٥٧ ) ،  
 و « رَكُوب » بمعنى : الراكب والمركوب ( قطرب ٢٤٩ وابن الأنباري ٣٥٦  
 وأبو الطيب ٣٠٦/١ ) ، و « رَجُور » بمعنى : الزاجر والمرجور ( قطرب  
 ٢٤٩ وابن الأنباري ٣٥٧ ) ، و « الأَكُولَة » بمعنى الآكلة والمأكولة ( أبو  
 الطيب ٢٤/١ ) .

( ب ) صيغة ( فَعِيل ) تأتي كذلك بمعنى : ( فاعل ) مثل : سميع  
 وعليم وقدير ، كما تأتي بمعنى : ( مفعول ) مثل : دھين ، بمعنى :  
 مدهون ؛ وكحيل ، بمعنى : مكحول ؛ وجريح بمعنى : مجروح ؛ وطريد ،  
 بمعنى : مطرود ، وغير ذلك ؛ فلا عجب بعد هذا ، إذا رويت لنا بعض  
 أمثلة هذه الصيغة بالمعنيين جميعا ؛ مثل : « الكَرَى » ، بمعنى : المكترى  
 والمكترى ( قطرب ٢٥٧ وابن الأنباري ١٩٩ وأبو الطيب ٦٠٧/٢ ) ،  
 و « الغريم » بمعنى : الدائن والمدين ( ابن الأنباري ٢٠٣ وأبو الطيب  
 ١٥٦/٢ + ٦٠٧/٢ ) ، و « القنيص » بمعنى : القانص والمقنوص  
 ( ابن الأنباري ٢٦٢ ) ، و « التبيع » بمعنى : التابع والمتبوع ( ابن  
 الأنباري ٣٧٢ وأبو الطيب ١٠١/١ ) ، وغير ذلك .

( ج ) صيغة ( فاعل ) تستعمل في العربية أحيانا بمعنى :  
 ( مفعول ) ، إلى جانب استعمالها في معناها الأصلية ، كما في مثل قوله  
 تعالى : « فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ » ( القارعة ٧/١٠١ ) بمعنى : مُرْضِيَةٌ .  
 وقد ورد في العربية ، بعض أمثلة هذه الصيغة ، بالمعنيين جميعا ؛ مثل :  
 « حائف » ( ابن الأنباري ١٢٥ ) و « عائذ » ( ابن الأنباري ١٢٥  
 وأبو الطيب ٥٠٤/٢ ) و « عارف » ( ابن الأنباري ١٢٦ وأبو الطيب

( ٥٠٤/٢ ) و « عاصم » ( ابن الأنباري ١٢٨ وأبو الطيب ٥٠٦/٢ ) ،  
وغير ذلك .

(د) صيغة ( تَفَعَّل ) : وأصلها في العربية - فيما يبدو - للمطاوعة ، كما في أصل اللغات السامية الأخرى . أما معنى : السلب والإزالة ، التي اكتسبتها بعض أفعال هذه الصيغة ، فأغلب الظن أنه قد جاءها من القياس على الفعل : « تَجَبَّ » الذي يعني الابتعاد عن الشيء جانبا . ومن هنا جاءتنا أفعال على هذا الوزن ، لا تعني إلا السلب والإزالة ؛ مثل : « تَحْرَج » و « تَهْجُد » بمعنى : تجنب الحرج والهجود ، أى النوم ، كما بقيت أفعال في العربية ، تعمل المعنى الأصلي ، إلى جانب هذا المعنى الجديد . ولما كان هذا المعنيان متضادين ، تضاد الإيجاب والسلب ، أصبحت تلك الأفعال من كلمات الأضداد .

ومثال ذلك قولهم : « قد تأثم الرجل ، إذا أتى المأثم ، وتأثم إذا تجنب المأثم » ( ابن الأنباري ١٦٩ وأبو الطيب ١٧/١ ) ، وكذلك قولهم : « تَحَنَّت الرجل ، إذا أتى الحنث ، وقد تحنث إذا تجنب الحنث » ( ابن الأنباري ١٨٠ ) .

(هـ) صيغة : ( مُفْتَعَّل ) و ( مُفْتَعَّل ) من الأجوف ، ومضعف الثلاثي ؛ مثل : مبتاع ، ومختار ، ومحتاج ، ومرتاد ، ومستاق ، ومغتاب . ومثل : مبتز ، ومرتد ، ومحتز ، ومحتش ، ومختل ، ومختص ، ومعتد ، ومختلط ، وغير ذلك<sup>(١٧٧)</sup> .

وذلك لأن اسم الفاعل واسم المفعول ، من الأجوف ، ومضعف الثلاثي ، من وزن ( افْتَعَلَ ) يتحول إلى صيغة واحدة ؛ قمثلا : اسم الفاعل من الفعل : ( اختار ) الأصل فيه أن يكون : ( مُخْتَار ) بكسر الياء ، ثم يتحول إلى : ( مختار ) . واسم المفعول منه أصله أن يكون : ( مُخْتَر )

(١٧٧) نظري هذا . غيره الأضداد التي تصف ٢٩١٦ - ٧٧٠ . الأضداد التي لا ٢٠٩٤

يفتح الياء ، ثم يتحول كذلك إلى : ( مختار ) . وكذلك الحال في مضعف الثلاثي ، فمثلاً : اسم الفاعل من ( ارتد ) أصله أن يكون : ( مُرتدِد ) بكسر الدال الأولى ، ثم يتحول إلى : ( مرتد ) . واسم المفعول منه أصله أن يكون : ( مُرتدّد ) يفتح الدال الأولى ، ثم يتحول كذلك إلى : ( مرتد ) ، فتصح الصيغة دالة على اسم الفاعل والمفعول معا .

\*\*\*

هذا ، وقد كانت الأضداد العربية ، مجالاً لدراسة اثنين من المستشرقين الألمان ، أولهما هو : « رد سلوب » Th.M.Redslob واسم كتابه : Die arabische Wörter mit entgegengesetzten Bedeutungen « كلمات الأضداد العربية » . وهو مطبوع في : جوتنجن سنة ١٨٧٣ م .

ويبدأ فيه صاحبه بالحديث ، عن نظرية العرب ، في تقسيم الكلمات بالنسبة لمعانيها ، إلى ثلاثة أقسام :

- ١ - اختلاف الصيغ والمعاني ؛ مثل : يد ، ورجل ، وغير ذلك .
- ٢ - اختلاف الصيغ واتفاق المعاني ( المترادف ) ؛ مثل : مساعد ، وذراع ، وغير ذلك .
- ٣ - اتفاق الصيغ واختلاف المعاني ( المشترك اللفظي ) ؛ مثل : عين . ومن هذا النوع الأخير : كلمات الأضداد .

ثم يذكر أن العرب يفهمون من كلمة : « ضد » : الكلمة التي تدل بذاتها ، ومن غير إضافات أخرى ، على معنيين متضادين ، ويفهم كل معنى مقصود من سياق الكلام كما يذكر أن ما يعد من الأضداد عند اللغويين العرب ، على ضربين :

- ١ - كلمات مفردة .
- ٢ - تعبيرات وجمل .

ويرى « ردسلوب » أن الضرب الأول ، يحتوي على كلمات لا تضاد

بين معانيها ؛ مثل : إن الشرطية ، وإن النافية ، كما أن الضرب الثاني ، بعيد عن الأضداد تماماً .

ثم يقول المؤلف : إن عدّ مثل هذه الكلمات من الأضداد ، يوسع مدلول هذه الكلمة ، ويجعلها غير محدّدة تماماً ، كما لو عدّنا الكلمات الدالة على التهكم أو الاستهزاء من الأضداد ؛ لأن التهكم صالح لكل كلمة ، وليس خاصاً بكلمات بعينها ، وكذلك كلمات التفاؤل ، غير أنه يعود فيؤكد أنه « قد يشيع استخدام كلمات التفاؤل ، بحيث تغلب على المعنى الأصلي أو تساويه ، مثل إطلاق كلمة السليم على اللديغ » .

كما يرى « رد سلوب » أن اللغويين العرب ، قد وقعوا في الخطأ . حين عدّوا التطورات الصوتية من الأضداد ، وكذلك حين عدّوا من التضاد صيغتين من مادة واحدة ؛ مثل قولهم : بلّج بشهادته إذا كتّمها ، وقولهم : الحق أبلّج ، أي واضح ظاهر .

وأخيراً يرجع « رد سلوب » كثرة الأضداد في العربية ، إلى عدّة عوامل منها :

- ١ - ثراء اللغة غير العادي . ٢ - التطور غير المشروط للمعاني .
- ٣ - كثرة الاشتقاق من الأسماء . ٤ - اختلاف اللهجات .
- ٥ - الصنعة والتكلف والاختراع الذي تم على يد اللغويين .

أما المستشرق الآخر ، فهو : « جيسي » Friedrich Giese واسم كتابه : Untersuchungen über die Addād « بحوث في الأضداد » ، وهو مطبوع في برلين سنة ١٨٩٤ م .

وقد نقل « جيسي » في مقدمته ، تعريف « الضد » عن : « رد سلوب » ثم ذكر اختلاف علماء العربية ، في وقوع التضاد في اللمعة الواحدة ، وحدد منهجه في كتابه ، بالبحث عن كلمات الأضداد

في الشعر القديم ، وقد رفض لذلك كثيراً من كلمات الأضداد التي ذكرها ابن الأثير في كتابه ؛ لأنه لم يعثر لها على شواهد إلا لواحد من المعنيين ، على كثرة ما قرأ ؛ مثل : ( أتم ) عند ابن الأثير ( ١٢٣ ) و ( دحلل ) عنده كذلك ( ٢٣٥ ) وغير ذلك .

وقد استخدم « جيسى » مبادئ علم الدلالة ، في أن كل تطور للمعنى ، يكون بتعميم الدلالة ، أو تخصيصها ، وذكر أن أسباب هذا التطور كثيرة ، غير أنها تتفق مع ما ذكره البلاغيون في كثير من الأحيان ، ومنها : المجاز المرسل ، وتداعى المعاني .

فمن أمثلة الأول : إطلاق « الناهل » على الريان ، وعلى العطشان . والمعنى الثاني عنده هو الأصل ، أما الأول فهو مجاز مرسل باعتبار ما يكون ؛ لأن الناهل هو العطشان الذاهب إلى الشرب ، فهو « ريان » في النهاية !

ومثال تداعى المعاني عنده : « الثين » بمعنى : الفراق ، وهو يستدعى في الدهن معنى : الوصال . وكذلك : « المائل » بمعنى : الحاضر ، وهو يستدعى في الدهن معنى : الغائب ، وغير ذلك .



## الفصل الرابع التعريب وألفاظ الحضارة

اتصل العرب في جاهليتهم ، بالأفام المجاورة لهم ، كالفرس والأشباش والروم والسريان والنبط وغيرهم ، واحتكت لغتهم العربية بلغات هذه الأمم جميعاً ، وهذا أمر طبيعي ؛ فإنه « من المتعذر أن تظل لغة بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى<sup>(١)</sup> » ، كما أن « تطور اللغة المستمر ، في معزل عن كل تأثير خارجي ، يعد أمراً مثالياً ، لا يكاد يتحقق في أية لغة ، بل على العكس من ذلك ، فإن الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها ، كثيراً ما يلعب درواً هاماً في التطور اللغوي ؛ ذلك لأن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية ، واحتكاك اللغات يؤدي حتماً إلى تداخلها<sup>(٢)</sup> » .

ويعني هذا اقتراض هذه اللغات بعضها من بعض ، وتأثير إحداها في الأخرى . وهذا ما حدث للغة العربية ، مع جاراتها من اللغات الأخرى ، في ذلك الوقت المبكر ، ولا يعني هنا بالطبع ، أن نبحث أثر العربية في هذه اللغات ، بقدر ما يعني الكشف عن أثر هذه اللغات في العربية .

« وأهم ناحية يظهر فيها هذا التأثير ، هي الناحية المتعلقة بالمفردات ؛ ففي هذه الناحية على الأخص ، تنشط حركة التبادل بين اللغات ، ويكثر اقتباسها بعضها من بعض<sup>(٣)</sup> » . ويطلق على مثل هذه

(١) علم اللغة ، لعلي عبد الواحد ، ص ٢٢٩

(٢) اللغة ، لعبدريس ٣٤٨

(٣) علم اللغة ، لعلي عبد الواحد ، ص ٢٢٤

الكلمات ، التي أخذتها العربية من اللغات المجاورة ، اسم : « الكلمات المعربة » ، كما يطلق على عملية الأخذ هذه ، اسم : « التعريب » . ويعنى هذا أن تلك الكلمات المستعارة في العربية ، لم تبقى على حالها تماما ، كما كانت في لغاتها ، وإنما حدث فيها أن طوعها العرب لمنهج لغتهم ، في أصواتها وبنيتها وما شاكل ذلك . وهذا هو معنى : « التعريب » .

وليس هذا الأمر يدعنا في العربية ؛ إذ تخضع في الغالب الكلمات المقتبسة ، للأساليب الصوتية في اللغة التي اقتبستها ، فينطق كثير من التحريف في أصواتها وطريقة نطقها ، وتبعد في جميع هذه النواحي عن صورتها القديمة (١) .

وكان هذا ذاب العرب في جاهليتهم ، تحرى على ألسنتهم بعض الألفاظ ، التي يحتاجون إليها ، من لغات الأمم المجاورة لهم ، بعد أن ينفخوا فيها من روحهم العربية ، ويتلففها الشعراء منهم ، فيدخلونها في أشعارهم وأرجازهم ؛ فهذا هو الأعشى ميمون بن قيس ، يكثر في شعره ذكر : البرندج ، والديابوذ ، وإستار ، والإسفنت ، والبستان ، والبوصى ، والبرجان ، والجلسان ، والبنفسج ، والمرزجوش ، وغير ذلك . كما يشيع في شعر عدى بن زيد ذكر : الإبريق ، والجوذر ، والخوان ، والدحدر ، والمرزيان ، وغير ذلك .

ولا نطيل في ذكر الأمثلة من شعر الشعراء ، في تلك العصور القديمة ، فإنك إن طالعت شعر أحدهم ، استوفقت فيه هنا وهناك ، لفظة من تلك الألفاظ المعربة .

وقد طال الأمد على كثير من هذه الألفاظ في الجاهلية ، وألف الناس استعمالها ، وصارت جزءا من لغتهم ، وربما نسوا أصلها في كثير من الأحيان ، وجاء القرآن الكريم ، فأنزله الله تعالى بهذه اللغة العربية ، التي

(١) علم اللغة ، لعن عبد الواحد ، ص ٢٢٩

والأحباش  
هذه الأمم  
لغة غامض  
معزل عن  
لغة ، بل  
تجاوزة  
احتكاك  
(١)  
إحداها  
الأخرى ،  
في هذه  
المعلقة  
لن بين  
هذه

أصبح بعض هذا المعرب من مقوماتها ، فجاء فيه شيء من تلك الألفاظ ،  
التي عَرَّبها القوم من لغات الأمم المخاورة .

وكان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، يدرك ذلك تماما ؛  
فقد « روى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم ، في أحرف كثيرة  
( من القرآن ) أنه من غير لسان العرب ؛ مثل : سَجِيل ، والمشكاة ،  
واليم ، والطور ، وأباريق ، وإستبرق ، وغير ذلك (٥) » .

ولكن قول الله سبحانه وتعالى ، في القرآن الكريم : « إِنَّا جَعَلْنَاهُ  
قُرْآنًا عَرَبِيًّا » وقوله تعالى : « بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ » ، جعل طائفة  
من مفكرى الإسلام ، تذهب إلى إنكار وقوع المعرب في كتاب الله ؛ فهذا  
أبو عبيدة معمر بن المثنى ، يقول : « من زعم أن في القرآن لسانا سوى  
العربية ، فقد أعظم على الله القول (٦) » .

كما يقول أبو بكر بن الأنباري : « وقال بعض المفسرين : صِرْهُنَّ  
معناه : قطع أجنحتهن ، وأصله بالنسبية : صيرته . ويحكى هذا عن مقاتل  
ابن سليمان ، فإن كان أثر هذا عن أحد من الأئمة ، فإنه مما اتفقت فيه  
لغة العرب ولغة النبط ؛ لأن الله عز وجل ، لا يخاطب العرب بلغة العجم ؛  
إذ بين ذلك في قوله حل وعلا : إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ  
تَعْقِلُونَ (٧) » .

وقد وازن أبو عبيد القاسم بن سلام ، بين رأى شيخه أبي عبيدة ،  
ورأى السلف الصالح ، وانتهى إلى القول يعربية هذه الألفاظ ، بعد أن عَرَّبها  
العرب ؛ فقال : « فهو لاء أعلم بالتأويل من أى عبيدة ، ولكنهم ذهبوا  
إلى مذهب ، وذهب هذا إلى غيره . وكلاهما معيب إن شاء الله ؛ وذلك  
أن هذه الحروف ، غير لسان العرب في الأصل ، فقال أولئك على

(٥) العرب : جوهري ٢ : ٢٨١ .

(٦) العرب : جوهري ٤ : ٢٢٠ .

(٧) الأصد : لا : ٢٨ .

الأصل ، ثم لفظت به العرب بألسنتها ، فعربته فصار عربيا بتعريبها إياه ،  
فهى عربية في هذه الحال ، أعجمية الأصل (٨) .

كما يقول ابن عطية : « فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ ، أنها  
في الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعربتها ، فهى عربية بهذا  
الوجه . وما ذهب إليه الطبرى من أن اللغتين اتفقتا في لفظة لفظة ، فذلك  
بعيد (٩) » .

ولكن الشيخ أحمد شاكر ، يواصل في العصر الحديث ، حملة  
أبى عبدة في القديم ، على من يقول بوقوع المعرب في القرآن ، ولا يعجبه  
حتى المعتدلون منهم ، كإبي عبيد في قوله السابق : « فهى عربية في هذه  
الحال أعجمية في الأصل » ، والأزهرى الذى يرى أن الاسم قد يكون  
أعجميا ، فتعربه العرب ، فيصير عربيا (١٠) .

ويصم الشيخ شاكر ، القول بوقوع المعرب في القرآن ، بأنه « قول  
ينبى عنه التحقيق ، وإنما ذهب إليه من ذهب ، إعظاما لما روى عن بعض  
الأقدمين في ألفاظ قرآنية ، أنها معربة ، وعجزا عن تحقيق صحة الرواية ،  
وعن تحقيق صحة هذه الحروف في كلام العرب ، ثم تقليدا لأولئك  
القاتلين ، وجهما بين القولين ، زعموا (١١) » .

وراح الشيخ شاكر يتعقب الجوالقى ، في كتابه : « المعرب من  
الكلام الأعجمى على حروف المعجم » ، ويحاول أن يعثر على اشتقاق  
عربى ، للكلمات التى ذكرها الجوالقى ، في هذا الكتاب ، معتسقا الطريق  
في محاولاته تلك تارة ، وغافلا عن سنن اللغات في الاقتراض عن غيرها تارة  
أخرى . ومن أمثلة ذلك قوله في التعليق على أن « الاستبرق » فارسي

(٨) العرب للجوالقى ٥ والنظر - المزم ٢٦٥/١ والعاصمى ٦٤

(٩) النظر - مقدمة في علوم القرآن ٢٧٨

(١٠) عذب اللغة ٢٦٩/١٤ ولسان العرب (١) ١٦٣/٥

(١١) مقدمة العرب - للجوالقى ص ١١

معرب : « هكذا زعم كثير من أهل اللغة ، أنها معربة ، وليس في القرآن معرب سوى الأعلام »<sup>(١٢)</sup> .

وفي التعليق على أن « الثَّور » فارسي معرب : يقول : « وقد ذهب أكثر المفسرين ، إلى أن الكلمة أعجمية . ونحن نخالفهم في هذا ، ونرى أنها عربية ، وأن هذا البناء إن كان نادراً ، فليس دليلاً على أنه خارج عن لغتهم ... قال أبو منصور الأزهري : قول من قال : إن الثَّور عَمَت بكل لسان ، يدل على أن الاسم في الأصل أعجمي ، فعربتُها العرب ، فصار عربياً على بناء فَعُول . والدليل على ذلك ، أن أصل بنائه : تتر ، ولا نعرفه في كلام العرب ... ووجود الكلمات في بعض اللغات الأخرى بهذا المعنى ، لا يدل على نقلها إلى العربية منها ، بل لعلها نقلت من العربية إليها ... والعربية من أقدم اللغات في الدنيا »<sup>(١٣)</sup> .

كما يعلق على أن « الدينار » معرب من الفارسية ، بقوله : « ونحن عند رأينا الذي ذهبنا إليه فيما مضى ، أن ليس في القرآن من غير العربية شيء . وهذا الحرف في لغة العرب قديم ... ومقاربة اللغة الرومية إياه في اللفظ ، لا يدل على أن العرب أخذوه عنهم ، بل يحتمل أنه منقول إليهم عن العرب »<sup>(١٤)</sup> .

ويطول بنا القول ، لو ذهبنا تعدد الأمثلة ، التي تدل على تعصب الشيخ أحمد شاكر ، ضد القول بوقوع المعرب في القرآن ، وهو تعصب لا مبرر له ، إذ الكلمة المعربة تصبح - كما قلنا من قبل - عربية ، باستعمال العرب إياها على مناهجهم في لغتهم ، غير أن ما دعا العلماء إلى القول بعدم أصالتها في العربية ، أنها تدل على شيء لم يكن له وجود في الأصل ، في البيئة العربية ، وإنما هو وافد مع اسمه إلى تلك البيئة ، كما وفدت علينا في العصر الحديث كلمات مثل : تليقون ، وراديو ، وتليفزيون ، مع أجهزتها التي

(١٢) المعرب ، المحو لغيره ص ١٥

(١٣) المعرب ، المحو لغيره ص ٨٤

(١٤) المعرب ، المحو لغيره ص ١٤٠

سميت بها ، وكذلك مثل : أسبرين ، وسلفاديازين ، وأنتروفيوفورم ، وغيرها من أسماء الأدوية ، وما إلى ذلك من الأشياء التي وردت إلينا مع أسمائها من الخارج ؛ لأن « المفردات التي تقتبسها لغة ما ، عن غيرها من اللغات ، يتصل معظمها بأمور قد اختص بها أهل هذه اللغات ، أو برزوا فيها ، أو امتازوا بإنتاجها أو كثرة استخدامها ... وهلم جرأ ، فمعظم ما انتقل إلى العربية ، من المفردات الفارسية واليونانية ، يتصل بنواح مادية أو فكرية ، امتاز بها الفرس واليونان ، وأخذها عنهم العرب » (١٥) .

وهكذا نرى أنه من العبث إنكار وقوع العرب ، في العربية الفصحى ، والقرآن الكريم . وقد وضع العلماء علامات ، يعرف بها المعرب في العربية ، استنتجوها من مقارنة تسج الألفاظ العربية ، بتسج هذه الألفاظ المعربة . ونلخصها هنا فيما يلي (١٦) :

- ١ - اجتماع الصاد والجيم ؛ مثل : حص ، وصنجة ، وصولجان .
- ٢ - اجتماع الجيم والقاف ؛ مثل : المنجنيق ، والجوالق ، والجرموق .
- ٣ - اجتماع الباء والسين والتاء ؛ مثل : البستان .
- ٤ - وقوع الراء بعد النون ؛ مثل : ترجس ، وترسيان .

٥ - وقوع الزاي بعد الدال ؛ مثل : المهندس .

٦ - خلو الكلمة الرباعية والخماسية من حروف الذلاقة ( فر من لب ) ؛ مثل : عقفش (١٧) .

٧ - خروج الكلمة عن الأوزان ؛ مثل : إبريسم .

وتنتهج العربية نهجا معيناً في تعريب الألفاظ الأعجمية ، وذلك على النحو التالي :

- ١ - إبدال الأصوات التي ليست من أصوات العرب ، إلى أقربها

(١٥) علم اللغة ، نعل عبد الواحد ، ص ٢٣١

(١٦) قارن : المعرب للجواليقي ١١ - ١٢ - الزهر للسيوطي ٢٧/١ . وهذه الألفاظ العامة

٢٢ - ٢٣ - الألفارح للسيوطي ١٣ . وهذه اللغة نعل عبد الواحد ، ص ٢٠٠

(١٧) راجع كذلك سر صناعة الإعراب ١١/١

مخرجا ؛ لئلا يدخل في كلامهم ما ليس من أصواتهم . فمما غيروه من الأصوات : ما كان بين الجيم والكاف ( ك ) ، وربما جعلوه كافا ، وربما جعلوه جيما ، وربما جعلوه قافا ،<sup>(١٨)</sup> وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء ( P ) فاء ، وربما جعلوه باء<sup>(١٩)</sup> .

٢ - تغيير بناء الكلمة إلى أبنية العربية . فمما أحقوه بأبنيتهم : « دَرَّهَم ، أحقوه بهجرع<sup>(٢٠)</sup> . وكان الفراء يقول : « يبني الاسم الفارسي أى بناء كان ، إذا لم يخرج عن أبنية العرب<sup>(٢١)</sup> » .

٣ - ترك اللفظ الأعجمي على حاله ، إذا كان موافقا لمنهج العربية في الأصوات والصيغ ، أو بنية الكلمات . هذا هو منهج العربية في التعريب ؛ فهي « لغة إذا دخلتها كلمة أجنبية عنها ، قلق موضعها ، حتى تأخذ وزن كلمات اللغة وهيئة حركاتها ؛ لتساكلها وتمائلها وتأثلف معها ؛ لذلك تراهم يشذبون الكلمات الأعجمية الطارئة التي لم تأت على أوزان العرب ، بالحذف والإبدال ، حتى تلائم الأسلوب العربي<sup>(٢٢)</sup> » .

وليس الاقتراض من اللغات الأجنبية ، مقصورا على الألفاظ فحسب ، بل يكون الاقتراض في المعاني كذلك ، فعند الاقتراض « هناك طريقان ممكنان ، فإما أن تأخذ اللغة المقترضة الكلمة ، وتخصعها لقوانينها الصيغية والصوتية ، وفي تلك الحالة يكون عندنا كلمة مقترضة . وإما أن تترجم اللغة المقترضة ، وحدات الكلمة المقترضة ، ترجمة حرفية إلى كلمة وطنية ، وفي تلك الحالة يكون عندنا ترجمة مقترضة . والكلمة الإنجليزية : expression مأخوذة من الكلمة اللاتينية : expressio فهي لذلك كلمة

(١٨) العرب للحوالي ٩

(١٩) العرب للحوالي ٧

(٢٠) العرب للحوالي ٨

(٢١) العرب للحوالي ٩

(٢٢) مولد اللغة للعالم ٦٤



مقترضة . أما الكلمة الألمانية Ausdruck فهي ترجمة مقترضة ، بمعنى الكلمة اللاتينية (٢٣) .

وقد يسود الأعجمي الدخيل في لغة العرب ، فيغطى على مقابلة العرفي ، ويشيع استعماله ، حتى يتوارى إلى جانبه اللفظ العرفي ، ويندر استعماله . ومن أمثلة ذلك استعمال العرب : « الإبريق » ، مكان : « التامورة » ؛ و « الهاوون » مكان : « المهراس » ؛ و « الطاجن » مكان : « المقل » ؛ و « الأشنان » مكان : « الخرض » ؛ و « الميزاب » مكان : « الشعب » ؛ و « المسك » مكان : « المشموم » ؛ و « الجاسوس » مكان : « الناطس » ؛ و « الثوث » مكان : « القرضاد » ؛ و « الأترج » مكان : « المُنك » ؛ و « الكوسج » مكان : « الأتظ » ؛ و « الكبر » مكان : « اللصف » ؛ و « الياسمين » مكان : « السمسق » ؛ و « اللوبيا » مكان : « الدجر » ؛ و « الباذنجان » مكان : « الخدج » ؛ و « الرصاص » مكان : « الصرْفان » ؛ و « الخيار » مكان : « الفتند » (٢٤) .

وتعامل العرب اللفظ المعرب ، معاملة العرفي في الاشتقاق منه ؛ فمثلا : كلمة : « لجام » ، اشتق منها في العربية : ألجم ، وتلجم ، والفرس مُلجَم ، وغير ذلك . ويمثل هذا تماما ، ما يحدث الآن في اللغة العامية ، حين تستعير بعض الكلمات من الإنجليزية وغيرها ، فتشتق منها أفعالا ، وتجمعها جموع تكسير عربية ، وغير ذلك ؛ فكلمة : nervous مثلا ، اشتق منها في العامية العربية : ( ترفز ) ، و ( نرقزة ) ، و ( يرفز ) ، و ( مترفز ) ... إلخ ؛ وكلمة : table صارت في العامية : ( طبلية ) وجمعت على : ( طبالي ) ، وغير ذلك .

ويقول عبد القادر المغربي : إن « الكلمات العربية ، التي وقعت للعرب ، فعربوها بالسننهم » ، وحولوها عن ألفاظ المعجم إلى ألفاظهم ،

(٢٣) أنس عدم اللغة لماريو باي ٢٥٧

(٢٤) نظم : الزهر في علوم اللغة ( ٢٨٣ ) ٢٨٤

الدخيل ؛ لأن مقدرة لغة ما على تحمل الكلام الأجنبي ، تعدّ مزية وخصيصة لها ، إذا هي صاعته على أوزانها ، وصيته في قوالها ، ونفخت فيه من روحها ، وتركت عليه بصماتها ؛ « فالتعريب إذن ضروري لحياة العلم ، ومتى كالت القيود الموضوعية له ، هي كما بينا من قبل ، فلا خوف منه على كيان اللغة ، فإنما اللغة قائمة بحروف معانيها وأفعالها وصرقها ونحوها ، وبيانها وشعرها ، وخصائصها التي تمتاز بها ، لا يوضع مفردات غريبة عنها ، قد النجأت إليها ، فكسيت بكسائها ، وطليت بطلانها ، حتى أصبحت منها وعليها » (٢٨) .

والحق أن مشكلة تعريب ألفاظ العلم ومستحدثات الحضارة ، هي مشكلتنا الحقيقية في العصر الحديث . ومجامعنا العلمية لم تستطع حتى الآن ، معالجة هذه المشكلة معالجة حاسمة ، فإنها تنتظر حتى يشيع اللفظ الأجنبي على كل لسان ، وتستخدمه العامة والخاصة ، ثم تقوم قيامة المجامع العلمية ، وتحاول البحث عن لفظ عربي بديل ، وبذلك يولد هذا اللفظ ميتا ، لا شتار اللفظ الأعجمي وشيوعه على الألسنة . ولم من ألفاظ وضعتها المجامع اللغوية ، لمستحدثات الحضارة ، غير أنها لم تتجاوز أبواب هذه المجامع ؛ فمثلا : المذياع للراديو ، والخيالة للسينما ، والمأوى للتبسيون ، والطائرة للكشك ، والملوحة للسيمافور ، والمرناة للتليفزيون ، وغير ذلك - ألفاظ ولدت ميتة ؛ لهذا السبب الذي ذكرته .

وفي رأيي أنه لو صاحب دخول المصطلح الأجنبي إلى البلاد العربية ، وضع لفظ عربي له ، وعناية وسائل الإعلام والصحافة بالدعاية له ، لقضى على الكثير من مظاهر هذه المشكلة من أساسها . وإنك لتعجب حين ترى الألمان يقومون بمثل ما ننادى به هنا ، ومعظم المصطلحات لها عندهم أسماء ألمانية حاضرة ، فالتليفون مثلا هو عندهم : Fernsprecher والتليفزيون : Fernsehen وغير ذلك . وفي قدرتنا النسخ على هذا المنوال ، للحفاظ على عروبة لغتنا . والله الموفق .

\*\*\*

## الباب الخامس من قضايا اللغة ومشكلات العبرية

وخصيصة  
لمخت فيه  
قناة العلم ،  
لخوف منه  
بها ونحوها ،  
غريبة عنها ،  
أصبحت

نضارة ، هي  
ستطع حتى  
يشيع اللفظ  
قيامه الجامع  
هذا اللفظ  
من الفاظ  
لجأوا أبواب  
للبنسبون ،  
ويول ، وغير

بلاد العربية ،  
لقد له ، لقضى  
س حين ترى  
عندهم أسماء  
والثيفريون :  
المحفاظ على

يرى محلي  
يقطرب ( المتروك )  
المختلفة ، التي تع  
فيقول أبو القاسم  
قائل : قد ذكر  
إليه من أجله لا  
وتكون فاعلة ومفع  
على هذه المعاني  
تسمى ، عن هذه  
الفعل له ، ويسمى  
فدلوا بتغير أول  
وأن المفعول قد  
على إضافة الغلام  
عليها ، ليسعوا  
عند الحاجة إلى  
كما يقول  
الأفعول والخروف  
والمفعول ، والمالك

الفصل الأول  
قضية الإعراب

يرى جميع النحاة العرب ، إلا أنا على محمد بن المستنير ، المعروف  
بقطرب ( المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ) أن حركات الإعراب ، تدل على المعاني  
المختلفة ، التي تتغير الأسماء ، من فاعلية أو مفعولية أو إضافة أو غير ذلك ؛  
فيقول أبو القاسم الزجاجي ( المتوفى سنة ٣٣٧ هـ ) في ذلك : « فَإِنْ قَالَ  
قَائِلٌ : قَدْ ذَكَرْتُ أَنَّ الْإِعْرَابَ دَاخِلٌ فِي الْكَلَامِ ، فَمَا الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ وَاحْتِجَّ  
إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِهِ ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ يُقَالُ : إِنَّ الْأَسْمَاءَ لَمَّا كَانَتْ تَعْتَوِرُهَا الْمَعْنَى ،  
وَتَكُونُ فَاعِلَةً وَمَفْعُولَةً وَمُضَافَةً وَمُضَافًا إِلَيْهَا ، وَلَمْ يَكُنْ فِي صَوَرِهَا وَأَبْنِيهَا ، أدلة  
على هذه المعاني ، بل كانت مشتركة ، جعلت حركات الإعراب فيها ،  
تنبي ، عن هذه المعاني ، فقالوا : ضَرِبَ زَيْدٌ عَمْرًا ، فدلوا برفع زيد على أن  
الفعل له ، وينصب عمرو على أن الفعل واقع به ، وقالوا : ضَرِبَ زَيْدٌ ،  
فدلوا بتعبير أول الفعل ، ورفع زيد ، على أن الفعل ما لم يسم فاعله ،  
وَأَنَّ الْمَفْعُولَ قَدْ نَابَ مَنَابَهُ ، وقالوا : هَذَا عَلَامٌ بِزَيْدٍ ، فدلوا بخفض زيد ،  
على إضافة العلام إليه . وكذلك سائر المعاني ، جعلوا هذه الحركات دلائل  
عليها ، ليسعوا في كلامهم ، ويقدموا الفاعل إذا أرادوا ذلك ، أو المفعول  
عند الحاجة إلى تقليده ، وتكون الحركات دالة على المعاني <sup>١</sup> » .

كما يقول الزجاجي أيضا : " وأصل الإعراب التسماء ، وأصل البناء للأفعال والحروف ، لأن الإعراب إنما يدخل في الكلام ، ليفرق بين الفاعل والمفعول ، والمالك والمملوك ، والمضاعف والمضاعف إليه ، وسائر ذلك

مما يعتور الأسماء من المعاني ، وليس شيء من ذلك في الأفعال ولا الحروف (١) .

وكذلك يقول ابن فارس اللغوي : « فأما الإعراب فيه تميز المعاني ، ويوقف على أغراض المتكلمين ؛ وذلك أن قائلًا لو قال : ( ما أحسن زيد ) غير معرب ؛ أو ( ضرب عمرو زيد ) غير معرب ، لم يوقف على مراده . فإذا قال : ما أحسن زيداً ، أو ما أحسن زيداً ، أو ما أحسن زيداً ؟ أياك بالإعراب عن المعنى الذي أراده . وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها ، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني (٢) » .

وهذه نظرة سليمة ؛ فإن الجملة التالية ، إذا كانت غفلا من الإعراب ، احتملت معاني عدة ، فإن أعربت نصت على معنى واحد : أكرم الناس محمداً - أكرم الناس محمداً - أكرم الناس محمداً - أكرم الناس محمداً !

أما « قطرب » ، فإنه يرى وحده أن هذه الحركات ، جيء بها للسرعة في الكلام ، وللتخلص من التقاء الساكنين ، عند اتصال الكلام ؛ فيقول : « وإنما أعربت العرب كلامها ؛ لأن الاسم في حالة الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا ، لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل ، وكانوا يبطئون عند الإدراج ، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ؛ ليعتدل الكلام ، ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ، ومتحركين وساكنين ، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ، ولا في حشو بيت ، ولا بين أربعة أحرف متحركة ؛ لأنهم في اجتماع الساكنين يبطئون ، وفي كثرة الحروف المتحركة

(١) المحل لم يحسن - ٢٧

(٢) الصاحح في لغة اللغة - ١٩٠ . نعم كذلك . مع الأولى . لأن الأثرى - ١٩٠

يستعملون ،  
الإسكان (١) »

هذا هو  
ولم يتابعه عليه  
الدكتور إبراهيم  
نأثر برأى قطرب  
النحو « ؛ لإبراهيم  
وقبل أن

أن نذكر هنا أن  
أشبه ذلك ، كان  
القدامي ؛ ولذلك  
خفص الفاعل  
لأن القصد في  
حركة أتى بها المتكلم  
وخروج على أوضاع

أما الذكر  
كان للنحاة سلف  
إلا في النادر ،  
تصدى فيه لدحا  
كانت محاولة إبراهيم  
محاولة تعليمية ،

(١) الإنصاح  
في مسائل علمية  
(٢) في الفصل  
عمر تأثر به « فزار  
(٣) الإنصاح

يستعجلون ، وتذهب المهلة في كلامهم ، فجعلوا الحركة عقب الإسكان<sup>(١٤)</sup> .

هذا هو رأى قطرب ، وهو رأى لم يسبقه به أحد - فيما نعلم - ولم يتابعه عليه غيره من اللغويين أو النحويين ، فيما عدا أستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس ، في كتابه القيم : « من أسرار اللغة »<sup>(١٥)</sup> ، ويظهر أنه تأثر برأى قطرب هذا ؛ إذ أشار إليه ناقلاً إياه عن كتاب : « إحياء النحو » ، لإبراهيم مصطفى .

وقبل أن نشير إلى تفصيل نظرية الدكتور أنيس وناقشها ، نود أن نذكر هنا أن رفع الفاعل ، ونصب المفعول ، وجر المضاف إليه ، وما أشبه ذلك ، كان من الحقائق المسلّمة ، التي لم يشكّ فيها واحد من النحاة القدماء ؛ ولذلك قالوا في ردّهم على قطرب : « لو كان كما زعم ، لجاز خفض الفاعل مرة ، ورفع آخرى ونصبه ، وجاز نصب المضاف إليه ، لأن القصد في هذا ، إنما هو الحركة تعاقب سكوناً يعتدل به الكلام ، وأى حركة أتى بها المتكلم أجزأته ، فهو مخير في ذلك ، وفي هذا فساد للكلام ، وخروج على أوضاع العرب ، وحكمة نظام كلامهم »<sup>(١٦)</sup> .

أما الدكتور إبراهيم أنيس ، فقد بدأ بمقدمة طويلة ، بين فيها كيف كان للنحاة سلطان على الشعراء والأدباء ، وأنهم لم يصادفوا من يهاجمهم إلا في النادر ، من أمثال : « ابن مضاء القرطبي » ، الذي ألف كتاباً ، تصدّى فيه لدحض علل النحاة - ثم يذكر الدكتور أنيس أن المحاولة الثانية ، كانت محاولة إبراهيم مصطفى في كتابه : « إحياء النحو » ، وأنها كانت محاولة تعليمية ، لتيسير تلك القواعد الإعرابية على الناشئين .

(١٤) الإيضاح للمرجح ٧٠ و عنه في الأشباه والنظائر للسيوطي ٧٩/١ وانظر رأى قطرب كذلك في مسائل خلاصه للمكبري ٩٥  
(١٥) في الفصل الذي عقده لذلك عنوان : « قصة الإعراب » - الطبعة الثالثة من ١٨٣ - ٢٠٨  
ومن تأثر به : مؤاد نزي ، في كتابه : في أصول اللغة والنحو ١٨٧ - ١٨٨  
(١٦) الإيضاح للمرجح ٧١ و عنه في الأشباه والنظائر للسيوطي ٧٩/١



ثم انتقل الدكتور أنيس بعد ذلك ، إلى البحث عن آثار هذا الإعراب في اللغات السامية الأخرى ، غير أنه لم يتعرض للإعراب في الأكادية والحيتية والأوجاريتية مع أن هذه اللغات الثلاث ، من أهم اللغات السامية في موضوع الإعراب - كما ستعرف فيما بعد - واستأثرت العربية ببحثه في أقل من صفحة ، وقال إنها استأثرت ببحث المستشرقين كذلك ، وعلى اعتقادهم في وجود الإعراب في اللغات السامية « يتأثرهم بما حدث في فروع الفصيلة الهندية الأوربية ، فقد عرفوا أن الوضع الإعرابي ، الذي يسمى : case - ending كان شائعا في لغاتهم القديمة ، كاليونانية واللاتينية ، وأنه قد فقد من اللغات الأوربية الحديثة ، كالإنجليزية والفرنسية ، فتصوروا أن ما حدث في التطور التاريخي للفصيلة الهندية الأوربية ، قد تم مثله في الفصيلة السامية<sup>(٧)</sup> » .

وبعد أن استعرض الدكتور أنيس إعراب اللاتينية باختصار ، قال : « ولعل أهم فرق بين رموز الأسماء في اللاتينية ، وبين حركات الإعرابية ، أن الرموز اللاتينية لا تسقط مطلقا ، من نهاية الأسماء حين الوقف عليها ، كما يحدث غالبا للحركات الإعرابية في لغتنا ، مما يجعلنا نرجح أن حركاتنا الإعرابية ، ليست رموزا لغوية ، تشير إلى الفاعلية أو المفعولية ، أو غير ذلك<sup>(٨)</sup> » .

وبعد أن درس ظاهرة الوقف ، في اللغة العربية ولهجتها ، بشيء من التفصيل ، خرج علينا الدكتور أنيس ، بنظريته الجديدة ، في تفسير ظاهرة الإعراب في اللغة العربية وللملخص نظريته فيما يلي :

١ - ليس للحركة الإعرابية مدلول ، فلا تدل الحركات الإعرابية ،

(٧) من أسرار اللغة ٢ ، ١٩

(٨) من أسرار اللغة ٢ ، ١٧ . ويذهب الدكتور دودج (أبحاث في اللغة العربية ١٩٢٩) ، لذلك إلى أن الرموز في أسرار كلمات العربية ، لم تكن تدل على فاعلية أو مفعولية أو محوفا ، وبطلان أنها كانت في الأصل جزءا من الكلمة ، وأنها كانت حركة واحدة في جميع الحالات ، التي تقع فيها الكلمة ، غير أنها أصبحت بعد ذلك ، « حركات لاهجيات » إلى غير ذلك من الطغريات ، التي لا تدل عليها<sup>(٩)</sup>

على فاعلية ،

٢ -

الغالب ، لوصف

التقاء الساكنين

لا يستفاد من

الجملة العربية

للجملة العربية

٣ -

الساكنين ، أو

الحلق للفتحة

أو ما يسمى

٤ -

عندوها علامات

أن تكون حركات

٥ -

الكلمات التي

« الرجل قائم »

قائم « بتسكين

٦ -

في الشعر والشعر

الدوقية ، وإن

يست أني ذؤيب

أبي الق

فيري الدكتور

على فاعلية ، أو مفعولية ، أو إضافة ، أو غير ذلك .

٢ - هذه الحركات لا تعدو أن تكون حركات ، يحتاج إليها في الكثير الغالب ، لوصل الكلمات بعضها ببعض ، بمعنى أنها حركات للتخلص من التقاء الساكنين ، عند وصل الكلام ، وأن معنى الفاعلية والمفعولية ، لا يستفاد من هذه الحركات ، وإنما من موقع كل من الفاعل والمفعول في الجملة العربية . وحاول الدكتور أنيس - تبعاً لذلك - أن يثبت نظاماً معيناً للجملة العربية القديمة ، يلى فيها الفاعل الفعل ، ويسبق المفعول .

٣ - هناك عاملان تدخلان في تحديد حركة التخلص من التقاء الساكنين ، أولهما : إثارة بعض الحروف لحركة معينة ، كإثارة حروف الحلق للفتحة مثلاً ، وثانيهما : الميل إلى تجانس الحركات المتجاورة ، أو ما يسمى : Vowel Harmony

٤ - مجمع النحاة القدماء هذه الحركات ، فأخطئوا تفسيرها ، حين عدوها علامات على الفاعلية والمفعولية وغيرها ، في حين أنها لا تعدو أن تكون حركات وصل بين الكلمات .

٥ - وحين اعتقد النحاة أنها حركات إعرابية ، حركوا أواخر الكلمات التي لا داعي إلى تحريكها ، لتطرد فواعدهم ؛ فقالوا مثلاً : « الرجل قائم » بضم اللام من « الرجل » ، وكان يكفى أن يقال : « الرجل قائم » بتسكين اللام ؛ إذ لا توجد ضرورة تدعو إلى تحريكها .

٦ - الحالات التي ليس فيها ما يدعو إلى تحريك الآخر ، جاءت في الشعر والشعر على سواء ، ولا يؤثر ذلك على وزن الشعر من الناحية الدوقية ، وإن كان يخالف ما يشترطه العروضيون في بعض الأحيان ، مثل بيت أبي ذؤيب الهذلي :

أبى القلبُ إلا أمَّ عمرو وأصبحتُ

تُحرقُ نارِي بالتَّكَاةِ ونارُها

فيرى الدكتور أنيس أن « كلمة : ( تحرق ) قد حرك آخرها ، دون ضرورة

ملحة ، وأن إنشاد البيت بغير هذه الحركة ، لا يكاد يؤثر في موسيقاه أو وزنه ، وكل الذي يترتب على مثل هذا الإنشاد ، أن تصبح ( مفاعيلن ) : ( مستفعل ) . وهذا التغيير الطفيف ، وإن لم يقل به أهل العروض ، فيما أظن ، لا يكاد يؤثر في وزن البيت شيئاً ، يشهد بهذا أصحاب الآذان الموسيقية الموهبة<sup>(٩)</sup> .

٧ - أما المعرب بالحروف ، فكانت إحدى صوره تخص قبيلة معينة ، والصور الأخرى تخص قبائل أخرى ، ولكن النحاة جمعوا كل هذه الصور ، وخصوا كل صورة منها بحالة إعرابية معينة ؛ فهو يفترض مثلاً أن هناك قبائل عربية ، كانت تنطق المثني بالياء في جميع الحالات ، ثم تطورت هذه الياء فصارت ألفاً ، عند بعض القبائل في جميع الحالات ، ولم يفهم النحاة سر الموضوع ، فجمعوا بين الصورتين ، وخصوا الأولى بحالتي النصب والجر ، كما خصوا الثانية بحالة الرفع .

تلك هي نظرية الدكتور إبراهيم أنيس ، في تفسير الإعراب في العربية الفصحى . ونحب قبل أن تناقشها ، ونبين أن الإعراب كما يعرفه النحاة ، من خصائص اللغات السامية - أن نشير إلى أن نظريته هذه لم تلق قبولا لدى أي باحث من الباحثين ، بل انبرى أحدهم للرد عليه ، وهو الدكتور مهدي المخزومي<sup>(١٠)</sup> . ومن أبرز الاعتراضات التي أثارها ، أن نظرية الدكتور أنيس ، لا تستطيع أن تفسر اختلاف اللهجات العربية في الوقف ؛ مثل لمحة أرد السراة ، الذين إذا وقفوا على المرفوع ، نطقوا بضمته وأطالوها ، فكأنما هي واو ، وإذا وقفوا على المكسور أطالوا كسريته ، فكأنما هي ياء ، فيقولون في الحملتين : هل جاء خالد ؟ وهل مررت بخالد ؟ : خالديو ، وخالدي ، حين يريدون الوقف<sup>(١١)</sup> ؛ فيقول الدكتور المخزومي : « فإذا

(٩) من أسرار اللغة ٢٥٢

(١٠) في كتابه : « مدرسة الكوفة » ص ٢٢٩ - ٢٣٠

(١١) القطر كتاب سبويه ٢٨١

لم تكن الحركات أعلاما لمعان قصد إليها المتكلم ، بل لم نَعُدْ أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان ، لوصل الكلمات بعضها مع بعض ، فكيف يفسر الوقف على : حالد في لغة من ينتظر ( وهي لغة أزد السراة ) ؟ ولماذا كانت الدال مرفوعة ومنصوبة ومخفضة في الجمل الثلاث ؟ ولماذا لا تكسر لتتسجم حركة الدال مع حركة اللام قبلها ؟ ... وعليه فإن القول بأن الحركات ، إنما هي سدّ للحاجة إلى وصل الكلمات بعضها ببعض ، وأنها ليست أعلاما للمعاني التي قصد إليها المتكلم ، قول لم يخالفه التوفيق<sup>(١٢)</sup> .

وكان كلام الدكتور المخزومي قصيرا في جملته ، كما أنه لم يشر إلى اللغات السامية الأخرى ، التي تعارض أصالة الإعراب فيها ، بطريقة الدكتور أنيس تماما ، كما سنبين ذلك فيما بعد<sup>(١٣)</sup> .

ولم يكن الدكتور أنيس ، هو أول من شك في حقيقة الإعراب ، وفسره هذا التفسير ؛ فقد ذكرنا في بداية حديثنا رأي قطرب ، في أن الإعراب لم يدخل في اللغة العربية للدلالة على المعاني ، وإنما دخل تخفيفا على اللسان ، ورأينا كيف ردّ اللغويون هذا الكلام ، ولم يأخذ به واحد منهم .

ومن المستشرقين من تشكك قبل الدكتور أنيس ، في اللغة العربية الفصحى ، وفي أهم خصائصها ، وهو الإعراب كذلك ، ومن هؤلاء « كارل فوللر<sup>(١٤)</sup> » Karl Vollers الذي كان يرى أن النص الأصلي للقرآن ، قد كتب بإحدى اللهجات الشعبية ، التي كانت سائدة في الحجاز ، والتي لا يوجد فيها كما لا يوجد في غيرها تلك النهايات المسماة

(١٢) مدرسة الكوفة ٢٥٦

(١٣) انظر أيضا آخر قصير للدكتور صبحي الصالح ، في كتابه : دراسات في لغة العرب القديمة ١٩٦٥

و انظر كذلك : لغة المقاري ، للدكتور إبراهيم السامح ١٩٦١

(١٤) في كتابه : *Umlautsprache und Schriftsprache in alten Arabien* ، اللغة الشعبية والكتابة

الآنسة في جزيرة العرب القديمة ، شتراسبورج ١٩١٦

بالإعراب ، وأنه انتقل إلى هذا النص فيما بعد ، الشكل الأدبي للغة العربية ، الذي هو عليه الآن ، وهو يرى أن العربية الفصحى ، التي رواها لنا النحويون العرب ، والتي توجد في القرآن ، كما احتفظ بها الشعر في موازينه - هذه العربية يراها « فولمرز » مصنوعة ، وهو ينكر على الإطلاق أن تكون هذه اللغة ، كانت حية في مكة ، على عهد النبي محمد ﷺ ، كما يشك أن يكون البدو الذين خرج من بينهم الشعراء ، كانوا يتكلمون هذه اللغة .

ومن المتشككين كذلك : « ياول كاله » Paul E. Kahle في فصل من كتابه : « الذخائر القاهرية » Die Kairoer Genisa بعنوان : « نص القرآن العرقي » ، يقول فيه : « جمع نص القرآن ، بعد وفاة النبي ﷺ ، بمكة وجيزة في عام ٦٣٢ م ، وأخذ شكله النهائي في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ( ٦٣٣ - ٦٥٥ ) ، وهنا قامت مشكلة : كيف يقرأ هذا النص ويرتل ؟ فقد ولد محمد ﷺ ، وأنحدر - كمعظم مواطنيه - من القبيلة العربية : ( قريش ) . وكانت اللغة العربية التي يتكلمها ، هي لغة المواطن المثقف في مكة . والنص القرآني الحالي من الضبط بالشكل ، يعكس بوضوح اللغة العربية ، التي كانت تتكلم في مكة . غير أن العرب كانوا قد تعودوا أن يعدوا اللغة البدوية ، نموذجاً للنطق الصحيح ، فهذه اللغة نظم الشعر العرقي الجاهلي ، وكان كل عرقي مزهواً بذلك . وإذا كانت كلمة الله لا يصح أن ترتل بلغة ، أقل مستوى من أية لغة أخرى ، فقد بدأت في العواصم الإسلامية ، في ذلك العصر المبكر - في الكوفة والبصرة والمدينة ومكة - دراسة نشيطة للشعر البدوي ، فكان الرجال المهتمون بهذا النمط في اللغة العربية ، يذهبون إلى جيرانهم من البدو ، ويجلسون ما أمكنهم من أشعارهم . وما يتصل بها من الحكايات ، وهي في الغالب أخبار عن الحروب الصغيرة ، التي جمعت تحت عنوان أيام العرب . وقد أخذت المادة التي جمعت بهذه الطريقة ، أساساً للعربية المودحية ، التي انتسبها النحويون ، ثم حذبت لغة القرآن على نمطها ، ومع

ذلك لم تغير  
مختلفة إلى  
ثم يقوم  
النشاط المبكر  
عن هذا الش  
من خلاله  
ويظن

وجده في مح  
٧٠٥ وفيه  
والسنة : من  
فأعترض في  
القرآن من فض  
وجدناها في  
الفصاحة في  
في عليا نعيم  
في غطفان  
ابن بكر ونفا  
لغة قريش عل  
عني حين  
مسعود . قال  
بلغة هذيل  
أبو بكر الص  
حروفه<sup>(١١٥)</sup>

(١١٥)  
جوهه ، و  
أثره لم

ذلك لم تغير كتابة المصحف ، بل ابتدعت طريقة ، تضاف فيها علامات مختلفة إلى النص ، لضمان صحة القراءة .

ثم يقول ياول كاله : « ولم تذكر كتب القراءات بوجه عام ، شيئاً عن النشاط المبكر للقراء ، فقد ضاعت أو أهملت تلك الكتب التي ذكرت شيئاً عن هذا النشاط ، فيما عدا خبراً ، عثرت عليه مؤخرًا ، ويمكن أن يرى من خلاله ذلك التطور . »

ويظن « ياول كاله » أنه عثر على بغيته ، في اقتباس عن القراء ، وجدته في مجموعة مخطوطة بمكتبة « تشستر بيتي » Chester - Beatty رقم ٧٠٥ وفيه : « قال القراء : وقد رأينا أهل القراءة ، الذين يعرفون الكتاب والسنة ، من أهل الفصاحة ، اجتمعوا على أنه نزل بأفصح اللغات ، فاعترض في ذلك أقوام ممن ينظر في الأشعار وأيام العرب ، فقالوا : إنما فضل القرآن من فضله ، لما أوجب الله من تعظيم القرآن ، فإذا صرنا إلى الفصاحة وجدناها في أهل البوادي . واختلفوا في ذلك ، فقال أهل الكوفة : الفصاحة في أسد ؛ لقرب جوارهم منهم . وقال أهل البصرة : الفصاحة في عليا تميم وسفلى قيس من عكل وعقيل . وقال أهل المدينة : الفصاحة في عطفان ؛ لأنهم جيرانهم . وقال أهل مكة : الفصاحة في كنانة بن سعد ابن بكر وثقيف . فأحبنا أن نردهم بالآثار والقياس والاعتبار ، إلى تفضيل لغة قريش على سائر اللغات ... قال : وسمع عمر بن الخطاب رجلاً يقرأ : عتي حين يريد ؛ حتى حين ، فقال : من أقرأك هذا ؟ قال : عبد الله بن مسعود . قال : فكتب إلى عبد الله : إن القرآن نزل بلغة قريش ، ولم ينزل بلغة هذيل ، فأقرئه الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل ، وقال أبو بكر الصديق رحمه الله : إن إعراب القرآن ، لأحب إلي من حفظ بعض حروفه<sup>(١٥)</sup> . وقال ابن مسعود : جودوا القرآن ، ورينوه بأحسن

(١٥) في الإيضاح للمصنف ٩ - وقال أبو بكر : عبد الله بن مسعود : جودوا القرآن ، ورينوه بأحسن .  
 ترجمه : در نظم بعض الأحاديث سنن في إيضاح الحديث والآثار - لأبي الأثير ١٥ - ١٠٩٠ هـ  
 في سائر النسخ ١٥٧/١



الأصوات ، وأعرابه فإنه عرى ، والله يحب أن يعرب » .

وقد علق « كاله » على كلمة : « إعراب » في نص أتي بكر الصديق ، بقوله : « الإعراب يعنى : الحركات في أواخر الكلمات العربية ، طبقا لقواعد العربية الفصحى » . وقد استتج « كاله » من ذلك أن « الإلحاح على طلب قراءة القرآن بالإعراب ، لا يبدو معقولا ، إلا إذا كان يقرأ في الواقع بدون إعراب ، وأريد له أن يقرأ بالإعراب ، الذي عُدَّ في وقت متأخر ، من مظاهر الصحة اللغوية » .

وهو مخطئ في استنتاجه ذلك ؛ لأن الإعراب بمعناه الاصطلاحي ، لم يكن معروفا في أيام أتي بكر وابن مسعود . ومعنى كلمة : « إعراب القرآن » في هذه الأحاديث - إن لم تكن مزيفة - هو الوضوح والبيان في قراءة القرآن الكريم .

وإذا كان هذان المستشرقان : « فوللرز » و « كاله » ، يريان هذا الرأي الغريب في العربية الفصحى والإعراب ، فإن كثيرا من المستشرقين ، قد دافعوا عن أصالة الإعراب في العربية ، مثل : « تولدكه » Th. Nöldeke الذي يرى في مقالة له بعنوان : « ملاحظات على لغة العرب القدامى »<sup>(١٧)</sup> : « أنه من غير المعقول أن يكون محمد ﷺ ، قد استخدم في القرآن ، لغة تخالف كل المخالفة ، تلك اللغة التي كانت شائعة في مكة آنذاك ، وأن يكون قد اعتنى بالإعراب هذه العناية ، وقومه لا يستخدمون هذا الإعراب في كلامهم » . كما يرى تولدكه : « أن شعر ذلك العصر ، كان يمثل لغة البدو ، التي كانوا يتحدثون بها في ذلك الوقت ، والتي ظلوا يتحدثون بها زمنا طويلا بعد ذلك ، ولا يغير من هذه القضية شيئا ، أن لغة الشعر بها بعض الاختلاف عن لغة الحياة العامة ، وأن الشاعر ما كان يضطره وزن الشعر وأسلوبه ، إلى الإتيان بتعبيرات خارجة

عن المؤلف  
العرب ، وس

ويست  
كان يرى هـ  
الحديثة ، وتأت  
من يريد التح  
( فوللرز ) إل  
اللغويين العرب

ويرى  
اللغة الحية في  
في عصر فار  
ولكن ظاهرة ال

سماع الصنيع  
اتصال الكلام  
كثيرا مع إل

كما يرى  
في كتابه :  
النبي ﷺ ،  
لكان من غير  
آثار منها »

وأخيرا  
عربية النحاة

(١٧) انظر

schaff (188)

(19) اللغات



عن المؤلف ، وغير ذلك من الأمور التي لاحظها كذلك قدامى اللغويين العرب ، وسجلوها بدقة .

ويستطرد « نولدكه » في مقاله هذا إلى أن « فتسشتاين Wetzstein » كان يرى هو أيضاً ، أن لغة الشعر مصنوعة تماماً ؛ فقد درس العربية الحديثة ، وتأثر بها إلى درجة أنه أصبح يرى أن القواعد ، التي تطالب بها من يريد التحدث بالعربية الفصحى ، عديمة الجدوى . ولم يذهب ( قوللر ) إلى هذا الحد من التفكير بالنسبة للعربية ، ولكنه كان يرى أن اللغويين العرب ، قد جمعوا عناصر الإعراب بمهارة فائقة وأكملوها .

ويرى « نولدكه » كذلك أنه « من الخطأ الشيع ، الاعتقاد بأن اللغة الحية في عهد النبي محمد ﷺ ، لم يكن فيها إعراب ؛ فإن العلماء في عصر هارون الرشيد ، قد وجدوا الإعراب بكل دقائقه لدى البدو . ولكن ظاهرة الوقف الشائعة كثيراً في الحديث اليومي ، قد عودت الأذن على سماع الصيغ الحالية من الإعراب ، فاستطاع أحد الشعراء استخدامها ، عند اتصال الكلام كذلك ، وعلى الأخص في صيغة المضارع ، التي لا تتلاءم كثيراً مع وزن الشعر » (١٧) .

كما يرى « نولدكه » في الفصل الذي كتبه عن « لغة القرآن » في كتابه : « مقالات جديدة في علم اللغات السامية » (١٨) أنه « لو كان النبي ﷺ ، أو أحد معاصريه من المؤمنين ، قد نطق بالقرآن دون إعراب ، لكان من غير الممكن أن تضعي الروايات الخاصة بذلك ، دون أن يبقى لنا آثار منها » .

وأخيراً يرى « نولدكه » كذلك ، أن « لهجة شديدة الانحراف عن عربية النحاة ، لا يناسبها مطلقاً محور الشعر المعروفة » (١٩) .

(١٧) نظر Nöldeke, Zur Grammatik 10

(١٨) Nöldeke, Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft

(١٩) اللغات السامية ، نولدكه ٧٥

ويقول المستشرق « يوهان فوك » J. Fück : « قد احتفظت العربية الفصحى ، في ظاهرة التصرف الإعرابي ، بسمة من أقدم السمات اللغوية ، التي فقدتها جميع اللغات السامية - باستثناء البابلية القديمة - قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي . وقد احتدم النزاع ، حول غاية بقاء هذا التصرف الإعرابي ، في لغة التخاطب الحي ، فأشعار عرب البادية - قبل الإسلام وفي عصوره الأولى - ترينا علامات الإعراب مطردة ، كاملة السلطان ، كما أن الحقيقة الثابتة ، من أن النحويين العرب كانوا - حتى القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي على الأقل - يختلفون إلى عرب البادية ، ليدرسوا لغتهم ، تدل على أن التصرف الإعرابي ، كان في أوج ازدهاره آنذاك ، بل لا تزال حتى اليوم ، نجد في بعض النقايا الحامدة من لهجات العرب البداءة ، ضواهر الإعراب<sup>(١٠)</sup> » .

ويقول المستشرق « برجشتراسر » G. Bergsträsser : « والإعراب سامي الأصل ، تشترك فيه اللغة الأكادية ، وفي بعضه الحبشية ، ونجد آثارا منه في غيرها أيضا<sup>(١١)</sup> » .

\* \* \*

ونصل الآن إلى موقفنا من الإعراب ، ونظرية الدكتور أنيس في تفسيره ، فنقول إن الإعراب في العربية ، كان - كما يقول النحاة العرب - يدل على المعاني ، من الفاعلية والمفعولية وغيرها ، ولم يكن حركات وحصل بين الكلمات ، كما يرى الدكتور أنيس . ودليلنا على ذلك عدة أمور :

أولا : وجود الإعراب كاملا في بعض اللغات السامية القديمة ، كالأكادية ، وتشمل اللغتين : البابلية والآشورية في عصورهما القديمة . وهذا قانون « حموراني » ( ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق م ) ، المدون باللغة البابلية القديمة ، يوجد فيه الإعراب ، كما هو في اللغة العربية الفصحى تماما ،

(١٠) العربية : يوهان فوك ١٥ .

(١١) التطور النحوي : برجشتراسر ٥٥ .

فالفاعل مرفوع ، والمفعول منصوب ، وعلامة الرفع الضمة ، وعلامة النصب الفتحة ، وعلامة الجر الكسرة ، تماماً كما في العربية ؛ ففي الفقرة الأولى من هذا القانون ، نقرأ الجملة التالية : *šummā awēlum awēlam ubbirma* بمعنى : « إذا اتهم إنسان إنساناً » ؛ ففي هذه الجملة نجد *awēlum* الأولى بمعنى : « إنسان » في حالة الفاعل ، وهي مرفوعة بالضمة . أما الميم الأخيرة ، فهي في الأكادية ، تقابل التنوين في اللغة العربية ، و *awēlam* الثانية في حالة المفعول ، وهي منصوبة بالفتحة ، وبعدها التميم كذلك .

وفي الفقرة الخامسة من قانون حمورابي : *šummā dayānum* *dinam iddin* بمعنى : « إذا حكم قاض حكماً » ؛ فكلمة *dayānum* بمعنى : « قاض » في حالة الفاعلية ، وهي مرفوعة بالضمة ، وكلمة *dinam* بمعنى : « حكم » في حالة المفعولية ، وهي منصوبة بالفتحة .

وفي الفقرة ١٩٥ من هذا القانون : *šummā maru abāšu imtahas* بمعنى : « إذا ضرب ابن أبيه » ، نجد كلمة *abāšu* بمعنى : « أباه » ، وهي في حالة المفعولية ، منصوبة بالألف ؛ لأنها من الأسماء الخمسة ، تماماً كما في العربية .

ولا يقتصر الأمر على ذلك ، بل إن المثني وجمع المذكر ، يماثلان في الإعراب : المثني والجمع في العربية ، فيرفع المثني بالألف ، وينصب ويجر بالياء ، التي تحولت إلى كسرة طويلة ممالئة ، بعد انكماش الصوت المركب ، كما حدث في اللهجات العربية الحديثة ، في مثل : « مركبتين » ؛ فيقال في الأكادية مثلاً : *inān* بمعنى : ( عينان ) في حالة الرفع ، و *inēn* في حالتي النصب والجر . أما جمع المذكر ، فإنه يرفع بالواو ، وينصب ويجر بالياء ؛ فيقال مثلاً : *šarrū* بمعنى : ( ملوك )

في حالة الرقع ، و *karri* في حالتى النصب والجر<sup>(٢٢)</sup> .

وقد اختلطت حالات الإعراب ، في العصور المتأخرة للأكادية . ويرجح المستشرقون أن الإعراب ، كان قد زال من الاستعمال الحى في تلك العصور ، وأن ما يوجد منه مختلطا في الكتابة ، سببه محاولة تقليد الكتاب ، للكتابات القديمة<sup>(٢٣)</sup> .

وتوجد حالات الإعراب كذلك ، في اللغة الأوجاريتية ، وهى - كما عرفنا من قبل - إحدى اللغات السامية ، المكتشفة حديثا في منطقة : « راس شمرا » على الساحل الشمالى لسوريا ، وهى مكتوبة بالخط المسمارى ، غير أنه يسير فيها على النظام الأبجدى ، ولا يوجد بها رموز لضبط الحركات ، إلا في الرمز الدال على صوت الهمزة ، فإن هذا الرمز له ثلاث صور ، ونجد في هذه الكتابات الأوجاريتية ، أن الكلمة إذا كانت متتية بالهمزة ، صورت الهمزة فيها بإحدى الصور في حالة الرفع ، وبالصورة الثانية في حالة النصب ، وبالصورة الثالثة في حالة الجر<sup>(٢٤)</sup> .

بل إن اللغة الحبشية ، تكفى هى أيضا للتدليل على أصالة الإعراب ، ودلالته على المعانى في اللغة العربية ؛ إذ تظهر في الحبشية حالة النصب ، التى تطابق من الناحية الإعرابية ، نظيرتها في اللغة العربية ، إلى حد كبير .

ففى الحبشية يقال مثلا : *wa'aḳamka lōtū kīdāna* بمعنى : « وأقمته له عهداً » . وكذلك : *re'īku ḥatī'ata* بمعنى : « رأيتُ » .

(٢٢) لا يريد الخوض في تفاصيل اللغة الأكادية ، وحالات الإعراب فيها ، ويكفى أن يحيل الباحث ، على أحد المؤلفات المهمة في قواعد اللغة الأكادية ، للمستشرق : « فون سoden » *W. von Soden* . وهو : *Grundriss der akkadischen Grammatik* « الأساس في قواعد الأكادية » - روما سنة ١٩٥٢ م .

(٢٣) انظر : *فقه اللغات السامية لبروكلمان* ١٠٢ .

(٢٤) انظر كتاب : « جوردون » : *C. H. Gordon, Ugaritic Manual, Roma 1955* وانظر

كذلك : *S. Moscati, An Introduction, 95* .

حديثة « ، و قد ثبت من *latarka lā'lehu mōra* بمعنى « كتبت عليه الموت »<sup>(٢٥)</sup> .

ويقول تولدكه : « وهذه حركة لفتح ، في نهاية الناطق للغائب المذكور ، تلك الحركة التي ضاعت من اللهجات العربية الحديثة ، لا تزال موجودة في لغة من اللغات السامية ، ابعدت فيما عدا ذلك عن أصولها الساميات بعداً كبيراً ، ونعني بها اللغة الأمهرية في الحبشة ، ومع يبق من هذه الفتحة في اللغات السامية الأخرى ، إلا آثار ضئيلة ( ولا سيما عند الاتصال ببعض ضمائر النصب ) . ونحن نعدّ هذه الفتحة من مسائل الإعراب ، تماماً كما هي حركة إعراب أخرى<sup>(٢٦)</sup> » .

هذا ، وفي اللغات السامية الأخرى ، عدا الأكادية والأوجاريتية والحشية ، بقايا حقيقية وأخرى مظلونة ، من حالات الإعراب ، التي كانت موجودة في اللغة السامية الأم ، غير أن المقام لا يتسع لتفصيل القول فيها هنا<sup>(٢٧)</sup> .

ثانياً : القرآن الكريم ، الذي وصل إلينا متواتراً ، بالرواية الشفوية الموثوق بها جيلاً بعد جيل ، وصل إلينا معرباً . ولا نظن أحداً يعتقد أن النبي ﷺ ، كان لا يحرك أواخر الكلمات في تلاوته لنص القرآن الكريم ، إلا حيث اقتضته ضرورة وصل الكلمات ، أو بعبارة أخرى ، حيث أراد التخلص من التقاء الساكنين عند اتصال الكلام ، فمن غير الممكن ، ورواية القرآن الكريم إلى هذا الحد من التواتر ، أن نظن أن النبي ﷺ ، كان يتلو قوله تعالى في سورة القلم : « ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وإن لك لأجراً غير ممنون » ، بتسكين أواخر كلمات :

(٢٥) انظر كتابنا : لغو من اللغات السامية ، ص ١٢٠ وما بعدها .

(٢٦) انظر Th. Noldeke, Einige Bemerkungen, ZA, Bd. ١٨ 172 .

(٢٧) أشار إلى هذه القايا : بر. كلمان (C. Brockelmann) في كتابه مشهور : Grundriss der vergleichenden Grammatik, I 459-766 .

انقلم سبعة ريت - وإليك - خلق ، حيث لا يوجد ما يدعو إلى تحريكها من الباحة الصوتية . إننا نعتقد أن ذلك لم يحدث ، ولو حدث لوصلت إلينا روايات عن ذلك . وقد كان « تولدكه » على حق ، عندما رأى - في قوله الذي سبق أن ذكرناه هنا - أنه « لو كان النبي ﷺ ، أو أحد معاصريه من المؤمنين ، قد نطق بالقرآن دون إعراب ، لكان من غير الممكن أن تصيغ الروايات الخاصة بذلك ، دون أن يبقى لنا آثار منها » .

ثالثاً - الرسم القرآني ، الذي نقل إلينا متواتراً ، يؤيد وجود الإعراب في العربية الفصحى ، وأنه ليس من اختراع النحاة ، وإلا فكيف نفسر وجود الألف في الخط العثماني ، في حالة المنصوب المتون . وإننا إذا نظرنا مثلاً في قول الله تعالى : « وما الله بغافل » ، وقوله : « ولا تحسبن الله عاقلاً » ، عسر علينا فهم السر في تحريك اللام في : ( غافل ) الأولى بالكسرة ، وفي الثانية بالفتحة ، لو أن الأمر لا يعدو الانسجام الموسيقي ، والضرورة الصوتية . ومثل ذلك في قوله تعالى : « إنا وجدناه صابراً نعم العبد » وقوله : « أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » ، وغير ذلك .

وقد تنبه إلى هذه النقطة ، الدكتور على عبد الواحد وافي ، فقال : « وإن في رسم المصحف العثماني نفسه ، مع تحوُّده من الإعجام والشكل ، لدليلاً على فساد هذا المذهب - وذلك أن المصحف العثماني ، يرمز إلى كثير من علامات الإعراب بالحروف ( المؤمنين ، المؤمنين ... ) ، وعلامة إعراب المنصوب المتون ( رسولا ، شهيدا ، بصيرا ... ) وهلم جرأً . ولا شك أن المصحف العثماني ، قد دُوِّن في عصر سابق يأمد غير قصير ، لعهد علماء البصرة والكوفة ، الذين تنسب إليهم هذه المذاهب الفاسدة ، اختراع قواعد الإعراب<sup>(٢٨)</sup> » .

رابعاً : الشعر العربي بموازينه وبحوره ، لا يقبل نظرية الدكتور إبراهيم

(٢٨) فقه اللغة ، لعلي عبد الواحد وافي ، ٢٠٩ .

أنيس ، بحال من الأحوال ، ويكفى أن نقرأ بيتا كبيت بشر بن أبي حازم :  
 فَكَأَنَّ ظَنَّهُمْ عِدَاةً تَحْتَلِبُوا  
 نَفْسٌ تَكْفَأُ فِي خَلِيجٍ مُقَرَّبٍ<sup>(١٢٩)</sup>  
 تسكت أواخر كلماته ؛ لتدرك إلى أي حد يفقد البيت وزنه الشعري ،  
 ويوقعه الموسيقى على النفوس .

خامسا : هذه الأخبار الكثيرة ، التي وصلت إلينا ، والتي تدل  
 على فطنة العلماء ، في الصدر الأول ، إلى هذه الحركات الإعرابية ومدلولها ،  
 وعيهم من يخيد عنها ، ممن فسدت ألسنتهم ، بحالطتهم للأعاجم ، ونحن  
 وإن كنا تشك في صدق بعض هذه الأخبار ، لما يبدو فيها من مسحة  
 التكلف والصنعة ، فإننا نرى في حملها دلالة صادقة ، على وجود الإعراب  
 في الكلام وشعور هؤلاء القوم به ، قبل أن يخرج النحاة بتفريعاتهم  
 على الناس .

فقد كتب كاتب لأبي موسى الأشعري ، إلى عمر بن الخطاب :  
 « من أبو موسى » . فكتب إليه عمر رضي الله عنه : « سلام الله عليك ،  
 فاضرب كتابك سوطا ، واحدا ، وآخر عطاءه سنة<sup>(١٣٠)</sup> » .  
 ويروى عن أبي الأسود الدؤلي ، أنه سمع رجلا يقرأ : « أن الله يرى »  
 من المشرقين ورسوله » ، بكسر اللام ، فقال : « لا أظن بسعني إلا أن  
 أضع شيئا أصلح به نحو هذا<sup>(١٣١)</sup> » .

ويروى أن أبا الأسود الدؤلي ، جاء إلى زياد بالبصرة ، فقال : إني أرى  
 العرب قد حالطت الأعاجم وتغيرت الألسنة ، أفأؤذن لي أن أضع للعرب

(١٢٩) ديوانه ٤٧ ص ٢٠

(١٣٠) مراد نحو أبي طيبة شعري ٢٠٠ ص ١٢١ الفصل من مذهب عمر بن الخطاب

فراج يوفى والأبداء والاسم لأشعري ٢٢

(١٣١) مراد نحو أبي طيبة شعري ٢٠٠ ص ١٢١ الفصل من مذهب عمر بن الخطاب

٢٠٠ ص ١٢١ الفصل من مذهب عمر بن الخطاب ٢٠٠ ص ١٢١ الفصل من مذهب عمر بن الخطاب



كلاما يعرفون أو يقيمون به كلامهم ؟ قال : لا ، فجاء رجل إلى زياد فقال : أصلح الله الأمير ، توفي أبانا وترك بنونا ، فقال زياد : توفي أبانا وترك بنينا . ادع لي أما الأسود ، فقال : صغ للناس الذي هببتك أن تضع لهم (٣٠) .

ويروى أن ابنة أبي الأسود ، قالت لأبيها يوما : يا أبت ما أحسن السماء . قال : أتى نبتة ، نجومها . قالت : إني لم أزد أي شيء منها أحسن . وإنما تعجبت من حسنها . قال إذن فقولي : ما أحسن السماء (٣١) .

كما يروى أن ابنة قالت له : يا أبت ، ما أشد الحر - في يوم شديد الحر - فقال لها : إذا كانت الضغعاء ( أي الشمس ) من فوقك ، والرمضاء من تحتك . قالت : إنما أردت أن الحر شديد . قال : فقولي إذن : ما أشد الحر (٣٢) .

وقال رجل للحسن البصري : يا أبو سعيد ، فقال له : كسب الدوانيق شغللك عن أن تقول : يا أبا سعيد (٣٣) .

ودخل رجل على زياد ، فقال له : إن أبينا هلك ، وإن أختنا غصبا على ميراثنا من أبانا ، فقال زياد : ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك (٣٤) .

ومثل ذلك حدث لسليمان بن عبد الملك ، فقد قام إليه رجل ، وقال : أصلح الله الأمير ، إن أبينا هلك ، فوثب أخانا ، وأخذ ما لنا ، فقال

(٣٠) أخبار النعمان البصريين ١٣ وطلبات النعمان للزبيدي ١٤ وترعة الأنباء ٥ وإيضاح الوقف والإنداء ٤٢ - ٤٣ .

(٣١) أخبار النعمان البصريين ١٤ وترعة الأنباء ٥ وإيضاح الوقف ١٦/١ .

(٣٢) أخبار النعمان البصريين ١٤ وطلبات النعمان للزبيدي ١٤ وإيضاح الوقف ١٦/١ .

(٣٣) سور النفس المتعصر من النفس للحرباني ٣ وإيضاح الوقف والإنداء ٥٨ .

(٣٤) عبود الأحرار ، لأن قضية ١٥٩/٢ .

سليمان : فلا رحم الله أباك ، ولا عافى أخاك ، ولا رد مالك . السوط !!  
فلما أخذه السوط قال : بسم الله . قال سليمان : دعوه ، فلو كان تارك  
اللعن ، ترك الساعة<sup>(٣٧)</sup>

ودخل على عبد العزيز بن مروان ، رجل يشكو صهراً له ، فقال : إن  
خنتي فعل كذا وكذا . فقال له عبد العزيز : ومن خنتك ؟ قال : الختان  
الذي يختن الناس . فقال عبد العزيز لكتابه : ويحك ، بم أجابني ؟ فقال :  
أيها الأمير إنك لحنت - وهو لا يعرف اللحن - كان ينبغي أن تقول :  
من خنتك ؟<sup>(٣٨)</sup>

ومرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، على قوم يسيئون الرمي :  
فقرعهم ، فقالوا : إنا قوم متعلمين ، فأعرض مغضباً ، وقال : والله لخطوكم  
في لسانكم أسد على من خطبكم في رميكم<sup>(٣٩)</sup> .

واستأذن رجل على إبراهيم النخعي ، فقال : أبا عمران في الدار ؟  
فلم يجبه ، فقال : أي عمران في الدار ؟ فناداه : قل الثالثة وادخل<sup>(٤٠)</sup> .

ومثل ذلك يروى عن الحسن البصري : إذ قرع عليه الباب رجل ،  
وقال : يا أبو سعيد ، فلم يجبه ، فقال : يا أي سعيد ، فقال الحسن : قل  
الثالثة وادخل<sup>(٤١)</sup> .

كل هذه الروايات وأمثالها ، تدلنا على وجود الإعراب ، كما يعرفه  
النحويون في العربية الفصحى ، كما تدلنا من جانب آخر ، على أنه لم يكن  
لغة سليقة لكل من تكلم العربية ، بدليل وقوع اللحن الإعرابي في كلام  
هؤلاء القوم ، ومعظمهم من الموالى .

(٣٧) نور القس المختصر من المختصر للمرواني ٣ ومعه الأدباء ٤٧٤١ - ٤٧٤٢

(٣٨) نور القس المختصر من المختصر للمرواني ٣

(٣٩) معه الأدباء ٦٧/١ - ٦٧/٢ بإصاح الوقف . الأدباء - ٥

(٤٠) معه الأدباء ٦٨/١

(٤١) معه الأدباء ٧٩/١

رجل إلى إباد  
توفي أبانا وترك  
يشك أن تضع

يت ما أحسن  
أي شيء منها  
: ما أحسن

في يوم شديد  
من فوقك ،  
قال : فقول

له : كسب

أخينا عصا  
أكثر مما ضاع

م إليه رجل ،  
مالنا ، فقال

وإصاح الوقف

سادساً : وبما يؤيد رأينا في أن الإعراب ليس مصنوعاً ، أن العلماء في عصر هارون الرشيد ، كانوا يسمعون به بكل ذقائفه من الأعراب اللذين كانوا يلقونهم . وهذا هو سيويه ، يروى في كتابه كثيراً عنهم ، مثل قوله (١٢٩) :

- ١ : ٣/١٤٧ : ومن ذلك قول العرب .  
 ١ : ١٢/١٥٣ : وزعم أبو الخطاب أنه سمع بعض العرب الموثوق بعربيتهم .  
 ١ : ٦/١٥٦ : وسمعنا أيضاً من العرب من يوثق بعربيته يقول .  
 ١ : ٨/١٦١ : وهذا مثل بيت سمعناه من بعض العرب الموثوق به يرويه .  
 ١ : ٥/١٩٨ : وسمعنا العرب الموثوق بهم .  
 ١ : ١/٢٠٢ : سمعنا ذلك ممن يوثق به من العرب .  
 ١ : ١١/٢١٠ : وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم .  
 ١ : ١٩/٢١٤ : كذا سمعنا العرب تنشده .  
 ١ : ١٠/٢٢٧ : ولو أن هذا القياس لم تكن العرب الموثوق بعربيتهم تقول ، لم يلتفت إليه ، ولكنا سمعناها تنشد هذا البيت جرّاً ... سمعنا من العرب من يرويه ، ويروى القصيدة التي فيها هذا البيت ، ما يلقنه أحد ، هكذا .  
 ١ : ١٤/٢٥٠ : كذا سمعناه من العرب .  
 ١ : ١٨/٢٥٨ : حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب ، عن يوثق به من العرب .  
 ١ : ٨/٢٧١ : وحدثنا الخليل أنه سمع من العرب من يوثق بعربيته . . .  
 وحدثني أبو الخطاب أنه سمع من يوثق بعربيته من العرب .  
 ١ : ١٨/٣٠٧ : وزعم لي بعض العرب .  
 ١ : ٨/٤٥١ : وسمعنا غريباً موثقاً بعربيته .

١: ٨/٤٧٥: وحدثني من لا أتهم ، عن رجل من أهل المدينة موثوق به ، أنه سمع عربيا يتكلم .

ويرغم أبو زيد الأنصاري ( المتوفى سنة ٢١٤ هـ ) أنه هو المعنى بمثل عبارة سيويه : « وسمعنا الثقة من العرب (٤٣) » .

وهذا ابن جنى في القرن الرابع الهجري ( المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ) ، يروي عنه أن البدو كانوا لا يزالون ينطقون بالإعراب في عصره ؛ يقول ابن جنى : « وعلى نحو ذلك ، فحضرني قديما بالموصل أعرابي عقيلي جوئي نيمسي ، يقال له محمد بن العساف الشجري ، وقلما رأيت بدويا أفصح منه ، فقلت له يوما شغفا بفصاحته ، والتذاذا بمطاولته ، وجريا على العادة معه في إيقاظ طبعه ، واقتداح رند فطنته : كيف تقول : ( أكرم أخوك أباك ) ؟ فقال : كذلك ، فقلت له : أفقول : ( أكرم أخوك أبوك ) ؟ فقال : لا أقول : ( أبوك ) أبدا . فقلت : فكيف تقول : ( أكرمني أبوك ) ؟ فقال : كذلك . قلت ألت ترعم أنك لا تقول : ( أبوك ) أبدا ؟ فقال : أيش هذا ؟ اختلفت جهتا الكلام ! فهل قوله : اختلفت جهتا الكلام ، إلا كقولنا نحن : هو الآن قاعل ، وكان في الأول مفعولا ؟ فانظر إلى قيام معاني هذا الأمر في أنفسهم ، وإن لم تقطع به عبارة (٤٤) » .

ونختم حديثنا في هذه النقطة ، بما قاله الدكتور علي عبد الواحد وافي : « وإذا أمكن أن تتصور أن علماء القواعد ، تواطوا جميعا على اختلاق الإعراب ، فإنه لا يمكن أن تتصور أنه تواطأ معهم عليه .

(٤٣) سيويه ١: ١٣/٣٣١ ويقول السواقي : « وذكر أبو زيد الحوي اللقي ، كالتخمين بذلك بعد موت سيويه ، قال : كل ما خاله سيويه ، وأخبرني الثقة فأنا أخبرته » ( أخبار السجويين الصوريين ٣٧ ) . ويقول باقرت : « وكان سيويه إذا قال : سمعت الثقة ، يريد به : أبا زيد الأنصاري ( معجم الأدباء ١١/٢١٥ ) ونظر ( الاقحاح ٢٢١ ) . (٤٤) معجم الأدباء ١٠٥/١٢ وهو في الخصائص ٧٦/١ ٢٥٠/١١ مع اختلاف في الرواية ، وانظر حوار آخر لابن جنى مع الشجري هذا ، في معجم الأدباء ١٠٦/١٢ - ١٠٩ .

جميع العلماء من معاصريهم ، فأجمعوا كلمتهم ألا يذكر أحد منهم شيئا  
 ما ، عن هذا الاختراع العجيب ، ولا يعقل أن يقل معاصروهم عدد  
 القواعد ، على أنها ممثلة لقواعد لغتهم ، ويخندوها في كتاباتهم ، اللهم  
 إلا إذا كان علماء البصرة والكوفة ، قد سحروا عقول الناس  
 واسترهبوهم ، وأنسوهم معارفهم عن لغتهم وتاريخها ، فجعلوهم  
 يعتقدون أن ما جاءوا به من الإفك ، مثل لفصيح هذه اللغة (٥٠) .

\*\*\*

وفيما يلي يشير إلى رأى المستشرقين في تفسير حركات الإعراب  
 في اللغات السامية . وقد كتب في ذلك منهم كل من « وليم رايت »  
 W. Wright في كتابه : « محاضرات في النحو المقارن للغات السامية »  
 Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic  
 Languages ( كامبردج ١٨٩٠ م - ص ١٤٣ ) ، و « كارل  
 بروكلمان » في كتابيه : « فقه اللغات السامية » Semitische  
 Sprachwissenschaft ( ليبزج ١٩٠٦ م - ص ١١١ - ١١٢ ) ،  
 وكتاب : « الأساس في النحو المقارن للغات السامية »  
 Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen ( برلين  
 ١٩٠٨ م - ٤٥٩/١ - ٤٦٠ )

وبخلاصة رأيهما أنه من الحائر أن تكون اللغة السامية الأم ، كانت  
 تفرق بين حالة الرفع ، بوصفها حالة تحديد للمسند إليه ، وربما للمسند  
 أيضا ، باللاحقة ( u ) ، وحالة الجر ، بوصفها حالة تحديد للاسم ،  
 باللاحقة ( i ) ، وأخيرا حالة النصب ، بوصفها حالة تحديد للفعل ،  
 باللاحقة ( a ) . والأصل الأول لكل لاحقة ، لا يعرف على وجه التأكيد ،  
 وربما يكون الشكل الكامل لللاحقة الخاصة بالنصب ، هو : ( hā )  
 لتجوزة في الحبشية في الأعلام ، ولا سيما أعلام الأشخاص مثل :

( re'iku yeshākā ) بمعنى : « رأيت إسحاق » . وقد تكون ( hā ) هذه متصلة بسبب وثيق بـ ( hā ) الإشارية ، التي لا تزال تستخدم في العربية للتنبيه ، وفي العبرية للتعريف في أول الكلمة ، وفي الآرامية للتعريف في آخرها ، بعد سقوط الهاء منها ، في هذه اللغة الأخيرة . وتدل هذه الهاء في الحقيقة ، على التوجه نحو شيء ما .

وقياسا على تفسير حالة النصب ، قد تكون لاحقة الرفع ، مختصرة من الضمير : « هو » ، أي أصل : « الملك » = الملك + هو !

وأخيرا ، فبالنسبة إلى لاحقة الجر ، ليس الافتراض نهائيا ، أن تكون لها صلة بباء النسب ، التي أصابها التطور هنا ، فحذفت وبقيت الكسرة قبلها .

وعلى أي حال ، لم يقطع المستشرقون برأى ، وذلك لغموض الأصل ، وعدم وضوح الحجة والبرهان على رأى بعينه . وقد وجد تفسيرهم هذا لأصل حركات الإعراب من ينتقده ، ويذهب إلى أنه فروض ، دعا إليها تأثر المستشرقين بنظام لغاتهم ، وسبيل الإعراب والتصريف فيها<sup>(١٦)</sup> .

\*\*\*

أما متى ضاع الإعراب نهائيا من اللغة العربية ، في الكلام الخي ، فلا نستطيع أن نقطع في ذلك برأى . وقد صدق « تولدكه » حين قال في مقاله السابق الذكر : « ملاحظات على لغة العرب القديمة » : « لسنا نعرف - سبب قصور الرواية - إلى متى بقي الإعراب ، أو بعضه في القبائل العربية ، فإن سكان مكة الذين اختلطوا ، منذ عصر مبكر في الإسلام ، بعناصر أجنبية ، وكذلك سكان المدينة الذين تفرقوا عنها منذ يوم الحرة - هؤلاء جميعا - لم يحتفظ منهم إلا عدد قليل ، بالشكل القديم للغة ، أثناء من النصف الثاني للقرن الأول الهجري . أما فقدان البدو

لظاهرة الإعراب على مرّ السنين ، فهو أمر حدث مثله في تاريخ اللغات البشرية<sup>(٤٧)</sup> .

ويعمل « تولدكه » في مقاله المذكور ، لضياع الإعراب من اللغة العربية ، فيرى أن الوقف على الكلمات العربية بالسكون ، في كثير من الأحيان ، كان من الأمور التي ساعدت على فقدان الإعراب من الكلام<sup>(٤٨)</sup> ، كما يرى أن ثبات وضع الكلمات في الجملة ، جعل فقدان الإعراب ، غير مؤثر في وضوح المعنى .

وهو وإن كان على حق في القضية الأولى ، فقد أخطأ في القضية الثانية ؛ لأن جملة مثل : « ضرب محمد عليا » يمكن أن تقال في العربية الفصحى بأوجه أخرى ، مثل : « ضرب عليا محمد » ، أو « محمد ضرب عليا » ، أو « عليا ضرب محمد » ، تبعاً لاختلاف المقصود من الكلام . وهكذا نرى أن وضع الكلمات ، غير ثابت في الجملة العربية القديمة ، وساعد على هذه الحرية في وضع الكلمات في الجملة ، ظهور الإعراب الذي كان يوضح وظيفة الكلمة في اللغة ، ولولا ظهور الإعراب لاختلط الأمر في الكثير من الأحيان ، فلو أسقطنا الإعراب من جملة : « ضرب محمد عليا » مثلاً ، لاختلط علينا الأمر ، فلم نعرف الفاعل من المفعول .

ومثل ذلك في آية : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »<sup>(٤٩)</sup> ، وآية : « أَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولَهُ »<sup>(٥٠)</sup> ، وآية : « وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ »<sup>(٥١)</sup> ، فلو أسقطنا الإعراب من هذه الآيات ، لجاز أن يكون المعنى في الآية الأولى : أن الله يخشى العلماء من عباده ، وفي الثانية أن الله

(٤٧) القلي : Th. Nöldeke, Enuge Beme kungen, Z.A.XI 177.

(٤٨) انظر القلي : لغات سامية ١١٠.

(٤٩) سورة هود ٣٥-٣٦.

(٥٠) سورة هود ٣٦.

(٥١) سورة هود ٣٦.



برىء من المشركين ومن رسوله ، وفي الثالثة أن إبراهيم هو الذى ابتلى ربه ،  
وكل ذلك غير مراد ، بل هو كقصر في بعضه .

لهذا كله لرى أن الإعراب ، كان من الأمور التى تساعد على حرية  
بناء الجملة العربية ، وأن الجملة العربية ، هذا السبب ، كانت تقال بأوجه  
عدة . وهذا هو ما كان الزجاجى يقصد إليه في النص الذى اقتبسناه  
من كتابه « الإيضاح » قبل ذلك ، وهو قوله : « ... وكذلك صائر  
المعاني ، جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ، ليتسعوا في كلامهم ، ويقدموا  
الفاعل إذا أرادوا ذلك ، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه ، وتكون الحركات  
دالة على المعاني » . فلما فقد الإعراب ، كان الواجب أن يلزم بناء الجملة  
نظاما واحدا ، وهو ما حدث في اللهجات العربية الحديثة ؛ فإن جملة :  
« ضرب محمد عليا » مثلا ، أصبحت في اللهجات الحديثة : « محمد  
ضرب علي » ، بتقديم الفاعل ، والتثنية بالفعل ، ثم الإتيان بالمفعول به .

\*\*\*

مع اللغات

من اللغة  
في كثير  
الإعراب  
بعل فقدان

في القضية  
في العربية  
مد ضرب  
الكلام  
القديمة ،

الإعراب  
لاختلط

ضرب  
المفعول

١٩٩٩

وإذا ابتلى

أن يكون

نية أن الله

## الفصل الثاني مشكلة الخط العربي وأوهام اللغويين

قد يتعجب بعض الناس ، حين يراونا نعالج موضوع الخط العربي ومشكلاته ، في إطار موضوعات فقه اللغة العربية ، ويرى أن اللغة التي تكون موضوع هذا العلم ، إنما هي اللغة المنطوقة ، وليست اللغة المكتوبة . غير أن الذي دعانا إلى ذلك ، هو أن اللغويين العرب القدامى ، قد تأثروا في بعض الأحيان بالصورة المكتوبة ، وغفلوا عن النطق ، فوقعوا لذلك في أوهام كثيرة في قواعدهم وقوانينهم وأحكامهم اللغوية .

وسوف نعالج هنا أحد هذه الأوهام ، وهو أثر الخط العربي ، في نظرة هؤلاء اللغويين ، إلى أصوات العلة العربية ، وهي التي تسمى في الإنجليزية : Vowels وتُعرف بأنها الأصوات المجهورة ، التي يحدث في تكوينها أن يندفع الهواء في مجرى مستمر ، خلال الحلق والقم ، وخلال الأنف ، معهما أحيانا ، دون أن يكون هناك عائق ، يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما ، أو تضيق مجرى الهواء ، من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا .

ويعرفها « دانيال جونز » D. Jones بأنها « أصوات مجهورة ، يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر ، من الحلق والقم ، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية ، تدخل يمنع خروجه ، أو يسبب فيه احتكاكا مسموعا » (١) .

وما عدا هذه الأصوات في اللغة ، هي ما تسمى بالأصوات

الضامات  
في العربية  
والضمة وال  
في : « يدع

ولم  
به الأصوات  
في علاج تل  
رأيناهم يعا  
للأصوات  
الأصوات ال

ويعبر  
كالعرض فيه

قد يوجد ولا  
صارت كأنها  
أن الحرف أقر  
بحرف ، كان

وقد  
إلى الحركات

رموزها في الخ  
وليست رمزا  
الحرف للأص

وقد

(١) -

(٢) -

(٣) - كتاب

الصامتة ، أو ما يطلق عليها بالإنجليزية : Consonants - وأصوات العلة في العربية الفصحى ، هي ما سماه نحاة العرب بالحركات ، وهي الفتحة والضمة والكسرة ، وكذلك حروف المد ، كالألن في : « قال » ، والواو في : « يدعو » ، والياء في : « القاضي » .

ولم تحظ أصوات العلة ، من قدامى اللغويين العرب ، بمثل ما حظيت به الأصوات الصامتة من العناية بها ، فإنهم على الرغم من إسهامهم في علاج تلك الأصوات الصامتة ، واعتدادهم بها أصواتاً مستقلة متميزة ، رأيناهم يعالجون أصوات العلة علاجاً سطحيًا ، وينظرون إليها على أنها تابعة للأصوات الصامتة ، لا تستقل بنفسها في النطق تمامًا ، كاستقلال الأصوات الصامتة .

ويعبر ابن جنى عن ذلك بقوله : « إن الحرف كالحلل للحركة ، وهي كالعرض فيه ، فهي لذلك محتاجة إليه »<sup>(٢)</sup> ، كما يقول : « لما كان الحرف قد يوجد ولا حركة معه ، وكانت الحركة لا توجد إلا عند وجود الحرف ، صارت كأنها قد حلت ، وصار هو كأنه قد تضمنها »<sup>(٣)</sup> . كما يرى سيبويه أن الحرف أقوى من الحركة ، فيقول : « لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف ، كان أقوى من أن يفصلوا بحركة »<sup>(٤)</sup> .

وقد أوقعهم في هذا الخطأ ، أن الكتابة العربية ، لا ترمز إلى الحركات - أو أصوات العلة - القصيرة ، في بنية الكلمة ، وإنما توضع رموزها في الخط فوق الحرف أو تحته ، فتوهموا لذلك أنها تابعة للحرف ، وليست رمزا لصوت مستقل تمام الاستقلال ، لا يقل في شأنه عن رمز الحرف للأصوات الصامتة .

وقد وقعوا في خطأ آخر ، حين عدّوا حروف المد ، وهي الألف

(٢) - صناعة الإعراب ٣٢/١

(٣) - صناعة الإعراب ٣٨/١

(٤) - كتاب سيبويه ٢٩٥

خط العرب  
اللعنة التي  
الكتابة  
قد تأثروا  
لذلك في

في نظرية  
الإنجليزية :  
أن يتدفع  
معهما  
صا تاما ،

خرج ، يخرج  
أن يتعرض  
احتكاكا

والأصوات

في مثل : « قام » ، والواو في مثل : « يدعو » ، والياء في مثل :  
 « القاضي » - أصواتا صامتة ؛ ولذلك وضعوا قبل الألف علامة الفتحة ،  
 كما وضعوا قبل الواو علامة الضمة ، وقبل الياء علامة الكسرة ، في حين  
 أن الألف والواو والياء ، في مثل هذه المواقع ، علامات لأصوات : الفتحة  
 الطويلة ، والضمة الطويلة ، والكسرة الطويلة . وقد وقعوا في هذا الخطأ  
 أيضا ، بسبب أن الخط العربي يرمز للحركات الطويلة ، يرمز في داخل بنية  
 الكلمة ، بعكس الحركات القصيرة .

وهذا العيب في الخط العربي ، يرجع إلى أصوله التي أخذ منها ، وهو  
 الخط النبطي ، الذي كان منتشرا في شمالي الجزيرة العربية ، في الحيرة والأنبار  
 وغيرهما ، قبل مجيء الإسلام . والنبط قوم من الساميين ، كانوا يتكلمون  
 لهجة آرامية ، من تلك اللهجات الآرامية ، التي كانت شائعة في سوريا  
 والعراق في ذلك الوقت ، وقد اشتقوا خطوط أنجديتهم من الخط الفينيقي ؛  
 فقد وضع الفينيقيون - وهم من الأقوام السامية القديمة - نظاما من الرموز  
 لأنجديتهم ، ورثها عنهم بعض شعوب العالم القديم ، بعد أن أحدثوا فيها  
 بعض التغييرات ، على مر الزمان .

وعلى الرغم من أن أصوات العلة ، قصيرها وطويلها ، أوضح  
 في السمع من الأصوات الصامتة بكثير ؛ فإن هؤلاء الساميين ، لم يرمزوا لها  
 في خطوطهم منذ البداية ، سواء في ذلك القصير منها والطويل ؛ فكلمة :  
 « كتاب » مثلا ، كانت تكتب : « كتب » ، و « عمود » كانت  
 تكتب : « عمد » و « جميل » كانت تكتب : « جمل » وهكذا<sup>١٥٦</sup> .

ثم حدث تطور صوتي في اللغة ، ترتب عليه أن اكتسب بعض رموز  
 لأصوات الصامتة ، صفة الدلالة على أصوات العلة الطويلة ؛ فقد كانت  
 الألف في الأصل رمزا للهمزة في مثل : « أكل » و « رأس » و « ملأ »

<sup>١٥٦</sup> الخط النبطي في الحيرة والأنبار ، والخط السامية القديمة في سوريا والعراق ، والخط الفينيقي في فلسطين وبلاد الشام .

مثلا ، كما كان  
 « ولد » و « يك  
 أن ضاعت الهمزة  
 و ( لا ) في مثل  
 ومع حدوث هذا  
 مثلا : rāṣ ، ويكتب  
 وينطق : bēt ، ويكتب  
 وهكذا بعد

إلى جانب أنها رمت  
 ومثل ذلك ظنه  
 الطويلة ، إلى جانب  
 وعندما  
 على الحركات الطويلة  
 الرموز ؛ وذلك  
 أن ذلك لم يحدث  
 النبط ، وحدث لهم  
 الاطراد هذا ، في  
 المصحف ، على  
 « أموال » و «  
 الألف ، ومثل  
 مع عدم وجود  
 هذه الرموز الثلاثة  
 في الكتابة العربية  
 تكتب : « هذا

مثلاً ، كما كان كل من حرفي الواو والياء رمزاً للصوت الصامت ، في مثل :  
 « ولد » و « يكتب » و « يوم » و « بيت » وغير ذلك ، ثم حدثت  
 أن ضاعقت الهمزة في غير أول الكلمة ، وتحوّل الصوت المركب (aw)  
 و (ay) في مثل : « يوم » و « بيت » إلى حركة طويلة : (ō) و (ē)  
 ومع حدوث هذا التطور في النطق ، كان الخط ثابتاً ، فكان الناصب يطلق  
 مثلاً : rās ، ويكتب : « رأس » ؛ كما ينطق : yōm ، ويكتب : « يوم » ؛  
 وينطق : bēl ، ويكتب : « بيت » ... إلى غير ذلك .

وهكذا بعد أجيال ، بدأ للناس كأد الألف رمزاً للمفتحة الطويلة ،  
 إلى جانب أنها رمزاً للهمزة ، مع أنها كانت في الأصل رمزاً للهمزة فحسب ،  
 ومثل ذلك ظنه الناس في الواو والياء ، أنهما رمزان للمضمة الطويلة والكسرة  
 الطويلة ، إلى جانب أنهما رمزان لصوتي الواو والياء الصامتين .

وعندما استقر ذلك في الأذهان ، استعيرت هذه الرموز للدلالة  
 على الحركات الطويلة ، في الكلمات التي لم يكن فيها أصلاً مثل تلك  
 الرموز ؛ وذلك مثل : « كتاب » و « عمود » و « جميل » وغيرها ، غير  
 أن ذلك لم يحدث في أول الأمر بصفة مطردة ، وعندما أخذ العرب الخط من  
 النبط ، وجدوهم قد وصلوا إلى هذه المرحلة ، ولهذا فإننا نلاحظ آثار عدم  
 الانتظام هذا ، في الخطوط العربية القديمة ، كالخط العثماني الذي كتب به  
 المصحف ، على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ ففيه كلمات مثل :  
 « أموال » و « ثلاثة » وغيرها ، كتبت : « أموال » و « ثلاثة » بدون  
 الألف ، ومثل : « يدعو » و « يأتي » ، كتبت : « يدع » و « يأت »  
 مع عدم وجود جازم قبل هذه الأفعال<sup>(١)</sup> . وعلى الرغم من تعميم استخدام  
 هذه الرموز الثلاثة - فيما بعد - للدلالة على الحركات الطويلة ، ظلت  
 في الكتابة العربية بقايا للنظام القديم في الخط ؛ وإنما لا تزال حتى الآن  
 تكتب : « هذا » و « ذلك » و « لكن » بدون ألف المد .

(١) انظر أمثلة والمفصلات لذلك ، في معنى القرآن للقرآن ، ٢٠٠ : ٢٠١ .

... في مثل :  
 الامة الفتحة ،  
 ... في حين  
 ... الفتحة  
 ... هذا الخطأ  
 في داخل بنية

... منها ، وهو  
 الحيرة والأنبار  
 كانوا يتكلمون  
 لغة في سوريا  
 ط القبيضي ؛  
 ... من الرموز  
 أحدثوا فيها

... أوضح  
 لم يرمزوا لها  
 ؛ فكلمة :  
 ... كانت  
 ... (١٥)

... بعض رموز  
 ... فقد كانت  
 « و » ملاً

... في قوله حدث

أما رموز الحركات القصيرة ، الموجودة في الخط العربي حالياً ، فهي من عمل : « الخليل بن أحمد » اللعوي المشهور ، في القرن الثاني الهجري . ولم يكن الخليل بن أحمد أول من فكر في ضبط الكتابة العربية بالحركات القصيرة ؛ فقد سبقه إلى ذلك « أبو الأسود الدؤلي » من علماء القرن الأول الهجري .

وكانت العناية بالقرآن الكريم ، وصيانته عن اللحن ، هي التي دعت العلماء في الصدر الأول للإسلام ، إلى البحث عن طريقة ، تمنع من يتلو النص القرآني ، من الوقوع في اللحن ، بسبب خلوه من رموز الحركات . وتنسب الروايات الإسلامية إلى أبي الأسود الدؤلي ، أنه كان أول من فكر في وضع رموز للحركات ، يضبط بها الرسم القرآني ، الذي كان يخلو من هذه الرموز ؛ فيروى عن الميرد أنه قال : « لما وضع أبو الأسود الدؤلي النحو ، قال : ابعوا لي رجلاً ، وليكن لِقْناً ، فطلب الرجل ، فلم يوجد إلا في عبد القيس ، فقال أبو الأسود : إذا رأيتني لفظت الحرف فضممت شفتي ، فاجعل أمام الحرف نقطة ، فإذا ضممت شفتي بغنة ، فاجعل نقطتين ، فإذا رأيتني قد كسرت شفتي ، فاجعل أسفل الحرف نقطة ، فإذا كسرت شفتي بغنة ، فاجعل نقطتين ، فإذا رأيتني قد فتحت شفتي ، فاجعل على الحرف نقطة ، فإذا فتحت شفتي بغنة ، فاجعل نقطتين » (٧) .

وكانت تلك النقط الخاصة بالشكل ، تكتب بصيغ يخالف لون المداد ، الذي كتبت به الحروف ونقط إعجامها ، فكان ذلك يشق على الكاتب ، إذ كان يتحتم عليه ، أن يكتب بقلمين ومدادين مختلفين ، حتى جاء الخليل بن أحمد ، فوضع الشكل الذي تكتب به حتى الآن ؛ يقول الميرد أيضاً : « الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل ، وهو مأخوذ من صور الحروف ، فالضمة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف ؛ لقلا

(٧) انظر : المحكم في نقط الصحاح ، للماتري ، وإيضاح الوقف والابتداء ، ٤٠ ، ٤١ .

تلتبس بالواو المكتوبة ، والكسرة ياء تحت الحرف ، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف (٨) .

ومع أن الخليل بن أحمد ، قد وضع هذا الشكل المريح ، فإن العلماء غيروا زمانا طويلا ، لا يجرون على استخدامه في ضبط النص القرآني ، ويفضلون عليه نقط أبي الأسود الدؤلي ، اتباعا للسلف ، ويسمون ضبط الخليل : « شكل الشعر » ، وكل ذلك لصيانة القرآن الكريم ، عن أن يتعاوره المتعاورون بالتبديل والتغيير . وهذا هو أبو عمرو الداني ( المتوفى سنة ٤٤٤ هـ ) يقول : « وإنما جعلنا الحركات المشيعة ، نقطا مدورة على هيئة واحدة وصورة متفقة ، ولم نجعل الفتحة ألفا مضجعة ، والكسرة ياء مردودة ، والضممة واوا صغرى - على ما ذهب إليه سلف أهل العربية ؛ إذ كن مأخوذات من هذه الحروف الثلاثة ، دلالة على ذلك - اقتداء منا بفعل من ابتدأ النقط من علماء السلف ، بحضرة الصحابة رضي الله عنهم ، واتباعاً له ، واستمساكاً بسنته ؛ إذ مخالفته مع سابقته وتقدمه لا تسوغ ، وترك اقتفاء أثره في ذلك ، مع محله من الدين ، وموضعه من العلم ، لا يسع أحداً أتى بعده (٩) » !! كما يقول الداني كذلك : « وترك استعمال شكل الشعر ، وهو الشكل الذي في الكتب ، الذي اخترعه الخليل ، في المصاحف الجامعة من الأمهات وغيرها ، أولى وأحق اقتداء بمن ابتدأ النقط من التابعين ، واتباعاً للأئمة السالفين (١٠) » .

ومع هذه المعارضة الشديدة لطريقة الخليل ، في ضبط الخط العربي ؛ فقد عمت هذه الطريقة ، وطغت على طريقة أبي الأسود الدؤلي ، واستخدمت كذلك في ضبط النص القرآني ، ولا يزال تستخدمها حتى اليوم .

(٨) الحكم في نقط المصاحف ، لداني ٧  
(٩) الحكم في نقط المصاحف ، لداني ٤٢  
(١٠) الحكم في نقط المصاحف ، لداني ٢٦





فأصلها أن تكتب على صورة الألف اللينة ، وإنما نكتب مرة واواً وأخرى ياءً ، على مذهب التخفيف<sup>(١٩)</sup> .

وعندما ابتكر الخليل رمزاً للهمزة - لتستكمل به الكتابة العربية عدتها ، في مطابقتها للنطق العرفي الفصيح ، الذي استعار التزام الهمز في الكلام من لهجة نعيم - لم يُرد أن يغير الرسم الإملائي ، الذي كان قد استقر وشاع ، فاخترع هذا الرمز الجديد ، واقتطعه من رأس العين ، ووضع في الكلمة حيث وجد له حاملاً ؛ فالحامل له في : « رأس » الألف ، وفي : « ثمر » الياء ، وفي : « يؤمن » الواو ، وفي : « سماء » لا يوجد حامل ؛ فوضع الهمزة لذلك على السطر بلا حامل .

وليس هذا الذي تقوله دعوى بلا سند ، فكل النصوص العربية القديمة ، التي وصلت إلينا في البرديات المختلفة ، تخلو من رمز الهمزة الذي نعرفه تماماً<sup>(٢٠)</sup> ؛ لأن الرمز القديم لها ، وهو الألف ، اكتسب عند الحجازيين صفة الدلالة على الفتحة الطويلة ، مع أنه الرمز الأصلي للهمزة ، ولو أن الخط شاع وانتشر أول الأمر ، في بيئة تستخدم الهمز في كلامها ، كهيئة نعيم مثلاً ، لوجدنا الهمزة تصور بصورة الألف دائماً ، في أي موقع من الكلمة . ويؤيدنا في رأينا هذا ابن يعيش ، إذ يقول : « ... والصواب ما ذكره سيبويه وأصحابه ، من أن حروف المعجم تسعة وعشرون حرفاً ، أولها الهمزة ، وهي الألف التي في أول حروف المعجم ، وهذه الألف هي صورتها على الحقيقة ، وإنما كتبت قارة واواً أخرى ، على مذهب أهل الحجاز في التخفيف ، ولو أريد تحقيقها لم تكن إلا ألفاً على الأصل ، ألا ترى أنها إذا وقعت موقعاً ، لا تكون فيه إلا محققة ، لا يمكن فيه تخفيفها - وذلك إذا وقعت أولاً - لا تكتب إلا ألفاً ، نحو : أعلم ، أذهب ، أخرج . وفي الأسماء : أحمد ، إبراهيم ، أترجة ... وأمر آخر يدل على أن صورة الهمزة صورة الألف ،

(١٩) الحروف ٥٦ يسر صناعة الإعراب ٤٦٩

(٢٠) غير متأكد - A. Grohmann, From the world of Arabic Papyri

أن كل حرف سمّيته ، ففى أول حروف تسميته لفظه بعينه ، ألا ترى أنك إذا قلت : باء ، ففى أول حروفه باء ، وإذا قلت : تاء ، ففى أول حروفه تاء ، وكذلك جيم وذال وسائر حروف المعجم ؛ فكذلك إذا قلت : ألف ، فأول الحروف التى نطقت بها همزة ، فدل ذلك أن صورتها صورة الألف (٢١) .

ولسنا نريد هنا الخوض فى تفاصيل نشأة الخط العربى وتطوره ، وإنما يهمنا هنا أن نشير إلى أن الخط العربى بصورته الحالية ، كان من الأسباب التى أدت باللغويين القدماء ، إلى عدّ أصوات العلة أصواتاً ثانوية ، بالنسبة للأصوات الضامة . وبذلك على هذا أيضاً : ذلك الجدل ، الذى يثيره ابن جنى حول الحركة القصيرة ، أهى قبل الحرف ، أو معه ، أو بعده ؟ وبدلاً من أن يلجأ إلى التجربة ، أخذ يستخدم منطق أرسطو ، فى التدلّيل على أن الحركة القصيرة تقع بعد الحرف ، مثلها فى ذلك مثل حروف المد ، وهى الألف والواو والياء ؛ فيقول : « واعلم أن الحركة التى يتحملها الحرف لا تخلو أن تكون فى المرتبة قبله ، أو معه ، أو بعده ؛ فمحال أن تكون الحركة فى المرتبة قبل الحرف ، وذلك أن الحرف كالحل للحرّكة ، وهى كالعرض فيه ، فهى لذلك محتاجة إليه ، ولا يجوز وجودها قبل وجوده . وأيضاً لو كانت الحركة قبل الحرف ، لما جاز الإدغام فى الكلام أصلاً ، ألا ترى أنك تقول : قطع ، فتدغم الطاء الأولى فى الثانية ، ولو كانت حركة الطاء الثانية فى الرتبة قبلها ، لكانت حاضرة بين الطاء الأولى ، وبين الطاء الثانية . ولو كان الأمر كذلك ، لما جاز إدغام الأولى فى الثانية ؛ لأن الحركة على هذه المقدمة ، مرتبتها أن تكون قبل الطاء الثانية ، بينها وبين الأولى . وإذا حجز بين الحرفين حركة ، بطل الإدغام . فحواز الإدغام فى الكلام ، دالة على أن الحركة ليست قبل الحرف المتحرك بها ؛ فقد بطل بما ذكرناه ،

(٢١) شرح المفصل : لابن ريش ١٢٦/١٠ وانظر كذلك : مر صناعة الإعراب ، لابن حنى ٢٦/١ - ٢٧ - وشرح التصريف للموكى ١٠٢

أن تكون حركة الحرف في المرتبة قبله ، وبقي أن تكون معه أو بعده ، وفي  
الفرق بينهما بعض الإشكال . فالذي يدل على أن حركة الحرف في المرتبة  
بعده ، أنك تجدها فاصلة بين المثليين أو المتقاربين ، إذا كان الأول منهما  
متحركاً ؛ فالمثلان نحو قولك : قصص ، ومضض ، وسرر ، وحضض ،  
ومرر ، وقدد ؛ فلولاً أن حركة الحرف الأول في هذين المثليين بعده ، لما  
فصلت بينه وبين الذي هو مثله بعده ، ولو لم تفصل لوجب الإدغام ؛ لأنه  
لا حاجز بين المثليين ، فإن ظهر هذان المثالان ، ولم يدعم الأول منهما في  
الآخر منهما ، فظهرهما دلالة على فصل واقع بينهما ، وليس ها هنا فصل  
البتة ، غير الحركة المتأخرة عن الحرف الأول (٢٢) .

أما أبو علي الفارسي ، فإنه لم يتصور إمكان استقلال الحركة  
بالنطق ، ولم يستطع أن يفرق بين الحرف الصامت والحركة ، هذه التفرقة ؛  
فكان يرى أن « الحركة تحدث مع الحرف » ؛ يقول ابن جنى : « واستدل  
أبو علي على أن الحركة تحدث مع الحرف ، بأن النون الساكنة إذا تحركت ،  
زالَتْ عن الحياشيم إلى الفم ، وكذلك الألف إذا تحركت انقلبت همزة ؛ فدلَّ  
ذلك عنده ، على أن الحركة تحدث مع الحرف . وهو لعمري استدلال  
قوي (٢٣) » .

وقد فات أبا علي الفارسي ، أن الذي يزول عن الحياشيم إلى الفم ،  
هو الحركة وليست النون ، وأن الذي يتحرك هو الهمزة ، وليست ألف المد ؛  
لأن ألف المد حركة طويلة ، والحركة لا تحرك .

حقاً يُحمد لابن جنى ، أنه نطن إلى العلاقة بين ما يسمى بالحركات  
القصيرة ، وحروف المد ؛ فقال : « اعلم أن الحركات أبعاد حروف المد

(٢٢) سر صناعة الإعراب ٣٢/١

(٢٣) سر صناعة الإعراب ٣٧/١ ومع حسن ابن جنى لرأى أستاذة أبي عن الفارسي هنا . ووصف  
دليله بأنه « استدلال قوي » ، فإنه لم يرض هذا الرأي في كتابه : الخصائص ( ٣٢٤/٢ ) ، وفي استدلاله هناك  
فانظره .

واللين ، وهى الألف والياء والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث ، وهى الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو . وقد كان متقدمو النحويين ، يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة . وقد كانوا فى ذلك على طريق مستقيمة ؛ ألا ترى أن الألف والياء والواو ، اللواتى هن حروف توائم كوامل ، قد تجدهن فى بعض الأحوال ، أطول وأتم منهن فى بعض ؛ وذلك قولك : يخاف وينام ، ويسير ويطير ، ويقوم ويسوم ، فتجد فيهن امتداداً واستطالة ما ، فإذا أوقعت بعدهن الهزمة ، أو الحرف المدغم ، ازددن طولاً وامتداداً ؛ وذلك نحو : يشاء ويداء ، ويسوء ويهوء ، ويحيى ويقى . تقول مع الإدغام : شابة وذابة ... أفلا ترى إلى زيادة المد فيهن ، بوقوع الهزمة والمدغم بعدهن ، وهن فى كلا موضعين يسمين حروفاً كوامل ، فإذا جاز ذلك ، فليست تسمية الحركات حروفاً صغراً ، بأبعد فى القياس منه . ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، أنك متى أشبعت واحدة منهن ، حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه (٢٤) .

كما يقول ابن جنى كذلك : « الضمة قد تجرى مجرى الواو ، وهى واو صغيرة ، كما أن الكسرة ياء صغيرة ، والفتحة ألف صغيرة . وهذه الحروف عن هذه الحركات تنشأ متى كنّ مذات ، نحو : رسالة وصحيفة وعجوز (٢٥) » .

هذا ما يقوله ابن جنى ، ومنه نفهم أنه أحسن ، كما يحسن علماء الأصوات من المحدثين ، أن الفرق بين الحركات وحروف المد ، ليس إلا فرقا فى الكمية والزمن ، الذى يستغرقه نطق كل واحد منهما ؛ فإنك تقول : « ضرب » ، ثم تطيل الزمن الذى تستغرقه فى نطق الفتحة بعد الضاد ،

(٢٤) سر صناعة الإعراب ١٩/١

(٢٥) المسند لأبي حنيفة ٢١٣/١ ونظم كذلك المحقق ٣٥٥/٢

تصير الكلمة  
للمجهول ، وقد  
فى الكتابة العر  
الطويلة ، على  
الأزهرى : « وال  
أقوى . ومن ت  
الضمة ، إذا ل  
الفتحة ، إذا  
أبداً ؛ كقولك

كما يقول  
قال قائل : هـ  
لوبة ... ؟ قال  
الحروف مدّاً ، ف  
محال . والدليل  
كانت : ( سائر  
فالواو غير لازمة  
فقد أحسن

و « يقع » و  
و « قبيل » و  
الأربعة الأولى ،  
علة الطويلة ،

(٢٦) حيد

(٢٧) المقصود

تصير الكلمة : « ضارب » - ومثل ذلك في : « ضُرب » المبني للمجهول ، و« ضُورب » ، و« مساكين » و« مساكين » ، وأشبه ذلك . وقد أحسن بعض العلماء - بارادواج وخليفة رمزي والواو والياء - في الكتابة العربية ، واختلافهما إذا كانتا رمزين للضممة الطويلة والكسرة الطويلة ، عنهما إذا كانتا رمزين للواو والياء من الأصوات الصامتة ؛ فقال الأزهري : « والواو والياء إذا جاءتا بعد فتحة قوية ، وكذا إذا تحركتا كانتا أقوى . ومن تبيان ذلك أن الألف اللينة ، والياء بعد الكسرة ، والواو بعد الضمة ، إذا لقيتهما حرف ساكن ، بعدهن سقطن ... والياء والواو بعد الفتحة ، إذا سكنتا ولفيهما ساكن بعدهما ، فإنهما يتحركان ولا يسقطان أبدا ؛ كقولك : لو انطلقت يا فلان<sup>(٦٦)</sup> » .

كما يقول المبرد : « تقول إذا بنيت فوعل من مريت : مؤير . فإن قال قائل : هلا أدغمت الواو في الياء ، كما قلت في لينة وأصلها : لؤينة ... ؟ فالجواب في ذلك : أن واو ( مؤير ) مدة ، وما كان من هذه الحروف مدداً ، فالإدغام فيه محال ؛ لأنه يخرج من المد ، كما أن إدغام الألف محال . والدليل على أن هذه الواو مدة ، أنها منقلبة من ألف ، ألا ترى أنها كانت : ( سائر ) ، فلما بنيت الفعل بناء مالم يسم فاعله قلت : مؤير ، فالواو غير لازمة<sup>(٦٧)</sup> » .

فقد أحسن هذان العالمان الجليلان ، أن الياء والواو في مثل : « ولد » و« يقع » و« لون » و« بيت » ، غيرهما في مثل : « عجزوز » و« قتيل » وغيرهما ، فهما من فصيلة الأصوات الصامتة ، في الأمثلة الأربعة الأولى ، بعكس المثالين الآخرين . فهما فهما من فصيلة أصوات العلة الطويلة ، وهي ما سماه علماء العربية ، بحروف المد .

\*\*\*

(٦٦) تهذيب اللغة ، للأزهري ، ٥٦/١

(٦٧) التعليل لعماد ، ١٧٢/١

وقد أدى هذا الازدواج في وظيفة الرموز الثلاثة : « الألف والواو والياء » في الخط العربي - إلى أن عدّهم اللغويون العرب ، في حالة دلالتهن على الحركات الطويلة ، في مثل : « هابوني » hābūnī مثلا - أصواتا صامتة ( Consonants ) فهم ينظرون إلى الألف والواو والياء في هذا المثال ، نظرتهم إلى الأصوات الصامتة تماما ، في حين أنها هنا علامات للحركات الطويلة :  $\bar{a}/\bar{u}/\bar{i}$  .

وقد أثرت تلك النظرة الخاطئة - التي تعتمد على الخط لا على النطق - في أحكام اللغويين العرب في كثير من قواعدهم ، وعلى لأخص في أبنية اللغة ( الصرف ) ، وأوزان الشعر .

فمن أمثلة ذلك في المجال الأول ، أنهم يقولون في المضارع المعتل الآخر ، عند جزمه في مثل : « لم يدْعُ » و « لم يخش » و « لم يَرْمِ » أنه مجزوم بحذف حرف العلة ، فهم هنا ينظرون إلى الخط لا إلى النطق ، ولو نظروا إلى النطق لقالوا إنه مجزوم بتقصير الحركة ؛ فبدلا من : (  $\bar{u}$  ) في المثال الأول : ( يدعو ) ، يوجد في حالة الجزم : (  $u$  ) وبدلا من : (  $\bar{a}$  ) في المثال الثاني : ( يخشى ) ، يوجد في حالة الجزم : (  $a$  ) ، وبدلا من : (  $i$  ) في المثال الثالث : ( يرمى ) يوجد في حالة الجزم : (  $i$  ) في نهاية الفعل .

كما أنهم يقولون في مثل : « لم يَمُتْ » إن أصله : « يَمُوتُ » ، فحين جزم بالسكون ، التقى ساكنان : التاء والواو ، فحذفت الواو للتخلص من التقاء الساكنين . وهم هنا ينظرون إلى الخط من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، يعدّون الواو حرفا مشكلا بالسكون ، في حين أنها في هذه الحالة علامة على الضمة الطويلة ، والضمة حركة ، والحركة لا توصف بالسكون . ولو نظروا إلى النطق ، ودرسوا نظام المقاطع في اللغة العربية ، لعرفوا أنه بعد جزم مثل هذا الفعل بالسكون ، أصبح عندنا مقطعان ، الثاني منهما زائد في الطول (  $ya + mūt$  ) ، وهو غير مقبول في العربية في هذه



الحالة (٢٥) ، وعندئذ تنقصر حركة هذا المقطع ، فتصير الكلمة : ( ya + mut ) . وهذا هو السر في تقصير حركة الفعل الماضي الناقص ، عند اتصاله بتاء التانيث ، مثل : « رَمَتْ » ، وأصله : « رَمَات » ، وغير ذلك .

وقد أدى جهل اللغويين القدماء ، بنظام المقاطع في اللغة ، ونظرتهم إلى رموز الحركات الطويلة ، على أنها حروف صامتة مشكلة بالسكون ، إلى بنائهم موازين الشعر العربي على متحرك وساكن ؛ فهم يتحدثون عن الأسباب والأوتاد والفواصل في الشعر ، ويقسمون السبب إلى خفيف وثقيل ؛ فالخفيف عندهم : ما تكون من متحرك وساكن ؛ ومن أمثاله عندهم : « لَمْ » و « لا » مثلا ، فهم يعدّون الألف في : « لا » حرفا صامتا مشكّلا بالسكون ، تماما كاليم في : « لَمْ » ، في حين أنها في : « لا » علامة للفتحة الطويلة ، والفتحة الطويلة حركة ، وهي لذلك لا توصف بأنها ساكنة .

والواقع أننا هنا في : « لَمْ » و « لَا » ، أمام ما يسمى في علم الأصوات : بالمقطع الطويل : ( lam ) و ( lā ) ، غير أنه في الأول مقطع طويل مغلق ، وفي الثاني مقطع طويل مفتوح ، وهما من الناحية الموسيقية ، شيء واحد من ناحية الطول ، بعكس المقطع القصير ، في مثل : ( وَ ) wa . ولو أنهم فطنوا إلى ذلك ، لبنوا موازين الشعر على المقاطع القصيرة والطويلة ، وأراحونا من هذه الاصطلاحات العروضية الكثيرة المحيرة ، من أمثال : الخن ، والوقص ، والقبض ، والعصب ، والكف ، وغير ذلك . وإنا إذا رمزنا للمقطع الطويل بالرمز : ( - ) ، وللقصير بالرمز : ( v ) لتمكنا في هذه الحالة ، من أن نقول في بحر « الطويل » مثلاً : أنه يتكون من المقاطع التالية :



الريانية ، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض . وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيها للمصحابة عن توهم النقص ، في فلة إجادة الخط ، وحسبوا أن الخط كمال ، فترهههم عن نقصه ، ولسوا إليهم الكمال بإجادته ، وطلبوا تعليل ما خالف الإجارة من رسمه . وذلك ليس بصحيح<sup>(٢٩)</sup> »

هذا ويعتني في نهاية هذا الفصل ، قول « كاتينو » : « وأما النحاة العرب ، فقد أطلقوا اسم ( حرف ) على كل صوت بسيط من الكلام ، سواء أكان حرفا ( Consonant ) بالمعنى الحقيقي للكلمة اليوم ، أم حركة طويلة ، كحرف المد واللين ، ويمكن في نظام الكتابة العربية ، أن تغفل الحركات القصيرة ، وإذا ما أثبتت كان ذلك بواسطة علامات صغيرة مساعدة ، تكتب فوق الحروف أو تحتها ، وتدعى ( حركات ) ، وهو جمع حركة ؛ فلفظ ( حركة ) لا يقابل لفظ ( حرف ) ، بل لفظ ( سكون ) ، أي انعدام الحركة وهكذا ... فإنه يمكننا القول ، بأن نظام الكتابة العربية هذا ، قد طمس بعض الشيء عند النحاة العرب ، معالم المقابلة الأساسية ، بين الحروف والحركات ، طمس جعلهم لا يعيرون هذه المقابلة ، الأهمية الرئيسية التي لها في الواقع<sup>(٣٠)</sup> » .

كما يقول كذلك : « إنهم يطلقون الحركة ، ويقصدون ( حركة الحرف ) . ويدل هذا اللفظ دلالة واضحة ، على أنهم كانوا يعتبرون الحركة القصيرة ، مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحرف السابق لها ، فالحركة القصيرة هي إذن عندهم مجرد دليل للحرف . وقد أضفى هذا الاعتبار شيئا من العموض ، على كامل نظريتهم الصوتية<sup>(٣١)</sup> » .

ثم يتحدث عن نظام الحركات ، الذي وضعه الخليل بن أحمد ،

(٢٩) مقصود من جملتين ٤١٧ - ٤١٨

(٣٠) عروس في علم أصوات العرب .

(٣١) عروس في علم أصوات العربية ١٥٦

طع قصير +  
تكرار ذلك  
بالزحافات  
من المقاطع  
- إلى -  
يمكن كتابة

-

عرب العرب  
ولا يعيب  
لونه ، يقدر  
في كثير  
اللغات إلا  
إلى ذلك

الخط العربي  
ولا إلى  
الصنائع  
المصحابة  
الكثير من  
ش في ذلك  
الخط ، وأن  
خليل ، وأن  
تتبع على أن  
كامل القديرة

فيقول : « ورغم ما في هذا النظام من وضوح وسهولة ، فقد قل استعماله فيما عدا القرآن ، اللهم إلا إذا أرادوا ضبط كلمة من الكلمات ، فبقيت الكتابة العربية ، كأنها ضرب من الاختزال ، يجب فهمه أولاً كي تتسنى قراءته . وذلك عيب من أكبر عيوب الخط العربي (٣٢) » .

ولا يعني هنا البحث عن وسائل إصلاح هذا الخط ، والقضاء على عيوبه ، فقد ذاع وانتشر ، وكتب به تراث ضخمة ، وأي تفكير في إصلاح عيوبه ، لا يصح أن يغفل هذا التراث . والله أعلم .

\*\*\*

## الفصل الثالث

### مشكلة تعليم العربية

يشكو كثير من الناس ، من ضعف مستوى الدارسين في اللغة العربية ، بمدارسنا وجامعاتنا ، وتلك مشكلة مزمنة ، طال عليها الأمد ، وحاتت العقول في البحث عن علتها ، والإشارة إلى موطن الداء فيها ... وأقصى ما كانت تمتد إليه يد الإصلاح في هذه المشكلة ، هو الكتب المدرسية ، والمصطلحات النحوية ، ثم يعجب المصلحون ، حين يرون هذا الإصلاح ، لم يؤت ثماره المرجوة ، ويشاهدون انحدار المستوى يوما بعد يوم ، كأننا أمام بئر ينضب مآؤها بالتدرج ، ولا شيء يرفدها ، ويصلح من شأنها . ولو استمر الحال على ذلك ، لحاء يوم قريب تشيع فيه الأمية بين حملة الشهادات العليا .

ولقد جمعني منذ أعوام جلسة في القاهرة ، مع أحد المستشرقين الألمان ، فذكر لي أنه التقى ببعض خريجي الجامعة عندما ، فتعجب من أنهم لا يقيمون جملة عربية ، ولا يدرون شيئا عن تراثهم ، ولم يقرءوا للمجاحظ ، أو لابن قتيبة ، أو للمبرد ، أو لغيرهم من أعلام العربية ، وتلك للأسف حقيقة مفعجة !

هذه المشكلة بتلك الصورة ، مشكلة تعلم اللغة الأدبية - لم يُعان منها شعب كما تعانى الأمة العربية في أيامنا هذه ، وهى مشكلة متعددة الجوانب ، ولست أدعى أنني سأحيط هنا لجميع نواحيها ، ولكننى سأتناول التحديد أربع نقاط بالبحث ، أولها : ماذا نعلم بالعربية القصصى ؟ وثانيها : هل العربية لغة صعبة ؟ وثالثها : كيف يتلقى مدرس العربية ؟ وكيف يعد ؟ ورابعها : ما الطريق الأمثل إلى تعلم العربية ؟

## لماذا نهتم بالعربية الفصحى ؟

للعربية الفصحى ظرف خاص ، لم يتوفر لأية لغة من لغات العالم ، وهذا الظرف يجعلنا نرفض ما يتبادى به بعض الغافلين والمغرضين ، من ترك الحيل على الغارب للعربية الفصحى ، لكي تتفاعل مع العاميات ، تأخذ منها وتعطي ، كما يحدث في اللغات كلها ... حقا إن اللغة كائن حي ، تتطور على ألسنة المتكلمين بها ، فينشأ من هذا التطور اختلاف بين لغة عصر والعصر الذي سبقه . وهنا يحدث الصراع بين أنصار الشكل القديم ، وأنصار الشكل الجديد ، وبعد فترة يصبح قديما ما كان بالأمس جديدا ، فيتصارع مع جديد آخر ، وتضمحل لغة العصر الأسبق أو تندثر . غير أن كل جديد لا يظهر فجأة ، ولا يقضى على القديم بين يوم وليلة ، بل يظل الصراع بينهما لفترة قد تطول أو تقصر ، غير أن الانتصار يكون في النهاية للشكل الجديد . تلك سنة الحياة ، وتاريخ اللغات جميعها يشهد بهذا ، ولا تعرف لغة على ظهر الأرض ، جمدت على شكل واحد مئات السنين .

غير أن العربية الفصحى ، لها - كما قلنا - ظرف لم يتوفر لأية لغة من لغات العالم ، ذلك أنها ارتبطت بالقرآن الكريم ، منذ أربعة عشر قرنا ، ودون بها التراث العربي الضخم ، الذي كان محوره هو القرآن الكريم ، في كثير من مظاهره . وقد كفل الله لها الحفظ ما دام يحفظ دينه ، فقال عز وجل : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَحَافِظُونَ » ولولا أن شرفها الله عز وجل ، فأنزل بها كتابه ، وقبض له من حلقه من بلوة صباح مساء ، ووعد بحفظه على تعاقب الأزمان - لولا كل هذا لأمت العربية الفصحى لغة أثرية ، تشبه اللاتينية أو السنسكريتية ، ولسادت اللهجات العربية المختلفة ، في نواحي الأرض العربية ، وازدادت على مر الزمان بُعدا عن الأصل الذي انسلخت منه .

هذا هو السر الذي يجعلنا لا نقيس العربية الفصحى ، بما يحدث في اللغات الحية المعاصرة ، فإن أقصى عمر هذه اللغات ، في شكلها

الحاضر ، لا يتعدى قرنين من الزمان ، فهي دائمة التطور والتغير ، وحرصه للتفاعل مع اللغات المجاورة ، تأخذ منها وتعطي ، ولا تجد في كل ذلك حرجا ؛ لأنها لم ترتبط في فترة من فترات حياتها بكتاب كريم ، كما هي الحال في العربية .

فاهتمامنا بالعربية ، يجب أن يكون نابعا من هذا المنطلق ، وهو ارتباطها بالدين الإسلامي والتراث العربي . وإذا أصبح هذا المنطلق واضحا في أذهان القائمين على تعليم العربية ، لم يجح بهم الخيال يوما ، إلى الاعتقاد بأن إجادة تعليم هذه اللغة ، سيقضي على لغة الحديث اليومي تماما ، فليس من اللازم أن يستخدم الناس جميعا ، هذه اللغة الأدبية في أحاديثهم ، بل إن هذا أمر يكاد يكون مستحيلا ، ولم يحدث في أي عصر من العصور ؛ فمن القواعد المقررة عند علماء اللغة ، أنه يستحيل على مجموعة بشرية ، تعيش في مساحة أرضية شاسعة ، أن تصطنع في حديثها اليومي لغة موحدة ، تخلو من اختلاف صوتي ، أو دلالي ، أو اختلاف في البنية أو التراكيب .

إن هذه قضية ليست في حاجة إلى برهنة ، فاللغات التي تعيش بيننا الآن ، تعانى من هذه الظاهرة ، ولا يمكن تجنبها في أية لغة من اللغات . وإنما الذى يمكن أن يحدث عن طريق التعليم الجاد للعربية ، هو أن تقترب المسافة بين العاميات والفصحى ، وأن تقرأ تراثنا الأدبي ونتمثله ، ونستمد منه عظمة الماضي ، وعدة الحاضر ، وأمل المستقبل ؛ أما فيما عدا ذلك ، فيمكن للموهوبين الذين يصبح في مقدورهم محاكاة هذه اللغة الأدبية ، وما أكثرهم عندئذ - أن يحاكيوا هذه اللغة في أحاديثهم وكتاباتهم ، على اختلاف درجاتهم في ذلك .

#### هل العربية لغة صعبة ؟

يسود بين جمهرة المثقفين العرب ، شعور مدمر بأن لغتنا الجميلة ، عربية الفصحى ، لغة معقدة القواعد ، صعبة التعليم ، كثيرة الشذوذ



في مسائلها وقضاياها ، بحيث تجعل من تعلمها ، أو استحداثها والتحدث بها ، عبثا ثقيلا على أهلها .

ولقد التزم المفرضون هذه الفرصة ، وأخذوا يصيدون في الماء العكر ، ويدعون إلى استخدام العامية ، وهجر الفصحى أو خلطها بالعامية ، وهي دعوة حمل لواءها منذ فترة طويلة ، المعادون للإسلام وأهله ؛ فادعوا أن إعراب العربية الفصحى ، أمر عسير التعليم ، ليصرفوا المسلمين عن منبع دينهم ، وعماد شريعتهم ، ودستور حياتهم ، وهو القرآن الكريم ، الذي أنزله الله عز وجل ، بهذه العربية الفصحى .

والحق أن هذا الإعراب ، الذي يوصف بأنه معقد وصعب ، لا تنفرد به العربية الفصحى وحدها ، بل إن هناك لغات كثيرة ، لا تزال تحيا بيتا ، وفيها من ظواهر الإعراب المعقد ، ما يفوق إعراب العربية بكثير ؛ فهذه هي اللغة الألمانية مثلا ، تقسم أسماءها اعتبارا إلى مذكر ومؤنث ، وجنس ثالث لا تعرفه العربية ، وهو : « المحايد » ، وتضع لكل واحد من هذه الأجناس الثلاثة ، أربع حالات إعرابية ، هي حالات : الفاعلية ، والمفعولية ، والإضافة ، والقابلية . وهذه الحالة الأخيرة ، لا تعرفها العربية ، وهي إعراب المفعول الثاني ، فهي من حالات المفعولية في العربية ، وليست حالة خاصة فيها . تلك هي حالات إعراب الاسم المفرد المعروف في الألمانية . والمفرد المنكر له أربع حالات أخرى ، وكذلك الجمع المعروف والجمع المنكر .

وبناء الجملة في اللغة الألمانية ، له نظام صارم ، فالفعل يحتل فيها المرتبة الثانية دائما ، إلا في الجمل الفرعية ، كالجمل التعليلية مثلا ، فإن الفعل يؤخر فيها إلى نهاية الجملة . وإن من يشكو من كثرة جموع التكسير في العربية ، وغلبة الشذوذ على قواعد هذا الجمع فيها ، سيحمد العربية الأطراد السبى في هذه القواعد ، إذا درس اللغة الألمانية ، ورأى كثرة صيغ هذه الجموع فيها ، وفقدان القاعدة التي تخضع لها تماما ، إلى درجة أن كل كتاب في تعلم قواعد الألمانية ، تبدأ صفحاته الأولى بهذه العبارة : « احفظ

مع كل اسم ، أداة تعريفه ، وصيغة جمعه ؛ لأنه ليست هناك قاعدة لذلك .

فليست العربية إذن ، بدعا بين اللغات ، في صعوبة القواعد ، غير أن شيئا من هذه الصعوبة ، يعود بالتأكيد ، إلى طريقة عرض النحويين لقواعدها ، فقد خلطوا في هذه القواعد بين الواقع اللغوي والمنطق العقلي ، وبعدوا عن وصف هذا الواقع إلى المماحيكات اللفظية ، وامتلات كتبهم بالجدل والخلافات العقيمة ، فضل المتعلم وسط هذا الركام الهائل من الآراء المتناقضة في بعض الأحيان . والحقيقة أن القواعد الأساسية ، لنحو اللغة العربية ، يمكن أن تستخلص في صفحات قليلة ، مصفاة من هذا الحشو ، الذي لا طائل وراءه .

### كيف يتقنى مدرس العربية وكيف يعد ؟

يمثل مدرس العربية حجر الزاوية ، في هذه المشكلة التي نعالجها ، وإليه يوجه اللوم عادة في الوصول إلى هذه النتيجة ، التي وصل إليها تعليم العربية في بلادنا . ولسنا هنا نتهم المعلمين ، أو نتقص من قدرهم ، وبينهم كل مربٍّ فاضل ، يحترم مهنته ، ويخلص في أداء واجبه ، غير أننا نود الإشارة إلى ظاهرة خطيرة ، انتشرت واستفحل أمرها في الأعوام الأخيرة ، ذلك أننا نرى ضعاف حملة الثانوية العامة ، تقذف بهم مكاتب التنسيق ، إلى كليات الآداب ، ومعاهد العربية مرغمين ، أو يلجئون هم إليها ، وفي حلقهم غصة ، بعد أن توعد أمامهم أبواب الكليات الأخرى . وإنك لتعجب حين تلقى بين طلبة كليات الطب والعلوم والهندسة ، نوابغ في العربية ، يقولون الشعر ، ويتذوقون الأدب ، على حين ترى الكثير ممن يدرسون العربية ، لا يكادون يقيمون جملة ، وبينهم وبين العربية عدا .

ولست أنسى في هذا المقام ، رحلة أشرفت عليها ، من طلبة قسم اللغة العربية بآداب عين شمس ، إلى إحدى ضواحي القاهرة ، وهناك كانت المطارحات الشعرية بعض تسليتهم ، وقد دخل بينهم في أثنائها شابان

غريبان ، أظهرنا براعة فائقة في هذه المطارحات ، وحين سألتهما : أنتم  
من طلبة العربية ؟ قالا : لا ، بل من طلبة الطب !

وهذا الطالب ، الذي توصله الظروف المختلفة ، إلى كليات  
الآداب ، غالباً ما يبحث فيها عن أى قسم سوى قسم اللغة العربية ، حتى  
إذا لقطته سائر الأقسام لجأ إلى هذا القسم ، وفي نفسه مرارة ، وفي قلبه  
حسرة ، وتؤدى نظم الامتحانات الحالية ، بما فيها من التعويض والخبر ،  
ولجان الرأفة ، والنقل بمواد ، وغير ذلك ، إلى أن يتخرج هذا الطالب  
الأعرج ، لينشر الجهل بين صفوف التلاميذ ، ويقذف إلى الجامعة بأجهل  
منه .

إننا نأسى ، ونحن نرى المستوى الثقافي ، يترشح على أيدي هؤلاء  
الطلاب ، ومهما صنع أستاذ الجامعة ، فإنه في حاجة إلى أعوام وأعوام ،  
لكي نخصب هذه الأرض المجربة ، ونؤتي أكلها ، وإلا فماذا يفعل في هذه  
الخامة الرديئة ، في بضعة أعوام قليلة ، وسط الإلحاح على تخرج الأعداد  
الكبيرة ، لسد حاجة المدارس إلى المعلمين ؟!

أما آن الوقت لكي ننظر إلى تعليم العربية ، في المدارس والجامعات ،  
نظرة الجد ؟ أليس في الإمكان أن نتقي طالب العربية ، من بين ذوي  
الاستعداد ، والموهوبين من حملة الثانوية العامة ، بعد إغرائهم بمكافآت  
شهرية سخية في أثناء الدراسة ، وراتب كبير بعد التخرج ؟ ثم نصقلهم  
صقلاً ، ونُعدهم إعداداً طيباً ، بعيدين عن نظام الخبر والتعويض ، ولجان  
الرأفة .

إن هذا المدرس الذي تريده ، في حاجة كبيرة إلى ثقافة عربية واسعة  
شاملة ، ودراسة واعية صابرة لعيون نرائنا العربى ! فإن من عنده الكثير  
يستطيع أن يعطى وأن يبذل ، ومن عنده القليل لا يعطى شيئاً . ولقد غفلنا  
عن هذه الحقيقة ربما ، رأينا فيه من ينادى في بعض لجان تطوير التعليم  
في مصر ، بأن يقتصر في إعداد المدرس على تلقينه كتب اللغة العربية ، التي

تدرس في مراحل التعليم العام ، وأنه لا داعي لأن يدرس علم الأصوات اللغوية ، أو النظريات المختلفة لفقه اللغة ، أو التيارات الأدبية العالمية ، أو العروض والقوافي ؛ لأن ذلك - في رأيهم - لا يقيد المدرس في عمله المستقبل ، في مدارس التعليم العام !

أما أن الوقت كذلك ، لكي تدرك أهمية المرحلة الابتدائية ، في بناء الكيان التربوي السليم للطفولة البريئة ، فكف عن امتحان معلم هذه المرحلة ، وتؤمن بما آمنت به بعض الدول المتقدمة ، من وضع خيرة المعلمين في هذه المرحلة ؟ إن الحديث عن معلم المرحلة الابتدائية ، حديث ذو شجون ، فإننا ما زلنا نظن أن تعليم الطفل أهون أنواع التعليم ، وأدى هذا إلى أننا أصبحنا نقيس مقدار المعلم ، بعمر الطفل الذي يتولى تربيته وتعليمه ، صعوداً وهبوطاً ، فمعلم الإعدادي أكثر احتراماً من معلم الابتدائي ، وأقل مركزاً من مدرس المدارس الثانوية ... وهي فكرة ساذجة ، مدمرة لنفس هذا المعلم ، الذي وضعنا بين يديه هذه العجيبة اللينة - طفل اليوم ، ورجل المستقبل ؛ ليجعل منه مواطناً صالحاً ، أو شيطاناً مارداً . إن الدول المتحضرة ترعى هذا المعلم ، وتعدّه حجر الأساس في العملية التربوية كلها ، وتختاره من أكفأ المدرسين في المراحل الأخرى ، وتغدق عليه المال وتكرمه ؛ ليعيش في حالة استقرار وقناعة ، ومعظم معلمي المرحلة الأولى ، في كثير من الدول المتحضرة ، يحملون أرقى شهادات علم النفس والتربية ، لكي يتسنى لهم فهم تلك البراعم الصغيرة ، فيلقنهم العلم ، وهم قريبون إليهم ، يلتصقون بهم ، ويلعبون معهم .

نعم .. فهذه المرحلة هي أهم المراحل ، وهي التي يحو فيها الطفل على مدارج القراءة ، ويعشق فيها الكتاب ، أو يكرهه ، ويقبل على اللغة ، أو يفتها إلى الأبد ..

### الطريق الأمثل إلى تعلم العربية :

كثر البحث عن السر في إخفاقنا حتى الآن ، في تعليم العربية

لها : أنها

الكلية

قوية ، حتى

، وفي قلبه

من والخبر ،

هذا الطالب

معدة بأجمل

يدى هؤلاء

رام وأعوام ،

عمل في هذه

لج الأعداد

لجامعات .

بين ذوي

بتكافآت

ثم تصقلهم

س ، ولجان

تربية واسعة

هذه الكثير

ولقد غفلنا

فوير التعليم

تربية ، التي

الفصحى لأبنائنا ، كما ينبغي ، قلم تفلح مدارس ومعاهدنا وجامعاتنا  
 عموماً ، في إنشاء علاقة الود بين المتعلمين وهذه اللغة ، ولم تنجح في غرس  
 حب القراءة في النشء منذ الصغر .

ولعل السبب في ذلك ، يرجع بعضه إلى اعتقاد الكثيرين منا ، بأن  
 في تعليم قواعد اللغة تعليماً للغة . وتفكيرنا في الأمر على هذا النحو ،  
 كتفكير من يعلم قواعد العروض ، لكي ينشئ شاعراً ، أو كتفكير من  
 حفظ صفحتين ، في قواعد قيادة السيارات ، ثم يظن أنه بهذا الحفظ  
 وحده ، قد أصبح سائقاً ماهراً ، فإن اهتمامنا بتعليم القواعد النحوية ،  
 في مرحلة مبكرة من حياة الطفل ، جعلنا نظن أن مقياس إجادة اللغة ، هو  
 البراعة في حفظ المصطلحات النحوية ، والتفتش في عدّ مسوغات الابتداء  
 بالنكرة ، ومجىء الحال معرفة ، وأحوال الصفة المشبهة ، وما إلى ذلك .

كل هذه الأمور وأمثالها ، يرددها التلميذ ، في هذه السن المبكرة  
 بلا وعي ، ثم ينساها عقب الفراغ من الامتحان ، ولا يبقى في ذهنه منها  
 إلا التندر على صعوبة اللغة العربية ، وما لاقاه في تعلمها من عنث ومشقة .  
 وإنني لست بهذا أخط من أهمية قواعد اللغة ، ولا أقلل من قدرها ،  
 في الوقوف على سر اللغة والتمكن منها ، ولكنني أحذر من وضعها في المقام  
 الأول ، ونسيان القطرة التي جيل عليها الإنسان في تعلم اللغة . خذ لغة  
 التخاطب مثلاً ، وانظر كيف يتعلمها الطفل ؟ إننا لا نشرح له أية قاعدة  
 من قواعدنا ، ولكن الذي يحدث هو أننا نتكلم ، والطفل يحاكي ويقلد ،  
 حتى إذا أخطأ ، لا يجد من حوله يشرحون له القاعدة ، وإنما يكررون  
 الصواب أمامه ... وهكذا ، وعن هذا الطريق وحده ، يلم الطفل بتراكيب  
 اللغة ومعانيها ، حفظاً وفهماً ، وبهضم كل ذلك ثم يقيس عليه ، ويكتمل  
 نضج لغة الخطاب لديه ، في وقت قصير ، دون أن يعلم شيئاً عن قواعدنا  
 وقوانينها وضوابطها .

وإذا كان هذا هو المنهج الفطري في تعلم اللغة ، فلماذا لا نقيد منه

في تعلم العربية الفصحى ؟ حقا إن العربية الفصحى ، لا يتكلمها الناس في كل وقت حول التلميذ ، كما نتحدث بالعامية أمام الطفل . ولكن هناك طريقا آخر يقوم مقام السماع ، وهو طريق القراءة ، قراءة النصوص الأدبية القديمة ، وما نسج على نمطها في العصور المختلفة ، قراءة واعية صابرة ، مع حفظ الكثير والكثير جدا ، من هذه النصوص الجيدة ، شعرا ونثرا ، وعلى رأس هذه النصوص جميعها بالطبع ، نص القرآن العظيم . وفي هذه الحالة تتكون الملكة القادرة على محاكاة هذه النصوص ، والنسج على منوالها .

ولقد نادى بمثل ذلك العلامة « ابن خلدون » فقال في مقدمته : « ووجه التعليم لمن يبتغى هذه الملكة ، ويزوم تحصيلها ، أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم ، الجارى على ألسنتهم ، من القرآن والحديث ، وكلام السلف ، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم ، وكلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم ، حتى ينزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور ، منزلة من عاش بينهم ، ولقن العبارة منهم <sup>(١)</sup> » .

هذا ما قاله ابن خلدون . وإنه لا شيء أجدى على من يريد تعلم لغة ما ، من الاستماع إليها ، والقراءة الكثيرة في تراثها ، وحفظ الجيد من نصوصها . وإذا كنا أمام الفصحى ، لا نلتم بالوسيلة الأولى ، وهي الاستماع ، إذ أكثر ما نسمعه عامي أو فصيح ملحون ، أو مليء بالخطأ ، أو ركيك العبارة ، ضحل المضمون ، فلا تزال أمامنا فرصة الإفادة ، من القراءة الواعية للنصوص الجيدة ، وعندئذ تتكون السليقة اللغوية عند أبناء العربية ، وتجرى ألسنتهم بالفصحى العذبة ، وتأتى دروس القواعد ، فتتظم هذا الكيان اللغوى ، الذى نما وترعرع ، في ظل النصوص .

وإذا كان للقراءة هذا الجانب العظيم من الأهمية ، في الوصول إلى اكتساب السليقة اللغوية ، فإن الكتاب المدرسى ، تبرز أهميته القصوى



في هذا المجال ، وفي تصوري أن الكتاب المدرسي الجيد ، هو الذي يكون ملائماً لسن الطفل ، وقريباً من لغته ، كما تكون موضوعاته وأمثلة ، متصلة بالبيئة التي يعيش فيها هذا الطفل . وكل هذه الأمور تتفاوت الجهات المستولة ، عن الكتب المدرسية ، في البلاد العربية ، في مراعاتها قدر الطاقة .

غير أنني أتناول هنا ناحية خطيرة ، في إعداد هذا الكتاب ، أجدها مسئولة عن بعض الضعف ، الذي تعاني منها في لغتنا العربية ؛ ذلك هو ما درجنا عليه ، من كتابة كثير من الكلمات ، عارية عن الضبط بالشكل ، في الكتاب المدرسي المقرر ، في تلك الفترة المبكرة من حياة الطفل ؛ فقد يستطيع هذا الطفل أو ذاك ، أن ينطق كلمة سمع نطقها ، وتعلمه في مدرسته ، غير أنه يقف عاجزاً مكتوف الأيدي ، أمام كلمة أخرى ، لم يقرأها من قبل ، حتى وإن عرف حروفها وهجاءها ؛ ذلك لأن رموز نصف الأصوات في الكلمة مفقود تماماً ، وهي رموز الحركات ، فحروف مثل : ( ك ت ب ) ، لا يدري الطفل كيف تنطق ؛ لأنها تحتل عدة أوجه من القراءة ، بسبب عدم ضبطها بالحركات . وهذا معوق كبير عن القراءة ، يزيد من كراهية الطفل للتعليم ، ويحبط العملية التعليمية .

وإننا لنعجب حقاً من نهائنا في طباعة هذه النصوص ، بلا شكل أحياناً ، وبعض الشكل أحياناً أخرى ؟ إننا بهذا الخط الخالي من التشكيل ، نفهم أولاً ، لكي نقرأ قراءة صحيحة ، وفي كل لغات العالم ، يقرأ الناس ليفهموا ، وإن هذا الخط الخالي من التشكيل ، هو المسئول عن الخطأ في ضبط بنية الكلمة ، فلماذا لا نقص على هذه الآفة الخطيرة ، بتشكيل جميع الكتب المدرسية ، حتى مراحل متأخرة تشكيلاً كاملاً ، فيتعود التلميذ على النطق السليم ، لأهنية الكلام ، وهو ما لا يضبط بقاعدة في كثير من الأحيان ، ولابد فيه من السماع ؟



هذا هو دور القراءة الواعية ، في تعلم اللغة الفصحى . ولكن هل  
فقدنا حقاً الوسيلة الأصلية في تعلم اللغة ، وهي : السماع ؟ إن وسائل  
الإعلام السمعية ( الراديو والتلفزيون ) يمكن أن تسهم بدور فعال ،  
في الوصول إلى نتيجة مرضية في تعلم الفصحى ، غير أن الذى يحدث  
للأسف الشديد ، هو طغيان العاميات في كل يوم على الإذاعات العربية ،  
فتخسر الفصحى إحدى قلاعها الحصينة ، وتفوت الفرصة الذهبية ، لتعلم  
اللغة عن طريق السماع .

إنك لتعجب حين ترى بعض المتعلمين ، ينطق اللغة الأجنبية  
على وجهها الصحيح ، حتى إذا رام الحديث بالعربية الفصحى ، تلطم  
وارثك ، وأخطأ ولحن ، وصحف وحرف ، وخلطها بالردىء من  
الأساليب العامية ، كمن يخلط عملاً صالحاً بآخر سيئ ، وما ذلك إلا  
لأنه لا يسمع الفصحى ، إلا في حجرة الدراسة أحياناً ، حتى إذا خرج إلى  
الشارع ، ملأت العامية سمعه وبصره في كل مكان ، فخلطت عليه أمره ،  
وردت عن الفصحى أيماً ردة ، وعاقته عن تملك زمامها ، والسيطرة عليها .

ولقد كان الأمل كبيراً ، في أن تقوم وسائل الإعلام المختلفة ، بسد  
هذا النقص ، وتقويم هذا الميل في ميزان الفصحى والعامية ، فلا يقتصر  
سماع الطالب للفصحى ، على دروس المدرسة ، بل تحيط به لغتنا الجميلة  
من كل مكلك ، وتأخذ عليه جهاته الأربع ، فتتمكن من قلبه ، وتجري بها  
لسانه ، وتصير لغة سليقة له .

كان الأمل كبيراً ، في أن يدير الطالب مفتاح المذيع مثلاً ،  
فلا يسمع إلا الفصحى في كل شيء : في النشرات ، والتعليقات ، والبرامج  
والتمثيليات ، والأغاني والسهرة ولكن الذى يحدث في كثير من  
الإذاعات العربية ، هو طغيان اللهجات المحلية على برامجها وأغانيها  
وتمثيلاتها ، فإذا سألت المشرقين على هذه الإذاعات ، والقائمين  
على التخطيط فيها ، عن أسباب هذه العلة ، التي أزممت وطال عليها  
الأمد ، سمعت منهم حجة غريبة ، وعلة عجبية : ذلك أنهم يقولون : إن  
الجمهور يريد البث باللغة العامية ، وينفر من البرامج القصصية !

الذى يكون  
متصلة  
الجهات  
أعانتها قدر

أحدها  
ذلك هو  
القيط  
من حياة  
نطقها  
أمام كلمة  
ذلك لأن  
الحركات  
لأنها  
هذا معوق  
العملية

بلا شكل  
الحالي من  
العالم  
عن  
الخطوة  
كاملاً  
بقاعدة

وينسى هؤلاء القوم أن وسائل الإعلام ، يجب أن تكون موجهة لا موجهة . وهذا يعنى أنها لا يصح أن تملق عواطف الجمهور ، أو تجرى وراء نزواته ، بل يجب أن توجهه وتأخذ بيده ، وتقوده إلى حيث تريد ، فلهذا السبب وجدت ، ومن أجله تعمل ، فلا يصح أن تنسى وظيفتها الأصلية ، وتتساق خلف تحقيق الرغبات الجامحة ، للجمهور الكسول .

لقد كان المطربون والمطربات في العصر العباسي ، يتغنون بالشعر العربي الفصيح ، فبذيعون هذا الشعر ، ويعملون على رواج سوق الأدب ، ونشر الفصحى بين الناس ، ولقد تُغنى في عصرنا الحديث ، بالقصائد الطوال ، من الشعر الفصيح ، فما ازور عنه الجمهور ، ولا مل الاستماع إليه .

نعم ... قد يقال : إن نسبة كبيرة من الجماهير العربية ، من الأميين الذين لا يعرفون هذه الفصحى ولا يفهمونها ، فلا يصح أن نخطبهم بلغة تعلق عن مستواهم ، أو نوجههم بأسلوب ، لا يلقي عندهم صدى أو قبولاً .

ولكن ... من قال إن العربية الفصحى ، تعنى التفرع والتشدد واختيار الألفاظ الحوشية ، والأساليب الغريبة في اللغة ؟ إن هذا الجمهور نفسه ، هو الذى يستمع إلى خطبة الجمعة ، بالفصحى السهلة ، يفهمها ويعيها ، ولا ينفر منها .

وليكن ما يقوله هؤلاء صواباً ... أفصح أن نحمل النصيب الأوفر ، من البرامج العامة من أجل الأميين ؟ إن ما يحدث من طغيان العامة ، في الأغاني والتسجيلات والبرامج في الإذاعات العربية ، لا نظير له في أية إذاعة أوربية مثلاً ، مع كثرة اللهجات المحلية هناك ، وما ذلك إلا لأن أصحابها ، آمنوا بالوظيفة الأولى للإذاعة ، وهى التوجيه لا الانقياد .

## مركز جمع الكتب ١ - المراجع العربية

- ٧ - أبحاث في اللغة العربية ، للدكتور داود عبده - بيروت ١٩٧٣ م .
- ٢ - الإبدال ، لأبي الطيب اللغوي - تحقيق عز الدين التوحي - دمشق ١٩٦٠ م .
- ٣ - الإبدال والمعاقبة والنظائر ، للرجاجي - تحقيق عز الدين التوحي - دمشق ١٩٦٢ م .
- ٤ - الإبل ، للأصمعي ( ضمن الكنز اللغوي في اللسان العربي ) تحقيق هفتر - ليبرج ١٩٠٥ م .
- ٥ - أبنية الأسماء والأفعال والمصادر ، لابن القطاع الصقلي - تحقيق أحمد عبد الدايم - رسالة دكتوراه بدار العلوم ١٩٨٠ م .
- ٦ - أبنية الفعل في اللغات السامية ، للدكتور رمضان عبد التواب - مجلة كلية اللغة العربية بالرياض - العدد الرابع ( ١٩٧٤ ) ص ٥٥ - ٦٨
- ٧ - ابن السكيت اللغوي ، لمحي الدين توفيق - بغداد ١٩٦٩ م .
- ٨ - أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، للدكتور أحمد مكى الأنصاري - القاهرة ١٩٦٤ م .
- ٩ - أبو علي الفارسي ، للدكتور عبد الفتاح شلبي - القاهرة ١٣٨٨ هـ .
- ١٠ - الإتياع ، لأبي الطيب اللغوي - تحقيق عز الدين التوحي - دمشق ١٩٦١ م .
- ١١ - الإتياع والمراوحة ، لابن فارس - نشر بروكس - جنس ١٩٠٦ م .
- ١٢ - الإتقان في علوم القرآن ، لخلال الدين السيوطي - القاهرة ١٣٦٨ هـ .

تكون موجهة  
هور ، أو أخرى  
تريد ، فلهذا  
يفتحها الأصلية ،

يتعنون بالشعر  
سوق الأدب ،  
ت ، بالقصائد  
ولا مل الاستماع

ية ، من الأعمى  
ن مخاطبتهم بلغة  
هم صدى أو

تقعر والتشديد  
هذا الجمهور  
هله ، فيقهما

نصيب الأوفر ،  
لغيان العامة ،  
له في أية إذاعة  
لك أصحابها ،

- ١٣ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، للمقدسي - نشردى غويه -  
مطبعة بريل ١٩٠٦ م .
- ١٤ - الإحكام في أصول الأحكام ، لابن خزم - القاهرة ( مطبعة  
الإمام بلا تاريخ ) .
- ١٥ - إحياء النحو ، لإبراهيم مصطفى - القاهرة ١٩٥٩ م .
- ١٦ - أخبار النحويين البصريين ، للسيوطي - تحقيق محمد عبد المنعم  
خفاجي وطه الزيني - القاهرة ١٩٥٥ م .
- ١٧ - أدب الإملاء والاستملاء ، للسمعاني - نشر فايسفيلر - ليدن  
١٩٥٢ م .
- ١٨ - أدب الكاتب ، لابن قتيبة الدينوري - تحقيق جروبرت - ليدن  
١٩٠٠ م .
- ١٩ - الأرملة والأمكنة ، للمرزوقي - حيدر آباد الدكن بالهند  
١٣٣٢ هـ .
- ٢٠ - الأرملة والأنواء ، لابن الأجداني - تحقيق الدكتور غزوة حسن -  
دمشق ١٩٦٤ م .
- ٢١ - أساس البلاغة ، للزمخشري - طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة  
١٩٢٢ م .
- ٢٢ - أسطورة الأبيات الخمسين في كتاب سيويه ، للدكتور رمضان  
عبد التواب - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ( ١٩٧٤ ) ٢/٤٩
- ٢٣ - أسماء خيل العرب وقرسانها ، لابن الأعرابي - نشر ليثي  
دلاقيدا - ليدن ١٩٢٨ م .
- ٢٤ - الأشباه والنظائر في النحو ، لحلال الدين السيوطي - حيدر آباد  
الدكن بالهند ١٣٥٩ هـ .
- ٢٥ - الاشتقاق ، لابن دريد الأزدى - تحقيق عبد السلام هارون -  
القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢٦ - الاشتقاق ، لأبي بكر بن السراج - تحقيق محمد صالح  
التكريتي - بغداد ١٩٧٣ م .
- ٢٧ - الاشتقاق ، لعبد الله أمين - القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٢٨ - اشتقاق الأسماء ، للأصمعي - تحقيق الدكتور رمضان

- ٢٩  
- ٣٠  
- ٣١  
- ٣٢  
- ٣٣  
- ٣٤  
- ٣٥  
- ٣٦  
- ٣٧  
- ٣٨  
- ٣٩  
- ٤٠  
- ٤١  
- ٤٢  
- ٤٣  
- ٤٤

- عبد التواب ، والدكتور صلاح الدين الهادي - القاهرة ١٩٨٠ م .
- ٢٩ - الاشتقاق والتعريب ، لعبد القادر المغربي - القاهرة ١٩٤٧ م .
- ٣٠ - إصلاح المنطق ، لأبي السكيت - تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون - القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٣١ - أصول الكلمات العامية ، لحسن توفيق العدل - القاهرة ١٨٩٩ م .
- ٣٢ - الأضداد ، لأبي بكر بن الأنباري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الكويت ١٩٦٠ م .
- ٣٣ - الأضداد ، لأبي حاتم السجستاني ( ضمن ثلاثة كتب في الأضداد ) - نشر هفتر - بيروت ١٩١٣ م .
- ٣٤ - الأضداد ، لابن الدهان - نشر الشيخ محمد حسن آل ياسين - بغداد ١٩٦٣ م .
- ٣٥ - الأضداد ، لابن السكيت ( ضمن ثلاثة كتب في الأضداد ) - نشر هفتر - بيروت ١٩١٣ م .
- ٣٦ - الأضداد ، للصاغاني ( ضمن ثلاثة كتب في الأضداد ) - نشر هفتر - بيروت ١٩١٣ م .
- ٣٧ - الأضداد في كلام العرب ، لأبي الطيب اللغوي - تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق ١٩٦٣ م .
- ٣٨ - الأضداد في اللغة ، لمحمد حسين آل ياسين - بغداد ١٩٧٤ م .
- ٣٩ - الأضداد ، لقطرب - نشر كوفلر ، في مجلة : إسلاميك ١٩٣٢ م .
- ٤٠ - إعجاز القرآن - المباحث - تحقيق السيد أحمد صفر - القاهرة ١٩٦٣ م .
- ٤١ - إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، لابن خالويه - تحقيق عبد العزيز الميمنى - القاهرة ١٩٤١ م .
- ٤٢ - أعلام الكلام ، لابن شرف القيرواني ( ضمن سلسلة الرسائل النادرة ) - القاهرة ١٩٢٦ م .
- ٤٣ - الأفعال ، للسريسي - تحقيق الدكتور حسين محمد شرف - القاهرة ١٩٧٥ م وما بعدها .
- ٤٤ - الأفعال ، لابن القطاع - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٥٩ هـ .

في غويه -

مطبعة

عبد المنعم

بريد - لندن

لندن

بن بالهد

بريد حسن -

بريد بالقاهرة

توزيع رمضان

٢/٤٩

نشر ليشي

حيدر آباد

م. هارون -

عبد صالح

توزيع رمضان

- ٤٥ - الاقتراح في علم أصول النحو ، لجلال الدين السيوطي - حيدر آباد الدكن  
بالهند ١٣٥٩ هـ .
- ٤٦ - الإكليل ، للهمداني - الجزء العاشر - تحقيق محب الدين الخطيب -  
القاهرة ١٣٦٨ هـ .
- ٤٧ - ألف باء ، لأبي الحجاج البلوي - القاهرة ١٣٧٨ هـ .
- ٤٨ - الألفاظ الكتابية ، للهمداني - القاهرة ١٩٢٢ م .
- ٤٩ - الأمالي ، لابن الشجري - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٤٩ هـ .
- ٥٠ - الأمالي ، لأبي علي القالي - يولاق ١٣٢٤ هـ .
- ٥١ - إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للمقطبي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم -  
القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٧٣ م .
- ٥٢ - الإنصاف في مسائل الخلاف ، بين النحويين البصريين والكوفيين ،  
لأبي البركات بن الأنباري - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد -  
القاهرة ١٩٥٣ م .
- ٥٣ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام - تحقيق محمد محي الدين  
عبد الحميد - القاهرة ١٩٤٩ م .
- ٥٤ - الأيام والليالي والشهور ، للفراء - تحقيق إبراهيم الإياري - القاهرة  
١٩٥٦ م .
- ٥٥ - الإيضاح في علل النحو ، للزجاجي - تحقيق مازن المبارك - القاهرة  
١٩٥٩ م .
- ٥٦ - إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ، لأبي بكر بن الأنباري -  
تحقيق محي الدين رمضان - دمشق ١٩٧١ م .
- ٥٧ - البارع في اللغة ، لأبي علي القالي - قطعة مصورة نشرت بعناية قولتون -  
لندن ١٩٣٣ م .
- ٥٨ - البارع في اللغة ، لأبي علي القالي - نشر هاشم الطعان - بيروت  
١٩٧٥ م .
- ٥٩ - البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي - مطبعة السعادة بالقاهرة  
١٣٢٨ هـ .
- ٦٠ - البرهان في علوم القرآن ، للرازي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم -  
القاهرة ١٩٥٧ - ١٩٥٨ م .

- ٦١ - بحائر تروى تخير في لطائف الكتاب العربي ، المفيرور ابادى - القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٧٣ م .
- ٦٢ - بعية الوعاة في طيفات اللغوين والحاة ، خلال الدين السيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م .
- ٦٣ - بلاد العرب ، للغة الإصفهاني - تحقيق الشيخ حمد الجاسر والدكتور صالح العلي - الرياض ١٩٦٨ م .
- ٦٤ - البيان وتبيين ، لأبي عمرو الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٤٨ - ١٩٥٠ م .
- ٦٥ - التأليف في خلق الإنسان من خلال معاجم المعاني ، للدكتورة وجيهة السطل - دمشق ١٩٧٦ م .
- ٦٦ - تأويل متشكل القرآن - لأبي قتيبة - تحقيق السيد أحمد صقر - القاهرة ١٩٥٤ م .
- ٦٧ - تاج العروس من جواهر القاموس ، للربيعي - القاهرة ١٣٠٦ هـ .
- ٦٨ - تاريخ الأدب ، أو حياة اللغة ، لحفني ناصف - القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٦٩ - تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٦٩ - ١٩٦٠ م .
- ٧٠ - التاريخ العربي القديم ، طومل وآخرين - ترجمة الدكتور فؤاد حسنين على - القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٧١ - تاريخ اللغات السامية ، لإسرائيل ولفسون - القاهرة ١٩٢٩ م .
- ٧٢ - التذكير والتأنيث في اللغة ، مع تحقيق رسالة أبي موسى الخامض فيما يذكر ويؤث من الإنسان واللباس ، للدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٧٣ - التشبيهات ، لأبي أيوب - تحقيق محمد عبد المعيد خان - كمبودج ١٩٥٠ م .
- ٧٤ - نصحيح الفصيح ، لأبي درستويه - تحقيق عبد الله الجبوري - بغداد ١٩٧٥ م .
- ٧٥ - التضاد في ضوء اللغات السامية ، للدكتور ربحي كمال - بيروت ١٩٧٢ م .



- ٧٦ - التطوير النحوي للغة العربية ، ليرجشتراسر - أخرجه وصححه  
وعلق عليه الدكتور رمضان عيد التواب - القاهرة ١٩٨٢ م .
- ٧٧ - التعريف والإعلام ، للمسهيلي - القاهرة ١٩٣٨ م .
- ٧٨ - تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي - القاهرة  
١٩٦٧ م .
- ٧٩ - التكملة ، لأبي علي الفارسي - تحقيق كاظم بحر المرحان ( رسالة  
ماجستير ) مخطوط .
- ٨٠ - التكملة والذيل والصلة ، لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للصاغاني -  
تحقيق عبد العلم الطحطاوي وآخرين - القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٩ م .
- ٨١ - التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ، لأبي هلال العسكري - تحقيق  
الدكتور عزة حسن - دمشق ١٩٦٩ م .
- ٨٢ - تلقيب القوافي ، لابن كيسان ( ضمن جررة الحاطب ونحفة الطالب ) -  
تشررايت - ليدن ١٨٥٩ م .
- ٨٣ - التنبيه على حدوث التصحيف ، لحمزة الإصفيهاني - تحقيق الشيخ محمد  
حسن آل ياسين - بغداد ١٩٦٧ م .
- ٨٤ - التنبيهات على أغاليط الرواة ، لعلي بن حمزة البصري - تحقيق عبد العزيز  
الميعني - القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٨٥ - التهذيب في أصول التعريب ، للدكتور أحمد عيسى - القاهرة ١٩٢٣ م .
- ٨٦ - تهذيب الألفاظ ، لابن السكيت - نشر لويس شيخو - بيروت  
١٨٩٥ م .
- ٨٧ - تهذيب الألفاظ العامية ، للشيخ محمد علي السدوق -  
القاهرة ١٩١٣ م .
- ٨٨ - تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري - تحقيق عبد السلام هارون  
وآخرين - القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٧ م .
- ٨٩ - الحمل للزجاجي - نشر العلامة ابن أبي شنب - باريس ١٩٥٧ م .
- ٩٠ - جمهرة اللغة ، لابن دريد الأزدي - تحقيق كرنكو - حيدر آباد الدكن  
بالهند - ١٣٤٤ - ١٣٥١ هـ .
- ٩١ - جواهر الألفاظ ، لقدامة بن جعفر - تحقيق محمد محيي الدين  
عبد الحميد - القاهرة ١٩٣٢ م .

- ٩٢ - الحيم ، لأنى عمرو الشيباني - تحقيق إبراهيم الإيبارى وآخرين - القاهرة ١٩٧٤-١٩٧٥ م .
- ٩٣ - جيمية هيمان بن قحافة السعدى فى وصف الإبل - جمعها وحققها وعلق عليها الدكتور رمضان عبد التواب - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ( ٢٧ ) فبراير ١٩٧٦ م .
- ٩٤ - حاشية الشريف المرحانى على الكشاف - القاهرة ١٩٤٨ م .
- ٩٥ - الحروف ، لأحمد بن محمد الرازى - ضمن ثلاثة كتب فى الحروف تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٨٢ م .
- ٩٦ - الحروف ، للخليل بن أحمد - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٦٩ م .
- ٩٧ - الحروف ، لأنى نصر الفازانى - تحقيق محسن مهدى - بيروت ١٩٦٩ م .
- ٩٨ - حماسة أنى تمام ، يشرح التبريزى - نشر فرايتاج - بون ١٨٢٨ م .
- ٩٩ - الحماسة للبحترى - نشر كمال مصطفى - القاهرة ١٩٢٩ م .
- ١٠٠ - الحماسة البصرية ، لصدر الدين البصرى - تحقيق مختار الدين أحمد - جيدر آباد الدكن بالهند ١٩٦٤ م .
- ١٠١ - حلية الفرسان وشعار الشجعان ، لأنى هذيل الأندلسى - تحقيق محمد عبد الغنى حسن - القاهرة ١٩٤٩ م .
- ١٠٢ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر البغدادى - بولاق ١٢٩٩ هـ .
- ١٠٣ - الخصائص ، لأنى جنى - تحقيق محمد على النجار - القاهرة ١٩٥٢-١٩٥٦ م .
- ١٠٤ - خلق الإنسان ، للأصمعى ( ضمن الكنز اللغوى فى اللسان العربى ) نشر هفتر - ليزج ١٩٠٥ م .
- ١٠٥ - خلق الإنسان ، لثابت بن أنى ثابت - تحقيق عبد الستار فراح - الكويت ١٩٦٥ م .
- ١٠٦ - خلق الإنسان ، للزجاج - تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائى - بغداد ١٩٦٣ م .
- ١٠٧ - الحيل ، للأصمعى - نشر هفتر و مجلة SBWA - قينا ١٨٩٥ م .

وجه وصحة  
١٩٨٢ م .

القاهرة

رسالة

لصاغاني -

١٩٧٩ م .

تحقيق

الطالب ) -

الشيخ محمد

تحقيق عبد العزيز

١٩٢٣ م .

بيروت

السوقى -

السلام هارون

١٩٥٧ م .

جيدر آباد الدكن

عيسى الدين

- ١٠٨ - الخليل ، لأنى عبدة معمر بن المنشى - حيدر آباد الدكن - الهند  
١٣٥٨ هـ .
- ١٠٩ - دراسات فى فقه اللغة ، للدكتور صبحى الصالح - بيروت ١٩٧٠ م .
- ١١٠ - دراسات فى فقه اللغة العربية ، للدكتور السيد يعقوب بكر - بيروت  
١٩٦٩ م .
- ١١١ - دراسات فى اللغة ، للدكتور إبراهيم السامرائى - بغداد ١٩٦١ م .
- ١١٢ - درة العواصى فى أوهام الخواص ، للحريرى - مطبعة الجوانب باستانبول  
١٢٩٩ هـ .
- ١١٣ - الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، لأنى حجر العسقلانى - حيدر  
آباد الدكن بالهند ١٣٤٨ - ١٣٥٠ هـ .
- ١١٤ - الدرر اللوامع على معجم المصنفات - للشقيطى - القاهرة ١٣٢٨ هـ .
- ١١٥ - دروس فى علم أصوات العربية ، لحاج كاتيبو - ترجمة صالح  
القرمادى - تونس ١٩٦٦ م .
- ١١٦ - دلالة الألفاظ ، للدكتور إبراهيم أنيس - القاهرة ١٩٥٨ م .
- ١١٧ - دور الكلمة فى اللغة ، لأولمك - ترجمة الدكتور كمال بشر - القاهرة  
١٩٦٢ م .
- ١١٨ - ديوان الأخطل - نشر أنطوان صالحانى - بيروت ١٨٩١ م .
- ١١٩ - ديوان إبراهيم بن هرمة - تحقيق محمد نفاع وحسين عطوان - دمشق  
١٩٦٩ م .
- ١٢٠ - ديوان الأدب ، للفقارنى - تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر - القاهرة  
١٩٧٤ - ١٩٧٨ م .
- ١٢١ - ديوان الأعشى - الصبح السمر فى شعر أنى نصير - تحقيق حاتم - لندن  
١٩٢٨ م .
- ١٢٢ - ديوان امرئ القيس - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة  
١٩٥٨ م .
- ١٢٣ - ديوان بشر بن أنى حازم - تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق  
١٩٦٠ م .
- ١٢٤ - ديوان حرث العود القبرى ، ترجمة أنى سعيد السكوى - القاهرة  
١٩٣١ م .

- ١٢٥ - ديوان الخطيئة - تحقيق نعمان أمين طه - القاهرة ١٩٥٨ م .
- ١٢٦ - ديوان حميد بن ثور الهلالي - صعدة عبد العزيز الميمنى - القاهرة ١٩٥١ م .
- ١٢٧ - ديوان الخرنق أخت طرفة - تحقيق الدكتور حسين نصار - القاهرة ١٩٦٩ م .
- ١٢٨ - ديوان ذى الرمة - تحقيق كارليل هنرى هيس - كمبودج ١٩٦٩ م .
- ١٢٩ - ديوان أنى دواد الإيادى ، فى كتاب : دراسات فى الأدب العربى ، تأليف عرباوم ، وترجمة إحسان عباس وآخرين - بيروت ١٩٥٩ م .
- ١٣٠ - ديوان رؤبة بن العجاج - تحقيق آهلورت - لينزج ١٩٠٣ م .
- ١٣١ - ديوان أنى زبيد الطائى - جمعه وحققه الدكتور نوري محمودى القيسى - بغداد ١٩٦٧ م .
- ١٣٢ - ديوان زهير بن أنى سلمى ، بشرح ثعلب - القاهرة ١٩٤٤ م .
- ١٣٣ - ديوان الطرماح - تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق ١٩٦٨ م .
- ١٣٤ - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات - تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم - بيروت ١٩٥٨ م .
- ١٣٥ - ديوان العجاج ، برواية الأصمعى وشرحه - تحقيق الدكتور عزة حسن - بيروت ١٩٧١ م .
- ١٣٦ - ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدى - جمع هاشم الطعان - بغداد ١٩٧٠ م .
- ١٣٧ - ديوان القزودق - نشر عبد الله إسماعيل الصاوى - القاهرة ١٩٣٦ م .
- ١٣٨ - ديوان كثير عزة - تحقيق إحسان عباس - بيروت ١٩٧١ م .
- ١٣٩ - ديوان كعب بن زهير = شرح ديوان كعب بن زهير ، للسكرى - القاهرة ١٩٥٠ م .
- ١٤٠ - ديوان ليلى بن ربيعة العامري - تحقيق الدكتور إحسان عباس - الكويت ١٩٦٢ م .
- ١٤١ - ديوان مجنون ليلى - تحقيق عبد المنار فراج - القاهرة ( بلا تاريخ ) .
- ١٤٢ - ديوان أنى مجنون النقي - تحقيق امتياز على عرشى - مجلة ثقافة الهند سبتمبر ١٩٥٢ م .
- ١٤٣ - ديوان مراحم بن الحارث العقيل - نشر كرككو - لبنان ١٩٦٠ م .
- ( لغة العربية - ٢٨ )

- ١٤٤ - ديوان مزود بن صرار العطفاني - تحقيق خليل إبراهيم العطية - بغداد ١٩٦٢ م .
- ١٤٥ - ديوان ابن مقبل - تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق ١٩٦٢ م .
- ١٤٦ - ديوان النابغة الجعدي - تحقيق مارية نلليو - روما ١٩٥٣ م .
- ١٤٧ - ديوان النابغة الذبياني - صنعة ابن السكيت - تحقيق الدكتور شكري فيصل - بيروت ١٩٦٨ م .
- ١٤٨ - ديوان المهذلين = شرح ديوان المهذلين للسكري - تحقيق عبد السار قراج - القاهرة ١٩٦٥ م .
- ١٤٩ - دم الخطأ في الشعر ، لابن فارس اللغوي - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٨٠ م .
- ١٥٠ - ربيع الأبرار ، للزمخشري - مخطوطة دمشق رقم ٣٢٦٣
- ١٥١ - رسالة في علم الخط ، للسيوطي ( ضمن التحفة البهية والطرفة الشهية ) استانبول ١٣٠٢ هـ .
- ١٥٢ - رسالة الملائكة ، لأبي العلاء المعري - تحقيق محمد سليم الجندي - دمشق ١٩٤٤ م .
- ١٥٣ - الركام اللغوي للظواهر المندثرة في اللغة ، للدكتور رمضان عبد التواب - المجلة العربية ( السنة الثانية ) العدد الأول - الرياض ١٩٧٧ م .
- ١٥٤ - الرزية ، لأبي حاتم الرازي - تحقيق حسين الهمداني - القاهرة ١٩٥٧ - ١٩٥٨ م .
- ١٥٥ - سر صناعة الإعراب ، لابن جني - تحقيق مصطفى السقا وآخرين - القاهرة ١٩٥٤ م .
- ١٥٦ - سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي - نشر عبد المتعال الصعيدي - القاهرة ١٩٥٣ م .
- ١٥٧ - ابن السكيت اللغوي ، لمحيي الدين توفيق إبراهيم - بغداد ١٩٦٩ م .
- ١٥٨ - سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي ، لأبي عبيد البكري - تحقيق عبد العزيز الميمنى - القاهرة ١٩٣٦ م .
- ١٥٩ - سيرة ابن هشام = السيرة النبوية ، لابن هشام - تحقيق مصطفى السقا وآخرين - القاهرة ١٩٥٥ م .

- ١٦٠ - النشاء ، للأصمعي - نشر هقمر ، في مجلة : SBWA قبا ١٨٩٦ م .
- ١٦١ - الشجر ، لأبي زيد الأنصاري - نشر ناخلدريج - كرشهايم ١٩٠٩ م .
- ١٦٢ - شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة ، لأبي الطيب اللغوي - تحقيق محمد عبد الحواد - القاهرة ١٩٥٦ م .
- ١٦٣ - شرح اختيارات المفصل الضبي ، للمحيط التبريزي - تحقيق الدكتور فخر الدين قاروة - دمشق ١٩٧١ - ١٩٧٢ م .
- ١٦٤ - شرح أدب الكاتب ، للحوالي - نشر مصطفى صادق الرافعي - القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- ١٦٥ - شرح الأشمولى على ألفية ابن مالك - مطبعة عيسى البابى الحلبي بالقاهرة ( بلا تاريخ ) .
- ١٦٦ - شرح التصريف الملوكي ، لابن بغيث - تحقيق الدكتور فخر الدين قاروة - حلب ١٩٧٣ م .
- ١٦٧ - شرح حماسة أبي تمام ، للمرزوق - تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون - القاهرة ١٩٥١ - ١٩٥٣ م .
- ١٦٨ - شرح درة الغواص في أوهام الخواص ، للشهاب الخفاجي - استانبول ١٢٩٩ م .
- ١٦٩ - شرح الشافية ، للأستراباذي - تحقيق محمد الزفراف وآخرين - القاهرة ١٣٥٦ هـ .
- ١٧٠ - شرح شواهد الشافية ، لعبد القادر البغدادي - تحقيق محمد الزفراف وآخرين - القاهرة ١٣٥٦ هـ .
- ١٧١ - شرح شواهد الكتاب ، للأعلم الشتمري - على هامش كتاب سيويه - بولاق ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ .
- ١٧٢ - شرح شواهد المعنى ، لجلال الدين السيوطي - تصحيح الشقيطي - القاهرة ١٣٢٢ هـ .
- ١٧٣ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لابن الأنباري - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٦٤ م .
- ١٧٤ - شرح مراح الأرواح ، لديكتوز - القاهرة ١٩٣٧ م .
- ١٧٥ - شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٦٠ م .

لعطية - بغداد

١٩٦٢ م .

١٩٥٣ م .

دكتور شكري

عبد الستار

دكتور رمضان

٣

طرفة الشهية (

بليم الحندي -

دكتور رمضان

دكتور - الرياض

في - القاهرة

بقا وآخرين -

الصعبدى -

١٩٦٩ م .

تحقيق

مصطفى السقا

- ١٧٦ - شرح ابن يعيش لفصل الرمحشري - المطبعة الميرية بالقاهرة  
( بلا تاريخ )
- ١٧٧ - شروح سقط الزبد - تحقيق مصطفى السقا وآخرين - القاهرة  
١٩٤٥ م .
- ١٧٨ - الشعر والشعراء ، لأبن قتيبة الدينوري - تحقيق أحمد شاكر -  
القاهرة ١٩٦٦ م .
- ١٧٩ - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، لشهاب الدين  
الحناحي - القاهرة ١٣٢٥ هـ .
- ١٨٠ - شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، لشوان الحميري - تحقيق  
تستريتين - لندن ١٩٥١ - ١٩٥٣ م .
- ١٨١ - شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، لشوان الحميري - مطبعة  
عيسى الباني الحلبي ( بلا تاريخ ) .
- ١٨٢ - شواهد التوضيح ، لمشكلات الجامع الصحيح ، لأبن مالك النحوي -  
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - القاهرة ١٩٥٧ م .
- ١٨٣ - الصاحي في فقه اللغة ، لأبن فارس اللغوي - تحقيق السيد أحمد  
صقر - القاهرة ١٩٧٧ م .
- ١٨٤ - الصاحي في فقه اللغة ، لأبن فارس اللغوي - تحقيق مصطفى  
الشويبي - بيروت ١٩٦٣ م .
- ١٨٥ - الصاهل والشاحج ، لأبي العلاء المعري - تحقيق الدكتور بنت  
الشاطيء - القاهرة ١٩٧٥ م .
- ١٨٦ - الصاحج للجوهري = تاج اللغة وصحاح العربية ، لأبي نصر  
الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - القاهرة ١٩٥٦ م .
- ١٨٧ - صفة جزيرة العرب ، للهمداني - تحقيق محمد بن عبد الله بن بلعيد  
السجدي - القاهرة ١٩٥٣ م .
- ١٨٨ - الصناعتين ، لأبي هلال العسكري - تحقيق علي البحايوي ومحمد  
أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٥٢ م .
- ١٨٩ - طبقات فحول الشعراء ، لمحمد بن سلام الجمحي - تحقيق محمود محمد  
شاكر - القاهرة ١٩٥٢ م .



- ١٩٠ - العباب الزاخر واللباب الفاخر ، للصاغاني ( حرف الهجزة ) - تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - بغداد ١٩٧٧ م
- ١٩١ - عيث الوليد ، لأنى العلاء المعرى - القاهرة ١٩٧٠ م
- ١٩٢ - عثرات اللسان فى اللغة ، لعبد القادر المعرى - دمشق ١٩٤٩ م
- ١٩٣ - العرب فى سوريا قبل الإسلام ، لربيعة ديسو - ترجمة عبد الحميد الدواخلى - القاهرة ١٩٥٩ م
- ١٩٤ - العرب قبل الإسلام ، لمرجى بيدان - القاهرة ١٩٦٦ م
- ١٩٥ - العربية ، دراسات فى اللغة واللهجات والأنساب ، ليوهان فلك ، مع تعليقات المستشرق الألمان شينالر - ترجمة الدكتور رمضان عيد التواب - القاهرة ١٩٨٠ م
- ١٩٦ - العربية ولهجاتها ، للدكتور عبد الرحمن أيوب - القاهرة ١٩٦٨ م
- ١٩٧ - العقد الفريد ، لأنى عبد ربه - تحقيق أحمد أمين وآخرين - القاهرة ١٩٤٨ - ١٩٥٣ م
- ١٩٨ - علم اللغة ، للدكتور على عبد الواحد وافي - القاهرة ١٩٥٧ م
- ١٩٩ - علم اللغة ، رأى ومنهج ، للدكتور محمود السمران - القاهرة ١٩٦٢ م
- ٢٠٠ - العمدة فى صناعة الشعر ونقده ، لأنى رشيق الفيروانى - القاهرة ١٩٠٧ م
- ٢٠١ - العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدى - تحقيق الدكتور عبد الله درويش - بغداد ١٩٦٧ م
- ٢٠٢ - عيون الأخبار ، لأنى قتيبة الدينورى - القاهرة ١٩٢٨ - ١٩٣٠ م
- ٢٠٣ - غريب الحديث ، لأنى عبيد القاسم بن سلام الهروى - حيدر آباد الدكن بالهند ١٩٦٤ - ١٩٦٧ م
- ٢٠٤ - غريب الحديث ، لأنى قتيبة الدينورى - تحقيق الدكتور عبد الله الجبورى - بغداد ١٩٧٧ م
- ٢٠٥ - الفائق فى غريب الحديث ، للرحمشرى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٤٨ م
- ٢٠٦ - الفاضل ، لأنى العباس المبرد - تحقيق عبد العزيز الميمنى - القاهرة ١٩٥٦ م

بى بالقاهرة

- القاهرة

- شاكير

عباب الدين

رى - تحقيق

رى - مطبعة

ك النحوى -

السيد أحمد

بى مصطفى

دكتورة بنت

بى لأنى نصر

م ١٩٧٧

بى بن بلهد

بى بن محمد

بى بن محمد

- ٢٠٧ - فحولة الشعراء ، نشر الشيخ محمد عبد المعصم خفاجي  
القاهرة ١٩٥٣ م .
- ٢٠٨ - الفرق ، للأصمعي - نشر مولر في مجلة : SBWA - قينا ١٨٧٦ م .
- ٢٠٩ - القروق المعنوية ، لأبي هلال العسكري - القاهرة ١٩٥٣ م .
- ٢١٠ - فصل المقال ، شرح كتاب الأمثال ، لأبي عبد البكري - تحقيق  
عبد المجيد عابدين وإحسان عباس - الخرطوم ١٩٥٨ م .
- ٢١١ - الفصول والغايات ، لأبي العلاء المعري - نشر محمود رستاق  
القاهرة ١٩٣٨ م .
- ٢١٢ - فعلت وأفعلت ، لأبي حاتم السجستاني - تحقيق الدكتور خليل إبراهيم  
العطية - بغداد ١٩٧٩ م .
- ٢١٣ - فقه اللغة ، للدكتور علي عبد الواحد وافي - القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٢١٤ - فقه اللغة وسر العربية ، للثعالبي - مطبعة الاستقامة بالقاهرة  
( بلا تاريخ ) .
- ٢١٥ - فهرس شواهد سيبويه - صنعة أحمد راتب النفاخ -  
بيروت ١٩٧٠ م .
- ٢١٦ - فهرس كتاب سيبويه ، صنع محمد عبد الخالق عزيمة -  
القاهرة ١٩٧٥ م .
- ٢١٧ - الفهرست ، لابن النديم - القاهرة ١٣٤٨ هـ .
- ٢١٨ - في الأدب الجاهلي ، للدكتور طه حسين - القاهرة ١٩٤٧ م .
- ٢١٩ - في أصول اللغة والنحو ، لقواد ترزي - بيروت ١٩٦٩ م .
- ٢٢٠ - في الشعر الجاهلي ، للدكتور طه حسين - القاهرة ١٩٢٦ م .
- ٢٢١ - في اللهجات العربية ، للدكتور إبراهيم آيس - القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٢٢٢ - القاموس المحيط ، للفيروز آبادي - القاهرة ١٩١٣ م .
- ٢٢٣ - القلب والإبدال ، لابن السكيت ( ضمن الكثر اللغوي في اللسان  
العربي ) - نشر هفتر - بيروت ١٩٠٣ م .
- ٢٢٤ - القوافي ، لأبي الحسن الأخفش - تحقيق أحمد راتب النفاخ -  
بيروت ١٩٧٤ م .
- ٢٢٥ - الكافي في العروض والقوافي ، للمخطيب التبريزي - نشر الحسني حسن  
عبد الله - القاهرة ١٩٦٦ م .

- ٢٢٦ - الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم  
والسيد شحاتة - القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٢٢٧ - الكتاب ، لسيبويه - بولاق ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ .
- ٢٢٨ - الكتاب ، لسيبويه - تحقيق عبد السلام هارون -  
القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٧٧ م .
- ٢٢٩ - الكشف ، للزعروري - القاهرة ١٩٤٨ م .
- ٢٣٠ - اللأ واللبس ، لأبي زيد الأنصاري ( ضمن البلغة في شذور اللغة ) -  
بشر لويس شيخو اليسوعي - بيروت ١٩١٤ م .
- ٢٣١ - الحن العامة والتطور اللغوي ، للدكتور رمضان عبد التواب -  
القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٢٣٢ - الحن العوام ، لأبي بكر الزبيدي - تحقيق الدكتور رمضان  
عبد التواب - القاهرة ١٩٦٤ م .
- ٢٣٣ - لسان العرب ، لأبي منظور الإفريقي - بولاق  
١٣٠٠ - ١٣٠٧ هـ .
- ٢٣٤ - اللغة ، لتدريس - ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص -  
القاهرة ١٩٥٠ م .
- ٢٣٥ - اللغة العبرية ، قواعد ومفردات ، للدكتور رمضان  
عبد التواب - القاهرة ١٩٧٧ م .
- ٢٣٦ - اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام ، لأحمد حسين شرف الدين -  
القاهرة ١٩٧٥ م .
- ٢٣٧ - اللغات السامية ، للمستشرق الألماني تولدكه - ترجمة الدكتور  
رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٦٣ م .
- ٢٣٨ - اللغات واللهجات ، لأنستاس الكرمل - مجلة المشرق ( السنة  
السادسة ) ص ٥٢٩ .
- ٢٣٩ - لغويات ، للشيخ محمد علي النجار - القاهرة ( بدون تاريخ ) .
- ٢٤٠ - المأثور عن أبي العميل الأعراي - تحقيق كرككو - بيروت ١٩٢٥ م .
- ٢٤١ - ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ، للأصمعي - تحقيق مظفر  
سلطان - دمشق ١٩٥١ م .

- ٢٤٢ - ما تلحن فيه العوام ، لعل بن حمزة الكسائي - تحقيق عبد العزيم الميمنى - القاهرة ١٣٤٤ هـ .
- ٢٤٣ - ما خالف فيه الإنسان البيمة في أسماء الوحوش وصفاتها ، لقطرب - نشر حابر في مجلة : SBWA - قبا ١٨٨٧ م .
- ٢٤٤ - ما يجوز للشاعر في الصلوة ، للقرار القيرواني - تحقيق المحي الكعبي - تونس ١٩٧١ م .
- ٢٤٥ - المباحث اللغوية في العراق ، للدكتور مصطفى حواد - بغداد ١٩٦٥ م .
- ٢٤٦ - مبادئ اللغة ، للخطيب الإسكافي - القاهرة ١٣٢٥ هـ .
- ٢٤٧ - منجز الألفاظ ، لأمس فارس - تحقيق هلال ناحى - بغداد ١٩٧٠ م .
- ٢٤٨ - المنى ، لأبى الطيب اللغوى - نشر عز الدين التوحى - دمشق ١٩٦٠ م .
- ٢٤٩ - مجالس شعب - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٢٥٠ - مجمع الأمثال ، للميداني - القاهرة ١٣١٠ هـ .
- ٢٥١ - مجمل اللغة ، لابن فارس - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٤٧ م .
- ٢٥٢ - محاضرات الأدباء ، للراغب الإصفهاني - بيروت ١٩٦١ م .
- ٢٥٣ - محاضرات في التاريخ والآثار - مطبوعات جمعية التاريخ والآثار - جامعة الرياض / كلية الآداب ١٩٦٩ م .
- ٢٥٤ - المختص في تبين وجود شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لابن جنى - تحقيق علي النجدى ناصف وآخرين - القاهرة ١٣٨٦ هـ .
- ٢٥٥ - المحكم في نقط المصاحف ، لأبى عمرو الداني - تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق ١٩٦٠ م .
- ٢٥٦ - المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، لابن سيدة الأندلسي - تحقيق مصطفى السقا وآخرين - القاهرة ١٩٥٨ وما بعدها .
- ٢٥٧ - المحيط في اللغة ، للمصاحب بن عباد - تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - بغداد ١٩٧٥ م .

- ٢٥٨ - المخصص في اللغة ، لابن سيده الأندلسي - بولاق  
١٣١٦ - ١٣٢١ هـ .
- ٢٥٩ - المدخل في غريب اللغة ، لأبي عمر الزاهد - تحقيق محمد عبد الجواد  
القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢٦٠ - المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية ، لعبد الحميد  
عابدين - القاهرة ١٩٥١ م .
- ٢٦١ - مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، للدكتور مهدي  
الحزومي - القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢٦٢ - المذكر والمؤنث ، للفراء - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب -  
القاهرة ١٩٧٥ م .
- ٢٦٣ - مراتب النحويين ، لأبي الطيب اللغوي - تحقيق محمد أبو الفضل  
إبراهيم - القاهرة ١٩٥٥ م .
- ٢٦٤ - الموضع ، لابن الأثير - تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي -  
بغداد ١٩٧١ م .
- ٢٦٥ - المزهر في علوم اللغة ، لجلال الدين السيوطي - تحقيق محمد أبو الفضل  
إبراهيم وآخرين - القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢٦٦ - مستقبل اللغة العربية المشتركة ، للدكتور إبراهيم أنيس -  
القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٢٦٧ - المستقصى في أمثال العرب ، للزمخشري - حيدر آباد الدكن  
بالحند ١٩٦٣ م .
- ٢٦٨ - المسلسل في غريب لغة العرب ، لأبي الطاهر التميمي - تحقيق محمد  
عبد الجواد - القاهرة ١٩٥٧ م .
- ٢٦٩ - مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، للدكتور ناصر الدين الأسد  
القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٢٧٠ - المطر ، لأبي زيد الأنصاري ( ضمن البلغة في شذور اللغة ) - نشر  
لؤيس شيخو اليسوعي - بيروت ١٩١٤ م .
- ٢٧١ - معاني القرآن ، للفراء - تحقيق الشيخ محمد علي النجاشي -  
القاهرة ١٩٥٥ - ١٩٧٢ م .

- ٢٧٢ - معالى القرآن وإعرابه ، المرحاج - تحقيق عبد الحليل شلى - بيروت ١٩٧٣ م .
- ٢٧٣ - المعانى الكبير ، لابن قتيبة الدينورى - حيدر آباد الدكن بالهند ١٩٤٩ م .
- ٢٧٤ - معجم الأدياء ، لياقوت الحموى - نشر أحمد فريد رفاعى - القاهرة ١٩٣٦ م .
- ٢٧٥ - المعجم العربى ، تشاته وتطوره ، للدكتور حسين نصار - القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٢٧٦ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لأبى عبيد البكرى - تحقيق مصطفى السقا - القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٥١ م .
- ٢٧٧ - المعجمة العربية فى ضوء الألسنية السامية ، للأب مرموحى الدومنى - القدس ١٩٣٧ م .
- ٢٧٨ - العرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، للجوالقى - نشر الشيخ أحمد شاكر - القاهرة ١٣٦١ هـ .
- ٢٧٩ - معنى اللب عن كتب الأعراب ، لابن هشام المصرى - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - القاهرة ( بلا تاريخ ) .
- ٢٨٠ - مفاتيح العلوم ، للخوارزمى - القاهرة ١٣٤٢ هـ .
- ٢٨١ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، لطاش كبرى زاده - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢٨ - ١٣٥٦ هـ .
- ٢٨٢ - المفصليات ، بشرح أبى محمد القاسم بن بشار الأنبارى - تحقيق لائل بيروت ١٩٢٠ م .
- ٢٨٣ - مقالة فى أسماء أعضاء الإنسان ، لابن فارس اللغوى - نشر الدكتور فيصل دبدوب - دمشق ١٩٦٧ م .
- ٢٨٤ - مقاييس اللغة ، لابن فارس اللغوى - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٣٦٦ - ١٣٧١ هـ .
- ٢٨٥ - المختضب ، لأبى العباس المبرد - تحقيق محمد عبد الخالق عصيمة - القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٨ م .
- ٢٨٦ - المقدمة ، لابن خلدون - القاهرة ١٣٢٧ هـ .

- ٢٨٧ - مقدمة لدراسة فقه اللغة ، للدكتور محمد أحمد أبو الفرج - بيروت ١٩٦٦ م .
- ٢٨٨ - مقدمات في علوم القرآن ، مقدمة كتاب المباني ، ومقدمة ابن عطية - نشر آرثر جفري - القاهرة ١٩٥٤ م .
- ٢٨٩ - المقصور والمدود ، لأبي البركات بن الأنباري - نشر الدكتور عطية عامر - ستوكهلم ١٩٦٦ م .
- ٢٩٠ - المقصور والمدود ، لفظويه - نشر الدكتور حسن شاذي فرهود - مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض ( المجلد الرابع ) ١٩٧٥ - ١٩٧٦ م .
- ٢٩١ - المقصور والمدود ، لابن ولاد - نشر بولس برونل - لندن ١٩٠٠ م .
- ٢٩٢ - الممتع في التصريف ، لابن عصفور - تحقيق فخر الدين قباوة - حلب ١٩٧٠ م .
- ٢٩٣ - المدود والمقصود ، لأبي الطيب الوشاء - تحقيق الدكتور رمضان عيد التواب - القاهرة ١٩٧٩ م .
- ٢٩٤ - تميزات لغات العرب ، لحفني ناصف - القاهرة ١٩٥٧ م .
- ٢٩٥ - من أسرار اللغة ، للدكتور إبراهيم أنيس - القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٢٩٦ - المنجد في اللغة ، لكراع الحمل - تحقيق الدكتور أحمد مختار عمرو وصاحي عبد الباقي - القاهرة ١٩٧٦ م .
- ٢٩٧ - المنصف ، لابن جني ، بشرح التصريف للمازي - تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين - القاهرة ١٩٥٤ م .
- ٢٩٨ - المنصوص والمدود ، للفرء - تحقيق عبد العزيز اليماني - القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٢٩٩ - الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، للمرزباني - تحقيق علي محمد البجاوي - القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٣٠٠ - مولد اللغة ، للشيخ أحمد رضا العاملي - بيروت ١٩٥٦ م .
- ٣٠١ - النبات ، لأبي حنيفة الديوري - نشر لوين - لندن ١٩٥٣ / قيسادن ١٩٧٤ م .
- ٣٠٢ - النبات والشجر ، للأصمعي ( ضمن البلغة في شذور اللغة ) - نشر

يل شلى -

ساد الدكن

القاهرة

نصار -

البكري

مرمجي

نشر -

تحقيق محمد

آباد الدكن

قق لائل -

الدكتور

هارون -

عصبة -



- هفتر ، ولويس شيخو اليسوعى - بيروت ١٩١٤ م .
- ٣٠٣ - نثر الدور ، للوزير أنى سعد الآلى - مخطوطة كوبر يلى رقم ١٤٠٣
- ٣٠٤ - النثر الفنى فى القرن الرابع ، للدكتور زكى مبارك - القاهرة ١٩٥٧ م .
- ٣٠٥ - النخلة ، لأنى حاتم السجستانى - تحقيق المستشرق لاغومينا - روما ١٨٩١ م .
- ٣٠٦ - نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ، لأنى البركات بن الأنبارى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٣٠٧ - نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام ، وأخبارها ، لابن الكلبي - نشر ليثى دلا فيدا - ليدن ١٩٢٨ م .
- ٣٠٨ - نشوء اللغة ونموها واكتناها ، للأب أنستاس مارى الكرملى - القاهرة ١٩٣٨ م .
- ٣٠٩ - نصوص من اللغات السامية ، مع الشرح والتحليل والمقارنة ، صناعة الدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٧٩ م .
- ٣١٠ - النقائض = نقائض جرير والفرزدق - تحقيق بيقان - ليدن ١٩٠٥ - ١٩٠٧ م .
- ٣١١ - نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر - تحقيق بونيباكر - ليدن ١٩٥٦ م .
- ٣١٢ - النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير - تحقيق محمود الطناحى - القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٥ م .
- ٣١٣ - النوادر فى اللغة ، لأنى زيد الأنصارى - نشر سعيد الشرتونى - بيروت ١٨٩٤ م .
- ٣١٤ - نور القبس المختصر من المقتبس ، للمرزبانى - اختصار الحافظ اليعمورى - تحقيق رودلف زلهام - فيسبادن ١٩٦٤ م .
- ٣١٥ - المعز ، لأنى زيد الأنصارى - نشر لويس شيخو اليسوعى - بيروت ١٩١١ م .
- ٣١٦ - الوحوش ، للأصمعى - نشر جابر فى مجلة : SBWA - فيسبادن ١٨٨٨ م .
- ٣١٧ - الوساطة بين المتنبى وخصومه ، لعلى بن عبد العزيز المرحاى - تحقيق غل الجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٤٥ م .

## ٢- المراجع الأجنبية

- 1 — Abdel-Tawab, Das Kitāb al-Ġarīb al-Muṣannaf von Abu Ubaid und seine Bedeutung für die national-arabische lexikographie, Diss. München 1962.
- 2 — A. Bloch, Vers und Sprache im Altarabischen, Basel 1946.
- 3 — C. Brockelmann, Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, Bd. I-II, Berlin 1908-1913.
- 4 — C. Brockelmann, Semitische Sprachwissenschaft, Leipzig 1906.
- 5 — C. Brockelmann, Syrische Grammatik, Leipzig 1955.
- 6 — W. Gesenius, Hebräische Grammatik, völlig umgearbeitet von E. Kautzsch, 28. Auflage, Leipzig 1909.
- 7 — C.H. Gordon, Ugaritic Manual, Roma 1955.
- 8 — A. Grohmann, From the world of Arabic Papyri, Cairo 1952.
- 9 — D. Jones, An Outline of English Phonetics, Cambridge 1947.
- 10 — P.E Kahle, Die Kairoer Genisa, Berlin 1962.
- 11 — H. Kofler, Reste altarabischer Dialekte, WZKM, Wien 1940-1942.
- 12 — F. Krenkow, The Beginnings of Arabic Lexikography till the time of al-Jauhari, with special reference to the work of Ibn Duraid, JRAS, Centenary Supplement 1924.
- 13 — Enno Littmann, Vorislam.-arab. Inschrift, ZS, Bd. VII 1929.
- 14 — Lommel, Wie studiert man Sprachwissenschaft, Frankfurt/M.

- 15 — S. Moscati, *An Introduction to the comparative grammar of the semitic Languages...* by S. Moscati, A. Spitaler, E. Ullendorff and W. von Soden, Wiesbaden, 1964.
- 16 — S. Moscati, *Die altsemitischen Kulturen*, Stuttgart 1961.
- 17 — Th. Nöldeke, *Einige Bemerkungen über die Sprache der alten Araber*, ZA xii 171-187.
- 18 — Th. Nöldeke, *neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft*, Strassburg 1910.
- 19 — Th. Nöldeke, *Zur Grammatik des klassischen Arabisch*, bearbeitet und mit Zusätzen versehen von A. Spitaler, Darmstadt 1963.
- 20 — F. Praetorius, *Aethiopische Grammatik*, New York 1955.
- 21 — C. Rabin, *Ancient West Arabian*, London 1951.
- 22 — *Répertoire chronologique d'Épigraphie Arabe*, Le Caire 1931.
- 23 — W. von Soden, *Grundriss der akkadischen Grammatik*, Roma 1925.
- 24 — A. Spitaler, *Arabisch*, in *Linguistica Semitica Presente e Futuro*, Roma 1961.
- 25 — K. Vollers, *Volkssprache und Schriftsprache in alten Arabien*, Strassburg 1906.
- 26 — St. Wild, *Das Kitab al-Ain und die arabische Lexikographie*, Wiesbaden 1965.



## فهرس الموضوعات

مقدمة الطبعة الثانية ( ٣ ) -

مقدمة الطبعة الأولى ( ٥ ) -

تمهيد ( ١ ) بين فقه اللغة وعلم اللغة : معنى فقه اللغة - معنى علم اللغة - ما يقابلهما عند علماء الغرب - صلة كل واحد منهما بالآخر - متى ظهرت كلمة « فقه اللغة » في العالم العربي الحديث - فقه اللغة وعلم اللغة في الجامعات العربية ( ٩ - ١٢ ) -

( ٢ ) جهود علماء العربية في فقه اللغة : فقه اللغة للثعالبي - الصاحبي في فقه اللغة - فكرتا : الأصول والنحت في مقاييس اللغة - الخصائص - المهر في علوم اللغة - جهود المحدثين من العرب ، في التأليف والترجمة في موضوعات فقه اللغة وعلم اللغة ( ١٣ - ٢٢ ) -

الباب الأول : في أولية اللغة العربية :

الفصل الأول : اللغة العربية واللغات السامية : فصيلة اللغات السامية - أول من أطلق عليها هذا الاسم - نقد تقسيم التوراة للشعوب - الأكادية وموطنها وأدائها واكتشافها وحل نقوشها - الكنعانية - الأوجاريتية واكتشافها - العبرية والعهد القديم - قصيدة دبورة - السبي البابلي - الترحوم - العبرية في العصر الهليني - كتاب ابن سيرة وإستير والجامعة - العبرية الوسيطة والحديثة - حطانات تل العمارنة - المؤابية ونقش ميشع - الفينيقية واليبونية - الآرامية ونقوشها - آرامية العهد القديم - آرامية جزيرة القبلية - ترحوم أنكلوس - السامرية - المندائية - السريانية - اللهجات الآرامية الحديثة - الحبشية المعزية - الأمهرية - العربية الجنوبية والشمالية - شجرة اللغات السامية - نماذج من الخطوط السامية وأجدانها ( ٢٣ - ٣٧ )

15 - S. M.  
of th  
E. U.  
16 - S. M.  
17 - Th  
alter  
18 - Th  
wisa  
19 - Th  
hear  
Darr  
20 - F. I  
1957  
21 - C. R  
22 - Répe  
1931  
23 - W. vo  
Rom  
24 - A. S  
e Fu  
25 - K. V  
Arab  
26 - St.  
ikog

الموطن الأصلي للساميين : المذهب الإفريقي - المذهب الأرمني - المذهب البابلي - المذهب العرفي - الأدلة على أن الحضارة العربية هي المهد الأول للساميين ( ٣٨ - ٤٢ ) .

اللغويون العرب واللغات السامية : الخليل بن أحمد والكنعانية - أبو عبيد القاسم ابن سلام والسريانية - ابن حزم الأندلسي والعبرية والسريانية - الإمام السهيلي والسريانية - أبو حيان الأندلسي والحيشية ( ٤٢ - ٤٥ ) .

خصائص اللغات السامية : اعتمادها على الأصوات الصامتة - الثلاثي هو الأساس - غلبة أصوات الحلق والأصوات المفخمة - الحدث التام والحدث الذي لم يتم - التركيب وبعدها عنه ( ٤٥ - ٤٦ ) .

أهمية الدراسات السامية للعربية : العائدة الحضارية والفائدة اللغوية - أمثلة لقوائد المقارنة : الثوم والقوم - ثاب وثاب - ليس - الأجيوف والتاقص - اطمأن - اسم - انفعل وانفعل في اللهجات العربية الحديثة ( ٤٦ - ٤٩ ) .

الفصل الثاني : النقوش العربية الشمالية : التمودية واللحيانية والصفوية - جهود المستشرق « إينو ليتان » في جمع هذه النقوش ودراسها - خصائص هذه النقوش - صلتها بخط المسند - أحد النقوش الصفوية وقراءته - رأى الدكتور عبد الرحمن الأنصاري في النقوش التمودية - نقش الخمار وقراءته - نقش ريد وقراءته - نقش حران وقراءته - نقش أم الحمال وقراءته - هذه النقوش خليط من العربية وغيرها - ما فيها من غير العربية - ما فيها من خصائص العربية ليس كافيا لمعرفة أولية العربية - رأى المستشرق شينالر - رأى الدكتور إبراهيم أبيس - الأمل في حقريات المستقبل ( ٥٠ - ٦٣ ) .

الفصل الثالث : مشكلة توثيق النصوص : قضية الشك في الشعر الجاهلي - أول من تشكك مرحليوت - الدكتور طه حسين وكتابه في الشعر الجاهلي - دود علماء المسلمين عليه - الدكتور ناصر الدين الأسد وعصروم الشعر الجاهلي ( ٦٤ - ٦٨ ) .

## الباب الثاني : في العربية الفصحى واللهجات

تمهيد :

الفرق بين اللغة واللهجة : نظرية الأمواج : رأى أنطوان ميه -  
علاقة اللغة باللهجة : خلط اللغويين العرب بينهما - أهمية  
دراسة اللهجات العربية القديمة : صعوبة دراسة هذه اللهجات  
( ٦٩ - ٧٥ )

## الفصل الأول : ظروف تكون العربية الفصحى وخصائصها : اللغة الفصحى

واللهجات : العلاقة بينهما في نظر : تولدكه ، وجويدي ،  
وملليو ، وفيشر ، وفولكرز ، وبروكلمان ، وفستلتاين ،  
ولاندرج ، ومارسيه : الفصحى هي لغة البدو عند علماء  
العربية - اللغة الأدبية واللغة الشعبية : نشأة الفصحى قبل  
الإسلام - الظروف الدينية والسياسية والاقتصادية ، التي أدت  
إلى تكون الفصحى - صفات الفصحى العربية : لغة فوق  
مستوى العامة - رأى الأصمعي - القرآن الكريم وأعلى  
مستويات الفصاحة : رأى الباقلائي : الفصحى لا تنسحب إلى  
لهجة معينة : لغة قريش تسهم في خصائصها بنسب كبير -  
الحمز والناوذة إلى لهجة تميم - رأى الدكتور أنيس - حلول الشعر من  
الخصائص اللهجية - الشواهد الشاذة وموقفنا منها - الأدب  
الشعبي : تقل الشعر على ألسنة الرواة : وضع النحويين  
للمشواهد التصحيف والتحريف : الفصحى ليست لغة سليقة  
لكل العرب : رأى الدكتور أنيس : الإقواء والنحي ( ٧٦ -  
٩٥ )

## السليقة اللغوية ومصادر الاحتجاج : معنى السليقة عند القدماء والمحدثين -

رأى ابن خلدون : الاحتجاج بالقرآن الكريم وقراءته الشاذة  
الحديث الشريف وموقف النحويين واللغويين منه : السليقة  
التي هي في انحراف الحياة الأدبية عن الاستشهاد بالحديث  
لغة لم تجاز من كتب وتوعدتها : علاقتها بالسامية الأم  
لاحتجاج بالشعر وضقات الشعراء : موقفهم بالشعر عند من  
معهم : إطلاقتهم المكان : الدواعي التي حثت بكلامهم

( لغة العربية ٢٩ )

المذهب -  
عربية هي المهدعبد القاسم  
والسريانية -  
مضى والحبيشةالتراني هو  
الحديث الثام  
( ٤٦ )أمثلة لغوات  
بالتفصيل -  
لغة الحديثقوية - جهود  
- خصائص  
نوش الصفوية  
في العمودية -  
قراءته - نقش  
ها - ما فيها  
لغة لعدة أولية  
ولهم أنيس -الجاهلي -  
شأنه في الشعر  
بالصبر الدين

قوائم القاراني وابن خلدون للقبائل الفصحى - مقاييس اللغويين  
للأخذ عن القبائل - منهج البصريين والكوفيين في هذه القضية -  
خلطهم الفصحى باللهجات - نقد منهج الفريقين ( ٩٥ -  
١٠٧ ) .

**الفصل الثاني : لولا القرآن ما كانت عربية :** القرآن الكريم محور الدراسات  
العربية - نشأة المعاجم قرآنية - تفسير ابن عباس للقرآن  
بالشعر - الشعر ديوان العرب - لولا القرآن ما روى الشعر -  
نشأة النحو قرآنية - أبو الأسود الدؤلي ووضع النحو - علوم  
البلاغة في خدمة القرآن الكريم - مجاز القرآن لأبي عبيدة -  
الرسم الإملائي وضبط المصحف - الفلك والرياضيات والعلوم  
الطبيعية وأثر الإسلام فيها ( ١٠٨ - ١١٥ ) .

**الفصل الثالث : ألقاب اللهجات العربية :** نقديس اللغويين لغة قريش وأرداؤهم  
اللهجات الأخرى - تلقيهم اللهجات العربية بألقاب مختلفة -  
المستول عن هذه الألقاب رجل من حرم في مجلس معاوية -  
اختلاف المصادر في رواية خبر الرجل الجرمي وتحرير هذا الخبر -  
التوفيق بين الآراء في تسمية اللقب الواحد إلى أكثر من قبيلة -  
الاستنباط وشواهد تفسيره - التصحيع وتفسيره - لا صلة  
للتصحيع بالإضجاع - التثنية والسامية الأم والركام اللغوي - الرتبة  
بين العجلة في الكلام والثقة في اللسان - العلاقة بين الرتبة  
والمخلخالية - التثنية وعلاقتها بالكشكشة - الطعطمانية  
وشواهد تفسيرها - العجورية وعموضها - المعجعة  
وشواهد تفسيرها - عكس ظاهرة المعجعة في اللهجات  
الحديثة - العنعة وعلاقتها بالمبالغة في تحقيق المعنى - العمجمة في  
رأساً معرفة عن المعجعة - تجمع اللغة العربية يوافق على اقتراح  
حذف هذا اللقب من ألقاب اللهجات العربية - المعجعة  
ليست ظاهرة عامة - القرآنية وعلاقتها بالرتبة والمخلخالية -  
القطعة والترجمة - الكشكشة والكشكشة وشواهدهما - الأصل  
فيهما - قانون الأصوات المحكية - التثنية الحديثة



لظاهرتين - الحيم الفصيحة تطور في نفس الاتجاه - تطور  
الظاهرة وشمسة اليمن - رأى غريب لكاتبين في تفسير  
الظاهرة - اللحنانية وعموض اللقب - علاقتها بالرتة  
والقراتية - الوتم والتطور الصوتي - الوتم وقانون المماثلة - الوهم  
وإجراء القياس لطرد الباب على وتيرة واحدة - ليس المراد حصر  
خصائص اللهجات العربية ( ١١٦ - ١٥٤ ) .

### الباب الثالث : بين الشعر والنثر :

الفصل الأول : خصائص الكلام بين الشعر والنثر : ضرورة الفصل بين لغة الشعر  
ولغة النثر في وضع القواعد - رأى المشتري شيبثال - كتاب  
« بلوخ » في الشعر واللغة في العربية القديمة - أنواع المقاطع  
وتواليها على نظام معين في النثر والشعر - الشعر لا يقبل توالي  
المقاطع القصيرة - أمثلة تطبيقية - القدماء أمام هذه المشكلة  
( ١٥٥ - ١٦٢ ) .

الفصل الثاني : ضرورة الشعر والخطأ في اللغة : تكلف اللغويين والتحويين في  
تعريف الضرورة وتخرجها - رأى ألى هلال العسكري - موقف  
ابن جني من بعض الضرورات - الإقواء خطأ في النحو لا في  
الموسيقى - نقاد الشعر يعكسون القضية - الدليل على  
وهمهم - ضرورة تسكين المتحرك وشواهدا - موقف سيبويه  
ومن بعده من شواهد التسكين - تغيير المبرد للشواهد - الرواة  
تصلح أشعار القدماء - ضرورة تحريك الساكن وشواهدا -  
تكلف ابن جني في تخرجها - ضرورة تقصير الحركات الطويلة  
وشواهدا - الخط العرفي مبني على الوقف - الشذوذ في الخط  
القديم وتكلف القدماء في تفسيره - ضرورة إطالة الحركات  
القصيرة وشواهدا - أمثلة أخرى للضرورة الشعرية - فطنة  
بعض اللغويين إلى أثر الضرورة في اللغة ( ١٦٣ - ١٩٢ ) .

الفصل الثالث : أثر الوزن الشعري في أبنية العربية وزد ( أفعال ) والشعر  
العرفي - المقاطع الصوتية ونقد نظرية اللغويين في التقاء  
الساكنين - رأى المبرد في جواز ( أفعال ) في بحر انتقارب ونقد  
رأيه - أثر الشعر في تحول ( أفعال ) إلى ( أفعال ) بإفحام

فليس اللغويين  
هذه القضية -  
بين ( ٩٥ -

بحر الدراسات  
عباس للقرآن  
روى الشعر -  
النحو - علوم  
لأى عبدة -  
صيات والعلوم

فريش وأندراهم  
قالب مختلفة -  
نلس معاينة -  
هذا الخبر -  
من قبلة -  
لا صلة  
اللغوي - الرثة  
لافة بين الرثة  
الطلمطمانية  
المحمدة  
اللهجات  
المعمدة في  
على اقتراحي  
المحفقة  
الحلجانية  
ها - أهل  
حديث

المهارة - دراسة لأمثلة هذه الظاهرة ، وربط معناها بالثلاثي في كل مادة - وزن ( أفعال ) ليس خاصا بالألوان - تطور ( أفعال ) إلى ( أفععل ) ومذهب عيم في المبالغة في تحقيق المميز - أمثلة هذا التطور - تطور ( أفعال ) إلى ( أفعهل ) وتسهيل المميز - أمثلة هذا التطور - أمثلة أخرى لأثر الوزن الشعري في نشوء صيغ جديدة في العربية ( ١٩٣ - ٢٢٦ ) .

#### الباب الرابع : الثراء اللغوي في العربية :

✓ الفصل الأول : المعاجم العربية ، نظرة تاريخية : أنواع المعاجم - المخارج الصوتية والتقليبات - الترتيب الأبجدي بحسب الأصل الأول أو الأخير للكلمة - الترتيب الموضوعي - الرسائل اللغوية الصغيرة ونواة المعجم العربي - أخذ اللغة عن البدو وسياحة اللغويين في الصحراء العربية - جهود الأصمعي في الرسائل اللغوية : الإبل - الخيل والمؤلفات فيه - الشاء - الوحوش والمؤلفات فيها - الفرق بين الإنسان والحيوان - خلق الإنسان والمؤلفات فيه - النبات والشجر والمؤلفات فيه - كتب تنسب إلى الأصمعي وليست له - كتب الأضداد التي وصلت إلينا - شجر الدر لأنى الطيب اللغوي والمؤلفات المماثلة - كتب الإتياع - المتنى لأنى الطيب اللغوي - كتب القلب والإبدال - جهود أنى زيد الأنصاري في الرسائل اللغوية : المطر - المميز وسبب التأليف فيه - اللبأ واللبن - النوادر في اللغة وما وصل إلينا منها - جهود القراء في الرسائل اللغوية : الأيام والليالي والشهور - تراث المقصور والممدود - تراث المذكر والمؤنث - معاجم المعاني : الغريب المصنف وأثره في المعاجم العربية - الألفاظ الكتابية - حواهر الألفاظ - منحير الألفاظ - التلخيص في معرفة أسماء الأشياء - مبادئ اللغة - فقه اللغة وسر العربية - المخصص في اللغة - كفاية التحفظ ونهاية المتلفظ - المعاجم العربية الكبرى غير التاريخ - العين للتحليل من أحمد - الحيم لأنى عمرو الشيباني - جمهرة اللغة لأسد دريد - ديوان الأدب للمقاربي - البارع للمقالي - هديت اللغة للأزهري -

المحيط في اللغة للمصاحب بن عباد - مجمل اللغة ومقاييس اللغة  
لابن فارس - الصحاح للجوهري - المحكم لابن سبدة - أساس  
البلاغة للزمخشري - شمس العلوم لشوان الحميري - التكملة  
للمصاغاني - لسان العرب لابن منظور - المصباح المنير للقيومي -  
القاموس المحيط للفيروز آبادي - تاج العروس لمرتضى الزبيدي -  
عيوب المعاجم العربية ( ٢٢٧ - ٢٨٩ ) .

**الفصل الثاني : الاشتقاق وتوليد الصيغ :** معنى الاشتقاق عند علماء العرب ،  
واللغويين العرب - أنواع الاشتقاق - الاشتقاق العام ، وموقف  
البصريين والكوفيين منه - هذا النوع قياسي - غلو ابن فارس في  
سماعيته - غلو ابن دريد في اشتقاق الأعجمي من العرب - رأى  
ابن السراج - مذهب ابن فارس في الأصول الاشتقاقية - الاشتقاق  
الأكبر وولوع ابن جنى به - الفرق بينه وبين طريقة الثعالبي عند  
الخليل بن أحمد - أصحاب مذهب النائية في العربية : أنساس  
ماري الكرمل - مرمرجي الدومسكي - النظرية النائية في ميزان النقد  
( ٢٩٠ - ٣١٠ ) .

**التحت في اللغة :** تعريف التحت - هو من ضروب الاشتقاق - السبب في  
نشوء التحت - أنواع التحت - مذهب ابن فارس في الرباعي  
والخماسي ، وأن بعضها منحوت - ذهب إلى هذا الخليل بن  
أحمد كذلك - تكلف ابن فارس في كثير من الأمثلة -  
وسائل أخرى لنشوء الرباعي لم يقطن إليها القدماء - العربية  
تعرف التحت ولا تعرف التركيب ( ٣١٠ - ٣١٧ ) .

**الفصل الثالث : ظاهرة الترادف والاشتراك اللفظي والتضاد في العربية :**  
**أولاً : الترادف :** تعريف المترادف - اختلاف اللغويين في حوار وقوعه في العربية -  
مبالغة الأصمعي وابن خالويه فيه - معارضة ابن الأعرابي ،  
وتعليق ، وأبي علي الفارسي ، وابن درستويه ، وابن فارس في  
وقوعه - ابن درستويه يقطن إلى العوامل التي تؤدي إلى  
الترادف - من أنكر والترادف من الأدباء - أبو هلال  
العسكري وكتابه : « الفروق اللغوية » - أبو هلال يذكر  
بعض المترادفات في كتابه : « التلخيص » و « المعجم في

تلافي في كل  
( أفعال )  
- أمثلة هذا  
- أمثلة  
- نشوء صيغ

الدرج الصوتية  
في أو الأخير  
الصغيرة وموالة  
اللغويين في  
كل اللغوية :  
والترادفات  
والترادفات  
تسب إلى  
سبب إليها -  
قلة - كتب  
والإبدال -  
العلم - الحمز  
لغة وما وصل  
الأسماء باللبالي  
والمرئ -  
في العربية -  
الألفاظ -  
فقه اللغة  
محفوظ ونهاية  
للخليل بن  
ابن دريد -  
في الأثرية -

بقية الأشياء « بلا فروق - أسباب كثرة المترادف في العربية :  
 اللهجات - الصفات - التطور اللغوي - الافتراض -  
 شروط المترادف عند المحدثين - قائمة المترادف  
 ( ٣٠٨ - ٣٢٤ ) .

ثانيا : الاشتراك اللفظي : تعريفه - وقوع الخلاف حول وجوده - ابن درستويه  
 وأبو علي الفارسي ينكران وجوده في أصل الوضع - معاني  
 كلمة المعجوز في العربة - عوامل نشأة المشترك اللفظي :  
 المحاز ومعاني كلمة : « عين » - اللهجات - الافتراض -  
 التطور اللغوي - لا وجود للمشارك اللفظي إلا في معاجم  
 اللغة - أثر المشترك اللفظي في التورية والتأليف في المشجر  
 والمداخل والمسلسل ( ٣٢٤ - ٣٣٦ ) .

ثالثا : التضاد : تعريفه - ابن درستويه ينكر التضاد - أصل التضاد في العربية -  
 شروطنا في كلمات الأضداد - العوامل التي تؤدي إلى التضاد  
 في اللغة : عموم المعنى الأصلي - التفاؤل - التهكم -  
 الحذف من الحسد - التطور اللغوي - المحاز والاستعارة -  
 احتمال الصيغة الصرفية للمعنيين - عرض لكتاني :  
 « ردسلوب » و « جيسى » في الأضداد في العربية  
 ( ٣٣٦ - ٣٥٧ ) .

الفصل الرابع : التعريب وألفاظ الحضارة : اتصال العرب في الجاهلية بالأنم  
 المجاورة - أثر الاحتكاك بين الشعوب في اللغة - أمثلة لتأثر  
 العربية باللغات المجاورة - مذهب أبي عبيدة وأبي بكر بن  
 الأثير في إنكار وقوع المعرب في القرآن الكريم - محاولة أبي  
 عبيد القاسم بن سلام التوفيق بين الآراء - حملة الشيخ أحمد  
 شاكِر على الجواليقي - الافتراض من اللغات المجاورة حقيقة  
 واقعة - علامات المعرب - منهج العربية في التعريب - اقتراض  
 الألفاظ والمعاني - غلبة المعرب على العرف أحيانا - تطويع  
 العربية للمعرب والاشتقاق منه - تعريب مصطلحات الحضارة  
 في العصر الحديث - رأي مجمع اللغة العربية في التعريب -  
 مذهبنا في هذه القضية - تعريب اللفظ بمجرد ظهور

المستحدث الحضاري ، وقبل شيوع اسمه الأعجمي على  
الألسنة ! ( ٣٥٨ - ٣٦٨ ) .

### الباب الخامس : من قضايا اللغة ومشكلات العربية :

#### الفصل الأول : قضية الإعراب : رأى جمهور النحاة في دلالة الإعراب على

المعاني - رأى قطرب في أن الإعراب حركات جيء بها للسرعة  
في الكلام والتخلص من التقاء الساكنين - الدكتور إبراهيم  
أنيس يتابع قطرباً على رأيه - تفصيل نظرية الدكتور أنيس -  
بعض المستشرقين يشككون في حقيقة الإعراب - فوللرز -  
باول كاله - فستشائين - تولدكه يرد على المتشككين - أدلنا  
على دلالة الإعراب على المعاني : اللغات السامية كالأكادية  
والحيثية والأورارتية - تواتر قراءة القرآن الكريم بالإعراب -  
الرسم القرآني - موازين الشعر العربي - أخبار اللحن - سماع  
العلماء من البدو - تفسير المستشرقين للحركات الإعرابية -  
قضية ضياع الإعراب من الفصحى وسببها - نقد رأى تولدكه  
في ثبات أجزاء الجملة العربية القديمة ( ٣٦٩ - ٣٩٥ ) .

#### الفصل الثاني : مشكلة الخط العربي وأوهام اللغويين : صلة المشكلة بالدرس

اللغوي - حلو الخط العربي من رموز الحركات وأثره في أوهام  
اللغويين - تاريخ الخط العربي ومشكلة الضغط بالشكل -  
رموز القراءة كلها من عمل الخليل بن أحمد - جدل ابن حني  
حول موضع الحركة من الحرف - وهم أنى على الفارسي في  
القول بأن الحركة تحدث مع الحرف - فطنة ابن حني إلى  
العلاقة بين الحركات القصيرة وحروف المد - اردواج وظيفة  
الواو والياء في الخط العربي - أثر هذا الازدواج في أوهام القدامى  
في الصرف والعروض - الخط وسيلة ناقصة للتعبير عن الصورة  
السمعية الحية - وجوب تأسيس القواعد على المنطوق لا على  
المنكوب ( ٣٩٦ - ٤١٢ ) .

#### الفصل الثالث : مشكلة تعليم العربية كثرة الشكوى من ضعف التلاميذ في

اللغة العربية - بعض المستشرقين يلحظ ذلك - المشكلة  
معقدة وجوبها متعدد - نادى بهم بالعربية الفصحى ؟ ارتباط

في العربية :

لاقتراض -

شرايف

من درسيه

معاني

اللفظي :

لاقتراض -

في معاجم

في الشعر

العربية -

على تضاد

التحكم -

استعارة -

الكتاني :

العربية

لغة بالأمم

فئة لتأثير

بكر بن

عائلة أنى

شيخ أحمد

رة حقيقة

اقتراض

تطويع

خضارة

عريب -

ظهور

نصحى بالقرآن الكريم - الأردواح اللعوى أمر لا مفر منه  
 هل العربية لغة صعبة ؟ صعوبة إعراب الفصحى لا تنفرد به  
 العربية - بعض الصعوبات سببه الشغل النحاة العرب بالحدل  
 العقيم عن وصف الظاهرة اللعوية - كيف يتقنى مدرس العربية  
 وكيف بعد ؟ ضعاف حملة الثانوية العامة هم الذين يدخلون  
 أقسام اللغة العربية ودار العلوم - الموهوبون وذوو الاستعداد  
 اللعوى لا يتخصصون في العربية - المرحلة الابتدائية أهم  
 مراحل التعليم وأخطرها - العناية بتعليم هذه المرحلة واجب  
 وطنى - الطريق الأمثل إلى تعلم العربية - حفظ النصوص  
 وفهمها لا حفظ القواعد - رأى ابن خلدون في تعلم اللغة  
 العربية - الكتاب المدرسى يجب أن يضبط بالشكل الكامل -  
 وسائل الإعلام ودورها في نشر الفصحى - الإذاعة والتليفزيون  
 يقومان بدور التوجيه لا الانقياد ! ( ٤١٣ - ٤٢٦ ) .

مراجع الكتاب : ١ - المراجع العربية ( ٤٢٧ - ٤٤٦ ) .

٢ - المراجع الإفرنجية ( ٤٤٧ - ٤٤٨ ) .

فهرس الموضوعات ( ٤٤٩ ) .

\*\*\*

#### هذا الكتاب :

دراسة لأهم قضايا العربية ومشكلاتها في أوليتها وارتباطها بالفصيلة السامية ، وعرض للغات هذه الفصيلة والاكتشافات الأثرية التي تمت فيها ، وموطن الساميين الأصلي ، وعلم اللغويين العرب القدامى بالساميات ، وخصائص اللغات السامية وأهميتها للدراسات اللغوية العربية . كما يعالج علاقة الفصحى باللهجات العربية القديمة ، وتفسير ألقاب تلك اللهجات في ضوء علم اللغة الحديث . وفي العلاقة بين الشعر والنثر يثير الكتاب قضية الضرورة الشعرية ، والخطأ في اللغة ، وأثر الوزن الشعري في أبنية العربية . كما يوضح مدى الغناء اللغوي للعربية وتاريخ المعجم العربي ، وأثر الاشتقاق والنحت والتعريب في نمو اللغة ، وقضايا الترادف والاشتراك اللفظي والتضاد في دلالة الألفاظ ، ويتحدث كذلك عن الإعراب ونظام الجملة ويرد على المتشككين في أصالة إعراب الفصحى . كما يعالج مشكلات الخط العربي وأوهام اللغويين العرب في الدرس اللغوي ، وصعوبات اللغة وتعليم العربية في المدارس والجامعات .

الفاشر

Giza Public Library



000032500 - 2